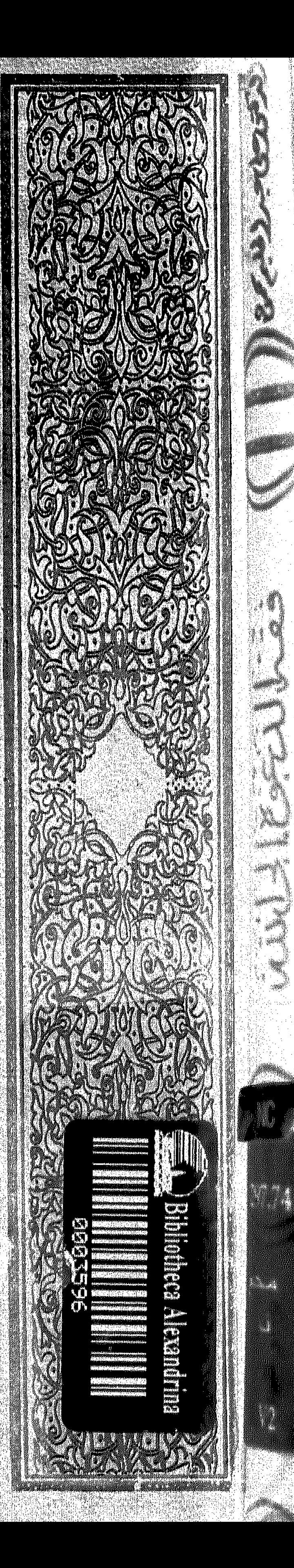
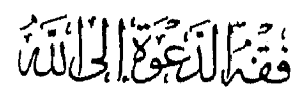
فقه الدعوة إلى الله

الجزء الثاني

الدكتور علي عبد الحليم محمود
من علماء الأزهر






فقه الدعوة إلى الله

الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م
الطبعة الثانية ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م

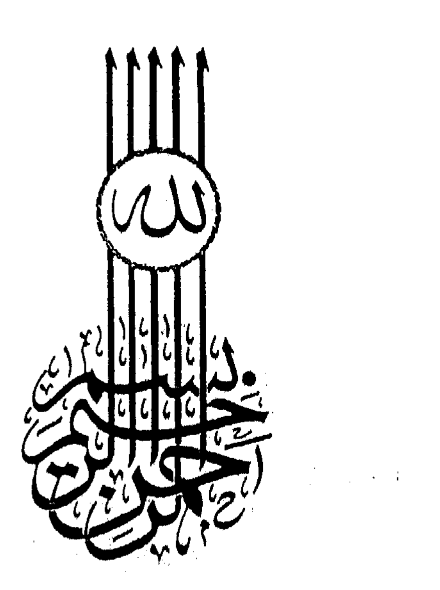


دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة ش.م.م
الإدارة والمطابع : المنصورة ش الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب
ت ٣٤٢٧٢١ / ٣٥٦٢٢٠ / ٣٥٦٢٣٠
المكتبة : أمام كلية الطب ت: ٣٤٧٤٢٣ ص . ب : ٢٣٠ تلكس DWFA UN 24004

(٣)

فقه الدعوة إلى الله

الدكتور علي عبد الحليم محمود
من علماء الأزهر


بسم الله الرحمن الرحيم

المرحلة الثالثة : مرحلة التنفيذ

وتشمل :

التقديم .

الفصـــل الأول : تعريف المرحلة وتحديد أبعادها .

الفصل الثانــى : طبيعة المرحلة ومتطلباتها .

الفصل الثالــث : أهداف المرحلة ووسائلها .

الفصل الرابــع : الحكم الشرعى فى ممارسة العمل فيها .

الفصل الخامس : المدى الزمنى للمرحلة وأولويات العمل فيها .

الفصل السادس : برنامج المرحلة ومحتواه .



مرحلة التنفيذ

التقديم :

إن مرحلة التنفيذ ، هى مرحلة العمل والجهاد المستمر ،الذى لا هوادة معه ، عمل متواصل فى سبيل الوصول إلى الغاية ، وجهاد متواصل، مهما قامت فى وجهه العقبات ومهما عظمت العراقيل ، وصبر على عمل شاق ، وصبر على ابتلاء .

إن هذه المرحلة من مراحل الدعوة ذروة السنام بين المراحل كلها ؛ لأنها مرحلة الجهاد ، والجهاد ذروة سنام الإسلام ، وماكانت المرحلتان السابقتان لها ،من تعريف للأفراد بالإسلام ، وتكوين وإعداد لهم ، إلا لتجد هذه المرحلة من بين من أتموا هاتين المرحلتين ، الرجال القادرين على حمل أعباء الجهاد الصابرين المحتسبين .

هذه المرحلة من حيث رجالها ، تعد مرحلة الصفوة من الرجال ، الذين أعدوا أحسن الإعداد ، وكونوا أدق التكوين ، ثم اصطفى منهم من هو أهل للعمل فى مرحلة التنفيذ ، وتلك الأهلية غالية الثمن ، باهظة التكاليف ، ولكن من استجمع صفاتها ، دخل فى مجال العمل الإسلامى ، من أهم أبوابه ، وأقربها إلى رضى الله سبحانه وتعالى .

ثم إن هذه المرحلة ، من حيث العمل ، الذى يمارس فيها ، هى مرحلة التركيز والتخصيص ، لسد ثغرات العمل الإسلامى كله ، من حيث الكم ، ومن حيث الكيف ، ومن حيث الاستجابة لكل متطلبات الدعوة وأعبائها فى كل مراحلها ، أى متطلبات العمل الإسلامى كله ؛ لأن المختارين لهذه المرحلة ، مرابطون محتسبون ، يطيرون لكل هيعة ، ويسدون كل ثغرة ، وهذا قدرهم ، الذى يؤجرون عليه ، بفضل من الله ورحمة .

وإن اسم هذه المرحلة ، ينبىء عن مفهومها ، بل يدل على أهدافها ، فهى مرحلة صورتها المجملة تطبيق لكل القيم والأخلاق الإسلامية التى عرفها الفرد ورُبى عليها .

كما أنها المجال التطبيقى ، لكل ماأفاد الفرد من أساليب الدعوة ووسائلها ، وأساليب الحركة ووسائلها ، وأساليب التنظيم ووسائله ، إنها التطبيق العملى لكل ماكان نظريا من برامج المرحلتين السابقتين « التعريف والتكوين » .

إن هذه المرحلة من مراحل الدعوة إلى الله ، ليس بعدها إلا التمكين لدين الله ، والسيادة لمنهجه فى الأرض كلها ، ومن هذا تنبع أهميتها ، وتتضح مكانتها .

الفصل الأول

تعريف مرحلة التنفيذ وتحديد أبعادها

تعريف مرحلة التنفيذ وتحديد أبعادها

أولا : التعريف بالمرحلة

هى حصيلة لمرحلة التكوين والإعداد ، ونتيجة لحسن السير فيها ؛ لأن الأفراد الذين أعدوا فى مرحلة التكوين ، وفق برنامج معين ، ووعاء زمنى معين ، يدخل من اصطفوا منهم ، هذه المرحلة للممارسة العملية والتنفيذ .

ومن نافلة القول أن ننبه هنا إلى أن هذه المرحلة — كغيرها من مراحل الدعوة — لابد أن يسبقها وضوح الأهداف ، والاتفاق على الوسائل ، ووضوح المنهج ، كما سبقها معرفة الأهلية بالنسبة لمن ينضمون إليها ممن أنهوا مرحلة التكوين .

إن العمل الإسلامى كله لا يقوم إلا على أساس ركين من وضوح هذه الأمور ، وكلما كانت مرحلة العمل أو الدعوة ذات أهمية أكبر ، كان الاحتياج إلى الوضوح ألزم وأوجب ، وبغير هذا الوضوح يكون العمل الإسلامى أشبه مايكون بحرث فى بحر ، أى تبديد الجهود بغير طائل .

إن الأفراد والقيادات فى العمل الإسلامى بعامة ، وفى مراحل الدعوة على وجه الخصوص يستوون فى احتياجهم إلى هذا الوضوح فى الهدف والوسيلة والمنهج ، ولا يجوز لنا أن نفترض فى قيادات العمل الإسلامى ، أنهم يحيطون بكل شىء علما ؛ فإن هذا غير صحيح ، كما أن الإسلام لايعرف الطاعة العمياء فى أى مستوى من مستويات العمل ، وإنما الطاعة دائما مبصرة ، تعرف حدود ماأحل الله وما حرم ، فلا تطيع فى معصية لله أبدا .

كما أن الأفراد — لكى يؤدوا أداء جيدا — لا بد لهم من معرفة دقيقة بالأهداف والوسائل والمناهج والبرامج ، فإن هذا هو الذى يميز الإسلام عن غيره من النظم والنظريات والمناهج ، وإذا كان القرآن الكريم ، يعطف العمل الصالح فى كثير من آياته على **الإيمان** — كما ورد ذلك فى أكثر من خمسين آية كريمة — كما فى قوله تعالى : ﴿ **الذين آمنوا وعملوا الصالحات** ... ﴾ فإن معنى ذلك أن العمل لا يكون صالحا ، إلا إذا انبثق عن **إيمان** ، كما لا يكون صالحا مرضيا لله ، وفيه غموض وتعمية وتعتيم .

إن الأفراد فى هذه المرحلة ، قد بلغوا شأناً عظيما ، فى مجال الدعوة إلى الله ، ونضجوا بما يسمح لهم بالعلم بكل مايتصل بالعمل الإسلامى فى وضوح ، وبخاصة فيما يتصل بالأهداف والوسائل والبرامج .

إن أجمع تعريف لهذه المرحلة هى : أنها مرحلة المؤمنين ، الذين صدقوا ماعاهدوا الله عليه ، وأعدوا للعمل الإسلامى ، مايحتاج إليه من حكمة وقوة ، إنها مرحلة المجاهدين فى سبيل الله ؛ لتكون كلمة الله هى العليا .

ونكتفى بهذا التعريف .

ثانيا : تحديد أبعاد المرحلة

لهذه المرحلة ــ ككل مرحلة ــ أبعاد تحدها ، وترسم خطوط السير فيها ، وتسهم فى تحقيق الوضوح المنشود فى كل مرحلة من مراحل الدعوة إلى الله .

ونستطيع أن نجمل هذه الأبعاد فيما يلى ــ تاركين التفصيل ، ليفهم من خلال حديثنا كله عن المرحلة فى فصولها الستة .

وهذه الأبعاد المجملة هى :

البعد الأول :

هو بلوغ عدد من أفراد هذه المرحلة « **درجة النظر** » فى فقه الإسلام .

ودرجة النظر : تعنى أن تتكون لدى الإنسان من خلال قراءاته وثقافته المنهجية ، قدرة على النظر فى نصوص الدين الإسلامى ، من كتاب وسنة ؛ ليستنبط الحكم الشرعى منها ، وهى قدرة يمكن أن تخلع على صاحبها لقب «**فقيه**» .

والعمل الإسلامى بعامة ، والدعوة إلى الله بالذات ، تحتاج دائما إلى عدد من هؤلاء الفقهاء ، يسدون احتياج العمل الإسلامى ، ولولا المشقة لقلنا : إن أفراد هذه المرحلة جميعا ، يجب أن يكونوا على مستوى « **درجة النظر** » ولكن عددا منهم يسد الاحتياج فيه الكفاية ، بإذن الله تعالى .

فهذا بعد من أبعاد تلك المرحلة ، على قيادات هذه المرحلة وأفرادها ، أن يتحركوا فى مجاله .

وليس فى تحديد هذا البعد ، تعنت أو ترهب فى العلم ــ كما يقال ــ وإنما هو من حدود المرحلة وأبعادها ، لأن أفراد هذه المرحلة فى مجملهم ، قادة للعمل الإسلامى ، وجنود له فى وقت واحد ، وسواء كانوا قادة أو جنودا ، أو جمع أحدهم بين الصفتين ، فإن دراسة متعمقة للإسلام ، تبلغ ببعضهم « **درجة النظر** » واجبة ، لا استغناء عنها ، ولا تقصير فى تحقيقها .

البعد الثانى :

تكوين الأفراد المتخصصين القادرين على سد ثغرات العمل الإسلامى فى كل مجالاته ، بمعنى أن يختار من أفراد هذه المرحلة ، مجموعات تتخصص وتتعمق فى دراسة المجالات

التالية :

١ ـــ مجال تكوين علماء متفقهين فى الدين .

٢ ـــ مجال تكوين علماء متخصصين فى كل مجالات الحياة الإنسانية وعلى سبيل المثال :

أ ـــ فى مجال علم الاجتماع .

ب ـــ وفى مجال علم السياسة .

جـ ـــ وفى مجال علم الاقتصاد .

د ـــ وفى مجال علم التربية .

هـ ـــ وفى مجال علم الإعلام .

و ـــ وفى مجال علوم الزراعة والمياه .

ز ـــ وفى مجال علوم طبقات الأرض والتعدين .

ح ـــ وفى مجال علوم الفضاء .

ط ـــ وفى مجال علوم الصناعة والتقنية .

ى ـــ وفى كل مجال يحتاج إليه .

٣ ـــ فى مجال فقه الدعوة والحركة والتنظيم .

٤ ـــ فى مجال فن القيادة والتخطيط .

٥ ـــ فى مجال ظروف العالم الإسلامى واحتياجاته .

وكل مجال علمى أو فنى من هذه المجالات ، يتفرع إلى عشرات التخصصات الدقيقة والأكثر دقة .

وكل ذلك مطلوب ويعد بعدا من أبعاد هذه المرحلة .

البعد الثالث :

عمق الانتماء للدين الإسلامى وللدعوة إلى الله ، بمعنى أن يصبح أفراد هذه المرحلة ، رموزا توحى بالعمل الإسلامى على صورته الجيدة ، وبالعمل فى مجالات الدعوة والحركة والتنظيم ، على أعلى مستوى مستطاع ، يصبحون رموزا حية للإسلام ولدعوته ؛ وكل ذلك لن يكون إلا بعمق الانتماء إلى الإسلام ، وعمق الاعتزاز به ، فضلا عن عمق الالتزام بكل مافيه من أدب وخلق وسلوك .

لن يكون هذا الانتماء بصورته التى ننشد ، إلا أن يصل أفراد هذه المرحلة ، إلى الحد

الذى إذا قيل فيه فى عصرنا هذا :

أين المسلم الفاهم ، الواسع الأفق ، المتين الخلق ، القوى المستوعب لقضايا العالم الإسلامى المعاصر ، القادر على تحليل هذه القضايا ، وتصور حل أو حلول لها فى موضوعية وحيادية وإخلاص ، لو قيل أين هذا المسلم ؟ يشار إلى فرد من أفراد هذه المرحلة .

إن كل مافى هذه المرحلة ، يجب أن يعمق الانتماء للإسلام ولدعوته ، ويعمق الولاء لمنهجه ونظامه .

البعد الرابع :

« الإسلام العملى » وهو شعار جيد لهذه المرحلة ، بمعنى أن كل فرد من أفرادها ، يكون همه العمل والتنفيذ والممارسة والتطبيق ، لكل ماعرفه وربى عليه ، من نظريات ومعلومات نظرية .

يمارس ذلك فى كل مجال من مجالات الحياة ، متحليا بجملة من الصفات ، نشير إلى بعضها فيما يلى :

١ ــ الإخلاص لله ، والتجرد له فى كل عمل .

٢ ــ الاستمرارية والدأب ، دون ملل أو تراخ .

٣ ــ العزيمة الصادقة ، والإصرار على بلوغ الهدف .

٤ ــ التأنى والصبر والإجادة والإحسان .

٥ ــ عدم استعجال النصر من الله ، لأن ذلك أمر متروك لله سبحانه ، يجعله على يد من يشاء من عباده ، ولكنه يقين سوف يتحقق ، مادمنا على الحق عاملين ومجاهدين .

تلك هى أبعاد هذه المرحلة ، وسوف تزداد وضوحا وتفصيلا كلما تقدمنا خطوة فى الحديث عن فصول هذه المرحلة الستة ، بعون من الله وتوفيق .

الفصل الثانى

طبيعة مرحلة التنفيذ ومتطلباتها

طبيعة مرحلة التنفيذ ومتطلباتها

أولا : طبيعة المرحلة

لهذه المرحلة طبيعة ، تختلف عن سوها من المراحل ، ومجمل طبيعة هذه المرحلة يكمن فى أنها : مرحلة الجهاد المتواصل ، والصبر على الابتلاء ، والإصرار على مواصلة السعى فى الطريق ، حتى تتحقق إحدى الحسنيين ، النصر والتمكين لدين الله فى عباد الله ، أو الحصول على الشهادة فى سبيل الله ، كما لا بد فى هذه المرحلة من كمال الطاعة ، ومن عقد البيعة والالتزام بشروطها وآدابها .

وفى اختصار شديد ، وتلخيص أشد ، إن هذه المرحلة تكمن طبيعتها فى كلمة واحدة هى : « **الجهاد** » .

ولنلق الآن ضوءاً ، على ماأشرنا إليه ، فى طبيعة هذه المرحلة ، من جهاد وصبر ، وإصرار على مواصلة العمل ، وكمال طاعة ، وعقد بيعة ، لتتضح طبيعتها بصورة أكبر .

١ ــ الجهاد :

ونعنى به : الجهاد بكل معانيه :

أ ــ جهاد النفس ،

ب ــ وجهاد الشيطان ،

جـ ــ وجهاد العدو .

كما نعنى به : الجهاد بكل أنواعه :

أ ــ جهاد اللسان والكلمة .

ب ــ جهاد العمل فى كل مجالاته .

جـ ــ جهاد قتال أعداء الله .

د ــ جهاد المرابطة فى سبيل الله .

هـ ــ جهاد الاستعداد لكل معركة فى سبيل الله .

و ــ جهاد الاستعداد لكل عمل يتطلبه الإسلام .

ولا يقبل من أحد فى هذه المرحلة ، إلا أن يبذل أقصى ما فى وسعه وطاقته ، من نفسه وماله ووقته وجهده ، لا يقبل منه بحال أقل مما يستطيع ، وهو بَعْدُ على نفسه بصيرة .

كما لا يقبل من أحد فى هذه المرحلة ، الخلود إلى راحة أو دعة ، أو إيثار لأى نوع من أنواع السلبية ، لأن ذلك كله ، يتنافى مع طبيعة الجهاد فى هذه المرحلة .

٢ ـــ الصبر :

ونعنى به كذلك : الصبر بكل معانيه :

أ ـــ الصبر مع الحق ،

ب ـــ والصبر على الحق،

جـ ـــ والصبر على مايقتضيه العمل ،

د ـــ والصبر على القتال أى الشجاعة ،

هـ ـــ والصبر على الابتلاء ،

و ـــ والصبر على الكتمان ،

ز ـــ والصبر على النصر ، مع الأخذ بكافة الأسباب .

كما نعنى بالصبر كل أنواعه كذلك مثل :

أ ـــ صبر النفس على العبادة .

ب ـــ والصبر على متاعب الجهاد « المصابرة » .

جـ ـــ والصبر بمعنى عدم الجزع .

د ـــ والصبر بمعنى ، رحابة الصدر ، والتماس العذر .

وربما أهم معانى الصبر وأنواعه ، فى هذه المرحلة ، هو الصبر على المحنة والبلاء ، لأن هذه المرحلة بطبيعتها تستدنى الأعداء وكل من يتحدى الحق وأهله ، وعندئذ يتعرض أفراد هذه المرحلة لكثير من المتاعب والشدائد ، وهنا يكون الصبر أهم مايطلب فى طبيعة هذه المرحلة .

٣ ـــ الإصرار :

بمعنى اشتداد العزم على مواصلة العمل ، وهذا من طبيعة المرحلة ، إذ لو فقد الأفراد فى هذه المرحلة ، روح الإصرار والعزم على مواصلة السعى فى طريق الحق ، لفقد العمل الإسلامى ، أحلى نتائجه وهى : النصر والتمكين ، أو الشهادة فى سبيل الله .

ومن المعلوم أن لهذا الإصرار مشاقه ، كما أن له جَنَاه الحلو ، فى مذاق المؤمنين ، وهو « **إحدى الحسنيين** » .

إن هذا الإصرار على بلوغ الهدف ، نتيجة للتكوين الجيد الذى سبق هذه المرحلة ، وذلك معناه : أن أى نوع من التراخى أو التواكل فى مرحلة التنفيذ ، مؤشر على أن مرحلة التكوين لم يكن لها مداها الصحيح فى نفس المكوّن فيها ، بل يدل كذلك ، على أن عملية الاصطفاء ، التى تمت لمن أنهى مرحلة التكوين ، ورشح لمرحلة التنفيذ ، لم تتم على وجهها الصحيح ، وإنما دخلتها شوائب وعوامل ، غير موضوعية ، وغير عادلة ، أدت إلى هذه النتيجة التى لا تقبل أبدا من واحد من أفراد مرحلة التنفيذ .

٤ ــ كمال الطاعة :

حيث لايكفى لأفراد هذه المرحلة مجرد الطاعة ، بل لابد من كمالها ، وفرق مابين الاثنين ــ فى عرف أصحاب الدعوات ــ أن الطاعة فى عمومها :

امتثال فى العسر واليسر ، فى المنشط والمكره ــ فى غير معصية طبعا .

أما كمال الطاعة ، فيعنى ماهو أكثر من ذلك .

كمال الطاعة يعنى :

قبول الأمر برضى وسعادة ، وتنفيذه بصدق وإخلاص وتفان ، وكما عبر الإمام البنا عن كمال الطاعة بقوله : « تنفيذ الأمر دون تردد ، ولا مراجعة ، ولاشك ، ولا حرج »[١] .

إن كمال الطاعة يعنى ــ فى اختصار شديد ــ أن تكون الطاعة قد أصبحت خلقا وأدبا للفرد فى هذه المرحلة ، يمارسها كما يمارس مافرض الله عليه من فروض ، بصورة أقرب ماتكون إلى الفطرية والعفوية .

وأكرر أن الطاعة مبصرة لا عمياء ، وأن حدها المرسوم ، هو ألا تكون فى معصية لله أبدا .

ولا نستطيع أن نتصور أدنى نقص فى الطاعة ، والمرحلة مرحلة جهاد ، وعمل ، وصبر على ابتلاء وشدائد ؟

---

(١) الإمام البنا : رسالة التعاليم .

إن النجاح فى هذه المرحلة ، غير مكفول إلا بكمال الطاعة ، بعد إرادة الله ، وحسن عونه وتوفيقه .

٥ ـــ عقد البيعة والالتزام بشروطها وآدابها :

ومعنى أن من طبيعة هذه المرحلة عقد البيعة ، أن يتوفر فى كل فرد ، من أفراد هذه المرحلة ، أركان البيعة فى العمل الإسلامى ، وأن يبايع قيادته عليها ، وأن يتعهد بكل شروطها وآدابها .

وهذه الأركان قد تحدث عنها الإمام البنا رحمه الله ـــ رائد المصلحين فى القرن الرابع عشر الهجرى ـــ فقال :

« أركان بيعتنا عشرة فاحفظوها :

الفهم ، والإخلاص ، والعمل ، والجهاد ، والتضحية ، والطاعة ، والثبات ، والتجرد ، والأخوة ، والثقة »[١] .

وهذه الأركان العشرة ، قد أوضحها الإمام البنا ، وبين معالمها وشرحها شرحا ضافيا ، وفصل إجمالها تفصيلا دقيقا فى رسالة التعاليم ، وهى أهم رسالة ـــ من وجهة نظرى ـــ بعد قراءة كل ما كتب الإمام البنا من رسائل جيدة .

وما من داعية إلى الله ، ولا عامل فى حقل الدعوة الإسلامية ، فى أى قطر من أقطار العالم الإسلامى ـــ فى أى مرحلة من مراحل الدعوة ، إلا وهو بحاجة ماسة إلى أن يقرأ هذه الرسالة قراءة متأمل ؛ ليفيد منها فى مجال العمل الإسلامى المعاصر ، فوائد جُلَّى ، قل أن يحصل عليها من سواها من الرسائل .

إن هذه الرسالة كلمات رجل ، آتاه الله العلم والفقه ، ورزقه الإخلاص ، رجل عانى العمل الإسلامى المنظم ، الذى سبقه التخطيط والإعداد ، رجل مضى شهيداً فى سبيل الله ، من أجل ما كان يدعو إليه من حق .

إن الإمام البنا ـــ رحمه الله ـــ لا يكفى فيه أن يقال كما قيل للمصلحين من قبله : **سبق زمانه وفاق أقرانه وإن كان هذا الوصف منطبقا عليه ، وإنما كلام أصحاب**

---

(١) الإمام البنا : رسالة التعاليم .

الدعوات فيه ، أنه رجل من الموفقين الملهمين ، فى مجال الدعوة الإسلامية ، فى العصر الحديث ـــ القرن الرابع عشر الهجرى ـــ .

وبعد : فتلك طبيعة مرحلة التنفيذ أجملناها فى هذه النقاط الخمسة ، فما متطلبات هذه المرحلة ؟

ذلك ما نستعين الله عليه فى الصفحات التالية .

ثانياً : متطلبات المرحلة

لهذه المرحلة ـــ كغيرها من مراحل الدعوة إلى الله ـــ متطلبات كثيرة لابد منها ، لكى تحقق المرحلة أهدافها ، ومن الواضح لنا الآن ، بعد أن تعرفنا على متطلبات مرحلتى التعريف والتكوين ، أن كل مرحلة تالية لغيرها ، تكون متطلباتها أكثر وأدق ، تجاوبا مع طبيعة كل مرحلة ، فإن طبيعة المرحلة هى التى تشير أو تحدد متطلباتها ، ونحن هنا فى مرحلة التنفيذ فى أعلى مرحلة من مراحل الدعوة إلى الله ، وبالتالى فلابد من التوسع فى الحديث عن متطلبات هذه المرحلة .

هذه المتطلبات وضحت لى من خلال النظر والتأمل والعمل ، بل الممارسة فى أمور أربعة :

الأول : متطلبات فى البشر أى أفراد المرحلة ،
والثانى : متطلبات فى حركية هؤلاء الأفراد ،
والثالث : متطلبات فى الخطة والمنهج ،
والرابع : متطلبات فى تنظيم العمل فى هذه المرحلة .

وأود أن أنبه هنا أن تحديد هذه المتطلبات ، وتصنيفها على هذا النحو ، هو اجتهاد منى ، لعبت فيه الخبرة ، والسابقة فى العمل دوراً بارزاً ، وهو مصطلح عندى لا يقبل مشاحة فيه ولا جدلاً ـــ عملاً بقول أسلافنا رضوان الله عليهم : لا مشاحة فى الاصطلاح .

ويستطيع أى كاتب ، أو مفكر غيرى ، أن يرى متطلبات للمرحلة أكثر من ذلك ، أو أقل أو غير ذلك ، وله فى ذلك حرية البحث والتحرى والتأمل ، وأسأل الله التوفيق والسداد .

الأمر الأول : متطلبات المرحلة فى الأفراد

وهى متطلبات ضرورية ، نستطيع أن نسميها شروطا فى أهلية من ينضمون إلى هذه المرحلة .

ولأن الناس عماد أى عمل وأدواته ، ولأن العمل فى الإسلام فرض على كل قادر عليه ، فلابد من أهلية لهؤلاء الناس الذين يقومون بالأعمال .

والعمل فى الإسلام يبدأ بعبادة الله سبحانه ، ويظل يتسع ويتسع ، حتى يشمل فعل كل خير ، وفعل الخير فى ذاته عبادة لله سبحانه ، يقول عز وجل : ﴿ ... **واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون** ﴾[1] . ويصل العمل الإسلامى إلى قمته ، بالجهاد فى سبيل الله للتمكين لهذا الدين فى الأرض ، قال تعالى : ﴿ **انفروا خفافاً وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون** ﴾[2] وقال سبحانه : ﴿ **وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج** ﴾[3] .

هؤلاء الأفراد المكلفون بالتنفيذ والممارسة ، مطالبون بأن يكونوا نماذج لما يحملون من مبدأ ، وما يدينون به من عقيدة ، وهو أمر يتطلب منهم صفات خاصة ، بحيث يكونون على مستوى القيام بأعباء هذه المرحلة .

وفى تصورى أن عناصر ثلاثة لابد أن تتوفر فيهم هى :

الاصطفاء ،

والاختبار ،

والتوثيق .

بمعنى أن الفرد فى هذه المرحلة ، وقبل أن يدخلها ، لابد أن يصطفى من بين من أتموا مرحلة التكوين ، وفق برنامجها وزمنها ، ولابد أن يختبر ، للتعرف عملياً على مدى كفاءته واستعداده ، ولابد أن يوثق ، للتأكد من حسن ولائه للإسلام ، وحسن انتمائه للعمل الإسلامى ، فهى عناصر ثلاثة لابد منها .

ولنتحدث عن هذه العناصر واحداً واحداً ...

---

(١) سورة الحج : ٧٧ . (٢) سورة التوبة : ٤١ . (٣) سورة الحج : ٧٨ .

العنصر الأول : الاصطفاء

وهو تناول صفو الشيء ، كما أن الاختيار : تناول خيره ، والاجتباء : تناول جبايته ، وجباية الشيء جمعه على طريق الاصطفاء ، فالمعانى لهذه الألفاظ الثلاثة متشابهة .

والاصطفاء بهذا المعنى جزء من منهج الإسلام فى العمل ، فلا عمل يؤدى على وجهه ، إلا أن يحدث له وفيه اصطفاء ، والله تبارك وتعالى قد اصطفى لخلقه الدين ، قال تعالى : ﴿ ... **إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون** ﴾[1] كما أنه سبحانه ، قد اصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس ، ليكلف من اصطفاهم من الناس بالعمل الجليل عمل الرسالة ، فقال سبحانه : ﴿ **الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس إن الله سميع بصير** ﴾[2] . كما اصطفى الأمة المسلمة ، لكتابه الكريم ، الذى أوحاه إلى محمد ﷺ ، فقال سبحانه : ﴿ **والذى أوحينا إليك من الكتاب هو الحق مصدقاً لما بين يديه إن الله بعباده لخبير بصير . ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ...** ﴾ [3] .

ولقد علمنا الله تعالى ، بعض الأسس ، التى يتم وفقها الاصطفاء ، فقال سبحانه : ﴿ **إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم** ﴾[4] .

واصطفاء الفرد لهذه المرحلة ، لينفذ أعمالها ، ويحقق أهدافها ، يجب أن يكون قد أقيم على أسس ثلاثة :

١ ـــ الصلاح والتقوى ،
٢ ـــ والعقل والذكاء ،
٣ ـــ والقوة والأمانة .

الأساس الأول : الصلاح والتقوى :

وذلك أهم الأسس الثلاثة ، ولا بد منه لاختيار أى فرد ، يقوم بأى عمل ، فما بالنا إذا كان العمل على هذا القدر من الأهمية ؟ ومابالنا إذا كان العمل إسلاميا ، وفى هذه المرحلة بالذات من مراحل الدعوة إلى الله ؟ .

---

(١) سورة البقرة : ١٣٢ .
(٢) سورة الحج : ٧٥ .
(٣) سورة فاطر : ٣١ ـــ ٣٢ .
(٤) سورة البقرة : ٢٤٧ .

إن الرجل الصالح التقى ، هو الذى قد أهله دينه وخلقه للالتزام بكل ماأمر الله سبحانه ، والانتهاء عن كل مانهى عنه ، فكان بذلك صالحا ــ والصلاح هبة من الله ينميها الالتزام .

والتقوى هى : جعل النفس فى وقاية مما يخاف . وفى الشريعة : هى حفظ النفس عما يؤثم ، وذلك بترك المحظور ، وإنما يحدث ذلك ، بترك بعض المباحات ، وقد روى الإمام البخارى بسنده ، عن النعمان بن بشير رضى الله عنه ، قال : قال النبى ﷺ : « الحلال بيّن والحرام بيّن ، وبينهما أمور مشتبهة ، فمن ترك ما شُبِّه عليه من الإثم ، كان لما استبان أترك ، ومن اجترأ على مايشك فيه من الإثم ، أوشك أن يواقع مااستبان ، والمعاصى حمى الله ومن يرتع حول الحمى ، يوشك أن يواقعه » (١) .

وقد جمع الله تعالى بين الصلاح والتقوى ، فى قوله تعالى : ﴿ **يابنى آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ﴾ (٢) . والآيات الكريمة والأحاديث النبوية فى ذلك كثيرة ، لا مجال هنا لذكرها .

فهذا هو الأساس الأول الذى يصطفى بمعياره أفراد مرحلة التنفيذ .

الأساس الثانى : العقل والذكاء :

والعقل هو القوة لقبول العلم ، وإلى ذلك أشار النبى ﷺ ، بقوله : « ماخلق الله خلقا أكرم عليه من العقل » كما ذكرنا ذلك آنفا .

والعقل الذى يستفيد العلم ، هو الذى قال الله تعالى عنه : ﴿ **وتلك الأمثال نضربها للناس ومايعقلها إلا العالمون** ﴾ (٣) .

وأصل العقل : الإمساك والاستمساك ، وهو يعقل الإنسان ، أى يمسكه عن الخطأ ، وكذلك عقل اللسان إمساكه عن القول السيىء .

والذكاء : سرعة الإدراك ، وحدة الفهم وتوقده .

والذكى : الرجل المُسن ذو التجارب والرياضات ، ولما كانت التجارب والرياضات ، قلما توجد ، إلا فى الشيوخ لطول عمرهم ، وكثرة تجاربهم استعمل الذكاء فيهم .

---

(١) الإمام البخارى : صحيحه : كتاب البيوع ٣ / ٧٠ ط الشعب القاهرة .

(٢) سورة الأعراف : ٣٥ .   (٣) سورة العنكبوت : ٤٣ .

والذكاء قدرة على التكيف مع المواقف .

والذكاء بهذه المعانى التى ذكرنا كلها ، هو ترياق العمل الإسلامى وملحه ، وهو ضرورى لكل من يتصدى للعمل الإسلامى ، سواء أكان ذلك فى مرحلة التكوين والإعداد ، أم فى مرحلة التنفيذ ، أم فى مرحلة التمكين . إذ كيف يتم عمل على وجهه ، ما لم يكن القائمون به أذكياء ، بهذه المعانى التى ذكرنا للذكاء ؟

وكم من المواقف المشكلة ، لا يجتازها إلا رجل ذكى سريع الفهم حاد الإدراك ، وكم من المواقف والثمار ، يضيعها بطء الفهم ، وبلادة الإدراك ؟

وبعد : فتلك المعانى التى ذكرنا للذكاء ، هى من صميم تراثنا وثقافتنا معشر المسلمين ؛ فلقد كان رسول الله ﷺ ، يختبر أصحابه ليعرف قدر ماهم عليه من ذكاء ، قبل أن يوليهم عملا ، كما حدث ذلك مع معاذ ، رضى الله عنه ، حين بعثه إلى اليمن ، فسأله : « بم تحكم ؟ » — أى كيف تقضى ؟ — قال : بكتاب الله ، قال : « فإن لم تجد ؟ » ، قال : فبسنة رسول الله ، قال : « فإن لم تجد ؟ » ، قال : أجتهد رأيى (١) .

تلك صورة من صور الذكاء المطلوبة ، فيمن يقضى بين الناس .

والمعاصرون يرون أن الذكاء ، قدرة على التحليل والتركيب ، والتمييز والاختيار والقدرة على مواجهة المواقف الجديدة بنجاح ، والقدرة على حل المشكلات الجديدة ، بابتكار الوسائل الملائمة لها .

وهذا الذكاء عندهم أنواع ثلاثة :

الأول : ذكاء نظرى : وهو القدرة على معالجة المعانى والرموز .

والثانى : ذكاء عملى : وهو القدرة على معالجة الأشياء .

والثالث : ذكاء اجتماعى : وهو القدرة على معالجة الأشخاص فى مواقف معينة .

وكل هذه الأنواع الثلاثة ، مطلوبة فى الإنسان الذى يقوم بالتنفيذ فى هذه المرحلة .

الأساس الثالث : القوة والأمانة :

أما القوة : فتعنى أن يكون للإنسان طاقة على العمل ، ولها معان كثيرة منها :

---

(١) رواه أحمد وغيره من علماء السنة بألفاظ مختلفة .

القوة فى البدن : وتعنى سلامته من الآفات ، وقدرته على العمل ، والصبر عليه ، ومن هذا المعنى قول الله تعالى على لسان ذى القرنين : ﴿ **فأعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما** ﴾ (١) فهو بهذا يطلب قوة البدن على العمل .

والقوة فى القلب :تعنى العزيمة الماضية ، والجد والاجتهاد ، قال تعالى : ﴿ **يايحيى خذ الكتاب بقوة** ﴾ (٢) أى بقوة قلب وجد والتزام .

والقوة بمعنى : جمع كل وسائل الحرب والقتال من عتاد ورجال ومنه قوله تعالى : ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ....** ﴾ (٣) .

وحامل عبء العمل الإسلامى ـــ من أفراد هذه المرحلة بالذات ـــ لا بد أن يكون ذا قوة بهذه المعانى التى ذكرنا للقوة ، حتى يستطيع أن يؤدى ماعليه .

وأما الأمانة : فهى تكمل القوة ، وترشدها ، وتحدد مسارها ، وترعى خطواتها ، وتعصمها عن الزلل والانحراف والتجاوز ، فضلا عن التوقف والتوانى ، وتجعلها قوة موظفة لإحقاق الحق ، وإبطال الباطل .

وقد امتدح الله سبحانه وتعالى الأمانة والأمناء فى كثير من آيات القرآن الكريم قال سبحانه : ﴿ **فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى اؤتمن أمانته وليتق الله ربه** ﴾ (٤) . وقال سبحانه : ﴿ **إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا** ﴾ (٥) ، وقال جل شأنه : ﴿ **والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون** ﴾ (٦) .

وكل من القوة والأمانة ، ضرورى للتصدى لمتطلبات مرحلة التنفيذ ، بل لمتطلبات العمل الإسلامى كله .

وبعد : فتلك هى الأسس التى يتطلبها اصطفاء فرد ، ليدخل فى مرحلة التنفيذ من مراحل الدعوة إلى الله .

---

(١) سورة الكهف : ٩٥ . (٢) سورة مريم : ١٢ . (٣) سورة الأنفال : ٦٠

(٤) سورة البقرة : ٢٨٣ . (٥) سورة النساء : ٥٨ . (٦) سورة المؤمنون : ٨ .

العنصر الثانى : الاختبار

ونعنى به الاطمئنان إلى أن تلك الصفات التى انتقى على وفقها ، من ينضم لمرحلة التنفيذ ، راسخة فيه ، ثابتة فى شخصه وخلقه وسلوكه .

ولا يكفى للتأكد من رسوخ هذه الصفات وثباتها مجرد الرؤية الظاهرة ، وإنما يكون الاختبار ضرورة وأسلوبا يتبع ، للتأكد من رسوخ هذه الصفات وثباتها ، وبدون ذلك ، تضيع فرص نجاح ، كان يمكن تلافيها ، والذى يضيع فرصةً غافلٌ ينقصه الرشد .

ومن أجل أن يتم العمل فى إطاره الصحيح ، وفق منهجه وخطواته ، وأولوياته ، لا بد من إجراء اختبارات لمن سيقوم بهذا العمل .

ومهما قيل من أن هذا الاختبار ، قد يعرض العامل فى هذا المجال لحرج أو فتنة ، فإن هذه المقولات مرفوضة فى عرف الجادين الراغبين فى أن يتم العمل الإسلامى وفق خطة وخطوات .

إن الاختبار المؤدى إلى التمييز بين العناصر التى اكتمل صلاحها ، والتى لم يكتمل لديها هذا الصلاح ، هو أسلوب قرآنى إيمانى حدثنا عنه القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿ **ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب** .... ﴾ (١)
والآية الكريمة ، وإن كانت فى التمييز بين مؤمن ومنافق ، وكان التمييز بالمحنة والتكليف — كما قال بذلك المفسرون — فإن فيها تعليما للمسلمين ، أن يميزوا فيما بينهم بعضهم بعضا بالاختبار ، حتى يتبين لهم من هو صالح ، ومن هو أقل صلاحية لعمل من الأعمال .

فكيف يتم هذا الاختبار ؟

هناك أنواع ثلاثة من الاختبارات ، لا بد أن يجريها القائمون على هذه المرحلة على كل مرشح للدخول فى مرحلة التنفيذ هى :

اختبار نظرى ،
وآخر عملى ،
وثالث فنى .

---

(١) سورة آل عمران : ١٧٩ .

وإجراء هذه الاختبارات ، ينبغى أن يُؤخذ بجدية واهتمام ، للاطمئنان على قدرة الفرد على ممارسة متطلبات المرحلة من جانب ، وللاطمئنان على حسن سير العمل ، ووصوله إلى أهدافه من جانب آخر .

ولنوضح كل نوع من هذه الاختبارات سائلين الله سبحانه التوفيق والسداد .

النوع الأول : اختبار نظرى علمى :

وبه يقاس مدى التحصيل والاستيعاب ، لما درس المرشح ، وما استوعب وفقه من أمور الدين ، عقيدة وشريعة ، وعبادة ومعاملة ، وثقافة دينية عامة وإسلامية خاصة .

ومدى ما استوعب من السنة ، والسيرة النبوية ، وتاريخ الإسلام ، وتاريخ المصلحين من المسلمين ، وتاريخ المجددين ، ورجال الدعوات ، ومدى ما ألم به من التعرف على التيارات الموالية ، والمعادية للإسلام والمسلمين .

وهذا الاختبار يقوم به أهل الخبرة والسابقة ، بأسلوب تحريرى مكتوب ـــ كما لو كان المختبر طالب علم أمام امتحان ـــ وذلك أن توسيد الأفراد لأعمال هامة كأعمال مرحلة التنفيذ ، لا يجوز أن يتم لمن يجهل شيئا من ذلك ، أو لمن لم يدرك بعمق أصول الدين ، وقواعده وآدابه ، وحلاله وحرامه ، كيف يدخل على هذه المرحلة واحد ليس مؤهلا لها ؟

ولا يجوز التساهل فى هذا الاختبار ، ولا قبول أحد لم يجتزه بتفوق ، لأن التساهل فيه إنما يكون على حساب العمل نفسه ، يضر حاضر المرحلة ، ويكون أشد ضررا بمستقبلها ومستقبل العمل الإسلامى كله .

وأكبر أخطاء المسلمين أن يوسدوا العمل ، لمن ليسوا أهلاً له ، أو لم يستكملوا الاستعداد للقيام به .

النوع الثانى : اختبار عملى :

وبه يقاس فى الفرد مدى قدرته على التصرف ، والتكيف مع المواقف والناس ، موالين أو معادين .

وهذا الاختبار ضرورى ، والأصل أن لا يجرى إلا لمن اجتاز الاختبار النظرى ، لأن بعض من تفقهوا فى الدين ، واستوعبوا وحصلوا ، يكونون غير قادرين على التجاوب ،

والتكيف مع الظروف والمواقف ، مع غزارة علمهم ، واتساع معرفتهم ، وهؤلاء ليسوا أهلا ــ على فضلهم ــ للانضمام إلى مرحلة التنفيذ ، لأنها مرحلة ذات طابع عملى تنفيذى ، يتطلب قدرة على التصرف والتكيف مع المواقف .

وهذا الاختبار العملى يتحقق بما يلى :

١ ــ اختبار كتابى تحريرى ، تفترض فيه مواقف عملية ، ويطلب من المختبر أن يدلى برأيه فى الأسلوب العملى المناسب ، للتعامل مع تلك المواقف .

٢ ــ اختبار آخر كتابى تحريرى ــ كذلك ــ يطلب فيه من المختبر ، أن يحلل مواقف معينة فى السياسة ، والاجتماع ، والاقتصاد ، والثقافة ، والتعليم ، والإعلام ، مع تحديد الأسلوب العملى الملائم لهذه المواقف ، التى حللت بدقة وتفصيل .

٣ ــ اختبار ثالث عملى يتم بتكليف المختبر بالقيام بعمل تنفيذى بعينه ، فى مجال من مجالات العمل الإسلامى ، الذى يتطلب احتكاكاً بالناس ، وبالتيارات المختلفة ، للتعرف على مدى نجاح المختبر أو فشله فى ذلك .

وقد يكرر هذا الاختبار ، فيكون تدريبا يستمر حينا من الزمن ، حتى يتمكن المختبر من تحقيق الدرجة المطلوبة من الإجادة ، ليعتبر قد اجتاز هذا الاختبار .

ولا بد فى هذا الاختبار من الجدية والاهتمام ، وأخذه بمأخذ الشرط الجوهرى ، المؤهل للانضمام إلى هذه المرحلة .

النوع الثالث : اختبار فنى :

يقاس به مدى استيعاب المختبر للوسائل الفنية فى العمل ، وما يلزم هذه الوسائل ، من شروط ، وآداب ، ولوازم عمل ، ومهنة ، **وهذا الاختبار يتحقق بما يلى :**

١ ــ اختبار يقيس فى المختبر مدى معرفته بالأهداف والوسائل ، فى مرحلة بعينها من مراحل الدعوة إلى الله .

٢ ــ اختبار للتعرف على مدى إدراك المختبر لفقه الدعوة . ومتطلبات هذا الفقه .

٣ ــ اختبار لقياس معرفته بفقه مرحليات العمل الإسلامى . وفقه أولويات العمل .

٤ ــ اختبار لقياس معرفته بفقه العمل الجماعى ، فى مرحلة بعينها من مراحل الدعوة إلى الله .

٥ ــ اختبار لمعرفة المختبر بطرق تجميع الناس ، وجذبهم والتأثير فيهم ، وتوظيف كل ذى

كفاءة منهم ، فيما يلائم كفاءته من عمل .

ولا بد أن يتناول هذا الاختبار كغيره من الاختبارات بجدية وموضوعية واهتمام .

وهكذا تكون الاختبارات متنوعة ، لتكون شاملة مستوعبة ، لكل متطلبات مرحلة التنفيذ والممارسة ، وما لم يكن ذلك كذلك ، فإن النجاح فى العمل فى هذه المرحلة ، يكون أكثر بعداً ، وأشد صعوبة ، وبالتالى فإن المرحلة لا تستطيع بالمنضمين إليها ، أن تحقق أهدافها .

العنصر الثالث : التوثيق

ونعنى به أن ذلك الذى اصطفى وفق معايير الاصطفاء ، واختبر وفق أنواع الاختبار ، واجتاز هذا وذاك بنجاح وتوفيق ، لا بد أن يكون من أهل الثقة والتوثيق .

وأبادر هنا — قبل أن يقع اللبس فى ذهن أحد الناس — فأقول : ليس عنصر الثقة بأهم من عنصرى الاصطفاء والاختبار ، ولكنه مساو لهما ومواز ، بل هو متمم لهذين العنصرين .

أقول ذلك ، حتى لا يتوهم أحد أن العمل الإسلامى ، يجيز أن يقفز عنصر الثقة ، على غيره من العناصر ، لأن ذلك إنما يجوز فى الأنظمة السياسية ، التى تقوم على أساس تمجيد الزعيم ، أو القائد ، وإحاطته من أجل ذلك ، بأهل الثقة ، مهما أبعد أهل الكفاءة — كما عانى من ذلك ، ولا يزال يعانى كثير من أنظمة الحكم فى العالم الثالث بالذات ، وذلك أن النظام الإسلامى يمجد المبدأ ، لا الزعيم أو القائد ، ويعطى الزعيم أو القائد من الحقوق ، ويفرض عليه من الواجبات ، مايجعله إن أدى ماعليه ، فى غنى عن جيوش المنافقين الذين يسمون مجازا أهل الثقة — أى ثقة الزعيم فيهم وفى ولائهم له لا كمبدأ الدولة التى تدين به .

إن عنصر الثقة فى العمل الإسلامى ، لا ينبغى له أن يجاوز قدره ، أو يتخطى دوره ، وإلا ضاع العمل والعامل معا ، وعوقت أى مرحلة من مراحل الدعوة إلى الله عن أن تبلغ أهدافها ، لأن ذلك فى مصطلح المسلمين هو : توسيد الأمر لغير أهله — وهو أهم أسباب الفشل والضياع .

فقد جاء فى الحديث النبوى الشريف ، مارواه البخارى بسنده ، عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى ﷺ حين سأله أعرابى عن الساعة ، وهو مشتغل بالحديث إلى الصحابة رضى الله عنهم فلما فرغ حديثه قال : « أين أراه السائل عن الساعة ؟ » قال : هاأنا يارسول الله . قال : « إذا ضيعت الأمانة ، فانتظر الساعة » قال : كيف إضاعتها ؟ قال : « إذا وسد الأمر إلى غير أهله ، فانتظر الساعة » [1] .

ولكى يكون هناك تأكد من وجود عنصر الثقة ، فى كل من يعملون فى حقل العمل الإسلامى ، فى أى مرحلة من مراحل الدعوة إلى الله ، لا بد من التعرف الدقيق ، على

(١) الإمام البخارى : صحيحه : باب العلم : ١ / ٢٣ ط الشعب القاهرة .

جوانب الثقة المطلوبة ، فيمن يعمل للإسلام عموما ، وفيمن يعمل فى مرحلة التنفيذ على وجه الخصوص ؛ فكل عمل من الأعمال ، يحتاج إلى الثقة فى العاملين فيه ، أو توثيقهم ، قبل أن يمارسوا العمل .

وتختلف هذه الثقة باختلاف نوعية العمل ، وربما كانت نوعيات العمل من أجل الإسلام من الكثرة ، بحيث يعجزنا هنا أن نحصيها .

وإنما نركز هنا على نوع الثقة المطلوبة فى المنضم إلى مرحلة التنفيذ ، فنقول وبالله التوفيق .

إنها أربعة أنواع من الثقة هى :

١ ــ الثقة فى رغبة الفرد فى العمل ومدى التزامه :

وذلك من الجوانب الهامة ، التى تجعل العامل فى هذه المرحلة ، محل ثقة ، تؤهله للقيام بعمله ، وذلك أن ممارسة العمل أى عمل دون رغبة فيه ، تحول بين العامل ، وبين الإجادة والإحسان ، وتمنعه من التفكير فى تطوير العمل ، وتلافى ما يبرز فيه من أنواع القصور والخلل .

أما إذا كان راغبا فى العمل ، محبا له ، محتسبا أجره عند من لا يضيع عنده أجر ، ولايضيع أجر من أحسن عملا ، فإن العمل يتطور ، ويتحسن باستمرار ، بل تلازمه الإجادة والإحسان .

كما أن التعرف على مدى التزام العامل فى هذه المرحلة بعمله ومتطلباته التزاما يجعل له الأولوية على كل عمل سواه ، ويجعل له الاستمرار والدأب ، مع التأكيد على أن لكل عمل متطلباته ، وأن لهذه المتطلبات آدابا وأخلاقا وصفات ، التعرف على ذلك كله أمر حيوى ضرورى لكل من يعمل فى هذه المرحلة .

والخلاصة أن العامل فى مرحلة التنفيذ ، ما لم يكن راغبا فى العمل محبا له ، محتسبا أجره عند الله سبحانه ، ملتزما بكل ما يوجبه عليه العمل وطبيعته من واجبات ، فليس من أهل الثقة الذين يناط بهم العمل فى مرحلة التنفيذ .

٢ ــ الثقة فى العمل نفسه :

وهذا يقتضى أن العامل فى هذه المرحلة ، يجب أن يكون واثقا فى العمل الذى يقوم به

من حيث :

أ ــ أهميته ،

ب ــ وأولويته ،

جـ ــ وهدفه ووسيلته .

وذلك يتطلب منه أن يؤهل نفسه لذلك من حيث :

أ ــ روحه ،

ب ــ وعقله ،

جـ ــ وبدنه .

بل عليه أن يكون واثقا فى مكان العمل ، بالنسبة للخطة العامة فى المرحلة ، ومكانته من هذه الخطة .

وهذه الثقة تدفعه دائما إلى الإخلاص فى العمل ، وقصد وجه الله به ، كما تدفعه إلى التجويد والإحسان .

ومن الضرورى ــ لكى يثق العامل فى العمل الذى يقوم به ــ أن يكون هذا العمل فى مقدوره ، وملائما لظروفه ، ولنوع الإعداد الذى أعد له ، فإذا اختل شىء من ذلك ، فإن العامل يمارس العمل ، غير واثق فى عمله ، غير متجاوب معه ، وربما يكون غير مؤمن بجدواه ، فيتحول عندئذ إلى آلة ، تؤدى ولا تبدع ، وتنفذ ولا تفقه ، وهذا بعيد تماما عن الفكر الإسلامى ، وفقه العمل الإسلامى ، ومن أخطر نتائجه ، تحويل العاملين إلى آلات ــ كما أسلفنا ــ وذلك مرفوض فى المنهج الإسلامى ، لما فيه من افتيات على حرية الأفراد وإرادتهم .

وإن الدول التى أخذت بمنهج الأداء الآلى فى الحياة ، عانت ولا تزال تعانى ، من أن الناس قد تحولوا إلى تروس صماء ، فى آلات غير واعية ، فقدوا القدرة على الإبداع ، وعلى التطوير والتحسين ، وحرموا مجتمعاتهم من خير كثير ، وحاشا للمسلمين أن يكونوا كذلك .

والخلاصة من هذا أن العامل فى الحقل الإسلامى بعامة ، وفى مجال مرحلة التنفيذ بخاصة ، يجب أن يكون واثقا فى العمل الذى يقوم به على النحو الذى بيناه ، حتى يمارس حريته ، ولا يحرم أمته من إبداعه .

٣ ــ الثقة فى الأفراد المشاركين .

الأصل فى العاملين فى هذه المرحلة التنفيذية من مراحل الدعوة إلى الله ، أن تسيطر عليهم جميعا روح الأخوة الإسلامية ، الأخوة بكل ما تشتمل عليه فى المنهج الإسلامى .

والتأصيل الشرعى لهذا قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم** ﴾ (١) . والولاية هنا النصرة ، وكيف تكون النصرة بين قوم لا يثق بعضهم فى بعض ؟

والأخوة فى الإسلام لها حقوق ، وعليها واجبات ، أوضحتها أحاديث نبوية شريفة منها :

ماروواه البخارى بسنده ، عن عبد الله بن عمر ، رضى الله عنهما ، قال : قال النبى ﷺ : « المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يسلمه ، ومن كان فى حاجة أخيه ، كان الله فى حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة ، فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ، ستره الله يوم القيامة » (٢) .

وما رواه مسلم بسنده عن أبى هريرة ، رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « حق المسلم على المسلم سِتٌّ » قيل : ماهن يارسول الله ؟ قال : « إذا لقيته فسلم عليه ، وإذا دعاك فأجبه ، وإذا استنصحك فانصح له ، وإذا عطس ، فحمد الله ، فشمته ، وإذا مرض فعده ، وإذا مات فاتبعه » (٣) .

والرابطة التى يجب أن تربط بين العاملين فى مجال العمل الإسلامى ، هى العقيدة الإسلامية ، والحب فى الله ، وأدنى هذا الحب سلامة الصدر ، وأعلاه مرتبة الإيثار .

ومن كلمات الإمام البنا فى هذا المجال : « الأخ الصادق ، يرى إخوانه أولى بنفسه من نفسه ، لأنه إن لم يكن بهم ، فلن يكون بغيرهم ، وهم إن لم يكونوا به ، كانوا بغيره ، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية ، والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ، والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، وهكذا يجب أن نكون » (٤) .

---

(١) سورة التوبة : ٧١ .

(٢) الإمام البخارى : صحيحه : باب المظالم : ٣ / ١٦٨ ط الشعب القاهرة دون تاريخ .

(٣) الامام مسلم : صحيحه : باب من حق المسلم للمسلم ٢ / ٢٦٦ ط الحلبى .

(٤) رسالة التعاليم .

وما لم يثق العاملون فى هذه المرحلة بعضهم فى بعض ، فلن يكون بينهم التعاون ، والتواصى بالحق ، والتناصر ، والتكافل ، والتواصى بالصبر ، وكل تلك عناصر أساسية ، مطلوبة للعمل الإسلامى ، فى كل مرحلة من مراحل الدعوة إلى الله .

٤ ــ الثقة فى القيادة :

بمعنى أنه من الضرورى ، التأكد من أن العامل فى هذه المرحلة ، لابد أن تكون ثقته فى قيادة العمل ، ثقة كاملة ، لأن نقص هذه الثقة ــ لا فقدها ــ لا يعطى للعمل فرصته لكى ينجح ويحقق أهدافه .

وكل عمل منظم من أعمال الدعوة الإسلامية فى هذه المرحلة ، بل وفى كل المراحل ، يحتاج إلى قيادة تخطط وتحدد الخطوات ، وإلى عاملين يثقون فى القيادة وفى خطتها ، وينفذون ما يحقق الأهداف التى رسمتها القيادة .

وكلما ازدادت الثقة فى القيادة ، كلما كان ذلك أعون على العمل ، وأجدى أن ينجح ويحقق أهدافه .

وللإمام البنا فى مجال الثقة بالقيادة ، كلمات رائدة ، يقول فيها : « وأريد بالثقة : اطمئنان الجندى إلى القائد ، فى كفاءته وإخلاصه ، اطمئنانا عميقا ينتج الحب ، والتقدير ، والاحترام ، والطاعة ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليمًا** ﴾ [(١)] والقائد جزء من الدعوة ، ولا دعوة بغير قيادة ، وعلى قدر الثقة المتبادلة بين القائد والجنود ، تكون قوة نظام الجماعة ، وإحكام خططها ، ونجاحها ، فى الوصول إلى غايتها ، وتغلبها على مايعترضها من عقبات وصعاب ﴿ **فأولى لهم . طاعة وقول معروف** ﴾ [(٢)] وللقيادة فى دعوة الإخوان :

حق الوالد بالرابطة القلبية ،
والأستاذ بالإفادة العلمية ،
والشيخ بالتربية الروحية ،
والقائد بحكم السياسة العامة للدعوة .
ودعوتنا تجمع هذه المعانى جميعا .
والثقة بالقيادة ، هى كل شىء فى نجاح الدعوات » [(٣)] .

---

(١) سورة النساء : ٦٥ .   (٢) سورة محمد : ٢١ .   (٣) الإمام البنا : رسالة التعاليم .

الأمر الثانى : متطلبات المرحلة فى حركية الأفراد

أوضحنا فى الأمر الأول متطلبات المرحلة فى الأفراد وصفاتهم ، وهؤلاء الأفراد الذين خضعوا لمعايير الاصطفاء ، وأنواع الاختبار ، وشروط التوثيق ، لا بد لهم من منهج حركى ، يعملون فى إطاره ، ويطبقون خطواته .

وإذا كانت الحركة تتطلب من القائم بها صفات أخرى ، تدعم الصفات التى ذكرنا آنفا ، فى الاصطفاء والاختبار والتوثيق ، وتؤيدها بل تساعدها فى الوصول إلى أهدافها ، فإن توفر تلك الصفات ، ضرورى لإنجاز العمل ، وإتمامه فى هذا المجال .

ونشير هنا إلى أبرز الصفات ، التى يجب أن تتوفر فى الفرد ، مما يتصل بحركية العمل فى هذه المرحلة ، على النحو التالى :

١ ـــ القدرة على مخالطة الناس ، والاهتمام بهم ، بل الانفعال بأمورهم ، وقضاياهم :

وذلك أن من فقد هذه الصفة ، فهو منطو على نفسه ، معتزل للناس ، لا يستطيع أن يقوم بمهامه فى الدعوة أو الحركة ، وتلك سلبية تباعد بينه وبين تحقيق شىء من أهدافه فى هذا المجال .

وتأصيل هذه الصفة فى الإسلام هو قول الرسول ﷺ ، فيما رواه البخارى بسنده ، عن عبد الله بن عمر ، رضى الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : « ألا كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته ..... » الحديث (١) .

وروى الإمام مسلم بسنده ، عن أبى هريرة ، رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « بينما رجل يمشى بطريق ، وجد غصن شوك على الطريق ، فأخَّرَه ، فشكر الله له ، فغفر له » (٢) .

ومعنى ذلك أن المسلم مطالب بألا يعتزل الناس إلا فى الفتنة ، ومطالب بأن يعمل على ما ينفعهم ، ويدفع عنهم ما يضرهم ، فأى تجاوب مع الناس أكبر من هذا .

---

(١) الإمام البخارى : صحيحه : باب الأحكام : ٩ / ٧٧ ط الشعب .

(٢) الإمام مسلم : صحيحه : ٢ / ٤٤٣ ط الحلبى دون تاريخ .

٢ ـــ القدرة على حب الناس ، والتحبب إليهم :

وذلك من صميم الصفات ، التى تيسر للداعية إلى الله ، جمع الناس على الخير ، وقد روى الإمام أحمد بسنده ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « المؤمن مألف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف » [١] .

فحب الناس والتحبب إليهم صفة فاضلة يجب أن يتحلى بها المسلم ليحظى برضا الله وحبه ، فإن فقد ذلك فلا خير فيه .

وروى الإمام مالك بسنده ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « قال الله ، تبارك وتعالى : وجبت محبتى للمتحابين فىّ ، والمتجالسين فىّ ، والمتزاورين فىّ ، والمتباذلين فىّ » [٢] .

وحب الناس يوجب حب الله ، سبحانه ، للمحب والمحبوب ، وهذه المحبة ، تتطلب المجالسة والمزاورة ، وهى مجالس فى الله ، حافلة بالذكر والدعاء والنصيحة لله ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم .

والتصدى للعمل فى مجال الحركة الإسلامية ، وفى مراحله المتعددة وفى مرحلة التنفيذ بالذات بحاجة ملحة إلى أن يتودد الداعية إلى الله إلى الناس ليقبلوا عليه ويأخذوا منه ويهتدوا إلى الخير والصلاح ، وإلى الإيجابية والعمل ، بأن ينضموا إلى ركب الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر .

٣ ـــ حب الخير للناس :

وهذا الحب للخير لهم ، هو أصل أصيل ، فى صفات من يتصدى للعمل من أجل الإسلام ، فى هذه المرحلة ـــ بل وفى كل المراحل ـــ إذ الأصل فى هذا الداعى إلى الله ، أن يكون مركز تجميع للناس يتحلقون حوله ، ولن يساعده على ذلك ويساعدهم إلا أن يكون محباً للخير لهم .

وأبواب الخير كثيرة ، كالعلم ، والصلاح ، والتقوى ، وقضاء الحاجات ، والحث على

---

(١) الإمام أحمد : مسنده : ٢ / ٤٠٠ .

(٢) الإمام مالك : الموطأ : باب ماجاء فى المتحابين فى الله : ٢ / ٢٣٦ ط الحلبى ١٣٧٠ هـ ـــ ١٩٥١ م ـــ القاهرة .

فعل الخير ، وسد أبواب الشر ، وقد جاء فى الحديث الشريف ما رواه ابن ماجه بسنده ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن من الناس مفاتيح للخير ، مغاليق للشر ، وإن من الناس مغاليق للخير مفاتيح للشر فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه ، وويل لمن جعل مفاتيح الشر على يديه »[1] .

وهذا الباب واسع ، بل هو هذى الإسلام ومنهجه فى الحياة ، فما من خير إلا وأمر به الإسلام ، ومامن شر إلا ونهى عنه .

ونستطيع أن نقول مطمئنين إنه لن تقوم للمسلمين قائمة ، إلا أن تربط على قلوبهم هذه المحبة فى الله ، وهذا الحب للخير للناس ، وأن يحب كل منهم لأخيه المسلم ما يحب لنفسه ، وأن يكون الواحد منهم فى حاجة أخيه ، حتى يكون الله سبحانه فى حاجته .

والعمل الإسلامى كله ، ومراحل الدعوة إلى الله كلها — لا هذه المرحلة بالذات — أحوج ما يكون إلى هذا الخير ، وأحوج ما يكون ، إلى سد أبواب الشر ، ومنع الأذى عن الناس .

٤ — القدرة على تنظيم الناس وتوجيههم :

وهى صفة أساسية ، فيمن ينتمى لمرحلة التنفيذ ، وهى فى الوقت نفسه ، صفة قد لا توجد ، إلا عند قليل من الناس ، مع شدة الحاجة إليها ؛ لأن تنظيم الناس ، وتصنيفهم أعون على تعليمهم أى شىء ، ينفعهم فى دينهم أو دنياهم .

كما أن تنظيم الناس يُصفّيهم ، من شوائب الضعف والسلبية ، ويوجه جهودهم نحو ما يصلحهم فى الدنيا والآخرة ، وهذا التوجيه ، يجب أن يشمل كل مجالات ، حياتهم الفكرية ، والثقافية ، والفردية والاجتماعية ، وكل ما له بهم علاقة أو صلة .

ومن المسلم به بين المنصفين ، أن جهود الناس لا تثمر مادامت جهوداً فردية ، إلا فى حدود ذواتهم ، بينما تنظيم هذه الجهود وتوجيهها يثرى الحياة الاجتماعية ، ويطبعها بطابع التعاون ، وهو ظاهرة إنسانية تلازم الراشدين من الناس ، وقد دعا الإسلام إليها ، وحدد لها أبعادها ، فيما يعود على الناس بالخير ، بل منع من التعاون على ما يضر أو يؤذى ، قال الله تعالى : ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله**

---

(١) ابن ماجه : سننه : باب من كان مفتاحا للخير ١ / ١٠٤ ط دار الفكر دون تاريخ .

شديد العقاب ﴾[1] .

وما لم يوجد من الناس ، من يشجع على ظهور روح التعاون بين الناس ، فلن يكون من الناس مبادرة إلى فعل الخير ، إلا فى القليل النادر ، وما لم يوجد من الناس ، من يحولون بين بعض الناس وفعل الشر والمعصية ، فإن المجتمع سوف تنمو فيه الجرائم ، وتزداد حدتها ، فتهدد أمن الجميع ، معتدين ومعتدى عليهم .

ولا ينبغى أن ينخدع بعض الناس ، بتبرير بعض المعاصى ، بحجة أنها مسائل شخصية ، تعود بالضرر على صاحبها وحده ، لأن هؤلاء منخدعون عن الحق بالباطل ، فكل معصية أو شر ، فيه من الضرر ما هو خاص يعود على صاحبه ، وما هو عام يعود على المجتمع .

وبحسبنا أن نقول : إن مرتكب الشر نفسه فرد فى المجتمع ، تجب المحافظة عليه لنفسه أولاً ، ولذويه ولمجتمعه ، من وراء ذلك .

والخلاصة أن الفرد المنضم لمرحلة التنفيذ ، لابد أن تكون لديه قدرة على تنظيم الناس ، وتوجيههم وترشيد أعمالهم ، وغرس روح التعاون فيهم .

٥ ــ القدرة على البذل والتضحية :

وذلك أن العامل فى مجال الحركة الإسلامية ، لابد أن يكون قادراً على البذل والتضحية من أجل الناس ، بل محباً لهذا البذل ، وتلك التضحية .

ومجالات البذل والتضحية هى :

الجهد ،

والوقت ،

والمال ،

والنفس ، إذا دعت إلى ذلك داعية شرعية .

فالله سبحانه وتعالى ، طالب العاملين فى سبيله ــ والدعوة إلى الله من سبيله ﴿ **قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى ...** ﴾[2] كما أن الجهاد للعدو سبيل

---

(١) سورة المائدة : ٢ .

(٢) سورة يوسف : ١٠٨ .

الله كذلك ، فقال سبحانه : ﴿ **إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله** ﴾[1] ومادامت التضحية بالنفس فى سبيل الله مطلوبة ، فإن التضحية بما دونها مطلوب من باب أولى .

والمسلم القادر على أن يبذل ويضحى من أجل دينه ، هو الذى يقوم على عاتقه البناء ، وهو الذى يسهم فى تحقيق الأهداف .

وإذا كان الإصلاح ، أى إصلاح ، لا يتم دون تضحيات ، فما بالنا بالإصلاح ، الذى يطالب به الدين ، ويضع له المنهج والنظام ؟ إن الحركة بهذا الدين ما لم تساندها تضحيات من أفراد مؤمنين مخلصين ، يقدمون ــ عن طيب خاطر ــ من أموالهم وأوقاتهم وجهودهم وجاههم ، فإن المضى فيها ــ فضلاً عن التقدم بها والنجاح فيها وتحقيق أهدافها ــ يصبح مضياً فى طريق مسدود .

هكذا رأينا فى سيرة الرسول ﷺ ، وفى تاريخ الصحابة ، والتابعين رضوان الله عليهم ، مادانت لهم الدنيا بهذه السرعة النسبية ــ فى تاريخ الحضارات ــ إلا بما قدموا من تضحيات ، ومن خلال تلك التضحيات التى قدموا ، فإن حركة المد الإسلامى التى لم يشهد العالم لها مثيلاً فى أقل من قرن واحد من الزمان ، ما كانت لتصل إلى ما وصلت إليه .

وإن استقراء التاريخ والنظر فيه بعين الاعتبار ، ليؤكد لكل ذى إيمان أن طريق الحركة الإسلامية ، يجب أن يكون ممهداً بالبذل والتضحية .

وبعد : فتلك صورة مجملة لأبرز الصفات ، الواجب توافرها فى الأفراد ، الذين ينضمون إلى مرحلة التنفيذ ، ويمارسون أعمالها من الناحية الحركية ، ليكونوا أهلاً لهذا الانضمام ، وأصحاب قدرة على العمل والممارسة .

وكل تلك الصفات ، هى من صميم احتياجات المرحلة ، ولا يتم العمل فيها على وجهه الصحيح إلا بها .

---

(١) سورة التوبة : ١١١ .

الأمر الثالث : متطلبات المرحلة فى الخطة والمنهج

إن كل عمل ناجح ، يحتاج إلى متطلبات فى المنهج ، الذى يخضع له ، والخطة التى يحاول أن يحقق مفرداتها ، ومن المعروف أن الخطة تسبق المنهج ، وإذا كان المنهج فى تبسيط شديد ، هو الطريق ، فإن الخطة ، هى تحديد معالم هذا الطريق .

ومرحلة التنفيذ لها متطلبات فى هذا المجال ، أجملتها فى عناصر ثلاثة ، يدخل تحت كل عنصر منها عديد من المفردات .

ولكثرة هذه المفردات ربما جاء هذا الحديث عن متطلبات المرحلة فى الخطة والمنهج أطول من أى حديث فى فصل من فصولِ الكتاب ، ولكنها ضرورة البحث ومقتضيات التأليف .

وإن هذه العناصر الرئيسة الثلاثة التى كانت جديرة بأن تسمى فصولاً بل أبواباً لطول الحديث فيها هى :

١ ــ التوظيف ،

٢ ــ والممارسة ،

٣ ــ والاستمرارية .

ومن اجتماع هذه العناصر الثلاثة ، والانتهاء من الحديث المفصل عن مفردات كل منها ، تتضح بعون الله متطلبات المرحلة فى الخطة والمنهج .

والله ولى التوفيق .

العنصر الأول : التوظيف

وسوف نتحدث عنه من خلال نقاط خمس هى :

الأولى : مفهوم التوظيف ،

والثانية : مجالات التوظيف ،

والثالثة : خطة التوظيف ،

والرابعة : الشروط فيمن يوظف ،

والخامسة : محصلة التوظيف .

وبهذا نكون قد أوضحنا ما تريده المرحلة من التوظيف بعون من الله وتوفيق . .

النقطة الأولى : مفهوم التوظيف :

نعنى به — فى هذا الكتاب — وضع الفرد المؤهل لعمل مّا فى هذا العمل ، بحيث يكون هو مناسباً للعمل ، ويكون العمل مناسباً له ، مع مراعاة كل الاعتبارات فى الشخص المرشح لهذا العمل ، دون تساهل فى أى اعتبار منها .

وقد سبق لنا الحديث فى توثيق الأفراد الذين يقومون بالعمل فى هذه المرحلة ، وهناك أشرنا إلى عديد من الشروط والصفات ، التى يجب أن تتوفر فيه .

هذا مفهوم ابتدائى للتوظيف ، وفى مستوى أدق لمفهوم التوظيف نجد أنه يدخل فى مفهومه قَصْر هذا الفرد بذاته على هذا العمل بعينه ، بحيث لا يجوز أن يوظف الفرد لعملين ، فضلاً عن أعمال ، مهما تعددت مهاراته وكفاءاته ، لأن القيام بأكثر من عمل ، يباعد بين القائم بالعمل ، وبين الإحسان والتجويد .

وقد أثبتت التجارب العملية — فى مجال الدعوة إلى الله — أن رجلاً واحداً مهما أوتى من المهارات والقدرات ، لن يستطيع أن يؤدى عملين — فضلاً عن أعمال — بنفس درجة الإجادة التى يؤهل فيها .

وقد يتعلل بعض العاملين فى مجال الدعوة إلى الله ، بأن بعض الأفراد يكونون مؤهلين لعمل أو أكثر ، أو يتعللون بأن بعض الأعمال لا يوجد لها من استوفى أهليتها ، فيسندون عملين أو أكثر إلى فرد واحد .

وهؤلاء الأفاضل ، مع إخلاصهم ، وحرصهم على أن يؤدى العمل ، ومع صدقهم فى تصور أن بعض الأفراد مؤهل لعملين أو أكثر ، أقول مع كل هذا ، فإنهم يتجاهلون عن غفلة ، أو عن قلة حيلة ، طبيعة مرحلة التنفيذ ، وطابعها الذى يقتضى التخصيص والتجويد ، وبالتالى لا يحققون النجاح المنشود .

والحل الذى لا حل سواه هو : التأهيل قبل التوسيد ، مع تكليف هذا الفرد الفذ ، الذى تعددت مهاراته وكفاءاته بأن ينقل هذه الخبرات إلى غيره من الأفراد ، مع اعتبار أن هذا التكليف واجب لا معدل عنه .

بذلك ينجح العمل ، ويثرى الأفراد ، ويقوى الصف ، وتتعدد الكفاءات لا تتركز ، وتكون الأعمال على مستوى المرحلة بل على مستوى أولويات العمل فى المرحلة .

وهذا النقل للخبرات ـــ سوف نفرد له حديثاً ، ونحن نتحدث عن العنصر الثالث ، وهو الاستمرارية ـــ ولكننا نكتفى هنا بالقول ، بأنه تكامل للعاملين ، قد يكون غاية فى حد ذاته .

وكذلك الشأن ، بالنسبة لأولئك الذين تقدم بهم العمر فى مجال العمل التنفيذى ، فكان لهم من الخبرة والمهارة ما شاء الله لهم ، هؤلاء يجب الاتصال بهم ، لنقل هذه الخبرات منهم إلى الأجيال اللاحقة ، وهذا فضلاً عما فيه من فضيلة تواصل الخبرات ، ففيه كذلك تواصل الأجيال ، وهو هدف فى حد ذاته كذلك .

وبهذا وذاك ، يكون التوظيف على المستوى الرفيع المطلوب .

وفى الصورة المجملة للتوظيف ، نستطيع أن نقول : إنه توظيف كل طاقة ، وكل كفاءة ، وكل معلومة ، وكل رجل من رجال الدعوة فى العمل الملائم له ، ولخبرته ، وقصره على هذا العمل وحده دون سواه .

مع التأكيد على أن قبول فرد واحد للقيام بعملين ، أو أكثر نقض للتوظيف ، لا يلجأ إليه العاملون فى هذه المرحلة ، إلا لضرورة قصوى ـــ مع التسليم مسبقاً ، بأن درجة الإجادة ، لن تصل إلى مستواها المطلوب فى العمل ، مهما كان هذا الفرد موهوباً ، متعدد الكفاءات .

وإذا كانت كل مرحلة من مراحل العمل الإسلامى ، تتطلب توظيفاً للطاقات ،

وترشيداً لها ، وتوظيفا للعمل نفسه ، وتوسيده لمن هو أهـل له ، واستـوفى شروط القيـام به ، فإن مرحلة التنفيذ بالذات أشد احتياجاً إلى هذا التوظيف من أى مرحلة أخرى ، لأنها مرحلة الممارسة والتطبيق ، والحصول على النتائج والثمر ، وإعطاء القدوة والمثل لكل العاملين فى المراحل الأخرى .

النقطة الثانية : مجالات التوظيف :

وهى مجالات قد لا تنحصر فى عدد ، لأن العمل فى مرحلة التنفيذ متعدد إلى غير ما حدٍ تقريباً ، إذ كل ما له علاقة بالإسلام منهجاً ونظاماً ، يجب أن يمارس فى هذه المرحلة على أدق مستوى وأعلاه ، من مستويات الممارسة .

ومن أجل ذلك فإن حصر المجالات التى يوظف لها الأفراد فى هذه المرحلة قد لا يستطاع ، وإنما تستلهم الظروف وتتبع الثغرات ، فكلما وجد ظرف ، أو ظهرت ثغرة وظف لها من يقوم عليها ، فيجيد ويحسن ، وما أكثر ما تستدعيه الظروف ، وما أكثر ما تتعدد الثغرات .

وليس معنى كلامنا هنا ، أننا نتجاهل التخطيط ، وإنما معناه الذى نقصده ، أن هذه المجالات العديدة المتكاثرة ، يوماً بعد يوم ، إن وجد لها من يوظف فيها ، فالحمد لله ، وإن لم يوجد وهو المتوقع ــ لجأنا إلى التأهيل قبل التوسيد كما ذكرنا ــ فإن أعجلنا الظرف ، أو هالتنا الثغرة سدَّدنا وقاربنا .

وعلى الرغم من ذلك كله ، ومن تعدد مجالات العمل فى هذه المرحلة إلى ما لا نهاية له ــ كما ذكرنا ــ إلا أننا سنحاول هنا ، أن نرسم خطوطاً عريضة لهذه المجالات يتفرع عن كل خط منها ، ما لا نهاية له من الفروع والتفاصيل ، مما تقتضيه الظروف وتوجبه المتغيرات المستمرة فى الناس ، وفى الحياة وفى مراحل العمل فى الدعوة إلى الله ، وفى مرحلة التنفيذ بالذات .

هذه المجالات العامة وحدها ، أو الخطوط العريضة ، دون تفصيل أو تفريع لها هى :

أولا : مجال العلم والتحصيل فى الدين نفسه :

وهذا المجال فيه مافيه من الفروع ، نذكر منها ما يتصل بالقرآن الكريم ، وعلومه ، وبخاصة التجويد وقواعده ، والتفسير وأصوله ، والإعجاز القرآنى وأنواعه .

وما يتصل بالحديث الشريف وجمعه ، وعلم أصول الحديث أو « درايته » .

وفى القرآن والحديث معا ؛ كيفية استنباط الأحكام الشرعية من هذين النصين الكريمين .

وما يتصل بالسنة العملية ، وهى سيرة الرسول ﷺ ،

وعلم الفقه وأصوله ،

وتاريخ الصحابة رضوان الله عليهم .

وتاريخ الإسلام والمسلمين ، والمصلحين من المسلمين على وجه الخصوص وتاريخ الملل والنحل .

وكل مجال من هذه المجالات ــ وهى كثيرة جدا عما مثلنا به ــ يحتاج إلى أن يوظف لها من يقوم بعبئها ، ويسد ثغراتها من أصحاب الكفاءات .

ثانيا : مجال فروع المعرفة :

وهو مجال أوسع من سابقه ، حيث يتناول كل علم أو معرفة ، لها صلة بحياة الإنسان على هذه الأرض ، سواء أكانت هذه الصلة بجسده ونفسه ــ وهى علوم الطب والنفس والاجتماع ــ أم طعامه وشرابه ــ وهى علوم الزراعة وكثير من علوم الصناعة ــ أم ملبسه ومسكنه ــ وهى علوم صناعية وهندسية ــ أم بمعاشه ورزقه واحتكاكه بغيره من الناس ــ وهى علوم الاقتصاد والسياسة والتربية والإعلام ــ أم متصلة بإقداره على تسخير مافى الكون من طاقات ــ وهى علوم الأرض والبحار والفضاء ، وكل ماله علاقة بما يقدر الإنسان على تيسير حياته ، وجعلها محققة لأهدافه ، أو لكثير منها .

وإن الإسلام ، ليدعو الإنسان ، إلى العلم والمعرفة ، فى كل مجال من المجالات ، التى تعود على الإنسان بالنفع ، أو تدفع عنه الضر ، فما نعرف فرعا من فروع العلم ، يحقق الأخذ به نفعا للإنسان ، أو رفعا للضرر عنه ، إلا وأمر الإسلام به أمرا ، لأن الإسلام دين أشمَل حضارة وأرقاها :

أما أشملها ؛ فلأنه خاتم الأديان ولا دين بعده ، وقد أكمله الله وأتمه .

وأما أرقى الحضارات ؛ فلأنه يشرع للإنسان ، ليسعد فى دنياه وآخرته .

ولئن بدا المسلمون اليوم ، وقد تخلفوا عن ركب العلم ، فذلك قصور فى المسلمين ، لا فى الإسلام ، وتقصير منهم فى حق أنفهسم ، وفى حق دينهم ، بدليل أنهم كانوا على

فترات ، غير قصيرة من تاريخ الإنسانية روادا للعلم والمعرفة ، وعلى أيديهم حدث تقدم حضارى ملموس فى كل مجال من مجالات العلم والتحضر الإنسانى .

ثالثا : مجال التربية :

وهذا المجال ، وإن كان فرعا من فروع العلم والمعرفة ، إلا أن له أهمية خاصة ، توجب إبرازه والاهتمام به أكثر من سواه ، لما يقوم به من وظيفة فى تربية الأجيال ، وصياغة مستقبل الأمة على النسق الإسلامى المنشود .

ومهما نَقُل فى أهمية التربية الإسلامية ، للأجيال الناشئة ، فإن كل ما يقال ، أقل مما يجب أن تحظى به التربية الإسلامية ، من اهتمام فى مرحلة التنفيذ .

إن معرفة الفلسفة التى توجه التربية الإسلامية ، والأسس التى تقوم عليها هذه التربية ، والأهداف التى تستهدفها ، والوسائل التى توصل إلى أهدافها ، ومعرفة المناهج التى يجب أن تقوم عليها المدرسة فى مختلف مراحلها .

إن معرفة كل ذلك ، والتعمق فى فهمه ، والتوسع فى علمه ، أمور ضرورية حيوية فى العمل الإسلامى بعامة ، وفى مرحلة التنفيذ ، على وجه الخصوص .

إن حاجة الحركة الإسلامية إلى علماء متخصصين ، فى كل مجال من مجالات التربية الإسلامية ، حاجة ملحة ، ومهما تعددت مجالات التربية — وهى بالفعل متعددة — فإن الحاجة ماسة ، بل ملحة ، إلى أن يكون للحركة الإسلامية فى هذا المجال رجال أفذاذ يحسنون — بما يصلون إليه من بحث ودراسة — صياغة المتعلمين أحسن صياغة ، ويغرسون فى نفوس التلاميذ منذ طفولتهم الاعتزاز بالإسلام ، والانتماء إليه والولاء له ولمنهجه فى الحياة ونظامه .

ولا نبالغ إن قلنا : إن الاهتمام بالتربية والتعليم ، وفق خطة إسلامية ، ومنهج إسلامى ، هو الإسهام الحقيقى فى نهضة الأمة الإسلامية ، بل هو الوسيلة الجيدة التى توصل إلى أعلى مستوى ممكن من الحضارة والمدنية ، فما قامت حضارتنا فى الماضى — ولا حضارة غيرنا — إلا على أساس اهتمام شديد بالتربية : فلسفتها ، وأسسها ، وأهدافها ، ووسائلها ، ومناهجها .

ومن نافلة القول : التأكيد على أن إحكام سياسة التربية والتعليم ، أسلوب أمثل فى

تغيير الواقع السيىء ، الذى تعيشه الأمة الإسلامية اليوم ، إلى الواقع المنشود ، تغييرا هادئا ، هادفا عميقا ، لا يحتاج إلى ضجيج ، ولا ثورة ، ولا انقلاب ، ولا صراع دموى ، مما ألف الراغبون فى التغيير أن يمارسوه .

وإذا كان الوصول إلى الهدف ممكنا بغير تضحيات واضطرابات ودماء فإن من الغباء والجهل ممارسة هذه الوسائل الدموية ، لأن إيثار السلامة والعافية فى الوصول إلى الهدف مطلب لكل العقلاء المتزنين ، كما هو دعوة علمنا إياها المعصوم ﷺ ، فيما رواه ابن ماجة بسنده ، عن أنس بن مالك ، رضى الله عنه قال : أتى النبى ﷺ رجل فقال : يارسول الله أى الدعاء أفضل ؟ قال : « سل ربك العفو والعافية فى الدنيا والآخرة » ثم أتاه فى اليوم الثانى ، فقال : يارسول الله أى الدعاء أفضل ؟ قال : « سل ربك العفو والعافية فى الدنيا والآخرة » ثم أتاه فى اليوم الثالث ، فقال : يا نبى الله أى الدعاء أفضل ؟ قال : « سل ربك العفو والعافية فى الدنيا والآخرة ، فإذا أعطيت العفو والعافية ، فى الدنيا والآخرة ، فقد أفلحت » [1] .

إننا نسوق هذا الحديث ، لكل راغبين فى التغيير عن طريق العنف ، وفى وسعهم أن يغيروا عن طريق غيره .

رابعا : مجال الحياة الاجتماعية بعامة :

وتتفرع هذه المجالات كذلك إلى غير ما حد يقف عنده البحث والكشف .

فهناك مجال السياسة وعلومها وفروع تلك العلوم ،

وهناك مجال الاقتصاد ومذاهبه ونظرياته وعلومه وتطبيقاته ،

وهناك الاجتماع وعلومه وفروع كل علم ،

وهناك الإعلام ووسائله ،

وهناك علوم الأرض والبحار والفلك والفضاء ،

وهناك علوم الصناعة والتقنية ،

وهناك علوم الحيوان وعالمه المترامى ،

وهناك علوم النبات ومملكته الواسعة ،

---

(١) ابن ماجة سننه : باب الدعاء بالعفو والعافية ١ / ٤٣٤ ط دار الفكر دون تاريخ .

وهناك وهناك من العلوم ، التى تتصل بحياة الإنسان الاجتماعية ، مما لا ينتهى حصره ، فى هذه الوريقات .

وكل فرع من فروع هذه العلوم ، تحتاج مرحلة التنفيذ فيه إلى رجال على أعلى مستوى من العلم والتخصص .

والإسلام يدعو إلى ذلك ، بل يوجبه على بعض القادرين عليه ، بل يجعله فرض كفاية عند الحاجة إليه لا يسقط عن المسلمين حتى تحدث فيه الكفاية .

خامسا : مجالات احتياج العمل الإسلامى بعامة :

وهى ــ بالمثل ــ مجالات متعددة لا تكاد تحصى ــ وعلى سبيل المثال ، فهناك :

مجال الدعوة ومراحلها ومتطلبات كل مرحلة ،

ومجال الحركة وطبيعتها ومتطلباتها ،

ومجال التنظيم وخطته وأهدافه ووسائله ،

ومجال الإدارة التى تشمل التنسيق بين مفردات العمل الإسلامى كله .

وكل مجال من هذه المجالات له علومه ومعارفه وتجاربه ويكفى أننا نكتب هذا الكتاب كله فى فقه الدعوة إلى الله .

فما بالنا بفقه الحركة ؟

وما بالنا بفقه التنظيم ؟

وما بالنا بفقه الإدارة ؟

إن كل ذلك مما تحتاج مرحلة التنفيذ ، إلى أن توظف فيه الطاقات ، وأن تجند له أهل الكفاءة للقيام بأعبائه .

وتلك هى مجالات التوظيف ، حتى لا نستهين بعمل أو نتناوله بعفوية ، أو بغير اهتمام .

النقطة الثالثة : خطة التوظيف :

ما من عمل يرجى له النجاح ، والتوفيق من الله ، إلا أن يكون المشرفون عليه قد حددوا

أهدافه ومراحله وأولوياته ، بل وسائله كذلك ، مع توكلهم على الله سبحانه وتعالى ، على المبدأ الإسلامى الخالد « اعقلها وتوكل » فيما رواه الترمذى بسنده ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رجل : يا رسول الله ، أعقلها وأتوكل أو أطلقها وأتوكل ؟ قال : « اعقلها وتوكل » (١) .

وإذا كان التخطيط ، هو أسلوب فى التنظيم ، يهدف إلى استخدام الموارد — بشرية وغير بشرية — على أفضل وجه ممكن ، وفى أقصر زمن ممكن ، وبأقل تكلفة ممكنة ، فإن هذا التخطيط بهذا المفهوم ضرورة حيوية للمرحلة التنفيذية بالذات ، ولكل مرحلة من مراحل الدعوة — كما أوضحنا .

فكيف يخطط لهذا التوظيف ؟

إن ذلك يتطلب أمورا كثيرة ، نذكر منها مايلى :

١ — تحديد الأهداف ،

٢ — وتحديد الوسائل ،

٣ — وتحديد الأفراد ،

٤ — وتحديد الأعمال .

وقد تحدثنا عن المرحلة التنفيذية آنفا ، وقلنا إنها تتلو مرحلة التكوين والإعداد ، وأن مرحلة التكوين ، جاءت تالية لمرحلة التعريف ، وتلك تسبقها مرحلة تمهيدية .

ومعنى ذلك أننا فى مرحلة التنفيذ مع مرحلة أكثر تقدما فى مجال العمل الإسلامى ، إذ ليس بعدها سوى مرحلة واحدة ، هى مرحلة التمكين لدين الله فى الأرض .

ومعنى ذلك أن مرحلة التنفيذ لها أهداف تناسب أهميتها ومكانتها بين المراحل — وسوف نتحدث عن هذه الأهداف بالتفصيل ، فى الفصل الثالث من فصول مرحلة التنفيذ الستة — ولكننا هنا نشير إلى تلك الأهداف ، إشارة عابرة ، ونشير إلى ما يترتب عليها ، لنتبين خطة التوظيف فنقول :

١ — تحديد الأهداف :

وهذا التحديد جزء من خطة التوظيف وعلى سبيل المثال ، فإن أهداف هذه المرحلة فى

---

(١) الترمذى : سننه : باب صفة القيامة : ٥ / ٧٧ ط الفجالة القاهرة دون تاريخ .

إجمال شديد هى :

أ ــ تطبيق قيم الإسلام وآدابه تطبيقا عمليا .

وما يترتب على ذلك ، من إلزام النفس والبيت زوجا وأبناء وخدما ، وكل من عليه ولاية لصاحب البيت ، إلزامهم جميعا بالإسلام ، عقيدة وعبادة ، وخلقا وسلوكا ، بصورة تنفيذية تطبيقية .

ب ــ رفع مستوى الأخوة فى الله عمليا .

وما يترتب على ذلك من تفاهم وتكافل ، وفقه عميق لحقوق الأخوة فى الله وواجباتها .

جـ ــ تعميق النقاء الروحى فى الفرد .

وما يترتب عليه من الرياضة الروحية ، التى تصل بصاحبها ، إلى حد الشفافية التى تجعله محبا لأداء عمله ، محبا للتعب فى سبيل الواجب .

د ــ تعميق الجانب العسكرى فى الفرد .

وما يترتب عليه من انضباط ودقة فى كل مايأتى الفرد فى هذه المرحلة ، وما يدع ، الانضباط بأوسع معانيه .

هـ ــ قوة التواصى بالحق والصبر .

وما يترتب على ذلك من ضرورة ممارسة الصبر بكل أنواعه ــ كما أسلفنا ــ ومن ضرورة الثبات على الحق ، والإصرار على جذب الناس إليه مهما كانت الأعباء .

و ــ العمل على تلبية حاجات المجتمع .

وما يترتب على ذلك من جلب المصالح ، ودرء المفاسد ، وبذل غاية الوسع فى هذين المجالين ، وما يستوجبه ذلك من إقامة المؤسسات الخدمية ، التى تلبى حاجات الناس المشروعة .

ز ــ الاستمرار فى العمل فى المراحل السابقة .

وما يترتب على ذلك من أن الفرد فى مرحلة التنفيذ تتسع دائرة عمله ، مع اتساع دائرة تضحيته وبذله ، وتلك زكاة من فقهه الله فى دينه ، وما جبله عليه من حب الخير للناس .

ح ــ استشراف المرحلة التالية .

وهى مرحلة التمكين ، وهى أمل ينال بالجهد والجهاد .

وما يترتب على ذلك من الأخذ بكل الأسباب المؤدية إلى تلك المرحلة ، والاستعداد لها بكل ما تحتاجه من متطلبات .

٢ ــ تحديد الوسائل :

وسوف نتحدث عنها بالتفصيل كذلك ، فى الفصل الثالث ، من فصول هذه المرحلة ، ولكننا هنا نشير لنعرف كيف يتم التوظيف فى الخطة كلها .

فمن وسائل هذه المرحلة :

أ ــ المخيم :

وما تقدمه هذه الوسيلة من تدريب عملى ، على ممارسة الحياة الإسلامية فى اليوم والليلة .

ب ــ الدورة :

وما تقدمه من دراسة متخصصة مكثفة ، تغطى كثيرا من الاحتياجات العلمية والفنية .

جـ ــ الكتيبة :

وما تقدمه من تجلية وتصفية للأرواح من كل الشوائب التى تحول بينها وبين حب الله وحب العمل ، وحب الجهد وحب العاملين .

د ــ الرحلة :

وما تقدمه من ترويض للبدن على تحمل المشاق .

هـ ــ الندوة :

وما تقدمه من رياضة ذهنية ، وسياحة عقلية ، تكسب الفرد اطلاعا على الآراء المتعددة ، جول الموضوع الواحد ، وما فى ذلك من إنضاج للفكر .

هذه هى الوسائل التى يجب أن تحدد فى خطة التوظيف ، لتكون هى المعتمدة ، فى الوصول إلى الأهداف .

٣ ــ تحديد الأفراد « أو العاملين » :

وهذا من تمام التخطيط وكماله ، وهذا التحديد يخضع لما سبق أن أشرنا إليه آنفا من

شروط التوثيق ومفرداته ، لأن الأهلية فى كل عمل من أعمال الإسلام ، شرط جوهرى لا يجوز التخلى عنه ــ كما ذكرنا ذلك مرارا .

وأوليات صفات هذه الأهلية ــ كما قلنا أكثر من مرة ــ الصلاح ، والتقوى ، والكفاءة ، والإخلاص ، والثقة ، إلى آخر ماذكرناه .

وأى توظيف لفرد غير مؤهل للعمل الذى يكلف به ، إنما هو تجاهل لعنصر التخطيط ، أو هى كالحرث فى البحر ، إن لم يضر ويبدد الجهد ، فإنه بالقطع لا ينفع ، ولا يجدى على العمل ، ولا على العامل نفسه شيئا ، فضلا عما فيه من تعويق ــ على وجه الحقيقة ــ عن الوصول إلى الهدف .

٤ ــ تحديد الأعمال :

بمعنى أنه من تمام التخطيط وكماله ، أن تكون هناك خريطة احتياجات مدروسة بعناية ، تحدد فيها الأعمال المطلوبة فى أطرها المرحلية .

وما يترتب على ذلك ، من أن الفرد يقوم بالعمل الذى أهل له ، بحيث يستنفد طاقته التى يتطلبها العمل ، وبحيث يكون التكليف بالعمل فى حدود هذه الطاقة ، لا أقل منها فيحدث كسل وتواكل ، ولا أكثر منها فيحدث لُهاثٌ ويأس .

وبعد : فهذه صورة مجملة لخطة التوظيف ، والخلاصة التى ننتهى إليها من هذا كله : ألا توظيف إلا وفق خطة .

النقطة الرابعة : الشروط فيمن يوظف :

أشرنا إلى بعض هذه الشروط ونحن نتكلم ــ آنفا ــ عن التوثيق وأهلية من يوثق .

ولكننا نريد هنا ، بعض الشروط ، التى لا يجوز إغفالها ، فيمن يوسد العمل فى مرحلة التنفيذ أى يوظف فيها .

وهذه الشروط تضاف إلى صفات الأهلية ، ومن مجموعهما يمكن أن نقول : إن المكلف أو الموظف بالعمل فى هذه المرحلة على مستوى المرحلة .

وهى شروط عامة ، لا ينبغى أن يخلو منها ، أى مقصد للعمل الإسلامى بعامة ، وللعمل فى مرحلة التنفيذ على وجه الخصوص .

هذه الشروط نشير إليها فيما يلى :

أولا : الفهم :

بمعنى أن يكون العامل فى هذه المرحلة ، يفهم الإسلام فى حدود العشرين أصلا ، التى حددها الإمام « البنا » المرشد الأول لجماعة « الإخوان المسلمون » وأوجزها فيما يلى :

١ ــ أن الإسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعا فهو :
دولة ووطن ، أو حكومة وأمة ،
وهو خلق وقوة ، أو رحمة وعدالة ،
وهو ثقافة وقانون ، أو علم وقضاء ،
وهو مادة وثروة ، أو كسب وغنى ،
وهو جهاد ودعوة ، أو جيش وفكرة ،
كما هو عقيدة صادقة وعبادة صحيحة سواء بسواء .

٢ ــ أن القرآن الكريم والسنة المطهرة ، مرجع كل مسلم ، فى تعرف أحكام الإسلام .

ويفهم القرآن ، طبقا لقواعد اللغة العربية ، من غير تكلف ولا تعسف .

ويرجع فى فهم السنة المطهرة ، إلى رجال الحديث الثقات .

٣ ــ وللإيمان الصادق ، والعبادة الصحيحة ، والمجاهدة ، نور وحلاوة ، يقذفها الله فى قلب من يشاء من عباده ، ولكن الإلهام ، والخواطر ، والكشف ، والرؤى ، ليست من أدلة الأحكام الشرعية ، ولاتعتبر إلا بشرط عدم اصطدامها بأحكام الدين ونصوصه .

٤ ــ والتمائم ، والرقى ، والودع ، والرمل ، والمعرفة ، والكهانة ، وادعاء معرفة الغيب ، وكل ماكان من هذا الباب ، منكر تجب محاربته ، إلا ماكان آية من قرآن ، أو رقية مأثورة .

٥ ــ ورأى الإمام ونائبه ، فيما لانص فيه ، وفيما يحتمل وجوها عدة ، فى المصالح المرسلة ، معمول به مالم يصطدم بقاعدة شرعية ، وقد يتغير بحسب الظروف والعرف والعادات .

والأصل فى العبادات التعبد دون الالتفات إلى المعانى .

وفى العاديات ، الالتفات إلى الأسرار والحكم والمقاصد .

٦ ــ وكل أحد يؤخذ من كلامه ويترك ، إلا المعصوم ، ﷺ .

وكل ماجاء عن السلف رضوان الله عليهم موافقا للكتاب والسنة ، قبلناه ، وإلا فكتاب الله ورسوله ، أولى بالاتباع ، ولكننا لا نعرض للأشخاص ــ فيما اختلف فيه ــ بطعن أو تجريح ، ونكلهم إلى نياتهم ، وقد أفضوا إلى ماقدموا .

٧ ــ ولكل مسلم لم يبلغ درجة النظر ، فى أدلة الأحكام الفرعية ، أن يتبع إماما من أئمة الدين ، ويحسن به مع هذا الاتباع ، أن يجتهد ماستطاع فى تعرف أدلته ، وأن يقبل كل إرشاد مصحوب بالدليل ، متى صح عنده صلاح من أرشده وكفايته .

وأن يستكمل نقصه العلمى ، إن كان من أهل العلم ، حتى يبلغ درجة النظر .

٨ ــ والخلاف الفقهى فى الفروع ، لا يكون سببا للتفرق فى الدين ، ولا يؤدى إلى خصومة ، ولا إلى بغضاء .

ولكل مجتهد أجره ، ولا مانع من التحقيق العلمى النزيه ، فى مسائل الخلاف ، فى ظل الحب فى الله ، والتعاون على الوصول إلى الحقيقة ، من غير أن يجر ذلك ، إلى المراء المذموم والتعصب .

٩ ــ وكل مسألة لا ينبنى عليها عمل ، فالخوض فيها من التكلف ، الذى نهينا عنه شرعا .

ومن ذلك كثرة التفريعات للأحكام التى لم تقع ، والخوض فى معانى الآيات القرآنية الكريمة ، التى لم يصل إليها العلم بعد .

والكلام فى المفاضلة بين الأصحاب ، رضى الله عنهم ، وما شجر بينهم من خلاف ، ولكل منهم فضل صحبته ، وجزاء نيته ، وفى التأول مندوحة .

١٠ ــ معرفة الله تبارك وتعالى ، وتوحيده ، وتنزيهه ، أسمى عقائد الإسلام ، وآيات الصفات وأحاديثها الصحيحة ، ومايليق بذلك من التشابه ، نؤمن بها كما جاءت من غير تأويل ، ولا تعطيل ، ولا نتعرض لما جاء فيها من خلاف بين العلماء ، ويسعنا ماوسع رسول الله ﷺ وأصحابه ﴿ **والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا** ﴾ آل عمران .

١١ ـــ وكل بدعة فى دين الله لا أصل لها ـــ استحسنها الناس بأهوائهم ـــ سواء بالزيادة فيه ، أو النقص منه ، ضلالة تجب محاربتها ، والقضاء عليها ، بأفضل الوسائل ، التى لا تؤدى إلى ماهو شر منها .

١٢ ـــ والبدعة الإضافية والتركية ، والالتزام فى العبادات المطلقة ، خلاف فقهى ، لكل فيه رأيه ، ولا بأس بتمحيص الحقيقة بالدليل والبرهان .

١٣ ـــ ومحبة الصالحين واحترامهم ، والثناء عليهم بما عرف من طيب أعمالهم ، قربة إلى الله تبارك وتعالى ، والأولياء هم المذكورون فى قوله ﴿ **الذين آمنوا وكانوا يتقون** ﴾ .

والكرامة ثابتة لهم بشرائطها الشرعية ، مع اعتقاد أنهم ، رضوان الله عليهم ، لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا فى حياتهم ، أو بعد مماتهم ، فضلا عن أن يهبوا شيئا من ذلك لغيرهم .

١٤ ـــ وزيارة القبور أيا كانت ، سنة مشروعة بالكيفية المأثورة ، ولكن الاستعانة بالمقبورين أيا كانوا ، ونداءهم لذلك ، وطلب قضاء الحاجات منهم ، عن قرب أو بعد ، والنذر لهم ، وتشييد القبور ، وسترها وإضاءتها ، والتمسح بها ، والحلف بغير الله ، فيما يلحق بذلك من المبتدعات ، كبائر تجب محاربتها ، ولا نتأول لهذه الأعمال ، سدًّا للذريعة .

١٥ ـــ والدعاء إذا قرن بالتوسل إلى الله بأحد من خلقه ، خلاف فرعى فى كيفية الدعاء ، وليس من مسائل العقيدة .

١٦ ـــ والعرف الخاطىء ، لايغير حقائق الألفاظ الشرعية ، بل يجب التأكد من حدود المعانى المقصود بها والوقوف عندها ، كما يجب الاحتراز من الخداع اللفظى فى كل نواحى الدنيا والدين ، فالعبرة بالمسميات لا بالأسماء .

١٧ ـــ والعقيدة أساس العمل ، وعمل القلب أهم من عمل الجارحة ، وتحصيل الكمال فى كليهما مطلوب شرعا ، وإن اختلفت مرتبتا الطلب .

١٨ ـــ والإسلام يحرر العقل ، ويحث على النظر فى الكون ، ويرفع قدر العلم والعلماء ، ويرحب بالصالح النافع من كل شىء « والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها » .

١٩ ـــ وقد يتناول كل من النظر الشرعى ، والنظر العقلى ما لايدخل فى دائرة الآخر ،

ولكنهما لن يختلفا فى القطعى ، فلن تصطدم حقيقة علمية صحيحة ، بقاعدة شرعية ثابتة ، ويؤول الظنى منهما ، ليتفق مع القطعى ، فإن كانا ظنيين ، فالنظر الشرعى ، أولى بالاتباع ، حتى يثبت العقلى أو ينهار .

٢٠ ـــ لا نكفر مسلما أقر بالشهادتين ، وعمل بمقتضاهما ، وأدى الفرائض ـــ برأى أو معصية ـــ إلا إن أقر بكلمة الكفر ، أو أنكر معلوما من الدين بالضرورة ، أو كذب صريح القرآن ، أو فسره على وجه لا تحتمله أساليب اللغة العربية بحال ، أو عمل عملا لا يحتمل تأويلا غير الكفر .

ثانيا : الإخلاص :

وحقيقة الإخلاص : التبرى من كل ما دون الله ، ويقول فيه الإمام « البنا » : وهو أن يقصد الأخ المسلم ، بقوله وعمله ، وجهاده كله ، وجه الله ، وابتغاء مرضاته ، وحسن مثوبته ، من غير نظر إلى مغنم أو مظهر أو جاه ، أو لقب أو تقدم أو تأخر ، وبذلك يكون جندى فكرة وعقيدة ، لا جندى غرض ومنفعة ﴿ **قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت** ﴾ الأنعام . وبذلك يفهم الأخ المسلم ، معنى هتافه الدائم « الله غايتنا » و « الله أكبر ولله الحمد » .

ثالثا : العمل :

وقد قال فيه الإمام « البنا » : وهو ثمرة العلم والإخلاص ﴿ **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون** ﴾ التوبة . ومراتب العمل المطلوبة من الأخ الصادق :

١ ـــ إصلاح نفسه حتى يكون : قوى الجسم ، متين الخلق ، مثقف الفكر ، قادرا على الكسب ، سليم العقيدة ، صحيح العبادة ، مجاهدا لنفسه ، حريصا على وقته ، منظما فى شئونه ، نافعا لغيره ، وذلك واجب كل أخ على حدته .

٢ ـــ وتكوين بيت مسلم ....

٣ ـــ وإرشاد المجتمع ، بنشر دعوة الخير فيه ، ومحاربة الرذائل والمنكرات ، وتشجيع الفضائل والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والمبادرة إلى فعل الخير ، وكسب الرأى العام ، إلى جانب الفكرة الإسلامية ، وصبغ مظاهر الحياة العامة بها دائما ، وذلك واجب كل أخ على حدته ، وواجب الجماعة كهيئة عامة .

٤ ــ وتحرير الوطن بتخليصه من كل سلطان أجنبى ــ غير إسلامى ــ سياسى أو اقتصادى أو روحى .

٥ ــ وإصلاح الحكومة حتى تكون إسلامية بحق وبذلك تؤدى مهمتها ، كخادم للأمة ، وأجير عندها ...

٦ ــ وإعادة الكيان الدولى للأمة الإسلامية ، بتحرير أوطانها وإحياء مجدها ، وتقريب ثقافتها ، وجمع كلمتها ، حتى يؤدى ذلك كله ، إلى إعادة الخلافة المفقودة ، والوحدة المنشودة .

٧ ــ وأستاذية العالم ، بنشر دعوة الإسلام فى ربوعه ﴿ **حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله** ﴾[١] ﴿ **ويأبى الله إلا أن يتم نوره** ﴾[٢] .....

رابعا : الجهاد :

وهو استفراغ الجهد والوسع ، فى مدافعة العدو ، وهو ثلاثة أضرب :

جهاد العدو الظاهر ،

وجهاد الشيطان ،

وجهاد النفس .

وكل هذه الأضرب داخلة فى قوله تعالى : ﴿ **وجاهدوا فى الله حق جهاده** ﴾ [٣] وداخلة فى الحديث الشريف : « جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم » .

والمجاهدة تكون باليد واللسان ، كما ورد فى الحديث الشريف : « جاهدوا الكفار بأيديكم وألسنتكم » .

وهذه المرحلة تستدعى كل أنواع الجهاد ، جهاد العدو ، وجهاد الشيطان ، وجهاد النفس ، والجهاد باليد والجهاد باللسان ، فإن الواقف على ثغرة فى مرحلة التنفيذ ، لا يستطيع لها سدًّا ، إلا أن يتذرع بالجهاد فى كل أمره .

وللإمام « البنا » فى تحليل الجهاد ، كلمات وضيئة ، نذكرها بنصها ، حيث يقول :

---

(١) سورة الأنفال : ٣٩ .

(٢) سورة التوبة : ٣٢ .

(٣) سوره الحج : ٧٨ .

« أريد بالجهاد الفريضة الماضية إلى يوم القيامة ، والمقصود بقول الرسول ﷺ : « من مات ولم يغز ولم ينو الغزو مات ميتة جاهلية » .

وأول مراتبه إنكار القلب ، وأعلاها القتال فى سبيل الله ، وبين ذلك جهاد اللسان والقلم واليد ، وكلمة الحق عند السلطان الجائر ، ولا تحيا الدعوة إلا بالجهاد ، وبقدر سمو الدعوة وسعة أفقها تكون عظمة الجهاد فى سبيلها ، وضخامة الثمن الذى يطلب لتأييدها ، وجزالة الثواب للعاملين ﴿ **وجاهدوا فى الله حق جهاده** .... ﴾ الحج .

وبذلك تعرف معنى هتافك الدائم : (الجهاد سبيلنا) [1] .

خامسا : الطاعة :

وهى الانقياد لما أمر الله به ، والانتهاء عما نهى عنه ، قال تعالى : ﴿ **من يطع الرسول فقد أطاع الله** ﴾ [2] وقال سبحانه : ﴿ **يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا** ﴾ [3] .

وللإمام البنا فى الطاعة ، كلام رجل بصير بأبعاد هذه الطاعة ، وأثرها فى الناس ، وبخاصة الذين يعملون فى مجال الحركة الإسلامية يقول فيه :

« الطاعة امتثال الأمر ، وإنفاذه توًّا ، فى العسر واليسر ، والمنشط والمكره ، وذلك أن مراحل هذه الدعوة ثلاث :

* **التعريف** : بنشر الفكرة الإسلامية بين الناس .

ونظام الدعوة فى هذه المرحلة نظام الجمعيات الإدارية ،

ومهمتها : العمل للخير العام .

ووسيلتها : الوعظ والإرشاد تارة ، وإقامة المنشآت النافعة تارة أخرى ، إلى غير ذلك من الوسائل العملية ، وكل شعب الإخوان القائمة الآن تمثل هذه المرحلة من حياة الدعوة وينظمها القانون الأساسى ، وتشرحها رسائل الإخوان وجريدتهم ، والدعوة فى هذه المرحلة عامة ، ويتصل بالجماعة فيها ، كل من أراد من الناس ، متى رغب المساهمة فى أعمالها ،

---

(١) الإمام البنا : رسالة التعاليم .　(٢) سورة النساء : ٨٠ .　(٣) سورة النساء : ٥٩ .

ووعد بالمحافظة على مبادئها .

وليست الطاعة التامة لازمة فى هذه المرحلة ، بقدر ما يلزم فيها احترام النظم والمبادئ العامة للجماعة .

« **التكوين** : باستخلاص العناصر الصالحة لحمل أعباء الجهاد ، وضم بعضها إلى بعض .

ونظام الدعوة فى هذه المرحلة ، صوفى بحت من الناحية الروحية ، وعسكرى بحت من الناحية العملية .

وشعار هاتين الناحيتين دائما (أمر وطاعة) ، من غير تردد ولا مراجعة ولا شك ولا حرج .

وتمثل الكتائب الإخوانية ، هذه المرحلة من حياة الدعوة ، وتنظمها رسالة المنهج سابقا ، وهذه الرسالة الآن .

والدعوة فيها خاصة ، لا يتصل بها إلا من استعد استعدادا حقيقيا ، لتحمل أعباء جهاد طويل المدى ، كثير التبعات ، وأول بوادر هذا الاستعداد (كمال الطاعة) .

« **التنفيذ** : والدعوة فى هذه المرحلة جهاد لا هوادة معه ، وعمل متواصل فى سبيل الوصول إلى الغاية ، وامتحان وابتلاء لا يصبر عليهما إلا الصادقون .

ولا يكفل النجاح فى هذه المرحلة إلا (كمال الطاعة) كذلك . وعلى هذا بايع الصف الأول من الإخوان المسلمين اليوم الخامس من شهر ربيع الأول سنة ١٣٥٩ هـ .

وأنت بانضمامك إلى هذه الكتيبة ، وتقبلك لهذه الرسالة ، وتعهدك بهذه البيعة ، تكون فى الدور الثانى ، وبالقرب من الدور الثالث ، فقدر التبعة التى التزمتها ، وأعد نفسك للوفاء بها » [١] .

وبعد : فهذه شروط فيمن يوظف للعمل فى مرحلة التنفيذ ، ماينبغى أن يختل فيها شرط ، ولا أن تتخلف عن العامل فيها صفة ، إذ على قدر توفر الشروط والصفات ، يكون النجاح والتوفيق ، بإذن الله تبارك وتعالى .

---

(١) الإمام البنا : رسالة التعاليم .

النقطة الخامسة : **محصلة التوظيف :**

إذا تم التوظيف على وجهه الصحيح ، وكان واضح المفهوم معروف المجالات قد خطّط له بإحكام ، وتحددت له أهدافه ، وفصلت شروطه ، وجمعت الصفات الهامة لمن وظف من الناس .

إذا كان ذلك كذلك ، فإنه قد أخذ بالأسباب ، ولم يعد بين الناس وبين النجاح إلا مشيئة الله ورضاه ، وكان الناس بذلك كمن ألقى البذرة ـ بعد أن اختارها جيدة صالحة ـ فى التربة الصالحة ، وتعهدها بكل أسباب النماء التى هى فى حاجة إليها ، فما عليهم بعد هذا كله ، إلا أن ينتظروا مشيئة الله ، لينمو الزرع ، ويستوى على سوقه ، ليعجب الزراع ، وصدق الله العظيم : ﴿ **أفرأيتم ما تحرثون . أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون . لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون . إنا لمغرمون . بل نحن محرومون** ﴾ (١) .

هذه حصيلة الجهد ، ونتيجة العمل ، أو محصلة التوظيف ، وهى نجاح وتوفيق برحمة من الله وفضل .

وأود أن أنبه هنا ، إلى أن العمل الإسلامى فى كل مرحلة من مراحله ، يحتاج إلى الإعداد والاستعداد ، كما يحتاج إلى حسن التوكل على الله أولا ، والأخذ بكافة الأسباب ثانيا ، وما لم يكن التوكل ، مصحوبا بالأخذ بالأسباب ، كان تواكلا وتضييعا ، ولنتذكر دائما كلمة المعصوم ﷺ لمن سأله عن الناقة أيتركها ويتوكل على الله ، أم يعقلها ويتوكل على الله ، فقال له ﷺ : « اعقلها وتوكل » .

وذلك أن حقيقة التوكل على الله ، لا تتنافى مع الأخذ بالأسباب ، وقد كان رسول الله ﷺ يأخذ بالأسباب ، ليَسُنَّ للناس هذا الأسلوب الراشد فى العمل ، وليعلمهم أن الأخذ بالأسباب أصل مع التوكل على الله سبحانه ، كما أوردنا ذلك فى الحديث الشريف ، الذى رواه الترمذى ، والذى وثقناه فيما مضى من الكتاب .

هذا هو فقه العمل للإسلام : اعقلها : أى خذ بكل الأسباب ، وتوكل على الله : أى انتظر فضل الله ورحمته .

---

(١) سورة الواقعة : ٦٣ ـ ٦٧ .

وهذا هو التوظيف فى مجال العمل الإسلامى كله ، وفى مجال مرحلة التنفيذ بالذات ، عمل رئيسى يصحب التوكل على الله ، وانتظار الرحمة منه والفضل .

العنصر الثانى : الممارسة

ويتناول :

١ ــ مفهوم الممارسة .

٢ ــ مجالاتها وهى :

أ ــ العمل ،

ب ــ والتضحية ،

جـ ــ والأخوة ،

د ــ والثقة .

١ ــ مفهوم الممارسة .

نعنى بها : التطبيق العملى للافتراضات النظرية ، بمعنى أن منهج الإسلام ونظامه فى الحياة ، يجب أن يخرج من دائرة الفرض والنظرية ، إلى دائرة الممارسة والتطبيق ، وإلا أصبح بقاء المنهج نظريا بين دفتى كتاب ــ دون تطبيق ــ لا يغنى عن المسلمين شيئا من أمور معاشهم أو معادهم .

وهذه الممارسة ، هى المعيار الدقيق لما هو ممكن التطبيق فى أى منهج ، ولما هو مستحيل التطبيق .

وبالنسبة لمنهج الإسلام فى الحياة ، فإن الممارسة التى حدثت له ، على فترات طويلة من التاريخ ، تؤكد أن المنهج كله ممكن التطبيق ، فقد طبق بالفعل وآتى ثماره على فترات غير قصيرة من تاريخ المسلمين .

وما أصاب المسلمين ماأصابهم وما يصيبهم الآن ، من متاعب ومشكلات ، إلا بسبب أنهم لم يعودوا يمارسون المنهج الإسلامى فى الحياة ، كما مارسه أسلافهم .

بل إن الممارسة تعنى ــ كذلك ــ امتحانا دقيقا لصحة مفردات المنهج أو خطئها .

والمنهج الإسلامى بالذات ، قد تعرض لهذه الامتحانات مرارا فى حياة المسلمين ، وفى كل مرة مورس فيه هذا المنهج ممارسة صحيحة ، وطبق تطبيقا كاملا ودقيقا ، حقق به المسلمون

نجاحا وسعادة فى معاشهم ومعادهم ، والتاريخ على ذلك من الشاهدين ، بل الأعداء قبل الأولياء .

وأى فشل ، لاقاه المسلمون فى حياتهم ، فى أى فترة من فترات التاريخ ، فإنما كان بسبب تقصيرهم فى التطبيق ، أو عجزهم عنه ، أو ترقيع منهجهم ، أى أخذهم منه ومن سواه .

وبناء على ذلك الذى قدمنا فى مفهوم الممارسة ، فإن هذا المفهوم يعنى أن هناك نظرية أو منهجا مكتوبا ، وأن تطبيق هذا المنهج وممارسته ، هو الذى يعطيه القدرة على إفراز كل مافيه من فضائل ومزايا . كما أن التطبيق والممارسة ، دون نظرية أو منهج هو مجرد تجارب عشوائية تخطىء كثيرا وقلما تصيب وعلى مثل هذا النسق لا تقوم حياة إنسانية .

ولسنا بحاجة إلى أن نؤكد حقيقة كبرى ، رددها غيرنا من علماء المسلمين على مدى أجيال متطاولة يقرعون بها أسماع الناس ، بل رددها واعترف بها غير المسلمين من الباحثين والمفكرين ، تلك الحقيقة هى : إن الإسلام وحده ـــ كمنهج ونظام للحياة ـــ ليس مسئولا عن تأخر المسلمين فى أى حقبة من حقب التاريخ التى تأخروا فيها ، بل المسئولون عن ذلك هم المسلمون ، الذين لم يطبقوا منهج الإسلام على حياتهم .

وإذا كانت النصرانية هى المسئولة ـــ باعتراف كثير من المفكرين ـــ عن تأخر النصارى واضطرابهم فى حروب ومشكلات ونظم فاسدة ، لما فيها من سلبيات أضافها من أسموا أنفسهم هناك برجال الدين ، فإن الإسلام ليس كذلك أبدا ، لأن أحدا من علماء الإسلام ، لا يستطيع أن يزيد فى الإسلام ولا أن ينقص منه ، وليس الإسلام ـــ وقد تكفل الله بحفظه من التزييف ـــ بقابل لزيادة من أحد ، ولا انتقاص من قبيل من الناس .

كذلك يدخل فى مفهوم الممارسة والتطبيق ، أن يعطى العاملون فى هذه المرحلة التنفيذية القدوة من أنفسهم وسلوكهم للناس ، الذين يتحركون فيهم ، فليس أبعد عن النجاح والتوفيق ، من رجال يقولون ما لا يفعلون .

٢ ـــ مجالات الممارسة :

للممارسة مجالات أساسية تمضى فى تيَّارها ، ولا تتم الممارسة فى صورتها المطلوبة ، إلا إذا ارتبطت بواحد من هذه المجالات أو أكثر .

وهذه المجالات هى :

أ ـــ **العمل** : وهو نوعان :

عمل فردى يقوم به إنسان بمفرده ،

وعمل جماعى يشارك فيه عدد من الأفراد .

وكلا النوعين من العمل يتجه إلى التأثير فى العالم الخارجى الذى يحيط بالعامل ، ويستهدف أهدافا بعينها .

وفى مجال العمل الإسلامى فى مرحلة التنفيذ ، فإن العمل يستهدف ما سبق أن تحدثنا عنه من أهداف هذه المرحلة على وجه الإجمال ، بقصد التأثير فى الناس ، ودفعهم عن الإخلاد إلى الأرض ، بوصلهم بالله ، وتشجيعهم على أداء ما فرض الله عليهم ، نحو أنفسهم ومجتمعهم ، الذى يعيشون فيه .

والممارسة والتطبيق هما العمل ذاته ، وقد أشرنا آنفا إلى كلمات للإمام « البنا » عن العمل ، نرجو أن نستحضرها هنا للتأمل فيها والانتفاع بها .

ومجالات العمل فى هذه المرحلة كثيرة ، نذكر منها ، مايلى من الأنواع :

النوع الأول : العمل على مستوى الفرد والبيت والمجتمع :

*** فعلى مستوى الفرد :**

نجد عمله متشعبا متعدد المراحل ، يبدأ فيه الإنسان بنفسه ، فيقيمها على الجادة فى العقيدة والعبادة ، ويغذى قلبه وروحه بكل ما يصفى من الشوائب والأوضار ، فيكون له فى هذا المجال برنامج جيد يلتزم به فى يومه وليلته ، يخلص فيه النية ، ويصدق العمل ، ويجاهد شيطانه وهواه ، وينمى عقله بالعلم والمعرفة ، ويزوده دائما بما يحتاج إليه من فقه دينه وعمله .

ويتعهد بدنه بأسباب القوة ليقوى بذلك على عبادة الله سبحانه .

وعلى الجملة يكون الفرد العامل ، مثالا وقدوة لما يدعو إليه غيره من الناس من فضائل وآداب .

*** وعلى مستوى البيت :**

والعمل هنا يتصل بأفراد آخرين ، يكون منهم القبول أو الإعراض ، وعلى قدر فقه

العامل واستعداده ، وقوة روحه ، وصفاء قلبه ، وإخلاصه ، وتجرده ، يكون قبول ذويه له ، ولما يدعوهم إليه .

وأقرب الناس إلى هذا العامل ، أهله وأبناؤه ، فواجبه أن يأخذهم بخلق الإسلام وأدبه ، كما يأخذ بذلك كل من كان معه فى البيت ، ممن يلى أمره من قريب ، بل يتجاوز ذلك إلى كل أقربائه وجيرانه ، فهو مطالب دائما بأن يكون أمامهم المثل الطيب للإسلام ، الذى يتمثل فى العمل والممارسة .

وكل من فى البيت ، وما فى البيت ، ينبغى أن يكون إسلاميا ، وعلى وجه الخصوص ، فإن تربية الأبناء تربية إسلامية ، أمر محتوم مفروض فرضا على كل مسلم يلى بيتا من بيوت المسلمين ، فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته .

فما بالنا بهذا الفرد المسئول عن البيت ، إذا كان منضما إلى مرحلة هامة من مراحل الدعوة ، وهى مرحلة التنفيذ أو التطبيق ؟

« وعلى مستوى المجتمع :

فإن دائرة العمل تتسع عن النفس والبيت ، وبالتالى تتطلب من الجهود والطاقات ما لا بد منه ، ليؤثر هذا الفرد فى المجتمع .

والعمل هنا ذو شعب متعددة :

فنشر دعوة الحق والخير ، شعبة منه ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر شعبة ثانية ، وتشجيع الفضائل وأصحابها شعبة ثالثة ، ومقاومة الرذائل ، والتضييق على أهلها ، شعبة رابعة ، وكسب الأنصار للعمل الإسلامى ، شعبة خامسة ، وكسب الرأى العام للإسلام ، شعبة سادسة ، والتغلغل فى طبقات المجتمع لدفعهم إلى الخير شعبة سابعة ، والشفقة على الناس ، ومعاونتهم شعبة ثامنة ، وصبغ الحياة العامة بصبغة إسلامية ، شعبة تاسعة ، وإقامة المؤسسات النافعة للناس شعبة عاشرة .

وهكذا لا ينتهى عدد هذه الشعب عند حد معين ، إذ كل عمل يؤدى إلى خير المجتمع ، وخير الناس ، أو يدفع عنهم الشر والأذى ، من صميم هذه الشعب ، وهو فى الوقت نفسه من صميم العمل فى مرحلة التنفيذ .

النوع الثانى : العمل على مستوى الأمة الإسلامية :

والعمل على هذا المستوى ، يتطلب معرفة دقيقة بالأمة الإسلامية ، شعوبا وأقاليم ، ويتطلب ثقافة واسعة فى هذا المجال ، تمكن صاحبها من الإلمام بظروف العالم الإسلامى المختلفة ، سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا ، كما تتطلب معرفة جيدة بالبلدان الإسلامية التى يطمع فيها الطامعون ، ويتطلب معرفة جيدة ، بكبريات القضايا التى تشغل الأمة الإسلامية ، فيما بينها ، أو مع أعدائها والكائدين لها .

وتتطلب معرفة جيدة بالأقليات الإسلامية فى العالم ، ماذا تريد ، وماذا يراد لها أو بها ، وماذا يستطيع المسلمون أن يقدموا لها ؟

إن العالم الإسلامى كله وحدة واحدة من حيث أن جنسيته هى عقيدته ، وشعاره : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » ومنهجه القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

وإن كل شىء يعود على طائفة من المسلمين فى العالم الإسلامى كله بالخير أو بالشر ، يجب أن يكون موضع اهتمام كل مسلم ، وموضع تفكيره وتدبيره ، واستعداده للبذل والتضحية فى سبيله .

إن وحدة الأمة الإسلامية ضرورة حياة ، وضرورة حاضر ومستقبل ، وإن العمل على وحدة الأمة الإسلامية ، ثقافيا واقتصاديا واجتماعيا ، بل وسياسيا أمل ينشده كل مسلم غيور على دينه ، يفهم واجبه فى العمل لهذا الدين .

إن الأمة الإسلامية يمكن أن تتكامل اقتصاديا ، كما يمكن أن تتحد سياسيا ، وهذا أمل يمكن أن نصل إليه ، إذا صحت منا العزائم ، وصدقت النوايا .

إن الأمة الإسلامية ، لن تتخلص من متاعبها — وهى كثيرة — بل لن تقوم لها قائمة ، حتى يكون الحكم بين الناس بما شرع الله ، وأن يكون الحاكم ملتزما بشرع الله ، وأن يكون الناس ، كل الناس ، محكومين بشرع الله .

ولا بد أن يبذل العاملون فى مرحلة التنفيذ قصارى ما يملكون من جهد ، حتى يحققوا هذا الهدف .

أين الخلافة الإسلامية من هذا الأمل المنشود ؟

أين اللغة العربية لغة القرآن من ألسنة المسلمين ، فى مشارق الأرض ومغاربها ؟

ماذا قدم المسلمون من جهد وعمل فى هذين المجالين ؟

أين الثقافة الإسلامية التى يجب أن تسود الأمة الإسلامية كلها بين الثقافات المعادية للإسلام ، التى تنتشر بين المسلمين ، كما تنتشر النار فى الهشيم ؟

أين الجهاد أو الجهود فى قضايا الأمة الإسلامية الساخنة ، فى أفغانستان ، وفى فلسطين ، وفى الفلبيين ، وفى الهند ، وفى الخليج — على الرغم من الهدنة — ؟

إن العمل الإسلامى على مستوى الأمة الإسلامية ، لن يدع لأحد فرصة كسل أو تراخ ، فضلاً عن تقصير أو تخلٍ وهروب !!؟

إن العمل فى مرحلة التنفيذ ليقف على قمة الأهمية فى مجال الممارسة والتطبيق ، وطالما وجد فى أى مكان فى العالم الإسلامى نقص أو حاجة أو مشكلة أو حرب فإن العمل والعاملين المسلمين ، فى حرج من أمرهم ، حتى يسهموا بما استطاعوا ، أو يكونوا فى دائرة الإثم والمعصية .

إن العمل الإسلامى على مستوى الأمة الإسلامية فى كلمات هو :

« أن يعتبر كل فرد يعمل فى هذه المرحلة نفسه مسئولاً عن الأمة الإسلامية كلها » .

إنه مطالب أن يقدم لها كل ما ينفعها وأن ينحى عنها كل ما يسبب لها ضرراً .

ولابد أن ننبه هنا إلى عمل خطير كبير يمارسه أعداء الإسلام والمسلمين دائماً ، ذاك أن كل جهد يبذله العاملون للإسلام فى البناء ، يقابله فى الجانب الآخر جهود موظفة بعناية ، لهدم هذا البناء أو إضعافه .

لابد من التنبيه إلى هذا ، والتأكد من أن أعداء الإسلام والمسلمين ، غير غافلين وغير لاهين .

وهذا يستوجب ألا تبذر بذرة فى العمل الإسلامى ، إلا أن تحاط بكافة الأسباب التى تحرسها وتحميها ، وترد عنها عاديات الأعداء .

ومن فضل الله على المسلمين ، أن جعل دينهم قادراً على سبق الزمن ، وعلى قيادة البشرية كلها ، نحو ما يصلحها فى دنياها وآخرتها ، وهذا أكبر عون للعاملين فى الحقل الإسلامى فى مرحلة التنفيذ ، بل وفى غيرها من المراحل .

النوع الثالث : العمل على مستوى العالم كله :

إن الإسلام منهج الله للبشرية كلها فى كل زمان ومكان ، هذه مسلمة أولية لمن كان عنده فقه فى الإسلام ، ومع ذلك ، فقد يمارى بعض الناس فى هذه المسلمة ، لأنهم لا يرونها فى مجال التطبيق ، ظانين أن القصور فى المنهج والنظام ، على حين القصور والتقصير — كما ذكرنا ذلك مراراً — فيمن يطبقون ويعملون .

القصور والتقصير ، فى هؤلاء وأمثالهم ، قديماً ووسيطاً وحديثاً ، بل وفى المستقبل كذلك .

ولقد أشار الله سبحانه إلى مجتمع الصحابة رضوان الله عليهم ، وهو أفضل مجتمع إسلامى ، فحثهم على القيام بواجبهم ، ونبههم إلى أنهم إذا لم يقوموا بهذا الواجب على وجهه ، ويطبقوا المنهج كاملاً غير منقوص ، ويؤدوا لهذا الدين ما فرض الله عليهم ، فإنه سبحانه ، سوف يستبدل بهم قوماً غيرهم ، ثم يكون هؤلاء أفضل عند الله ، لأنهم قاموا بهذا الواجب ، قال الله تعالى :

﴿ **وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم** ﴾[1] أى لا يكونون أمثالهم فى التقصير ، أو الإعراض عما دعاهم الله إليه ، وإنما يكونون أفضل منهم .

وهذه العمومية والعالمية فى منهج الإسلام ، تلقى على عاتق المسلمين عامة ، والعاملين منهم فى حقل الإسلام خاصة ، والمنتسبين فى عملهم إلى مرحلة التنفيذ على وجه الخصوص ، واجباً ضخماً وتبعات ثقيلة ، لا يقوم لها إلا الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه .

ومن المسلم به أيضاً لدى العقلاء ، أن منهج الإسلام فى عالميته وعموميته وشموله ، يحتاج دائماً إلى جهود الناس فى مجال التطبيق ، وبدون هذه الجهود ، وهذا التطبيق ، لا تستطيع الإنسانية أن تفيد من هذا المنهج شيئاً .

ولهذا طالب الله المسلمين بالعمل والجهاد ، فقال سبحانه : ﴿ **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون** ﴾[2] .

---

(١) سورة محمد : ٣٨ .

(٢) سورة التوبة : ١٠٥ .

وقال جل شأنه : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا فى سبيله لعلكم تفلحون** ﴾[1].

إن العاملين فى مرحلة التنفيذ ، عليهم أن ينظروا إلى العالم كله نظرة إسلامية تراه كله أرضاً للإسلام ، ومزرعة للآخرة ، وأن المسلمين على وجه هذه الأرض ، عليهم واجب العمل والتطبيق .

العالم كله — وليس العالم الإسلامى وحده — يجب أن يكون موضع نظر المسلمين ، ومجالاً للتعرف على ما فيه ، من تيارات موالية أو معادية للإسلام ، وأن عليهم أن يقوموا بواجبهم فى هذا المجال ، واجب مواجهة الفكر بالفكر ، والعمل بالعمل ، إن ذلك جهد الرجال ، وإن المنهج وحده ، دون رجال لا يستطيع أن يرد عادية معتد ، كما لا يستطيع أن يأخذ بيد موالٍ ، وإنما هم الرجال .

المسلمون الجدد الذين دخلوا فى الإسلام فى إفريقيا[2]، على الرغم مما تبذله الكنائس من جهود مادية ومعنوية لتنصيرهم ، هؤلاء الذين اهتدوا بفطرتهم إلى الإسلام ، وآمنوا بأنه دين الحق ، وأنه لا يعرف التفرقة اللونية بين الناس ، فدخلوا فيه أفواجاً ... هؤلاء الإخوة فى الله ، ما العمل الملائم لهم ، ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ؟ وماذا يمكن أن يقدمه لهم المسلمون ليقربوهم إليهم ، ويشعروهم بعمق الولاء للإسلام ؟

والمسلمون الجدد الذين دخلوا فى الإسلام فى أوربا ، وأكثرهم من أساتذة الجامعات[3] ، هؤلاء الذين تمردوا فكرياً على الذى كانوا عليه ، واهتدوا بعقولهم ومعارفهم إلى الإسلام ، فدخلوا فيه أفواجاً — كذلك — ما العمل الملائم الذى يقدم لهم ، ليكونوا عاملين للإسلام فى مرحلة من مراحل الدعوة إلى الله ؟

وماذا يمكن أن يجعلهم أكثر انتماء والتزاماً بهذا الإسلام ؟

ماذا قدمنا لهم ؟

وماذا يمكن أن نقدم ؟

---

(١) سورة المائدة : ٣٥ .

(٢) تعرفت على كثير منهم فى زيارتى لكثير من بلدان إفريقيا .

(٣) رأيت بعضهم بعينى وتحدثت إليهم فى لندن وغيرها .

والمسلمون الجدد الذين أقبلوا على الإسلام فى أمريكا من السود ، وهم فى ازدياد يوماً بعد يوم ، وهم الذين اهتدوا إلى الإسلام ، بمزيج من مشاعر السخط على المجتمع الأمريكى ، وعلى الرجل الأبيض ، وعلى لون الحياة التى يحيون ، وعلى المعتقدات الواهمة التى كانوا يعتقدون .

هؤلاء المسلمون إخوتنا فى الإسلام ، ماذا يناسبهم من العمل ، القادر على تفقيههم فى دينهم ، وجذبهم إلى إخوانهم فى الدين ، وتوجيه جهودهم ، نحو ما يصلح معاشهم ومعادهم ؟

والمسلمون الجدد ، من الأمريكان البيض ، الذين أقبلوا على الإسلام ، هروباً من جحيم الحياة المادية الجافة التى يحيون ، والتى لا تليق فى بعض جوانبها بالإنسان ، أو هروباً من جحيم الخواء العقيدى ، للذين يعيشون وقد استعبدهم الدولار والعمل والإنتاج ، أو رغبة فى التخلق بفاضل الأخلاق التى خلا منها المجتمع الأمريكى أو كاد ، أو حباً فى دفء العلاقات الإنسانية الاجتماعية ، التى نظمها منهج الإسلام فى الحياة ، كالأسرة ، ورعاية الأبناء ، وصلة الأرحام .. والأخوة فى الدين .

هؤلاء المسلمون ، ماذا نعمل من أجلهم ؟

بل ماذا نعمل من أجل أن يكونوا عناصر فاعلة فى الحياة الإسلامية هناك ؟

وهؤلاء المسلمون الذين جذبوا إلى الإسلام فى بلاد الشرق الأقصى ، فراراً من الوثنية ، أو فراراً من عبودية الإنسان للإنسان ، أو للحيوان ، أو للأشياء ، حيث اهتدوا بفطرتهم إلى أن المعبود الحق ، لا يمكن أن يكون إنساناً ، أو حيواناً أو كوكباً أو شيئاً من الأشياء ، فهداهم الله إلى الحق بإذنه ، وهم كثرة لا بأس بها ...

ماذا نعمل لهؤلاء الإخوة فى الدين ؟

ماذا يمكن أن يوحد جهود هؤلاء ، وأن يوظف هذه الجهود لخدمة الإسلام ؟

وهؤلاء العلماء الذين دخلوا فى الإسلام ، بعد أن خاضوا مع أنفسهم معارك عقلية ضارية ، ثم دخلوا فى الإسلام يرون فيه دين العلم والعقل والوحى الصحيح الذى لم يمسه تحريف أو تصحيف .

هؤلاء القمم الفكرية ماذا نعمل من أجلهم ؟ ليسهموا بعلمهم وفكرهم فى مسيرة

العمل الإسلامى ، ويؤدوا واجبهم نحو دينهم ؟

ألا ماأثقل العمل على مستوى العالم كله ، وما أوجبه !!! إن العاملين فى مرحلة التنفيذ ، عليهم من الواجبات ، كل ما هو ثقيل ، ينوء به من لم يتأهل له ، ويستعد أتم الاستعداد ، ولكنه قدر العاملين للإسلام فى هذه المرحلة ، لا يستطيعون منه فكاكاً ، وعند التأمل ، وإنعام النظر ، نجد أن هذا العمل فى تلك المرحلة ، هو أولى الأعمال بالاستجابة والتنفيذ .

فالعمل إذن أهم ما فى التطبيق والممارسة .

ب ــ التضحية :

وأصل التضحية ، ذبح الأضحية فى أى وقت من أيام التشريق ، تقرباً إلى الله تعالى ، وطمعاً فى مغفرته ومثوبته .

ومعناها المقصود هنا ، هو التبرع بالنفس ، أو العمل ، او الوقت ، أو المال ، دون مقابل مادى فى الدنيا ، وإنما فى مقابل أخروى ، وهو رضا الله سبحانه وتعالى ومثوبته .

والعمل الإسلامى فى حاجة أبداً ، إلى أن يضحى العاملون فى مجاله ، بأنفسهم ، أو جهودهم وأوقاتهم وأموالهم ، أو بهذا كله من أجل أن يحققوا أهدافهم فى هذه المرحلة البالغة الأهمية من مراحل الدعوة إلى الله .

وإن آفة العمل الإسلامى فى أى زمان ومكان ، أن يقدم العاملون له فائض جهودهم ، وفائض أوقاتهم ، وفائض أموالهم ، لأن هذا الفائض ليس تضحية حقيقية ، وإنما هو فائض ، وحسبه هذه التسمية والأصل أن التضحية تكون بالأساسى لا بالفائض .

ولقد ضرب المسلمون الأوائل أروع الأمثلة فى التضحية من أجل الدين ، فقد ضحوا بأنفسهم ، وهذه أعلى أنواع التضحيات ، وباعوا هذه الأنفس لله ، فربحوا وربح بيعهم ، وضحوا بأموالهم ، فجهزوا الغزوات فى سبيل الله ، وضحوا بجهودهم وأوقاتهم فرابطوا فى سبيل الله ، وسدوا الثغور . .

ولعل الملحظ الجدير. بالتأمل فى هذا المجال ، أن التضحية ملازمة للجهاد فى سبيل الله ، إذ لا جهاد دون تضحية .

ومن كلمات الإمام « البنا » فى التضحية قوله : وأريد بالتضحية بذل النفس والوقت

والحياة وكل شىء فى سبيل الغاية ، وليس فى الدنيا جهاد لا تضحية معه ، ولا تضيع فى سبيل فكرتنا تضحية إنما هو الأجر الجزيل والثواب الجميل .

ومن قعد عن التضحية فهو آثم : ﴿ **إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم** ﴾ ، ﴿ **قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم ...** ﴾ الآية ، ﴿ **ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة فى سبيل الله ...** ﴾ ، ﴿ **فإن تطيعوا يؤتكم الله أجراً حسناً** ﴾ وبذلك تعرف معنى هتافك الدائم : « الموت فى سبيل الله أسمى أمانينا »[1] .

وعند التأمل العميق ، والنظر الفاحص ، نجد التضحية لا يحول بين الإنسان وبينها ، إلا عارض من العوارض السيئة ، التى تلم بالإنسان ، وأهم هذه العوارض أمران :

الأول : حب الدنيا أى حب النفس والولد والمال : والأصل أن الإيمان يلقى فى نفس المسلم ، الاعتقاد بأن الله أحق بالحب من النفس والمال والولد ، وأن المؤمن لا يكون مؤمناً إلا إن كان حب الله ورسوله يملأ عليه نفسه وحواسه : ﴿ **والذين آمنوا أشد حباً لله** ﴾[2] .

ويؤكد الإيمان كذلك ، أن الأعمال الصالحة خير وأبقى عند الله ، من المال والبنين ﴿ **زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب** ﴾[3] و ﴿ **المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً** ﴾[4] .

كما يبصر الإيمان صاحبه ، بأن الحياة الدنيا وما فيها من متع ، إنما هى إلى زوال ﴿ **وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور** ﴾[5] .

ويعلمه أن الحرص على الحياة الدنيا ، وخشية الموت ، غفلة لا تجوز إلا على غافل ، فحياة الإنسان على هذه الدنيا قصيرة ، مهما طالت ، وفانية مهما كان لها من أسباب البقاء : ﴿ **قل إن الموت الذى تفرون منه فإنه ملاقيكم** ﴾[6] و ﴿ **أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة** ﴾[7] .

---

(١) الإمام البنا : رسالة التعاليم .
(٢) سورة البقرة : ١٦٥ .
(٣) سورة آل عمران : ١٤ .
(٤) سورة الكهف : ٤٦ .
(٥) سورة آل عمران : ١٨٥ .
(٦) سورة الجمعة : ٨ .
(٧) سورة النساء : ٧٨ .

ومادام الإيمان يصنع كل هذا بالمؤمن ، فما له لا يضحى بنفسه وماله وعمله ووقته فى سبيل الله ، انتظاراً لحياة باقية عند الله ، فى جنة عالية قطوفها دانية .

وما له لا يضحى بالفانى ، الذى ليس له على وجه الحقيقة ، وإنما هو لمالك الملك سبحانه ، طمعاً فى الباقى الدائم ، الذى ينعم الله به عليه ﴿ **إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله** ... ﴾[1] .

والثانى : الخوف من فقد أسباب الراحة والمتعة : وذلك أن الإنسان يتصور ــ مخطئاً ــ أن غيره من الناس ، ممن لديهم من الوسائل والأسباب ، ما يحصلون به على متع الحياة الدنيا ، هم السعداء ، وأن الذين حرموا هذه الوسائل والأسباب ، هم الأشقياء .

وهذا خطأ ووهم ، يلقيه الشيطان فى قلوب أوليائه ، فيحول بذلك بينهم ، وبين التضحية بأى سبب من أسباب الحصول على المتعة والراحة ، وأبرز هذه الأسباب المال والجهد والوقت ، فيَضِنّ بذلك ويبخل ، وتلك آفة كثير من الناس .

أما الإيمان الصحيح ، فيدفع هذا الوهم ، ويبدد تلك الظلمة التى ترين على القلب والعقل ، ويعلمه أن الحياة كلها ، وما فيها من وسائل وأسباب ، كلها بيد الله ، يعطيها من يشاء ، ويمنعها من يشاء ، فإذا كانت الحياة كلها بيد الله ، فما بالك بأسبابها ؟ ﴿ **قل إن الأمر كله لله** ﴾[2] .

وبعد : فهذا هو شأن التضحية فى العمل الإسلامى ، كأساس يقوم عليه التطبيق للإسلام ، والممارسة لآدابه وأخلاقه ، إذ لا ممارسة دون تضحية .

جـ ــ الأخوة :

الأخ هو المشارك لآخر فى الولادة من الطرفين ، أو من أحدهما ، أو من الرضاع .

ويستعار لفظ الأخ فى كل مشارك لغيره فى الدين ، أو القبيلة ، أو الصفة ، أو المودة ، أو المعاملة ، وبكل هذه المعانى وردت آيات القرآن الكريم .

---

(١) سورة التوبة : ١١١ .

(٢) سورة آل عمران : ١٥٤ .

قال تعالى : ﴿ **فإن كان له إخوة** ﴾[1] وتلك هى أخوة النسب .

وقال سبحانه : ﴿ **إنما المؤمنون إخوة** ﴾[2] وتلك هى أخوة الدين .

وقال سبحانه : ﴿ **لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا فى الأرض أو كانوا غزى ...** ﴾[3] وتلك أخوة فى صفة الكفر .

والأخوة فى الدين والعقيدة مما ميز الله به الأمة الإسلامية ، حيث جعل المؤمنين بالإسلام ، والعاملين فى سبيله إخوة تربطهم هذه الأخوة برباط متين ، وتوجب عليهم من الحقوق نحو بعضهم بعضا ، ما سبق أن تحدثنا فيه .

والأخوة فى الدين ، واجبة شرعاً ، من مبدأ أن المسلم أخو المسلم .

ومن قول الرسول ﷺ ، فيما رواه البخارى بسنده ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تباغضوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخوانا ، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال »[4] .

كما روى البخارى كذلك بسنده ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « انصر أخاك ظالماً أو مظلوما » قال : يا رسول الله ، هذا ننصره مظلوماً ، فكيف ننصره ظالماً ؟ قال : « تأخذ فوق يده »[5] .

ولقد أقام الإسلام بناءه كله المعنوى والمادى أى الحضارى على عنصرين أساسيين هما :

الإيمان بالله ،

والأخوة فى الدين .

وفى مجال التأكيد على أهمية هذين العنصرين ، جاءت آيات قرآنية كريمة ، وأحاديث نبوية شريفة ، منها :

فى مجال الإيمان بالله قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون** ﴾[6] .

فالإيمان بالله يقوم عليه بناء الحضارة الإسلامية كلها ، من أولها إلى آخرها ، من « لا

---

(١) سورة النساء : ١١ . (٢) سورة الحجرات : ١٠ . (٣) سورة آل عمران : ١٥٤ .

(٤) الإمام البخارى : صحيحه . (٥) الإمام البخارى : صحيحه . (٦) سورة آل عمران : ١٠٢ .

إلٰه إلا الله محمد رسول الله ... » إلى إماطة الأذى عن الطريق ، وما بين هذين الحدين من فرائض ونوافل ، وآداب وأخلاق ، وسلوك ، وأمر بمعروف ونهى عن منكر ، وجهاد فى سبيل الله .

بل الإيمان بالله يعصم المؤمنين العاملين للإسلام ، عن الوقوع فى خطأ التصور للكون والحياة والأحياء والأخلاق والمبادئ ، وهو يُؤمِّن المسيرة ، ويساعد على أن تصل آمنة إلى هدفها ؛ فلا عمل للإسلام من أى مرحلة من مراحل الدعوة ، إلا ومعه الإيمان يهديه ويرشده ، ويعينه على الوصول .

وفى مجال الأخوة قال الله تعالى : ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها** ﴾[1] .

تلك الأخوة ، التى يمتن الله بها على المسلمين ، نعمة كبرى أنعم بها عليهم ، فقد كانوا من قبل متعادين على شفا حفرة من النار ، فألف بالإيمان بين قلوبهم وآخى بينهم فى الدين ، وطالبهم بأن يعتصموا بحبل الله جميعاً .

ولقد كان من أوائل أعمال الرسول ﷺ ، بعد أن استقر فى المدينة المنورة عقيب الهجرة ، أن أقام المسجد ، وآخى بين المسلمين فى وثيقة ، تعد من أهم المعالم البارزة فى الإسلام ، أكد فيها أخوة الدين ، ورفع من قدرها ، وأوضح تبعاتها الثقال .

وهذه الأخوة فى الدين ...

هى فى عرف الأغرار الذين لا يدركون أقرب إلى الخيال منها إلى الحقيقة ،

وفى عرف العقلاء الذين يدركون ، صعبة التنفيذ ، باهظة التكاليف .

ولكنها فى عرف المؤمنين ، وفى الواقع الذى شوهد ، حقيقة وقعت ، وأخوة كانت ، ومورست ولا تزال تمارس حتى اليوم ، ولهذه المعانى ، سمى الإمام « البنا » الجماعة التى أنشأها عام ١٩٢٨ م « الإخوان المسلمون » .

والأخوة فى الله عقد بين طرفين ، كما دلت عليه الوثيقة النبوية ، وهذا العقد النبيل شغل أذهان الفقهاء فى مختلف العصور ، حتى إن بعضهم قد اعتبر الأخوة فى الدين فرضاً من

(١) سورة آل عمران : ١٠٣ .

فروض الدين ، يقول فى ذلك الإمام « أحمد بن تيمية » .

« وأما عقد الأخوة بين الناس فى زماننا ، فإن كان المقصود بها التزام الأخوة الإيمانية ، التى أثبتها الله بين المؤمنين بقوله : ﴿ **إنما المؤمنون إخوة** ﴾ وقول النبى ﷺ : « المسلم أخو المسلم لا يسلمه ولا يظلمه .... » وقوله : « لا يبع أحدكم على بيع أخيه ، ولا يخطب على خطبته » وقوله : « والذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم ، حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » ونحو ذلك من الحقوق الإيمانية ، التى تجب للمؤمن على المؤمن ، فهذه الحقوق واجبة بنفس الإيمان ، والتزامها بمنزلة التزام الصلاة والزكاة والصيام والحج ، والمعاهدة عليها كالمعاهدة على ما أوجب الله ورسوله ، وهذه ثابتة لكل مؤمن على كل مؤمن . وإن لم يحصل بينهما عقد مؤاخاة » [1] .

وللإمام « البنا » فى الأخوة فى الله قوله : « وأريد بالأخوة أن ترتبط القلوب والأرواح برباط العقيدة ، والعقيدة أوثق الروابط وأعلاها .

والأخوة أخت الإيمان ، والتفرق أخو الكفر ، وأول القوة قوة الوحدة ، ولا وحدة بغير حب ، وأقل الحب سلامة الصدر ، وأعلاه مرتبة الإيثار ﴿ **ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** ﴾ الحشر .

والأخ الصادق ، يرى إخوانه أولى بنفسه من نفسه ، لأنه إن لم يكن بهم فلن يكون بغيرهم ، وهم إن لم يكونوا به كانوا بغيره ، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية ، والمؤمن للمؤمن كالبنيان ، يشد بعضه بعضا ﴿ **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض** ﴾ وهكذا يجب أن نكون » .

وبعد : فهل يمكن التطبيق والممارسة فى العمل الإسلامى كله ، وفى هذه المرحلة بالذات ، دون أن تسود العاملين فيه ، هذه الأخوة فى الله والحب فيه ، والتواصى بالحق ، والتواصى بالصبر ، والتناصر والتكافل ؟

أليست الأخوة ـــ بناء على هذا ـــ أساسا ركينا تقوم عليه الممارسة والتطبيق ؟ اللهم بلى .

---

(١) الإمام ابن تيمية : مجموع الفتاوى : ١١ / ١٠١ .

(٢) الإمام البنا : رسالة التعاليم .

د ــ الثقة :

والثقة من قولهم : فلان وثق بفلان ، أى ائتمنه ، وهى التى يعتمد عليها ، فى الأقوال والأفعال .

وثقة الأفراد بعضهم ببعض ، وثقة الأفراد فى القادة ، فى جميع أنواع العمل الإسلامى وفى هذه المرحلة بالذات ، أمر مفروغ من وجوبه ولزومه .

ولقد تحدث الإمام البنا عن الثقة ، فى مجال العمل الإسلامى على مستوى « الإخوان المجاهدين » فقال : « وأريد بالثقة اطمئنان الجندى إلى القائد ، فى كفاءته وإخلاصه ، اطمئنانا عميقا ، ينتج الحب والتقدير والاحترام والطاعة : ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما** ﴾ النساء .

والقائد جزء من الدعوة ، ولا دعوة بغير قيادة ، وعلى قدر الثقة المتبادلة بين القائد والجنود ، تكون قوة نظام الجماعة ، وإحكام خططها ، ونجاحها فى الوصول إلى غايتها ، وتغلبها على مايعترضها من عقبات وصعاب ﴿ **فأولى لهم طاعة وقول معروف** ﴾ .

وللقيادة فى دعوة الإخوان ، حق الوالد بالرابطة القلبية ، والأستاذ بالفائدة العلمية ، والشيخ بالتربية الروحية ، والقائد بحكم السياسة العامة للدعوة .

ودعوتنا تجمع هذه المعانى جميعا .

والثقة بالقيادة هى كل شيء فى نجاح الدعوات ، ولهذا يجب أن يسأل الأخ الصادق نفسه هذه الأسئلة ، ليتعرف مدى ثقته فى قيادته :

١ ــ هل تعرف إلى قائده من قبل ، ودرس ظروف حياته ؟

٢ ــ هل اطمأن إلى كفايته وإخلاصه ؟

٣ ــ هل هو مستعد ، لاعتبار الأوامر التى تصدر إليه من القيادة فى غير معصية قاطعة لا مجال فيها للجدل ولا التردد ، ولا للانتقاص ولا للتحوير ؟ مع إبداء النصيحة ، والتنبيه إلى الصواب ؟

٤ ــ هل هو مستعد لأن يفترض فى نفسه الخطأ ، وفى القيادة الصواب ، إذا تعارض ما أمر به ، مع ما تعلم فى المسائل الاجتهادية ، التى لم يرد فيها نص شرعى ؟

٥ ــ هل هو مستعد لوضع ظروفه الحيوية تحت تصرف الدعوة ؟ وهل تملك القيادة فى

نظره ، حق الترجيح بين مصلحته الخاصة ، ومصلحة الدعوة العامة ؟

وبالإجابة على هذه الأسئلة وأشباهها ، يستطيع الأخ أن يطمئن على مدى صلته بالقائد وثقته به ، والقلوب بيدالله ، يصرفها كيف يشاء ﴿ **لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم** ﴾ الأنفال » .

وبعد : فتلك هى الثقة ، كما تحدث عنها مؤسس جماعة « الإخوان المسلمون » كبرى الحركات الإسلامية فى العصر الحديث ، الرجل الموفق فى أغلب ماكتب ، وما قال ، وما عمل .

وهذه الثقة ــ كما أسلفت ــ أساس ركين كذلك يقوم عليه التطبيق والممارسة فى مرحلة التنفيذ ، بل فى كل المراحل ، ولكنها فى هذه المرحلة بالذات ، لها من الأهمية مايجعلها من أكبر أسباب النجاح والتوفيق .

العنصر الثالث : الاستمرارية

وتتناول نقطتين :

النقطة الأولى : مفهوم الاستمرارية .

والنقطة الثانية : أسسها وهى :

١ ــ الانتماء .

٢ ــ الالتزام .

٣ ــ التواصل بين الأجيال « التوريث » .

٤ ــ الترشيح .

٥ ــ الثبات .

٦ ــ التجرد .

النقطة الأولى : مفهوم الاستمرارية :

المقصود بالاستمرارية فى هذه المرحلة ، المضى فى العمل ، بل الإصرار على التقدم فيه ، لإكماله وتتميمه ، لأن هذا الاستمرار والمضى فى عمل ما ، إكمال لهذا العمل ، وتتميم له ، وبلوغ به إلى غايته .

وأى توقف ، أو قعود ، أو تراخ ، هو تخلٍّ عن العمل ، دون إتمامه ، وإجهاض له قبل أن يتم .

والأصل فى العمل الإسلامى بعامة ، وفى هذه المرحلة بالذات ، أن يكون دائما ومستمرا ، حتى يصل إلى غايته ، والغاية فى العمل الإسلامى ، متجددة أبدا .

فإذا كان بلوغ الهدف فى بعض الأحيان يسمح للعامل أن يتوقف عن العمل ، فإن الهدف فى العمل الإسلامى متجدد دائما ، وبالتالى فإن التوقف غير مقبول ، بل المقبول والمفروض ، هو الاستمرار والمواصلة ، حتى بعد بلوغ الهدف ــ كما سنوضح ذلك فيما يلى .

عندما نضع فى حسباننا أن مراحل الدعوة إلى الله ، وهى كما أسلفنا : تعريف ، وتكوين ، وتنفيذ ، وتمكين ، فإن التأمل فى كل مرحلة منها ، يحتم على القائمين على هذه المرحلة ، الاستمرار فيها ، حتى بعد بلوغ الهدف ، وذلك أن كل مرحلة من هذه المراحل ،

توازى بقية المراحل ، دون أن يكون بين هذه المراحل سابق ولاحق ، أو أول وتال ، هذا من جانب .

ومن جانب آخر ، فإن كل مرحلة يتسع مدى العمل فيها زمانا ومكانا بحيث لا نهاية لها ، ولا هدف بعينه تبلغه ، فيتوقف فيها العمل ، طالما كانت على الأرض حياة بشرية .

ولكى نؤكد صدق هذا الذى نقول ، من ضرورة الاستمرارية فى العمل ، حتى نلقى الله ، ننظر فى المراحل كلها ، لنوضح ذلك فيها .

ففى مرحلة التعريف : أى تعريف الناس بالإسلام ، عقيدة وعبادة ، وخلقا وسلوكا ، لا بد لنا أن نتساءل قائلين :

ماهو خط النهاية فى هذه المرحلة ؟

أى متى يتوقف العاملون عن العمل عند بلوغ خط النهاية ؟ والجواب المنطقى الواقعى المشاهد الملموس هو : عندما لا يوجد على سطح الأرض إنسان لم تبلغه دعوة الإسلام ، ولم يعرف بها تعريفا ، يتناول : العقيدة والعبادة ، والخلق والسلوك .

والسؤال المتولد عن هذه الإجابة الصحيحة هو :

وهل هذا ممكن فى ظروف الحياة البشرية ، التى تقذف فيها الأرحام بالأبناء ، وتشب الأجيال ، وتتوارث الأجيال ؟

والجواب : لا ... إن هذا غير ممكن .

وإذن فإن مرحلة التعريف ، يجب أن تستمر ، تُعَرِّف بالإسلام ، طالما بقيت على ظهر الأرض حياة وتناسل وتكاثر ، وأجيال ترث أجيالا . أى أن الأهداف ، التى يحققها العاملون فى هذه المرحلة ، أهداف متجددة .

فلو حدث توقف فى مرحلة التعريف ، فإنه انتكاس وقعود عن واجب ، بل هناك إثم وحرج أمام الله سبحانه وتعالى .

فإذا نظرنا إلى مرحلة التكوين والإعداد ، وعلمنا أن هدفها هو : إعداد الناس وتربيتهم تربية إسلامية متكاملة ، تتناول كل جوانب حياتهم ؛ الروحية والعقلية والبدنية والخلقية والسلوكية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية والأدبية والمادية ، وكل ما يتصل بحياة الإنسان من سبب .

فإن السؤال الحاسم هنا هو :

متى نعتبر أنفسنا قد بلغنا هذا الهدف ، لنتوقف عن العمل أو نستريح من عنائه ؟

والجواب المنطقى الواقعى كذلك هو :

عندما لا نجد على هذه الأرض إنسانا لم يتم بناؤه ولم تتكامل تربيته .

والسؤال المتولد عن هذه الإجابة الصحيحة هو :

وهل هذا ممكن أو مستطاع ؟

والجواب ــ كذلك ــ لا .

ومعنى ذلك : أن العمل فى مرحلة التكوين مستمر متواصل أبدا ، طالما أن الحياة البشرية مستمرة ، فلو حدث توقف ، فهو انتكاس ، وقعود عن واجب ، وإثم ومعصية كذلك .

وكذلك الشأن فى مرحلة التنفيذ ، التى نحن بصدد الحديث عنها الآن ، لا بد فيها من الاستمرارية ، ومواصلة العمل ، على النحو الذى سنفصله فى حديثنا عن أسس الاستمرارية فى هذه المرحلة ، من الانتماء والالتزام والتوريث والترشيح والثبات والتجرد ، مما نأمل أن نوفق فيه .

وكذلك الشأن فى مرحلة التمكين ، وحكم الناس بما أنزل الله ، إذ أن كل ما فى هذه المرحلة من أعمال ــ على نحو ما سنبينه فى حينه ــ يتطلب الاستمرارية والمواصلة ، والمضى والتقدم أبدا .

وقد يقال : وما الغاية من الاستمرارية فى هذه المرحلة ، وقد تحقق هدف الأهداف من العمل الإسلامى ، وهو الحكم بما أنزل الله ؟

والجواب أن الغاية لا تزال بعيدة وباقية وهى : قيادة البشرية كلها فى طريق الحق والخير والهدى من جانب ، وبذل أقصى جهد ممكن ، من النفس والمال والوقت ، للمحافظة على استمرار الحكم بما أنزل الله سبحانه ؛ وذلك أن أعداء الإسلام ، وأعداء منهجه ، يتجمعون دائما ، ويكيدون لكل مرحلة من مراحل العمل ، الكيد الذى يحبطها ، ويشتت جهود العاملين بها ، أو يقضى عليهم وعلى جهودهم ، فإذا ما كانت مرحلة التمكين ، فإن سعارا من العداء والكيد سوف يستبد بهم ، لينحوا منهج الإسلام عن الحكم ، هكذا علمونا وهكذا

علمنا تاريخهم معنا ، من أيام الفتنة بين المسلمين ، التى زرعوها فى خلافة « على » رضى الله عنه ، وإلى أن تحالفوا من شرق وغرب ، فأسقطوا دولة الخلافة العثمانية ، التى كانت رمزا إسلاميا ، على ما فيها من عوج وأمت ، وإلى إجهاض الحركات الإسلامية فى كل بلد إسلامى ، والحيلولة بين المسلمين وبين ممارسة العمل للإسلام .

ومن نافلة القول : أن ننبه إلى أن العمل الإسلامى ، ما أُتى من معوق ، بمثل ماأُتى من توقف العاملين للإسلام ، عند أهداف مرحلية أو موقوتة ، لأن هذا التوقف يؤدى فى الغالب إلى الانتكاس .

ثم تأتى ـــ بعد هذا الانتكاس ـــ جماعة أو جماعات ، تحاول أن تبدأ من جديد ، لا من حيث انتهى من سبقوها ، وتلك غفلة ، وهكذا يضيع الجهد : ويتبعثر ، وتذروه رياح هوج من سوء الفقه ، ومن التخلى عن الاستمرار فى العمل ، والمضى فيه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

إن التوقف كالتراجع كالانتكاس ، كل منها يؤدى إلى الضياع والضلال والإثم والحرج مع الله ، وكل منها يتولد عن سوء الفقه ، وقصور الفهم ، والذهول عن أن أهداف العمل الإسلامى فى مراحله المتعددة متجددة أبدا .

النقطة الثانية : أسس الاستمرارية :

هذه الاستمرارية التى نتحدث عنها فى مرحلة التنفيذ ، تتطلب ـــ لكى تتم على وجهها الصحيح ـــ انتماء والتزاما ، وتواصلا بين أجيال العاملين ، يؤدى إلى توريث كل جيل ، لما يحمل من خبرات ، للجيل الذى يتلوه ، كما تتطلب همة ونشاطا فى الترشيح لكل عمل من الأعمال ، وثباتا على المبدأ والمنهج من كل العاملين فى هذه المرحلة .

وأخيرا تتطلب تجردا من كل مبدأ أو منهج غير الإسلام ، ومن كل انتماء لغير هذا الدين .

ولكى نفصل القول فى كل واحدة من هذه المتطلبات على حدة ، نقول سائلين الله التوفيق .

١ ـــ الانتماء .

الانتماء فى اللغة : الانتساب والارتفاع .

وفى علم الاجتماع : هو انتماء الفرد إلى جماعة ، وهو رغبة عند الفرد أن ينتمى إلى جماعة ، يتقمص شخصيتها ، ويوجد بها نفسه ، كالأسرة أو النادى أو الشركة أو المصنع أو المركز الممتاز وهكذا ...

والانتماء الذى نعنيه هنا هو : الانتماء إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، والانتماء إلى الإسلام بمعناه العام ، وهو التوحيد ، واتباع محمد ﷺ ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا .

والانتماء إلى العدل والإحسان .

والانتماء إلى كل مادعا إليه منهج الإسلام فى الحياة الدنيا ، ابتداء من الفكر والمعتقد وانتهاء بإماطة الأذى عن الطريق .

والانتماء فى تصورنا ، جدير بوقفة تستوضح أبعاده ، والمجالات التى يمكن أن تسهم فى تكوينه ، فليأذن لنا القارئ الداعية إلى الله ، أن نولى هذا الموضوع شيئا من التوسع ، سائلين الله سبحانه التوفيق والسداد .

والانتماء فى حقيقة وجوده أو ميلاده ، يبدأ مع الطفل والطفولة ، بمجرد أن يحدث للطفل وعى وإدراك لما حوله من ناس وأشياء .

ومنذ تلك الفترة فى حياة الطفل ، يجب أن يؤصل فيه الانتماء إلى الإسلام ، بقدر ما يستوعب فى سنه تلك من الإسلام ، ولا يزال الانتماء إلى الإسلام عنده ينمو ، كلما نما عقله ، ونمت حواسه . ونما حسه الاجتماعى ، فالطفل هو المؤشر الدقيق لأجيال الأمة الإسلامية القادمة .

والطفل كان وينبغى أن يظل موضع اهتمام المصلحين والمربين من المسلمين اليوم ، إذا أرادوا أن يكون لإصلاحهم نتيجة إيجابية طيبة ، وذلك أن بناء الطفل بناء صحيحا ، يرتكز أساسا على انتمائه ، بل على تأصيل هذا الانتماء إلى دين الإسلام ومنهجه ونظامه .

ونحن لا نقول بذلك ، لأن الأمم الأخرى تفعله — إذ تحرص أمم الغرب كلها على توجيه الأطفال للكنائس ، منذ زمن باكر من حياتهم ، ليزرعوا بذلك : الانتماء إلى دينهم فى نفوسهم منذ نعومة أظفارهم ، كما تحرص الأمم الشرقية « الشيوعية » على أن يلقن الطفل

منذ نعومة أظفاره تعاليم « ماركس ولينين » فى البيت والمدرسة والشارع ، وكل مرفق من مرافق الحياة ...

نحن لا نقول بالاهتمام بالانتماء عند الطفل ، لأن غيرنا يفعله ، وإنما نقوله ، لأنه الوضع الأمثل لنهوض الأمة الإسلامية من رقدتها ، وانطلاقها من قيودها التى فرضها عليها عدوها فى فترات ضعفها ، بابتعادها عن دينها ومنهجه ونظامه .

وفى سبيل توضيحنا لهذا الانتماء ، لا بد من تحديد الأماكن أو المؤسسات ، التى تسهم فى بناء الانتماء بناء جيدا ، وهى فى تصورنا أربعة :

البيت ،

والمدرسة الأولى ،

ومراحل التعليم التالية .. ووسائل الإعلام .

ولكل منها عمل جليل القدر ، عظيم الأثر ، فى الانتماء إلى دين الإسلام ، ولنتحدث عنها واحدة واحدة ، ممهدين لذلك بالأسباب التى تجعل الانتماء إلى الإسلام ، لا إلى غيره ، هو الذى يحقق للإنسان صلاح دنياه وآخرته ، وبالتالى يكون تأصيل الانتماء إلى الإسلام ، هو الهدف الكبير لكل مصلح أو مرب من المسلمين .

أسباب الانتماء :

وهذه الأسباب على وجه الإجمال فى تصورنا هى :

السبب الأول : عالمية هذا الدين وعموميته للبشرية كلها .

فهو دين الله إلى الناس أجمعين من لدن نزل على محمد ﷺ ، الوحى به ، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، دون تقيد بزمان أو مكان ولا جنس ولا لون .

وقد ترتب على ذلك أن أضحت البشرية كلها ، مطالبة بالدخول فى دين الله ، والإيمان بتفاصيل ماجاء به محمد ﷺ ، بل أصبح من المقطوع به لدى أصحاب البصر والبصيرة ، أن هذه البشرية لا ملجأ لها ولا منجى إلا بهذا الدين .

والأصول الشرعية التى تؤيد ذلك كثيرة [1] نذكر منها ما يلى :

(١) للمؤلف فى ذلك كتاب موسع بعنوان « عالمية الدعوة الإسلامية » فى جزءين نشره فى طبعته الأولى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر عام ١٩٦٩ م بعنوان : « الدعوة الإسلامية دعوة عالمية » ونشرت طبعاته التالية بعنوان =

قال الله تعالى : ﴿ **قل يأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون** ﴾ (١) .

وقال سبحانه : ﴿ **وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ (٢) .

وقال جل شأنه : ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ (٣) .

السبب الثانى : كمال الدين وإتمام الله له وإعطاؤه الهيمنة على الدين كله ، بحيث أصبح كل ما يصلح هذه الإنسانية ، ويحقق لها الخير ، فى معاشها ومعادها ، فى حاضرها ومستقبلها ، لا تستطيع أن تلتمسه إلا فى هذا الدين ، ولم يعد بالناس حاجة ــ وقد أنعم الله عليهم بهذا الدين ــ أن ينظروا فى دين آخر فضلا عن أن يعتنقوه ويدينوا به ، إذ كل ما أنزل الله من خير على رسله قبل محمد ﷺ ، جزءا جزءا ، جاء فى هذا الدين كاملا تاما ، والآيات القرآنية الدالة على ذلك كثيرة منها :

قوله تعالى : ﴿ **هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون** ﴾ (٤) وقوله سبحانه : ﴿ **هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا** ﴾ (٥) .

وقوله جل شأنه : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا** ﴾ (٦) .

السبب الثالث : تميز هذا الدين ، بأن جعله الله ناسخا لما قبله من الأديان والشرائع ، وطالب الله كل أمة بأن تترك مالديها من دين ونظام ، وتتبع ماجاء به محمد ﷺ ، إن هى أدركت مجيئه ، لمشيئته سبحانه أن تكون شريعة الإسلام ، ناسخة لما سبقها من الشرائع ، كاليهودية والمسيحية وغيرهما .

والآيات القرآنية الدالة على ذلك كثيرة منها :

= « عالمية الدعوة الإسلامية » وفيه تفصيل شديد لهذا الموضوع .

(١) سورة الأعراف : ١٥٨ . (٢) سورة سبأ : ٥٨ . (٣) سورة الأنبياء : ١٠٧

(٤) سورة الصف : ٩ . (٥) سورة الفتح : ٢٨ . (٦) سورة المائدة : ٣ .

قوله تعالى : ﴿ **الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم ....** ﴾[(١)] .

وقوله سبحانه : ﴿ **ياأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم** ﴾[(٢)] .

السبب الرابع : ميز الله هذا الدين بأنه خاتم الأديان ، وبأن رسوله محمدا ﷺ ، خاتم الأنبياء والمرسلين ، ومعنى هذا أن الكمال والتمام ورضا الله سبحانه قد حصل بهذا الدين دون غيره من الأديان ـــ فضلا عن النظم ، ومعنى ذلك أن كل من يدعى نبوة بعد محمد ﷺ ، فهو كذاب أشر وأفاك مبين ، قال الله تعالى : ﴿ **ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما** ﴾[(٣)] .

السبب الخامس : مادام الدين الإسلامى ، قد تميز على سائر الأديان التى سبقته ، فمن الضرورة أن يكون متميزا على سائر المناهج والنظم والنظريات الوضعية ، سواء أكان واضعو هذه النظم ، حكماء فلاسفة ، أم زعماء مصلحين ، أم علماء اجتماع .

فغاية ما يمكن أن يصل إليه الحكماء هو : إثراء الجانب النظرى الفكرى من الحياة ـــ مع مابينهم فى ذلك من اختلاف ـــ بينما الجانب العملى من الحياة لا يحظى منهم بالاهتمام ، بل ربما حظى من بعضهم بالازدراء .

فهل يمكن أن يعيش الناس على فكر هؤلاء الحكماء وحده ، دون ضرورات الحياة العملية ومجالاتها ؟

وغاية مايمكن أن يصل إليه الزعماء والمصلحون ، أن يسنوا للناس قانونا ، أو نظاما يرضى حاجة الحكام أولا ثم حاجة الناس من بعد ، بل إنه يرضى حاجة الناس فى زمن بعينه ، وفى وطن بعينه ، فإذا خرج الناس بهذا النظام إلى أزمنة أخرى ، أو أوطان أخرى ، فإنما هى الحرب والصراع الذى تجره الأطماع والنظم القاصرة .

---

(١) سورة الأعراف : ١٥٧ .   (٢) سورة المائدة : ١٥ ـــ ١٦ .   (٣) سورة الأحزاب : ٤٠ .

وغاية مايصبو إليه علماء الاجتماع ، أن يتفقوا على القيم الخلقية التى يجب أن تسود الناس ، وتاريخهم لا يشهد لهم أبدا بالاتفاق على ذلك ، إذ هم مدارس ومذاهب ، فالنفعيون منهم ، يرون أن الخلق هو السلوك الذى يحقق أو يجلب النفع لسالكه دون نظر إلى الآخرين .

والطبيعيون منهم ، يرون الخلق هو السلوك الذى يحقق حاجات البدن ، وينفس عن غرائزه ـــ يعنى شيئا قريبا مما يفعل الحيوان .

والاجتماعيون منهم ، يرون الخلق هو السلوك الذى يحقق صالح الجماعة ، ولو كان على حساب الفرد .

والوجوديون منهم ، يرون الخلق هو الفوضى والانعتاق من كل نظام .

والعقليون يرونه ماحاكى المثال ـــ ولكن ماهذا المثال ؟

والصراع بين هذه المذاهب قديم ووسيط وحديث ومستمر ، لا يبشر بأى اتفاق .

أما الشريعة الإسلامية ، فقد جاءت لهذه القضايا بالتصور الصحيح ، والمنهج المحكم ، القادر على أن يصلح للناس معاشهم ومعادهم ، بل المنهج الحاسم لكل هذه الاضطرابات ، فى الفكر والقانون والخلق ؛ لأنه متفرد من بين المناهج ، بأنه يقيم حياة الناس على الإيمان بالله ، وعبادته وفق ماشرع ، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر ، ويلزم العقلاء من الناس ، بالدخول فى دين الإسلام ، وتحقيق أركانه وآدابه ، ويطالبهم بالعدل والإحسان ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والجهاد فى سبيل الله ؛ لتكون كلمة الله هى العليا ، والتحاكم إلى هذا المنهج فى كل صغير وكبير من حياتهم ، وهو بهذا منهج متفرد متميز على سائر المناهج .

ثم إن الله سبحانه ، قد يسر هذا المنهج على الآخذين به ، إذ فطرهم الله سبحانه على التجاوب مع هذا المنهج ، ويسر كل مافيه ، ليوائم هذه الفطرة .

وكل انحراف عن هذا المنهج ، هو انحراف عن الفطرة التى فطر الله الناس عليها .

وإن نظرة إلى مفردات هذا المنهج ، فيما يشتمل عليه من فكر أو نظام أو خلق ، لتؤكد للمنصف من الناس ، أنه لا صعوبة فيه ، ولا غلو ولا تساهل فيه ، ولاتسيب ، بل هو القادر على أن ينظم الحياة ، ويجعلها أيسر وأسلس ، ففيه التوازن والتلاؤم بين الأخذ

والعطاء ، فى حين أغلب المناهج يختل عندها التوازن فى التعامل مع هذين الحدين ـــ الأخذ والعطاء أو الواجب والحق .

وبعد : فإذا كانت تلك ميزات الإسلام على غيره من الأديان والنظم ، وذاك تفرده ويسره ، ألا يكون الانتماء إليه ، محققا للنجاح والفلاح ، وسعادة الدنيا والآخرة ؟ .

هذا ماينبغى أن نقذفه فى قلوب الأطفال ، منذ خطواتهم الأولى على درب الحياة الإنسانية ، بل هذا هو تأصيل الانتماء ، بحيث يكون هذا التأصيل حاجزا بينهم فى المستقبل ، وبين الانتماء إلى غير الإسلام .

ولنأخذ الآن فى الحديث عن المؤسسات ، التى يتم فى داخلها الانتماء ، والتى أشرنا إليها آنفا فى أنها : البيت والمدرسة ووسائل الإعلام .

مؤسسات الانتماء :

أ ـــ البيت والانتماء :

البيت أو الأسرة ، هو المحضن الأول للطفل ، ومنه يمتص قيمه وأخلاقه ، عن قصد أو عن غير قصد ، ثم تترسب فيه هذه القيم حتى يشب ، فيفرزها سلوكا فى المجتمع ناشئا ويافعا وشابا ورجلا .

والبيت قوامه الأبوان ، ولكى يحسن الأب تربية ابنه ، ويؤكد فيه الانتماء للإسلام ، فإن عليه ـــ قبل أن يولد هذا الطفل ـــ أن يكون قد أحسن اختيار الزوج الصالحة ، ذات الدين ، التى تحسن تربية أبنائها ، وإعطاءهم القدوة من سلوكها .

وقد حث الإسلام على حسن اختيار الزوج بأكثر من نص ، فقد روى الإمام البخارى بسنده ، عن رسول الله ﷺ ، أنه قال : « تنكح المرأة لأربع ؛ لمالها وحسبها ولجمالها ودينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك » وذات الدين هذه هى : الزوجة الصالحة أو الأم الصالحة ، فقد روى ابن ماجه بسنده ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ماستفاد المؤمن ، بعد تقوى الله ، عز وجل ، خيرا له من زوجة صالحة ، إن أمرها أطاعته ، وإن نظر إليها سرته ، وإن أقسم عليها أبرته ، وإن غاب عنها نصحته فى نفسها وماله » .

وكذلك أولياء الزوجة ، ماينبغى لهم أن يرضوا بزوج ، إلا أن يكون ذا دين ، فقد روى الترمذى بسنده ، عن رسول الله ﷺ ، أنه قال : « إذا جاءكم من ترضون دينه وأمانته ، فزوجوه ، إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير » .

فإذا أقيم البيت المسلم على هذه الأسس الإسلامية ، فكيف يؤصل فى الأبناء الانتماء إلى هذا الدين ؟

إن الانتماء إلى الإسلام ، قد بدأ فعلا مع الطفل ، قبل أن يولد ، حين أحسن الأب اختيار الأم ، ثم يستمر هذا الانتماء واجبا أساسيا ، على الأبوين معا ، نحو أطفالهما ، انطلاقا من قوله تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة** ﴾[1] .

فالآية تأمر كل إنسان أن يقى نفسه وأهله وذويه النار ، وإنما تكون هذه الوقاية بالعمل الصالح والنصح والقيام بأعباء المسئولية .

وأخرج ابن جرير من حديث ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : اعملوا بطاعة الله ، واتقوا معاصى الله ، ومروا أولادكم بامتثال الأوامر ، واجتناب النواهى ، فذلك وقاية لهم ولكم من النار .

وإن التأمل فى حياة الطفل المسلم ، ليؤكد أن عملية انتمائه للإسلام ، ملازمة له ، منذ اختيار أمه مسلمة صالحة .

ثم عند ولادته أو قبلها ، عليهم أن يحسنوا اختيار اسمه .

وأن يكون أول مايسمع : لا إله إلا الله ، فقد روى الحاكم بسنده ، عن ابن عباس رضى الله عنهما ، عن النبى ﷺ ، أنه قال : « افتحوا على صبيانكم أول كلمة ، بلا إله إلا الله » .

وروى البيهقى بسنده ، عن الحسن بن على رضى الله عنهما ، عن النبى ﷺ ، أنه قال : « من ولد له مولود ، فأذن فى أذنه اليمنى ، وأقام فى أذنه اليسرى ، لم تضره أم الصبيان » وأم الصبيان الريح التى تعرض للولد ، أو هى القرينة من الجن .

وفى الحديث النبوى الصحيح : « حق الولد على الوالد ، أن يحسن اسمه ويعلمه الكتابة ، ويزوجه إذا بلغ » .

ويؤكد هذا الانتماء ، تربية الأولاد ، على حب رسول الله وآل بيته ، وتلاوة القرآن الكريم ، فقد روى الطبرانى عن على رضى الله عنه ، أن النبى ﷺ ، قال : « أدبوا أولادكم

---

(١) سورة التحريم : ٦ .

على ثلاث خصال : حب نبيكم ، وحب آل بيته ، وتلاوة القرآن ، فإن حملة القرآن فى ظل عرش الله ، يوم لا ظل إلا ظله ، مع أنبيائه وأصفيائه » .

هكذا ينشأ الطفل فى الإسلام وكل ماحوله يؤكد فيه الانتماء إلى هذا الدين ، وفى هذه الطفولة منذ المولد إلى العاشرة من عمر الطفل ، تتكون مراجع الطفل المسلم فى بيته وهى :

١ ـــ التوحيد ،

٢ ـــ والعبادات ،

٣ ـــ وسيرة النبى ﷺ ،

٤ ـــ وتلاوة القرآن الكريم .

وينبغى أن لاتزاحم هذه المراجع ، مراجع أخرى ، وإلا اهتز هذا الانتماء إلى الإسلام ، فإن كانت هناك حاجة إلى مراجع أخرى ، إنما تأتى بعد ذلك ، أى بعد تكوّن الانتماء إلى الإسلام لدى الطفل .

وتلك المراجع ، التى يجب أن يقتصر عليها مع أطفالنا المسلمين ، هى التى تتمشى مع الفطرة التى فطر الله عليها عباده ، روى البخارى بسنده ، أن رسول الله ﷺ ، قال : « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه » .

فهل تأخذ هذه المراجع من بيوت المسلمين مكانها الصحيح ؟

وهل يجد البيت المسلم فى كتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ وسيرته ، مراجع ينشأ عليها الأبناء ؟ أم أنه يزاحم بمراجع أخرى ، ومفردات أخرى ، من حضارات أخرى ، ومناهج أخرى ، فيتخرج الأبناء من بيوتهم ، وقد اضطربت المراجع لديهم ، وزاحم الفاسد منها الصحيح ؟

فإن حدثت هذه المزاحمة ، فكيف نؤصل فى نفوس أبنائنا ، الانتماء إلى الإسلام ؟

إن واقعا مرا يعيشه البيت المسلم الآن ـــ مستهل القرن الخامس عشر الهجرى ـــ يبعد بالبيت عن دين الإسلام ومنهجه ونظامه ، لتتلقفه الأديان والنظم والمناهج المعادية التى تكيد للإسلام والمسلمين .

إن الثقافة الغربية المادية بكل معطياتها ومراجعها ـــ وهى ثقافة وضعية ـــ تحتل فى البيت المسلم ومن الطفل المسلم مكانا بارزا ، يجعل الانتماء إليها فى كثير من البيوت ، أهم وأولى

من الانتماء إلى ثقافة الإسلام ومنهجه ونظامه .

إن المؤسف حقا ، أن مايحويه البيت المسلم ، من مراجع الثقافة الغربية ، أكثر مما يحويه من مراجع الثقافة الإسلامية .

بل إن الثقافة الشرقية ، التى تلج بيوت المسلمين ، لتجد فيها مكانا بارزا ، على الرغم من أنها تقوم على الإلحاد ، والتنكر للدين أى دين .

إن هذه الثقافة الشرقية الملحدة ، قد نافست الثقافة الغربية المادية فى بيوت المسلمين ، من يوم سمح لها المشئوم من حكام هذه الحقبة ، بأن تندس إلى حياة المسلمين ، وأن تشكل مراجع ثقافية لهم ، لقد مكن هذا المشئوم ـــ على المسلمين ـــ لموجة عاتية من الإلحاد والانحلال ، والضلال الفكرى ، والإرهاب الثقافى ، أن تشوه عددا كبيرا من الأجيال من أطفال المسلمين ، باسم التقدمية والاشتراكية ، وسيطرة الدولة على وسائل الإنتاج ، وتحويل الأمة إلى منافقين يرهبون طغيانه ، ويخافون سجونه ومعتقلاته ، وأدوات تعذيبه ، فسكتوا عن الحق ، فتحول ولاء المنحوسين من هذه الأجيال إلى هذا الفكر الضال ، وهذه المناهج الفاشلة .

وقد أسهمت فى هذا التحويل ، مؤسسات التعليم التابعة الذليلة ، ورجال الفكر المتهورين المرتعدين من سطوة الإرهاب ، ووسائل الإعلام الصادحة بالباطل ، لقد أسهم هؤلاء جميعا فى تحويل انتماء أطفالنا من الإسلام إلى الاشتراكية ، وسيطرة الدولة على وسائل الإنتاج .

ومن الجدير بالاهتمام ، أن الثقافتين الغربية المادية ، والشرقية الإلحادية ، تتنافسان على الصدارة فى بلاد المسلمين ، وهم أصحاب أعرق ثقافة ، وأحفلها بكل مايحرر الإنسان من الإرهاب والخوف والضياع .

وكل من هاتين الثقافتين فى العالم الإسلامى كله ، تستعين بحاكم جاهل ذاهل ، عن أصالة أمته وتراثها وغناها منهجا ونظاما ، فيتيح بجهله وذهوله ووسائله ، وآلاته فى الإرهاب لأعداء الإسلام ، مايمكن لهم من طرد الثقافة الإسلامية ، وتحويلها فى بلدها ومع أبنائها ، إلى ثقافة غريبة .

وكأن ساحة العالم الإسلامى ، قد خلت من منهج الإسلام ونظامه وثقافته ومراجعه

ومفرداته الغنية ، التى تكمن فى الكتاب والسنة والسيرة النبوية وتاريخ الصحابة والتابعين والسلف الصالح .. !!! أليس هذا داعية عجب ودهشة ؟

وأليس هذا بالتالى ، داعية إصرار على ضرورة التغيير نحو الأحسن ، وهو منهج الله ونظامه ، وثقافة الإسلام ومراجعه والانتماء إليه ؟

أعتقد أنه قد وضح الآن ، ماذا يجب على البيت المسلم أن يفعل ، فى مجال الانتماء إلى الإسلام ، وتأصيل هذا الانتماء فى نفوس أطفالنا مستقبل أمتنا الإسلامية .

إن عمر الطفولة ــ مرحلة ماقبل البلوغ ــ يجب أن تصان فيه عقول أبنائنا عن أى غذاء ثقافى غير منتم للإسلام ، بل يجب أن تصان ألسنتهم فى هذه السن عن أى لغة غير لغة القرآن .

إن هذه الصيانة عن هذا وذاك ، تأصيل لإسلاميتهم ، وتنقية لهم من غزو مبكر لعقولهم وألسنتهم وانتمائهم ، لايدركون أثره ، إلا وهم رجال ينتمون إلى غير دينهم ، وقد طرحوا أنفسهم فى متاهات الثقافات المعادية ومراجعها ومفرداتها ، فإذا بهم ينتمون إلى الإسلام بأسمائهم وألقابهم وكناهم ، دون أفكارهم وقلوبهم وأخلاقهم وسلوكهم ، وإذا فيهم من يعارض تطبيق شريعة الإسلام على الناس .

وهذا فى حد ذاته ، سبب جوهرى من أسباب ضعف المسلمين اليوم ، وقعودهم عن القيام بأعباء دينهم ومنهجهم ونظامهم وحضارتهم ، أى عن أى مستقبل مشرق لهم .

ب ــ المدرسة والانتماء :

ماذا تفعل المدرسة لتأصيل الانتماء إلى الإسلام ؟

إن المدرسة تسهم فى بناء الأطفال إسهاما له أثره ، بل له خطره ، فإذا كانت سن الذهاب إلى المدرسة هى السادسة ــ غالبا ــ فإن كثيرا من عقيدته وقيمه ومبادئه وأخلاقه وسلوكه وثقافته ومراجعه ، سوف يمتص من المدرسة ، وسوف يزحم ما جاء به من البيت ، وربما تغلب عليه وطرده ، وتربع فى مكانه .

وإذا كانت المدرسة الأولى قادرة على تشكيل الطفل روحيا وعقليا وجسديا وخلقيا واجتماعيا ، فإن مراحل التعليم ، التالية لهذه المدرسة الأولى ، تقوم كذلك بجانب هام من هذا التشكيل ، وبخاصة فيما يتصل بالجوانب العقلية والمعرفية والقومية من شخصية المتعلم .

وعلى ما للمدرسة الأولى من خطر وجلال فى قضية الانتماء ، فإن المراحل التعليمية التالية ، تسهم كذلك فى تأصيل هذا الانتماء ، أو إهماله ، من خلال ما تقدمه هذه المؤسسات التعليمية للمتعلمين من قيم ومبادئ وأخلاق ، بل من خلال طرق البحث العلمى و التجريبى ذاتها ، ومن خلال العلاقات الاجتماعية التى يجب أن تسود تلك المؤسسات التعليمية المتعددة .

وإن نظرة فى محتوى مناهج التعليم فى هذه المؤسسات ، وفى اللغة التى تتعامل بها هذه المؤسسات ، لتؤكد لنا : إن كانت تلك المناهج واللغة ، قادرة على تأصيل الانتماء إلى الإسلام ، أم قادرة على تبديده وإهداره .

إن المدرسة فى المجتمع المسلم ، عليها أن تضع نصب أعينها ، تأكيد الانتماء إلى الإسلام وتأصيله ، بأمرين اثنين لا يمكن تجاهلهما ، أو تجاهل أحدهما أو التقليل من شأن أهميتهما فى تأكيد الانتماء .

هذان الأمران هما :

اللغةالسائدة ،

ومنهج الإسلام فى الحياة .

ولكل منهما حديث :

أما اللغة :

فإنه يجب أن يعلم علم اليقين ، أن لغة التعليم فى المدرسة ، ولغة التخاطب فيها ، ولغة الحياة عموما فى المدرسة ، يتحتم أن تكون هى لغة القرآن العربية .

فليس خافيا على ذوى الأبصار والبصائر خطر الأثر ، الذى تتركه اللغة فى صياغة الإنسان ، فكره وثقافته وسلوكه .

وليس معقولا ولا منطقيا ، أن تكون اللغة فى المدرسة متعددة بتعدد من يقومون بالتدريس لفروع المعرفة ، لأن معنى هذا ألا تكون لدى التلميذ لغة يجيدها ، لأن مايبنيه مدرسو اللغة العربية ، يهدمه من يدرسون فروعا أخرى ، ومادامت اللغة العربية فى المدرسة ليست لغة التدريس كله ، فلن يتعلمها فضلا عن أن يجيدها أحد ، إلا النادر الذى لا حكم له .

وإن أعداء الأمة الإسلامية ، هم الذين خططوا لإقصاء اللغة الفصحى ، عن ألسنة

المتعلمين وألسنة الناس عموما ، حتى الكتاب وأصحاب الأقلام ، فهم الذين شجعوا اللهجات العامية ، حتى قال قائلهم دون حياء : « إن سر تخلف العرب عن أوربا فى القرن العشرين ، هو تمسك العرب بالفصحى ، ولو لجأوا إلى العامية ، لواكبوا أوروبا فى نهضتها » [1] ومن عجب أن وافقه على ذلك ، عدد من أبناء هذه اللغة ، فدعوا إلى الكتابة بالعامية ، بحجة التيسير حينا ، ومواكبة أوروبا فى نهضتها حينا ، بل إن بعضهم مارس الكتابة بالعامية فى مؤلفاته فعلا .

إن دعاة العامية استهدفوا أمورا على درجة قصوى من الخطر ، نذكر من أهمها ما يلى :

أولا : إقصاء اللسان العربى الفصيح ــ لغة القرآن الكريم ــ عن مجال التفكير والتعبير ، لإخمال لغة القرآن ، ثم قطع اللسان العربى عن معينه الثر ، ومصدره الغنى ، وهو القرآن الكريم ، وفى ذلك إبعاد للمسلمين عن دينهم وتراثهم وحضارتهم .

ومما لا شك فيه أن العربية لغة الإسلام ، وأن المسلم فى أى وطن ، ومهما تكن لغته ، لا يجوز له أن يصلى بغير العربية ، ولا أن يقرأ القرآن بغيرها .

وكذلك فإن تراث المسلمين وحضارتهم ومفردات ثقافتهم كلها ، قد سجلت بالعربية الفصحى ، فإذا ابتعد المسلمون عن الفصحى ، بالعامية أو غيرها ، استغلق عليهم فهم دينهم وتراثهم وحضارتهم ومفردات ثقافتهم .

ثانيا : تمزيق وحدة الأمة العربية وجعلها قبائل وأقاليم ومحليات ، إذ المشكلة المستمرة مع هذه الدعوة الآثمة هى : أى عاميات البلدان العربية تسود ، وتصبح لغة فكر وكتابة وأدب ؟ وما الذى يميز عامية عن أخرى ؟

لا ... إن الهدف الحقيقى ، هو أن يتعادى أبناء هذه العاميات ، وأن يختلفوا ، وأن تستيقظ فيهم العصبيات والقوميات ويعودوا إلى جاهلية جهلاء .

ثالثا : عزل العرب عن المسلمين فى العالم الإسلامى ، لأن العالم الإسلامى كله ، يتطلع إلى العرب على أنهم أبناء لغة القرآن ، وحماتها والذادة عنها ، وهم من أجل ذلك مطالبون بنشر هذه الفصحى بين ربوع العالم الإسلامى ، فإذا فقدوا هذه الخاصية ، فما حاجة العالم الإسلامى إليهم ؟

---

(١) هو : ويلككس الإنجليزى أول رئيس تحرير لمجلة الأزهر قال ذلك فى حفل بحديقة الأزبكية عام ١٩٢٦ م .

وإذا انعزل العرب عن المسلمين ، أو المسلمون عن العرب ، فإن الأمة الإسلامية تكون قد فقدت ربع عددها أو ثلثه ، فيفت ذلك فى عضدها ويباعد بينها وبين الوحدة الإسلامية المنشودة .... وذاك هو الهدف لأعداء الأمة الإسلامية .

لقد كان الأصل فى العالم الإسلامى أن يكون كله أمة واحدة ، ليستغنى بما منحه الله من خيرات ومقدرات عن الاحتياج إلى أعدائه ــ ولقد تأكد لكل من كان على علم بالاقتصاد ، أن مقدرات العالم الإسلامى الاقتصادية ــ وبخاصة فى المواد الأولية ــ تمكنه من أن يعيش تكاملا اقتصاديا ، يغنيه عمن سواه .

غير أن الأعداء فرقوا كلمة المسلمين ، وجعلوا بعضهم يعادى بعضا ، حتى آل أمر الأمة الإسلامية إلى ثلاث وأربعين دولة ــ كان الأصل فيها أن تكون دولة واحدة .

إن الدعوة إلى العامية خطر ماحق ، وإن محاصرة هذه الأخطار لا بد أن تبدأ بالمدرسة الأولى ، ثم تتدرج هذه المحاصرة فى سائر مراحل التعليم .

وإن البيت ووسائل الإعلام لا بد أن يعاضد المدرسة فى ذلك .

وأما الأمر الثانى وهو :

منهج الإسلام فى الحياة ، وما فى الالتزام من تعزيز الانتماء للإسلام ، فإن على المدرسة أن تولى هذا المنهج عناية ، فى كل ما تقوم به من تربية وتعليم ، وتثقيف للتلاميذ .

ومنهج الإسلام فى الحياة ، لم يدع شيئا يمر على حياة المسلم ، إلا وضع له النظام ، وأحاطه بالقيم والآداب ؛ فالمطعم والمشرب والملبس ، والفكر والعلم والثقافة ، والخلق والسلوك والقول والعمل ، كل ذلك ، وضع له النظام الذى يوصله إلى هدفه ، دون إبطاء أو إسراع .

والعلاقات بين الناس ، صغارا وكبارا ، أقرباء وغرباء ، معلمين ومتعلمين كل ذلك أحاطه بسياج من الخلق متين .

وكل هذا وذاك حدد المنهج له المعالم ، وأوضح الغايات ، وحدد الوسائل ، صنع كل ذلك ، ليجلب للناس كل خير ، وليدفع عنهم كل شر .

وإذا كان منهج الإسلام بهذا الشمول ، وذاك الاكتمال ، فكيف السبيل إلى الانتماء

إليه ، مالم تكن المدرسة فى مختلف مراحلها ، قد وضعت ذلك نصب أعينها ، من خلال المناهج والقائمين عليها .

والمدرسة الأولى أهم فى تأكيد الانتماء وتأصيله من المدارس التى تليها ، لأنها هى التى تضع الأساس ، والمتعلم فيها لا يزال قابلا للتشكيل ...

أما المراحل التالية ، فإنها تركز على تغذية العقل ، وتنمية الثقافة ، بعد أن تم التشكيل النفسى والعقلى والعاطفى أو كاد .

والانتماء وإن كان يجب أن يبدأ فى البيت والمدرسة الأولى ، فإن الاستمرار فى غرسه فى عقول المتعلمين وقلوبهم واجب دائما .

المنهج الإسلامى للحياة كلها ، يجب أن تشتمل عليه مناهج التعليم فى المدارس كلها ، المناهج بمعناها العام ، الذى يتناول الخطة والكتاب ، والطريقة والمعلم والمكان والزمان .

إذا عدلت هذه المناهج ، فأصبحت تستهدف مادعا إليه الإسلام فى الحياة ، وأزيل عنها ذلك اللبس ، الذى يوهم الطلاب ، أن غير المنهج الإسلامى قد يغنى عنه ، أو أن المنهج الإسلامى ينقصه كذا وكذا ...

إذا عدلت المناهج ، فأصبحت خالية من الزيف ، الذى دسه بعض الحاقدين على الإسلام من دعاة التغريب ، الذين يريدون أن يذوب المسلمون ، ويناع منهجهم فى الحياة فى مناهج الغرب ...

إذا عدلت المناهج ، لتخلو من زعم الزاعمين ، أن فى تطبيق المنهج الإسلامى قسوة وضراوة ؛ إذ يرجم الزانى المحصن ، ويقتل القاتل ، ويقطع يد السارق ، ولتناقش هذه التهم والمفتريات وتردها إلى الحق ... إذا خلت المناهج من هذا الزيف وعلمت الناس أن كل حرية يمارسها إنسان ، يجب أن تكون ممارستها فى ظل عدم الإضرار بالآخرين ...

إذا حدث هذا ، كان الانتماء إلى الإسلام ، من خلال هذه المناهج ، انتماء مقنعا ، يقوم على أساس علمى متين .

وليس معنى كلامنا هذا ، أن المسلمين يجب أن ينغلقوا عن العالم المحيط بهم ، لأن ذلك لو كان مستطاعا فهو غير مفيد ، ولكن مع الانفتاح على الحياة كلها ، يجب أن يكون انتماؤنا لديننا ومنهجنا ، لما سبق أن قدمناه من أسباب .

إن ظاهرة لايستطيع أن ينكرها منصف ، هى أن عددا من المسلمين ــ ليس بالقليل ــ ينتمون إلى الغرب وإلى ثقافته ، بل إلى عاداته وقيمه ــ وهى بالقطع مختلفة عما جاء به الإسلام ــ هؤلاء ... من المسئول عن تحويل انتمائهم من الحق إلى الباطل ؟

أنستطيع أن نبرئ المدرسة من ذلك ؟

أنستطيع أن نبرئ الجامعات من ذلك ؟

إن ظاهرة أخرى يجب أن نعترف بها هى : أن الذين سيطروا على التعليم ومناهجه فى بلاد المسلمين ، كانوا من أعداء المسلمين ، فعاثوا فى مدارسنا ومناهجنا فسادا ، وربى على هذه المناهج رجال ، لايزالون أذنابا وأتباعا لهؤلاء الأعداء ، يرددون قالاتهم على الإسلام والمسلمين .

إن التأخر الحقيقى للأمة الإسلامية اليوم ، من أسبابه ، أن فريقا من أبنائها لا ينتمون إلى دينهم الإسلامى ، ولا إلى لغة القرآن الكريم ، ومع ذلك فمنهم من انتهت إليه بعض المقاليد ، فتصدر ومارس السلطة ، فكان وبالا على أمته ودينه ، ومنهج هذا الدين فى الحياة .

إنه لمن المستبعد ، أن تقوم للأمة الإسلامية قائمة ، تضعها على الطريق الصحيح ، إلا إذا تأكد لأبنائها انتماؤهم ، لدينهم ولغتهم لغة القرآن ، فقد كانت تلك دعائم نهضة المسلمين فى الماضى ، يوم دان لهم شرق العالم وغربه ، ولا تزال هذه الدعائم ، هى الترياق الذى يشفى من داء التخلف والتأخر ، والانتكاس والتبعية ، وضياع الحاضر ، وعدم الثقة فى المستقبل .

إن المدرسة الأولى ، والمدارس التى تليها إلى الجامعات مسئولة ، عن أن تحقق لأبناء الأمة الإسلامية انتماءهم الصحيح ، إلى الإسلام منهجا ولغة ونظاما .

جـ ـ الإعلام والانتماء :

الإسلام سلوك وأخلاق ، تتمثل فيهما العقيدة والقيم التى جاءت من عند الله ، وعبادة الله سبحانه وفق شريعته ــ وهى التى خلق الناس لأجلها ــ تتطلب من العابدين أن يتعامل كل منهم مع نفسه ، ومع الناس ، فى ضوء السلوك الإسلامى الراشد .

وكلما تسربت إلى المسلمين سلوكيات غير منتمية إلى الإسلام ، كلما زوحمت

السلوكيات الإسلامية وخبت ، وبدا للسلوكيات المعادية أو المزاحمة ظهور وتأثير .

والتنبه الشديد لكل سلوك وافد ، وقياسه بمقياس الإسلام الواضح المحدد فى القرآن والسنة والسيرة النبوية ، لقبوله أو رفضه ، هو معامل الأمان الأمثل ، الذى يكفل للأمة الإسلامية وسلوكياتها ، ألا تذوب فى سلوكيات وافدة أو غازية .

والمسلمون اليوم فى حاجة ماسة إلى وسائل إعلامية جيدة ، تنشر فيهم المعلومات والحقائق الإسلامية ، التى تشكل فى مجموعها أنماط السلوك التى يجب أن ينتهجها المسلمون فى حياتهم .

والسلوكيات التى تفد على المسلمين لتحل محل السلوكيات الإسلامية ، ليس بالضرورة أن تكون وافدة من الخارج ، أو من بلاد غير إسلامية ، وإنما يمكن أن تكون سلوكيات غير إسلامية نابعة من مجتمعات مسلمة ، ويكون الدعاة إليها من المسلمين ، وذلك أن الحكومات أو رجال الفكر والقلم فى أى بلد مسلم ، إذا كانوا غير منتمين إلى الإسلام بسلوكهم ، فإنهم يفرزون سلوكيات غير إسلامية ، بل ربما تحولوا إلى دعاة لهذه السلوكيات .

وهذا ما يجعلنا دائما نفرق بدقة بين سلوك إسلامى ، وآخر يمارسه المسلمون .

فالأول : هو مادعا إليه الإسلام فأوجبه القرآن أو السنة .

والثانى : قد يكون مخالفا لما فى الكتاب والسنة وإن صدر من المسلمين .

ومن هنا فإن الغافل وحده هو الذى يحتج بسلوك المسلمين على الإسلام ، والمستبصر يفرق بين هذا وذاك .

والمعيار الدقيق العادل فى ذلك هو : أن المبدأ حجة على الرجل ، إذا وجد من ينفذه ويمارسه ، أما الرجال ، فلا يجوز أن يكونوا حجة على المبادئ ، إلا إن كانوا معصومين من الأخطاء فى السلوك ، وبالتالى فلا رجل بحجة على المبدأ فى الإسلام ، إلا محمد ﷺ ، لأن الله عصمه .

الإسلام يستطيع أن يتغلب على كل مشكلة فى أى زمان ومكان ، بينما المسلمون لايستطيعون ذلك إلا إذا كان الإسلام متمثلا فيهم سلوكيا أصدق تمثيل .

وأكثر مشكلات المسلمين اليوم ، أن البيئات التى يعيشون فيها ، تعمل جاهدة على أن تحول الولاء أو الانتماء عن الإسلام إلى أى شىء آخر غربى أو شرقى .

هذه البيئات نجحت فى تحويل الانتماء عن الإسلام بما تملكه من مصادر ووسائل إعلامية ، وضعت لها مخططات وبرامج تستهدف تحويل الانتماء عن الإسلام ، ولقد استطاعت هذه المخططات أن توجد طبقة من أبناء المسلمين ينتمون إلى غير الإسلام من غرب أو شرق .

وهذه الحضارات الغربية أو الشرقية ، تعمل فى المسلمين إعلاميا فى اتجاهين :

الأول : الادعاء بأن الدين الإسلامى — بل أى دين — يشكل عقبة فى طريق النمو الاقتصادى .

والثانى : النظر إلى التقيد بالأخلاق الفاضلة على أنه حد من حرية الإنسان وجمود ورجعية .

ومن أسف أن استجاب لهذا وذاك ، عدد غير قليل من المسلمين ، دولا وشعوبا وأفرادا ممن لقنوا حضارة الغرب وثقافته ، أو حضارة الشرق وثقافته .

ولا سبيل لنا إلى أن نستفيق من هذا الاتجاه وذاك ، إلا بأن نفطن أولا إلى هذه الخطة وإلا أن تكون لنا وسائل إعلامنا الإسلامية ، التى تعمل فى الاتجاه الصحيح ، فتؤكد الولاء للإسلام ، والانتماء إليه .

وكل وسائل الإعلام فى بلاد المسلمين ، بدأت موجهة ممن احتلوا العالم الإسلامى ، فاستغلوه لصالحهم أسوأ استغلال فى مردوده على المسلمين .

هؤلاء هم الذين وضعوا اللبنات الأولى لمؤسسات الإعلام فى بلاد المسلمين ، وهم الذين وضعوا سياسة وسائل الإعلام وخططها وبرامجها ، بحيث تكون معادية للإسلام والمسلمين ، وأخذ الناس يقومون وينامون على وسائل إعلام خبيثة ، تهدم القيم الإسلامية ، وتشيع المنكر ، وتقلل من شأن الفاحشة والرذيلة ، فألف الناس ذلك واعتادوه ، وأصبح جزءا من حياتهم وسلوكهم ، فلما رحل العدو بجيوشه ، بقيت سياسته ومخططاته وأهدافه إلى يوم الناس هذا ، بل سيظل كذلك إلى أن يقوم على الإعلام ومؤسساته إسلاميون — لا مسلمون — يعرفون كيف يتخلصون من هذا الداء العضال .

وإن تاريخ الإعلام فى بلاد المسلمين فى العصر الحديث ، لجدير بأن نشير إليه إشارة عابرة فيما يلى :

كانت البداية بالصحافة ، حيث اصطنع أعداؤنا ، المستغلون لخيراتنا ، عملاء لهم

منا ، يحقدون على الإسلام ، فأشاعوا فكرة القومية ، وعملوا على تمزيق الوحدة الإسلامية ، كما أشاعوا كثيرا من القيم الغربية فى المجتمع المسلم باسم التحرر من الجمود ، حينا ، وباسم تحرير المرأة من سجنها حينا آخر ، وانطلقت الصحافة تدعو لذلك وتؤيده ، وكلما قام قلم لكاتب إسلامى يصد هذا التيار ، ويرد تلك العادية ، حاربه أعداء الإسلام ، وصادروا ما يكتب من جريدة ، أو مجلة ، واضطهدوا أصحابها ...

ولقد شمر « كرومر » عن ساعده وأعمل مكره ودهاءه فأخذ يرسم للصحافة فى مصر خط سيرها ، ويوضح لها سياستها التى تهدف — فى تقديره — إلى إطلاق الشحنة الوطنية ، مما وصفه هو بعد ذلك بعبارته المشهورة : **رفع الغطاء عن الإناء الموضوع فوق النار لتصريف البخار .**

وكانت الصحافة فى كل بلد مسلم لا تختلف عن الصحافة فى مصر ، وبخاصة إذا لوحظ أن أغلب البلاد الإسلامية كانت ترزح تحت سيطرة الغرب وحضارته .

فى العراق أنشئت جريدة « الأوقات البصرية » بعد احتلال الإنجليز للبصرة ، وأنشئت جريدة « العرب » بعد احتلال بغداد ، ثم جريدة « الموصل » وجريدة « العراق » وجريدة « الشرق » وكلها تؤكد سياسة الأعداء ، وتروج للسياسة البريطانية ، وتهلل وتكبر لكل عامل من عوامل فرقة الأمة الإسلامية ، وتمزيق صفها ، وتحويل الناس إلى الولاء للغرب وحضارته .

ومثل العراق كل وطن إسلامى ، كان محتلا من عدد من أعدائنا ، سواء أكان هذا المحتل إنجليزيا أم فرنسيا أم إيطاليا أم هولنديا أم غير ذلك .

وأما الإذاعة ، فقد نشأت فى نفس الظروف تقريبا ، فكانت الإذاعات فى البداية ، من إنشاء المحتل وتخطيطه ، فى تحقيق الأهداف ، ففى مصر نشأت الإذاعة ، محطة أهلية تخدم أهداف المحتل ، وكانت تشرف عليها شركة « ماركونى التلغرافية اللاسلكية » باتفاق مع الحكومة المصرية المغلوبة على أمرها عام ١٩٣٢ م ، فأضحت الإذاعة فى البلاد إنجليزية القشرة واللباب ، وقد افتتحت فى ٣١ مايو ١٩٣٤ م وأصبحت إدارة خاصة ، ليس عليها للحكومة المصرية سيطرة حقيقية ، إذ أن خطتها قد وضعها الأعداء ، فكانت الاستعانة فيها بالترجمة والاقتباس من الفنون الأجنبية ، هى المصدر الذى يمد العمل الإذاعى ، بما يحتاج إليه ، بحيث لم يستعن بشىء من تراثنا الإسلامى ، أو العربى أو القومى حتى عام

١٩٤٧ م وقد أدى ذلك إلى تحويل الولاء والانتماء عن الإسلام إلى الغرب .

وكذلك كان الشأن فى كل بلد مسلم ، فى إفريقيا وآسيا ، حيث ربطت فيه سياسة الإذاعة بسياسة المحتل ، وربطت الأخبار بوكالة أنباء أجنبية . واستعانت البرامج المتعددة فى تأليفها وإخراجها ، وكل ما يتصل بها ، بالأجانب ، ضمانا لتنفيذ المخطط الموضوع ، لإقصاء المسلمين عن الإسلام .

حتى اللغات الأجنبية عن العالم العربى ، عملت الإذاعات العربية على نشرها ، وإحلالها محل العربية ، الإنجليزية من جانب ، والفرنسية من جانب ، وحين يعجزون عن فرض لغتهم يخططون لقتل الفصحى بالعامية .

ولم تكن الإذاعات فى إفريقيا وآسيا ، تستطيع أن تصدر قرارا ، إلا أن تعود إلى مرجعها فى لندن أو باريس !!!

وكذلك كان الشأن فى المسرح ، حيث بدأ فى العالم العربى ، بتشجيع من الغرب ، على يد رجل مارونى يسمى « مارون نقاش » فكان أول من حمل فنّ التمثيل إلى مصر ، بل وإلى غيرها من بلدان العالم العربى ، وهو ربيب الثقافة الغربية المعادية للإسلام والمسلمين .

ولم يكن أثر يعقوب صنوع « أبى نظارة » اليهودى بأقل خطرا ، فى إشاعة الفساد ، والتمييع ، ومحاربة الإسلام ، وأخلاقه ، ثم قفى عليهما « جورج أبيض » ومسرحه الضال المضلل بما أشاع من خدعة وتبذل ، بحجة الواقعية — فى الظاهر — وحرب الإسلام وأخلاقه فى الواقع .

ثم حذا المسرح فى البلاد العربية حذو المسرح المصرى ، وغذاه إلى زمن ليس بالقصير ، أدب ساقط ، وتأليف يثير الغرائز ويخجل كل كريم الخلق .

وليس المسرح فى حد ذاته شرا ، وليس التمثيل على خشبته معيبا ، إذا اختير النص الجيد الذى لا يعادى أخلاقنا وديننا ، ولا يعرض علينا مالا يجوز لنا مشاهدته .

وكذلك كان الشأن فى السينما صامتة وناطقة ، كانت أفلامها تختار بطريقة تستهدف أخلاقنا وقيمنا ، وقد قامت صناعة السينما فى العالم العربى كله ، بل الإسلامى على أكتاف اليهود والنصارى والغافلين من المسلمين ، وأخذت تعمل على تحقيق أهداف أعدائنا ، بقتل أى انتماء للإسلام ، وتحويله إلى انتماء إلى الغرب وحضارته ، التى تناقض قيمنا الأخلاقية إلى

حد كبير .

ولما رحلت جيوش المحتل عن البلدان العربية أو الإسلامية ، بقيت وسائل الإعلام هذه تؤدى نفس الوظائف التى وظفها العدو لها ، تارة بحجة الواقعية ، وتارة بحجة إرضاء الجماهير ، وثالثة بحجة الترفيه ، وكل هذه الحجج والتعلات ، تستهدف القضاء على الولاء للإسلام والانتماء إليه .

ثم سيطرت الحكومات الوطنية على وسائل الإعلام بعد أن نالت استقلالها الظاهرى ، فاستمرت تؤدى الوظائف السابقة ، إضافة إلى وظائف أخرى فرضتها عليها الحكومات وسخرتها للدعاية الرخيصة للحكومة ، أو لشخص الحاكم ، وكانت أغلب هذه الحكومات ، تحركها يد خفية ، من أيدى الأعداء ، أو تقوم عليها وتسير أمورها ، شخصيات ذات ولاء غربى ، وانتماء غير إسلامى ، وتفرز ما تفرز من سموم وآلام .

ثم تطور الأمر بصورة أكبر ، حيث أصبح اهتمام الحكومات بوسائل الإعلام والسيطرة عليها ، أول مهمة تمارسها الحكومة ، وأكبر هَمٍّ تتجه إلى جعله أولى همومها بالرعاية ، حيث استطاعت بعض أو كل هذه الحكومات ، أن توجه الناس إلى ماتريد أو مايريد الحاكم الفرد ، فى كثير من الأحيان لتحصل على تأييد مغلوط ، أو تبرر لعمل ردىء ، تريد أن تمارسه فى المعارضين لسياستها ، أو تصرف أنظار الناس عن قضايا وطنية هامة ، بافتعال موضوعات تشد اهتمام الناس ، كالتعصب للأندية الرياضية ، وإشاعة الأغانى الماجنة والتمثيليات الهابطة ، والمسرحيات المنافقة للسلطة ، والمقالات التى تقطر نفاقا للحاكم ، وتبريرا لأسوأ أعماله ، وليس لذلك كله من هدف أهم من تحويل الولاء عن الإسلام إلى غيره ، وقتل الانتماء إليه .

فماذا تفعل وسائل الإعلام على كثرتها وفاعليتها وأهميتها القصوى فى حياة الناس ، لتؤكد انتماء أبناء الأمة الإسلامية إلى دينهم ، ومنهج هذا الدين ونظامه ؟

إن الإعلام فى جوهره ، هو نشر الحقائق والأخبار والآراء بين الناس ، بوسائله المتعددة لأن للناس حقا فى الإعلام الصحيح الصادق ، على حكوماتهم وأجهزة إعلامهم ، كما أن لهم حقا فى التعلم والعلاج وسائر الخدمات .

إن الإعلام خدمة إنسانية جليلة القدر ، يجب أن تؤدى على أحسن وجه وأصدقه ، وإن أجهزة الإعلام بهذه الوظيفة لهى أخطر الأدوات وأقدرها على توجيه الناس نحو الحق

والخير والجمال .

ومن هنا يناط بالإعلام فى كل بلد ، واجب إقناع الناس بأهداف الدولة ووسائلها ، وكسب تأييد الناس لهذه الأهداف والوسائل ، فى ظل ما يسود هذه الدولة من قيم ومبادئ .

ولقد قفز الإعلام قفزة كبرى ، بتطور وسائله وتعددها ، فى مجال كسب الرأى العام ، وتوجيهه ، حتى أصبحت السيطرة على عقول الناس ، صغارهم وكبارهم ، بُسطائهم وعلمائهم ، تتم من خلال هذه الوسائل .

ومن يوم اكتشفت الإذاعة المرئية « التلفاز » وملأت على الناس حياتهم ، واقتحمت عليهم بيوتهم ومهاجعهم ، شغف الناس بها ، وأقبلوا عليها ، لأنها نقلت إليهم المسرح والسينما ، والملهى والنادى الرياضى ، دون عناء الغدو والرواح ، وتكبد مشقات الزحام والنفقات .

ولقد جمعت الإذاعة المرئية فى ثناياها معظم وسائل الإعلام ، فهى إذاعة مسموعة ، وهى مسرح وسينما ، وناد رياضى ، بل هى مقالة صحفية تقرأ من خلالها .

وعلى خطر هذه الوسيلة وفعاليتها ، فإن النظر إليها كوسيلة من وسائل الإعلام غمط لها ، إذ الأصل أن ينظر إليها على أنها أهم وسائل الإعلام وأكثرها تأثيرا فى الناس .

ومن هنا كان ترشيد هذه الوسيلة « التلفاز » وإلزامها بأهداف بعينها وعملها على نشر ثقافة بعينها ، يعد من أهم الخطوات التى تبادر إليها الدول ، وتوليها من الأهمية قدرا كبيرا .

وكل وسلة من وسائل الإعلام ، فى كل بلد مسلم ، مطالبة بأن تعمل فى برامجها ، وما تقدمه للناس ، على أن تؤكد الانتماء للإسلام ، بل تؤصله فى العقول والقلوب .

هذا واجب أساسى ، ينبغى أن يستفيق لأهميته وخطره ، من يوجهون أجهزة الإعلام ، ففى تأكيد الانتماء للإسلام وتأصيله ، تربية جيدة للأفراد ، وتحقيق لقدر كبير من الاستقرار فى حياتهم ، من مختلف شعبها ، سياسية كانت أو اقتصادية أو اجتماعية وفكرية كانت أو ترفيهية ، لأن المسلم المنتمى إلى الإسلام يعرف واجبه ، ويعرف أنه ملزم بأدائه ، بنفس القدر الذى يطمع فيه أن يمارس حقوقه ، لأن الإسلام يغرس فيه الإحساس بهذه المسئولية ،

منذ حياته الباكرة فى بيته ، وبين والديه وإخوته ، فهو بهذا عضو فى المجتمع ، يعرف واجبه ، كما يعرف حقه ، ويقدر التبعة الملقاة عليه ، وهو بهذا على وجه اليقين ، الإنسان الصالح ، لا مجرد المواطن الصالح .

وعند النظر فى واقعنا الإعلامى فى بلاد المسلمين ، نجد ما يحزن ، فإن أغلب هذه الوسائل الإعلامية فى بلاد المسلمين ، تعمل على قتل الانتماء للإسلام فى نفوس الناس .

والعالم اليوم تتنازعه قوتان هما :

أمريكا ومن ورائها أوربا الغربية ، وعدد من بلدان العالم النامى ، أو الثالث أو الجنوبى ، من جانب .

وروسيا ومن ورائها أوربا الشرقية ، وعدد من بلدان هذا العالم الثالث ، من جانب آخر .

هاتان القوتان ومن فى ركابهما ، تخططان لهدف واحد اليوم ، هو رصد أى حركة إسلامية ، وشن الحرب المضادة عليها ، حتى لا تولد ، فإن ولدت فى غفلة من أجهزة الاستخبارات ، فالخطة هى شن حرب ضارية عليها ، قد يقودها أحيانا كثيرة بعض المسلمين ضد المسلمين !!! .

وإن نظرة إلى واقع المسلمين فى هذا العصر ، لتوضح لنا كم أجهضت حركات إسلامية ، وكم حوربت إن ولدت فى غفلة من أعين الرقباء ، وكم كانت حربها ضارية غير إنسانية ، تستهدف الأجساد قبل الأفكار — وهو شأن الغاشمين العاجزين عن الحوار وعن إعمال الفكر .

ما من بلد إسلامى معاصر ، إلا وفيه من أبناء الحركة الإسلامية شهداء ، أو مضطهدون أو مشردون فى مشارق الأرض ومغاربها ، هناك فى عالم الأعداء من شرق وغرب ، حيث لا أمل فى حركة أو صحوة أو انتفاضة ، حتى لقد أصبح العالم الغربى بالذات ، يعج بالألوف من المشردين المسلمين الهاربين من أوطانهم خشية التصفية الجسدية ، أو السجن المؤبد ، أو التضييق فى الرزق والعمل ، فضلا عن الرأى والفكر .

لقد كان من خطة أعداء الإسلام ، أن تفتح النيران على المسلمين فى بلادهم ، بحجة وبغير حجة ، وأن يفتح الأعداء لهؤلاء الفارين بدينهم أو بأعمارهم أبوابها لكل راغب فى

الإقامة فيها ، لتمتصه وتذيبه فى حضارتها وحياتها .

إن تفريغ بلدان العالم الإسلامى من عناصرها الإسلامية الواعية المتحركة بهذا الدين هدف كبير ، يدل عليه الواقع المشاهد فى العالم الغربى كله ...

إنه لكى تفرغ لبنان من المسلمين ، لتخلو لغيرهم أصبح حق اللجوء السياسى إلى إنجلترا ، يمنح لكل لبنانى مسلم دون قيد تقريبا ....

وإن تفريغ فلسطين من أهلها ، لتخلو لليهود أعطى للفلسطينى اليوم ، حق اللجوء السياسى لكثير من بلدان الغرب .

هذا ما أكدته الملاحظة العابرة لكل من زار الغرب ، إنه التخطيط الهادئ النافذ ، الذى يستهدف وأد الحركة الإسلامية فى مهدها ، يمضى فى طريقه مهما كانت تكلفته .

وإن المؤسف أن الغرب والشرق ، ليسا وحدهما فى هذا التخطيط المضاد للإسلام والمسلمين ، بل يشارك فيه عدد من بلاد المسلمين ، حتى لقد أصبحت بعض البلاد العربية ، مخزن تبريد لحرارة العاطفة الإسلامية .

وهناك ظاهرة أخرى بدت على الساحة ، تحتاج منا إلى تأمل ، هى : أن بعض الفارين بدينهم من بلدانهم ، اللاجئين إلى بعض بلدان البترول العربية ، شكلوا ظاهرة يمكن أن تسمى « البترو إسلاميين » ، وهم الذين حلا لهم الجو فى بلاد البترول ، وآثروا الدعة والمال ، ونسوا حظا مما يجب أن يتذكروه فى مجال العمل الإسلامى ، أصبحوا اليوم يجيدون التساؤل ، عما فعل أنصار الحركة الإسلامية فى بلادهم ، التى يعيشون فيها مقهورين مقيدين ، تحسَب عليهم كلماتهم ، بعد رصد خطواتهم ، وأكثروا النقد ، وعلت صيحات المصلحين منهم ــ على بعد ــ الذين يملكون الأموال ، وأعراض الدنيا وأكثروا من : افعلوا ولا تفعلوا ، وهم بمنأى أو منجى عن أرض العمل ، لقد زاد عدد أفراد هذه الظاهرة ، وعلت أصواتهم بأكثر مما يليق .

كل ذلك يجرى ، والمطحونون فى ظل الأنظمة المعادية ، والمخططات المجتاحة لكل ما هو إسلامى ، يعيشون ظروفا سيئة من كل وجه ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون .

هذا واقع معاصر للعالم الإسلامى ، لا يستطيع أن يتجاهله أحد من المعاصرين يتلخص فيما يلى :

* قوى خارجية معادية للإسلام ،
* تؤازرها قوى داخلية ــ غافلة ، أو لاهية ، أو خائفة مذعورة من التغيرات المحسوبة ،
* والمسلمون يعانون من هؤلاء وأولئك ،
* والانتماء إلى الإسلام يجرم فى بعض البلدان ،
* والمسلمون نتيجة لهذا ، يحال بينهم وبين دينهم ولغتهم وثقافتهم ليظلوا أتباعا وذيولا .

فأين أجهزة الإعلام من كل هذا ؟

إن هذه الأجهزة إن قام عليها المخلصون ، فسوف تفعل الكثير .

فالكتاب وما يحتويه من فكرة ، تصاغ فى قالب قصة أو أقصوصة أو مقالة ، كل ذلك يمكن أن يوجه الانتماء ، ويؤكده ويؤصله ، مادام المؤلف يضع هذا الاعتبار فى ذهنه .

والحياة الإسلامية فى القديم من التاريخ ، والوسيط منه والحديث ، ذاخرة قادرة على أن تمد الكاتب بمعين لا ينضب من هذه الأجناس الأدبية المؤثرة ، التى يؤكد بها انتماء المسلمين للإسلام ، ويؤصل هذا الانتماء ، برده إلى النصوص الشرعية .

والصحافة وماتقدمه من مقال وخبر وتحقيق وتعليق ، بل ماتنشره من إعلان ، تستطيع به أن تسهم فى تأكيد الانتماء إلى الإسلام ، وتأصيل هذا الانتماء ، ولا يكلف هذا شططا من الأمر ولا عنتا ، إذ يكفى أن تتبنى الصحافة وجهة النظر الإسلامية ، فيما تنشره ، وفيما تعرضه وتعلق عليه .

وكذلك الشأن فى الإذاعة بنوعيها ، والمسرح والسينما ، إذا استطاع القائمون عليها أن يتخلصوا من عقدة التبعية للغرب ، وتحركت فيهم قيم دينهم ، فحولوا ولاء الناس إليه ، وأصلوا فيهم هذا الولاء أو الانتماء .

٢ ــ الالتزام :

والالتزام هو الذى يتمم الانتماء ، ويجعل له ثمرة وجنى ، فمهما يكن الانتماء ، فلا أثر له ، إلا أن يكون معه التزام .

والالتزام يتطلب إيمانا صادقا ، وعزما قويا ، وخلقا وسلوكا بحيث تصبح الحياة الاجتماعية للفرد كلها ، ملتزمة بالعقيدة التى آمن بها ، كما يتطلب انضباطا مع المنهج ، وفكرا وثقافة وعلما ومعرفة .

وقد اتضح لنا من خلال تعريفنا للالتزام ، أن له عناصر تكونه وتكمله ، من إيمان وخلق وانضباط وعلم ، فلنتحدث عن كل منها تحت عنوان عناصر الالتزام .

عناصر الالتزام :

أولا : الإيمان : وهو أساس ركين ، تقوم عليه كل صفة روحية فى المسلم ، فهو فى حقيقته تصديق وطمأنينة فى القلب وسكينة ، وهو بهذا ضد الخوف .

كما أن الإيمان أمانة ، تنتزع من القلب كل انتقاص ، أو خيانة للعقيدة والمبدأ .

والمعنى أن الملتزم بهذا الدين آمن القلب ساكنه ، لا يعرف الخوف إلى قلبه سبيلا ، كما أنه أمين على هذا الدين ، يأخذ به جميعه ، لا يخون فى شىء منه ، مهما بدا قليلا أو هينا .

هكذا يقوم الالتزام بهذا الدين ، على الأمن والأمانة ، بحيث لا يخلو قلب مؤمن منهما .

فإذا التزم الفرد فى هذه المرحلة بهذا الإيمان ، ودقق فى مفردات الإيمان ، التى تمثل أركانه ، وهى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر ، فالتزم بكل واحدة منها بدقة ، فإنه بذلك يكون على الطريق الصحيحة ، والخطة السليمة فى الوصول إلى انتماء حقيقى لهذا الدين ، غير أن الإيمان بحاجة أبدا إلى صدق العزم ، وعقد النية على المضى بإصرار فى طريق الانتماء ، وما يوجبه هذا من فروض وشروط وآداب ، يحددها الإسلام والعدل والإحسان ...

ثانيا : الخلق والسلوك : على المستوى الفردى الذاتى ، وعلى المستوى الاجتماعى ، بحيث يكون المنتمى لهذا الدين ، سالكا فى هذه الأمور الأخلاقية ، وهذه الفروع الاجتماعية المتشعبة مسالك تجعل ظاهره كباطنه ، وأفعاله مطابقة لأقواله ، فلا يقبل منه بحال — وهو المنتمى لهذا الدين — أن يخل بشىء من متطلبات الدين الأخلاقية ، فإن اختل ظاهر الفرد فى أخلاقه عن باطنه ، أو فعله عن قوله ، فهو غارق فى النفاق أو الرياء ، أو ماهو قريب من ذلك ، وهو جدير أن يخرج من دائرة الانتماء وشيكا ، ومادام الانتماء قد زعزع بهذا النفاق ، فلا إيمان إذن ولا إسلام ولا عدل ولا إحسان ، ولا عمل ولا جهاد ، حيث تحل محل ذلك كله صفة بغيضة تحلق الدين كله ، وهى النفاق .

أما السلوك الاجتماعى للإنسان ، فذو شعب وتفاريق ، لا تكاد تحصى ، وإن على

الإنسان الملتزم بالإسلام ، أن ينعكس التزامه هذا على كل كلام يقوله ، وعلى كل عمل يعمله ، بل على شكله ومظهره فى مشيته ، وقيامه وقعوده ، وطعامه وشرابه ، ونومه ويقظته ، وتعامله مع نفسه ومع الناس ، مسلمين وغير مسلمين ؛ لأن الإسلام يضع لكل ذلك — ولأكثر منه — حدودا وأبعادا ، ويوجب على المنتمى إليه أن يلتزم بها ، تعزيزا لهذا الانتماء وتأكيدا له .

ثالثا : الانضباط مع المبدأ والمنهج : وهو رأس الالتزام وعموده ، ولا نقصد بالانضباط هنا انضباط السلوك — وإن كان هذا من مفهومه — وإنما نقصد ما هو أوسع وأعمق من ذلك ، وهو الفكر والمعتقد ، بمعنى أن المبدأ ، وهو الإسلام والمنهج ، وهو تفصيلات الشريعة وفروعها ، يجب أن يكون معهما انضباط فكرى عقيدى ، بحيث يكون هناك اقتناع كامل ، بأنهما أساس الحياة الإنسانية ، الذى لا أساس سواه ، وأن البشرية كلها ، فى ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، لا تستطيع أن تعيش فى ظل مبدأ أو منهج غيرهما ، فتكون على الصواب أو مع الحق ، وأنهما ليسا بحاجة أبدا ، إلى أن يضاف إليهما ؛ أو يحذف منهما ؛ لأن الله سبحانه قد أكملهما وأتمهما .

كما أن الانضباط مع المبدأ والمنهج ، يعنى أن الملتزم بذاك ، عليه أن يعمل جادا على سيادتهما لكل مبدأ ومنهج فى الحياة ، وبذل كل جهد ، من أجل تأكيد هذه الحقيقة للمسلمين ولغير المسلمين .

وإذا كان الأمر كذلك — وهو بالفعل كذلك — فإن التلبس بأى مبدأ أو منهج سواهما ، فضلا عن اعتناقه أو التشبث به ، تنكر لأوليات الانتماء ، وقضاء عليه ، وتبديد للالتزام .

ومن الواضح أن الإعجاب بأى مبدأ أو منهج ، أو الثناء عليهما ، أو وضعهما فى موضع الموازاة — فضلا عن المساواة — مع مبدأ الإسلام ومنهجه ، يعنى أن هناك خللا جسيما فى الانضباط ، وأن هنا تضييعا للانتماء والالتزام .

وإن أبرز صفات الانضباط هنا هو اليقين الراسخ بأن سعادة الدارين مع مبدأ الإسلام ومنهجه دون غيرهما .

إن مجرد الشعور بأن مبدأ آخر أو منهجا آخر ، يمكن أن يوازى فضلا عن أن يساوى أو يغنى ، عن مبدأ الإسلام ومنهجه ، يؤدى إلى خلل فى الانضباط — كما قلنا — لأن

للانضباط جانباً سالبا ، هو تصور هذه الموازاة أو المساواة أو الأفضلية ، لأى مبدأ ومنهج آخرين لمبدأ الإسلام ومنهجه ، كما أن له جانبا إيجابيا ، هو العمل والممارسة والسلوك المنضبطة كلها مع المبدأ والمنهج .

كما أن الانضباط يعنى : أن جانبا من الرقابة والمتابعة يجب أن يناط بالفرد نفسه ، فيكون أمينا فى انضباطه ، لا أن توكل هذه الرقابة للمجتمع أو الرأى العام أو القانون أو السلطة المنفذة له ، لأن الإسلام يجعل كل إنسان بصيرا على نفسه ، ويؤكد له أن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا .

رابعا : الفكر والثقافة والعلم والمعرفة : بمعنى أن ينبع كل ذلك من الدين ، مبدئه ومنهجه ونظامه ، لا أن يستجلب من مصادر أخرى ، مهما يكن شأنها ، وأن هذا الفكر والثقافة والعلم والمعرفة ، يجب أن يوجه لخدمة هذا الدين ، ولتأكيد الانتماء إليه .

ومعنى ذلك : أن الدين الإسلامى هو منبع الفكر والثقافة ، والعلم والمعرفة ، وأن ما وراء ذلك إنما يجب أن يعرض على الأصل ، فإن اختلف معه رفض ، وإن اتفق معه قبل .

وليس خافيا على كل ذى بصر وبصيرة ، أن كل العلوم والفنون التى تعود على الإنسان بنفع فى دنياه أو آخرته ، هى مطلب من مطالب الإسلام ، لا يجوز التقصير فى تحصيله ، كما لا يجوز التقصير فى أداء فرض من فروض الإسلام ، لأن مبدأ الإسلام ومنهجه للحياة الدنيا وللآخرة ، للحياة الدنيا على أرفع المستويات وأرقاها تحضرا ورقيا ، وللحياة الآخرة على أشرف مستوياتها ، وهى رضا الله سبحانه ، والحصول على مثوبته .

هذا هو الالتزام فى مجال الفكر والثقافة ، والعلم والمعرفة ، يؤكد الانتماء ويقويه وبهذا تتأكد الاستمرارية فى مرحلة التنفيذ .

٣ ــ التواصل بين الأجيال « التوريث » :

وهذا التواصل بين الأجيال هو معنى من معانى الاستمرارية ، وذلك أن العاملين فى مجال الإسلام عموما ، وفى هذه المرحلة بالذات ، تتكون لهم بحكم الممارسة والتطبيق خبرات وأرصدة من الفقه الحركى ، قلما تتكون ، إلا فى ظروف العمل والممارسة ، ومن هنا تصبح هذه الخبرة ملكاً للدعوة التى ينتمون إليها ، فما ينبغى أن تضيع هذه الخبرة العملية ، بأن يحبسها صاحبها على نفسه فتضيع بانقضاء عمره ، إنما الواجب أن يورثها

لغيره ، وهذا مانقصده بتواصل الأجيال فى العمل الإسلامى .

إن كل جيل أمين على مااكتسب من خبرة فى موقعه من العمل فى الدعوة ، وهو قد اكتسب هذه الخبرة بفضل الله أولا ، ثم بمعايشته لمرحلة معينة ، أو مراحل من العمل للإسلام ، وإن احتكاكه بإخوانه ، وما أفاده من هذا الاحتكاك ، هو الذى يكون جانبا ضخما من هذه الخبرة ، وبالتالى فإن من الأمانة ، أو تمام الأمانة ، أن يوصل هذه الخبرة إلى الأجيال التى تلى جيله .

إنها قضية منطقية فى العمل من أجل هذا الدين ، فالعامل فى مرحلة من مراحل العمل يجب أن يَبْدأ من حيث انتهى من سبقوه ، وهذا لا يتم إلا بتواصل الأجيال ، أى بالتوريث .

وما لم يتم هذا التوريث ، فإن جهودا كثيرة سوف تتبدد ، وأوقاتا كثيرة سوف تضيع سدى ، وأموالا كثيرة ستذهب هباء ، وكل ذلك بسبب عدم تواصل الأجيال ، أى بسبب البداية من حيث بدأ السابقون .

ومن المسلم به فى مجال العمل الإسلامى بعامة ، والعمل فى هذه المرحلة بخاصة أن الجهود والأوقات والأموال ليست ملكا لنا على وجه الحقيقة ، وإنما ملك لخالقنا ، وملك لهذه الدعوة ، وما نَذَرْنَا أنفسنا له من عمل فيها .

فلا بد — والأمر كذلك — من توريث الدعوة ومراحلها ، وشروط العمل فى كل مرحلة ، وآداب العمل وخلقياته ، ولابد من توريث الخبرات وتوريث العلم ، لأن هذا التوريث واجب حركى لا يقوم العمل على وجهه الصحيح إلا به .

ومن المسلم به كذلك أن التوريث لا يكون لكل أحد أو لأى أحد ، وإنما يكون لمن أُهِّلَ له من العناصر المصطفاة القادرة على الاستيعاب والعطاء ، أى إلى طائفة رشحتها أهليتها لتحمل أعباء الدعوة إلى الله .

٤ — الترشيح :

وهو ينبنى على توسم القدرة على عمل معين ، عند فرد معين من العاملين فى المجال ، وترشيحه لهذا العمل .

والترشيح من أدب العمل الإسلامى وخلقياته الرفيعة ، التى تلزم كل ذى مسئولية فى

العمل ، أن يرشح من الأفراد من يراه أهلا للقيام بالعمل المرشح له .

وأؤكد أن الترشيح فى مجال « أدب العمل الإسلامى » إلزام ، وفى مجال الفرد الذى يتولى مسئولية بعينها التزام ، وما بين هذين الحدين الإلزام الذى يوجبه العمل ، والالتزام الذى يوجبه الفرد المسئول على نفسه ، ماينبغى أن يحدث تقصير ، فضلا عن إهمال ، فلا بد من الترشيح .

وماذا يكون حال العمل الإسلامى مالم تكن هناك ترشيحات من ذوى الخبرة والمسئولية لمن هم أصحاب أهلية واستعداد ؟

إما أن تترك الأعمال شاغرة ، وهذا إخلال .

وإما أن يتولاها من ليس أهلا لها ، وهذا خلل .

وإما أن ندع الأفراد يزكون أنفسهم ، ويطالبون بأن يتولوا المسئولية ، وهذا حرام .

إن حَلّ هذه الأمور جميعا ، وتلافى الإخلال والخلل ، والوقوع فى الحرام ، هو الترشيح .

إن العمل الإسلامى — كما أوضحنا غير مرة — أمانة فى أعناق العاملين ، وهو فى أعناق المسئولين أشد تعلقا بها ، وهم أكثر مساءلة عنها بين يدى الله وأمام إخوانهم من المشاركين فى العمل والمسئولية ، ولن تؤدى هذه الأمانة إلا إذا رشح كل مسئول بعض المؤهلين لأعمال بعينها ، حتى يستطيع العمل أن يتواصل ، وأن يستمر وأن يقوم به المؤهلون له ، الذين يزكيهم إخوانهم بعد أن يتوسموا فيهم الخير ، والقدرة على الأداء .

وإن للترشيح معايير ، لا بد أن تراعى وتلتزم ، ومن هذه المعايير مايلى :

١ — معيار الصلاح والتقوى ،

٢ — ومعيار الاستعداد والتهيؤ ،

٣ — ومعيار الانتماء والالتزام ،

٤ — ومعيار الإنتاج كما وكيفا ،

٥ — ومعيار التحقق من استيفاء أركان البيعة فى مجال العمل للإسلام .

وكل واحد من هذه المعايير تحته فروع وفروع ، ويتطلب حديثا موسعا ، ربما لا تسمح به ظروف الحديث الآن ، ولكنها معايير يجب الأخذ بها فى الترشيح لأى عمل من

الأعمال .

بل إن تجاهل أى معيار من هذه المعايير ، يؤدى فى الغالب ، إلى توسيد العمل لمن ليس أهلا له ، ولذلك ما له من السلبيات والأضرار .

وكيف يتصور أن يرشح للعمل فى الحقل الإسلامى عموما ، أو فى هذه المرحلة على وجه الخصوص ، من يفقد الصلاح والتقوى ، أو الاستعداد والتهيؤ للعمل ، أو الانتماء والالتزام ، أو الانتاج كما وكيفا ، أو من كان غير مستوف للأركان العشرة ، التى يبايع عليها كل من يشارك فى العمل الإسلامى فى هذه المرحلة وهى : الفهم ، والإخلاص ، والعمل ، والجهاد ، والتضحية ، والطاعة ، والثبات ، والتجرد ، والأخوة ، والثقة ؟

إن الذين يرشحون سواهم للعمل ، دون تحقيق هذه المعايير ، إنما يسهمون ، قاصدين أو غير قاصدين ، فى إعطاء صورة غير أمينة للعمل الإسلامى ، وللعاملين فيه ، وفى ذلك مافيه من الإساءة للعمل ذاته وللعاملين .

وإن الذى وقع عليه الترشيح لعمل من الأعمال ، عندما يخبر بذلك ، يجب أن يرفض إن كان لا يجد فى نفسه الكفاءة والأهلية ، وليتق الله فى هذا الرفض ، ولايؤثر به الراحة والدعة .

وليس بمقبول من بعض المسئولين ـــ لكى لا يقع فى دائرة الحرج ـــ أن يمتنع عن ترشيح أحد ، تاركا ذلك لغيره ، أو للظروف ، فإن معنى هذا أن تكون هناك أعمال كثيرة شاغرة ، وذلك تعويق للعمل أو تعطيل له .

ومن أدب الترشيح أن من رشح أحداً لعمل مّا وفق المعايير التى ذكرنا ، فليس له أن يخبره بهذا الترشيح ، لعدد من الأسباب :

أولها : أنه قد لا توافق القيادة العليا للعمل على هذا الترشيح ، وهذا من حقها ، فيكون إخباره تسرعا ممن رشحه ، يؤدى إلى حرج له ، وبلبلة فى نفس المرشَّح ، وربما فقد ثقته فى القيادة ، التى لم توافق عليه .

ثانيها : أن إخباره بالترشيح ، قد يحمل فى نفس من رشحه أنه جامل وزكى ، وأنه ينتظر جزاء على هذه المجاملة ، وهذا فى حد ذاته خطأ وقصور فى فقه الدعوة والدين ، لأن من رَشَّح فقد أدى واجبه ، وجزاؤه عند ربه لا عند الناس .

ثالثها : أن إخباره بذلك ، ومعرفته من رشحه ، قد تولد فى نفسه شعورا بالامتنان لمن رشحه ، والأصل أن ذلك لا يكون ، لأن الامتنان والشكر والثناء ، يوجه أصلا لله الذى منح المواهب ، وأعطى من الكفاءات ما أهّل للترشيح .

رابعها : أن إخباره بأنه رشح ، وتعدد هذا الترشيح أحيانا ، قد يؤدى إلى تحزب أفراد معينين لمن رشحهم ، وهذا التحزب مرفوض ، وهو جيب من جيوب العمل ، يجب منعه من الظهور ، لأن العمل الإسلامى ، يدين الأفراد فيه للمبدأ والمنهج ، لا للشخص والمنصب .

خامسها : أن الإخبار بالترشيح ، قد يحمل إلى نفس المسئول الذى رشح غيره ، بأنه ذو أهمية خاصة وقدرة على الترشيح لمن أراد ، وقد يؤدى به هذا الشعور إلى الغرور .

والأصل فى المؤمن أنه ، إذا أجاد عملا أن يحمد الله عليه ، ويسأله منه المزيد ، وإذا أساء فى عمل أن يستغفر الله ، ويتعرف على سبب الإساءة ويتلافاه .

هكذا يكون أدب الترشيح ، إلى عمل إسلامى فى هذه المرحلة التنفيذية ، من مراحل الدعوة إلى الله .

وهكذا يعتبر الترشيح رافدا ، يرفد العمل الإسلامى بالعناصر الصالحة ، ويسهم فى استمرارية العمل .

٥ ــ الثبات :

والثبات الذى نعنيه ، ليس الثبات بمعنى الجمود ، وعدم الحركة ، وليس الاستقرار النسبى لمدرَك مّا ، على الرغم مما يحيط به من تغييرات تطرأ على ظروف الإدراك ، أو ظروف المدرك ، وإنما نعنى به أمرين :

الأول : الاستقرار ،

الثانى : الموضوعية .

أما الاستقرار : فهو استمرار على العمل ، دون تغير مفاجىء ، ولا ينفى الاستقرار ، أن يكون هناك تغير مندرج أو بطىء ، ما دامت هناك حركة نحو الهدف .

وأما الموضوعية : فتعنى أن يكون لدى الفرد قدرة على أن يعزل نفسه عن الموقف ، لينظر إلى الحقائق والأمور ، على أساس الأدلة العقلية ، لا على أساس التحيز أو العاطفة .

وكل من هذين الأمرين ، مطلوب للفرد فى هذه المرحلة من مراحل العمل الإسلامى ، لكى تتم استمرارية العمل ، وبلوغه هدفه .

فالعمل الإسلامى يحتاج دائما إلى استمرار على نمط بعينه ، دون تغير مفاجىء حتى ينضج ، مهما كانت المتغيرات المحيطة ؛ لأن التجاوب السريع مع المتغيرات ، كثيرا ما يوقع فى الخطأ ـــ غير أن الثبات الذى نريده ، يقبل تغييرا بطيئا هادئا ملائما ، فى حدود المحافظة على الأصول والثوابت من أمور الدين ، ومن مفردات المنهج ، ومن متطلبات المرحلة .

والعمل الإسلامى يحتاج فى ممارسته إلى موضوعية ، تزن الأعمال والأمور بميزانها الصحيح ، ميزان الحق والعدل ، دون تأثر بعوامل شخصية ، فإذا كان فى الأمر نص شرعى فذاك ، وإلا كان للعامل أن يزن ويبروز ويرجح ، ويتعامل مع العقل والمنطق ؟؟ وكل ذلك لا يخل بعنصر الثبات ، ولا يخل بالاستمرارية .

وللإمام « البنا » فى الثبات ، على اعتبار أنه ركن من أركان البيعة العشرة ، كلمات نيرة ، يقول فيها : « وأريد بالثبات : أن يظل الأخ عاملا مجاهدا فى سبيل غايته ، مهما بعدت المدة ، وتطاولت السنوات والأعوام ، حتى يلقىَ الله على ذلك ، وقد فاز بإحدى الحسنيين ، فإما الغاية وإما الشهادة فى النهاية ﴿ **من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا** ﴾ الأحزاب . والوقت عندنا جزء من العلاج ، والطريق طويلة المدى بعيدة المراحل ، كثيرة العقبات ، ولكنها وحدها التى تؤدى إلى المقصود ، مع عظيم الأجر وجميل المثوبة .

وذلك أن كل وسيلة من وسائلنا الستة[1] تحتاج إلى حسن الإعداد ، وتحين الفرص ، ودقة الإنفاذ ، وكل ذلك مرهون بوقته ﴿ **ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا** ﴾ الإسراء » .

ونود هنا أن نزيد موضوع الثبات إيضاحا فنقول : المقصود بالثبات فى مجال مراحل الدعوة عموما ، ومرحلة التنفيذ ، على وجه الخصوص ، مايلى :

أولا : ثبات العامل فى مرحلة من المراحل فى عمله ، بمعنى الاطمئنان إليه ، وإلى

(١) يقصد : الفهم والإخلاص والعمل والجهاد والتضحية والطاعة .

المضى فيه بصبر وأناة ، واستمرارية لا يصرفه عنها صارف .

ثانيا : ثبات النظرة الموضوعية إلى العمل والعاملين فيه ، دون انحراف إلى نظرات عاطفية ، أو غير موضوعية ، والاستمرار على هذا النظر الموضوعى ، فى كل أمر من أمور العمل ، وفى كل شخص من أشخاص العاملين .

ثالثا : طرح كل صارف يصرف العامل عن عمله ، أو عن الاستمرار فيه ، بمعنى التغلب على هذه الصوارف ، مهما تكن شخصية ، أو اجتماعية ، أو سياسية ، أو غيرها ، والعمل على إزالتها من طريق العمل ، فهذا هو الثبات المأمول فى العمل الإسلامى كله ، وفى مرحلة التنفيذ بالذات ، لما لها من أهمية قصوى .

رابعا : البحث الدائم عن دواعى الثبات ، وتأكيدها فى النفس والعمل والتعامل مع الإخوة ، ودواعى الثبات أو أسبابه كثيرة ، نستطيع أن نذكر طرفا منها ، على النحو التالى :

١ — الربط بين العامل والعمل برباط وثيق ، بمعنى أن هذا العامل بدون هذا العمل ، لا يجد نفسه ، ولا يرضى عنها إن وجدها .

٢ — التفكر فى عواقب فقد الثبات ، وما يجره ذلك على الدعوة عموما ، وعلى هذه المرحلة بالذات من معوقات ، وقصور النتائج المرتبة على عدم الثبات ، نتيجة نتيجة ، حتى يتولد الحذر من فقد الثبات ، فيتجنب .

٣ — التأكد من أن هذا الثبات على العمل فى هذه المرحلة ثبات على الدين نفسه ، فنحن فى مجال العمل الإسلامى كله ، لا نقوم بعمل ، إلا إن كان نابعا من الإسلام ، وخادما له .

٤ — التأمل فى صفة الثبات ، وقد مدحها الله سبحانه ، وأثنى على أصحابه ، حتى إن ديننا جعل الثبات نعمة كبرى ، ندعو الله أن يرزقنا إياها ، وإن النظر والتدبر للآيات القرآنية التالية ، ليؤكد لنا ذلك :

قال تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون** ﴾ (١) .

وقال سبحانه : ﴿ **وكلا نقص عليك من أنباء الرسل مانثبت به**

(١) سورة الأنفال : ٤٥ .

فؤادك وجاءك فى هذه الحق وموعظة للمؤمنين ﴾ [1] .

وقال عز وجل : ﴿ **قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين ﴾** [2] .

وقال جل شأنه : ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ﴾** [3] .

وقال سبحانه : ﴿ **ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ﴾** [4] .

إلى غير ذلك من الآيات القرآنية الكريمة ، التى يجب أن يتدبر فيها الداعية إلى الله ، وهو يواصل الثبات ، والاستمرار على دعوته ، وعلى متطلبات المرحلة التى يعمل فيها .

خامسا : الثبات بمعنى الهدوء والتأنى ، وعدم استعجال النتائج ، ورفض قياس النجاح فى العمل بمقياس النجاح الفورى أو الموقوت ؛ لأن النبى ﷺ علمنا أن نعمل ونجتهد وندعو الله ، ونستغفره من أى قصور أو تقصير ، ثم ننتظر من الله النجاح والتوفيق ، فى الوقت الذى يحدده سبحانه والمكان الذى يريد ، فلا وجه للتعجل أبدا .

سادسا : الثبات بمعنى الإصرار والاستمرار على البقاء فى الصف أيا كانت المعوقات ، بل أيا كانت التضحيات ، لأن ذلك هو الحق ، وقد علمنا ديننا أن ليس بعد الحق إلا الضلال ، قال سبحانه : ﴿ **فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون ﴾** [5] .

فنحن مع الحق ثابتون ، بإذن الله وتوفيقه .

٦ ـــ التجرد :

والتجرد فى اللغة : هو خلع الثوب أو مايلبس ، وتجرد للأمر أى خلع عن نفسه كل ما يمكن أن يعوقه عن المضى فيه .

وفى الحديث الشريف : « جردوا القرآن » أى لا تلبسوه شيئا آخر ينافيه .

---

(١) سورة هود : ١٢٠ .
(٢) سورة النحل : ١٠٢ .
(٣) سورة إبراهيم : ٢٧ .
(٤) سورة البقرة : ٢٥٠ .
(٥) سورة يونس : ٣٢ .

وهذه المرحلة التنفيذية ، لا يتم العمل فيها على وجهه الصحيح ، ولا يبلغ هدفه إلا إذا تجرد الفرد فيها عن كل ما يمكن أن يحول بينه وبينها ، أو يعوق مسيرته ، أو يعطل الاستمرار فيها .

ونعنى بالتجرد هنا أمورا كثيرة ، أهمها :

أولا : خلع كل مبدأ أو منهج أو نظام غير الإسلام ، بمعنى أن يكون الفرد فى هذه المرحلة متجردا من الولاء لأى مبدأ أو منهج أو نظام ، مهما يكن أمره ، إيمانا منه بالولاء لمبدأ الإسلام ومنهجه ونظامه ، والتجرد له عما سواه ؛ لأنه بغير هذا التجرد يحدث اللبس والخلط والترقيع ، وتدخل شبهة إكمال شرع الله ـــ والعياذ بالله ـــ بنظم الناس .

ويؤدى كل ذلك أو بعضه ، إلى الفشل والضياع والضلال عن الغاية ، بل إلى الانسلاخ عن الإسلام ومنهجه ونظامه ، والعياذ بالله .

ثانيا : خلع الانتماء لغير الإسلام ، على النحو الذى أوضحناه فى الانتماء ، كركن من أركان الاستمرارية .

فليس بمقبول من عامل فى الحقل الإسلامى ، أن يكون لديه انتماء أى انتماء إلى غير الإسلام ودعوته ، فهو بهذا الانتماء إلى الإسلام وحده يكون مرضيا لربه قادرا على الوصول إلى هدفه ، ودون هذا الانتماء للدين والدعوة لن يقدر على شيء .

ثالثا : خلع كل اعتزاز بغير الإسلام والدعوة إليه ، بمعنى أن يكون اعتزاز الفرد فى هذه المرحلة بالإسلام ، وبالدعوة إليه ، وبالثقة فيه وحده ، إيمانا منه بأنه الحق ، الذى لاحق سواه .

ومن هنا يجب أن يسقط كل اعتزاز بشيء غير الإسلام ، مهما كان ذلك الشيء ، مبدأ أو منهجا أو جاها أو مالا أو قدرة أو غيرها .

رابعا : خلع كل معوق أو مثبط عن المضى فى العمل ، والتجرد من هذا المثبط مهما كان ـــ علما بأن المعوقات فى طريق العمل الإسلامى كثيرة ، بعضها ينبع من العامل نفسه ، وبعضها ينبع من الظروف المحيطة بالعمل أو العامل ، وبعضها ينبع من كيد الأعداء للعمل الإسلامى وللعاملين فيه .

ولابد لنا من أن نضرب بعض الأمثلة على تلك المعوقات .

فمن المعوقات الشخصية :

١ ـ قصور الفهم للدين ومنهجه ونظامه ،

٢ ـ وقصور الفهم فى طبيعة المرحلة ومتطلباتها ،

٣ ـ والخلط بين واجبات الدعوة ، وأولويات هذه الواجبات وبين شىء آخر ،

٤ ـ وفتور الهمة والتراخى والكسل ،

٥ ـ وحب الدنيا والإقبال عليها ، وإيثار الراحة والدعة ،

٦ ـ والخوف أو الجبن أو الإسراف فى التوقى والحذر ،

٧ ـ والبخل بمال الله على دعوة الله ،

٨ ـ واتباع الهوى ،

٩ ـ وكراهية الموت ،

١٠ ـ وفقد الأهلية للعمل فى المرحلة .

ومن المعوقات غير الشخصية مايلى :

١ ـ إعطاء مطالب الحياة ـ العمل والبيت والأولاد ـ أكثر مما تستحق ، لأنَّ ذلك سيكون على حساب العمل الإسلامى ،

٢ ـ وعدم وضوح الخطة المرسومة للعمل فى ذهن العامل ، أو عدم التقيد باتباعها عند وضوحها .

٣ ـ وعدم الإدراك الدقيق للتيارات المعادية للعمل الإسلامى ، إدراك أبعاد خططها وبرامجها ووسائلها ، لأن ذلك يجعل كل جهد مبذول فى العمل ، معرضا للضياع .

٤ ـ وعدم الإدراك الواعى للظروف السياسية والاجتماعية ، التى تحكم البلد الذى يمارس فيه العمل الإسلامى ، لأن من شأن ذلك أن يؤدى إلى مشكلات ، ومتاعب ، وتخبطات . فكل بلد له ظروفه ، التى يجب وضعها فى الحسبان .

٥ ـ والغفلة عن المخططات العالمية التى توضع لرصد العمل الإسلامى والعاملين فيه ، لأن هذه الخطط تكون من المهارة ، بحيث تجهض كثيرا من العمل الإسلامى ، قبل نضجه ، فضلا عن وصوله إلى هدفه .

ومن السذاجة تصور ، أن أعداء الإسلام ، يسكتون ساعة من ليل

أو نهار ، عن وضع الخطط المثبطة أو المجهضة للعمل الإسلامى فى أى بلد من بلدان العالم الإسلامى .

٦ ــ والغفلة عن الظروف الداخلية للجماعة العاملة من أجل الإسلام فى أى بلد من بلدان المسلمين ، وما يحكم هذه الظروف من علاقات متشابكة توجب الحيطة والحذر قبل ممارسة أى عمل .

إلى غير ذلك من المعوقات ، التى تخص كل موطن على حدة والتى لا يمكن حصرها فى هذا المجال .

خلع كل هذه المعوقات ، هو معنى من معانى التجرد للعمل الإسلامى ، للعمل فى أى مرحلة من مراحل الدعوة إلى الله .

وللإمام « البنا » كلمات رائعة فى التجرد ، نختم بها هذا الحديث ، وهى ختام طيب جامع ، حيث يقول :

« وأريد بالتجرد : أن تتخلص لفكرتك مما سواها من المبادئ والأشخاص ، لأنها أسمى الفكر وأجمعها وأعلاها ﴿ **صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة** ﴾ البقرة ﴿ **قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده** ﴾ الممتحنة .

والناس عند الأخ الصادق واحد من ستة أصناف :

* مسلم مجاهد ،
* أو مسلم قاعد ،
* أو مسلم آثم ،
* أو ذمى معاهد ،
* أو محايد ،
* أو محارب .

ولكل حكمه فى ميزان الإسلام .

وفى حدود هذه الأقسام توزن الأشخاص ، والهيئات ويكون الولاء أو العداء »[1] .

(١) الإمام البنا : رسالة التعاليم .

العنصر الرابع : متطلبات المرحلة فى التنظيم

ويتناول أموراً :

الأول — تحديد الواجبات ،

الثانى — تحديد الاحتياجات .

والثالث — تحديد الأفراد « الطاقات البشرية المنفذة » .

تمهيد :

نعنى بالتنظيم فى هذا المجال ، كل فكر أو خطة ، أو عمل ، له علاقة بتحقيق الأهداف ، وفق الوسائل التى تقرها الشريعة الإسلامية ، ونتعمد التوسع فى مفهومه ، بحيث يرادف مفهوم الإدارة ؛ فيتناول : تنسيق جهود الأفراد والجماعات ، لتحقيق هدف معين ، كما يدخل فى مفهومه : التخطيط ، والتوظيف ، والتوجيه ، والتنسيق ، والتمويل ، والمتابعة .

وهذا التنظيم بهذا المعنى الواسع ، من أهم ما تحتاج إليه المرحلة التنفيذية ، إذ لايتصور تنفيذ بغير تنظيم .

وروح هذا التنظيم ومخّه ولبابه هو :

تحديد الواجبات ،

وتحديد الاحتياجات ،

وتحديد الأفراد أو المجموعات التى تقوم بالعمل .

وبعد تحديد الواجبات فى هذه المرحلة ، لابد من التنسيق بين المتشابه منها ، وتجميع هذا المتشابه فى وظائف أو إدارات ، مع تحديد الإطار الزمنى ، الذى يجب أن تتم فيه هذه الواجبات .

كما أن تحديد الاحتياجات ، يقتضى تصور خريطة لهذه الاحتياجات العاجلة أو الآجلة ، وتحديد العلاقات ، التى تربط بين هذه الاحتياجات ، بحيث لا يحدث بينها تداخل ، فضلا عن تضارب .

ثم تأتى فى التنظيم عملية ثالثة ، هى تحديد الأفراد ، أو المجموعات ، الذين يحتاج إليهم

العمل ، ويسدون الثغرات .

وكل ذلك من متطلبات التنظيم ، بل من ضروراته .

وسواء أكان شكل التنظيم رأسيا ، أى رئاسيا ، أم هرميا ، أم متدرجا ، أم مشتركا ، أم استشاريا ، فإن كل هذه الأنواع من التنظيم لابد فيها من : تحديد الواجبات ، وتحديد الاحتياجات وتحديد الأفراد والطاقات البشرية المنفذة .

ولنتحدث عن كل تحديد بشيء من التفصيل .

أولا : تحديد الواجبات

إذا كانت الواجبات فى مرحلة التعريف واضحة بوضوح أهدافها ، وتحديد الوسائل فيها ، والأساليب ، والاستمرار فى ذلك ، حتى تتحقق أهداف المرحلة .

وإذا كانت مرحلة التكوين قد اتضحت واجباتها كذلك ، من خلال التحديد الدقيق لأسس التكوين ، وأركانه ، وشروطه ، وآدابه فى المكوِّن والمكوَّن ، مع الاستمرار فى ذلك كله بصبر ودأب حتى تتحقق أهداف المرحلة .

إذا كانت الواجبات فى هاتين المرحلتين واضحة ، والاستمرار فى هذه الواجبات ، تفرضه طبيعة المرحلتين ، وهى طبيعة تربوية تكوينية ، لا يتوقف العمل فيها عند حد معين ، وإنما تستمر التربية والتكوين ، مع استمرار التعريف والتبليغ ، لتجدد الأجيال ، وتجدد الواجبات .

أقول : إذا كان ذلك كذلك فى هاتين المرحلتين ، فإن مرحلة التنفيذ ، تحتاج منا إلى توضيح أكبر لواجباتها ، لا لأنها أهم المراحل فى الدعوة إلى الله فحسب ، ولكن لأنها مع ذلك تمثل التطبيق العملى للإسلام كله ، إذ هى مرحلة جنى الثمار ، بعد إلقاء البذور الصالحة فى التربة الصالحة ، وتعهدها بكل أسباب النماء ، فهى بحق مرحلة الجهاد الذى لا هوادة فيه ، والعمل المتواصل فى سبيل جنى الثمار ، والوصول إلى الغاية .

وهى من أجل ذلك مرحلة ابتلاء ومعاناة ، لايصبر عليها ، إلا الصادقون من الرجال .

ولتوضيح الواجبات فى هذه المرحلة نقسمها إلى قسمين :

قسم يوضح واجبات الفرد .

وآخر يوضح واجبات الجماعة .

فنقول وبالله التوفيق .

القسم الأول : واجبات الفرد :

إن أجمع ما يقال فى تحديد واجبات الفرد فى مرحلة التنفيذ ، هو أن تتوفر فيه أركان البيعة العشرة التى أوضحها الإمام « البنا » ، وبنى عليها رسالة التعاليم كلها وهى :

١ ــ الفهم ،

٢ ـــ والإخلاص ،
٣ ـــ والعمل ،
٤ ـــ والجهاد ،
٥ ـــ والتضحية ،
٦ ـــ والطاعة ،
٧ ـــ والتجرد ،
٨ ـــ والثبات ،
٩ ـــ والأخوة ،
١٠ ـــ والثقة(١) .

إن مرحلة التنفيذ توجب على كل فرد فيها ، أن يستوفى هذه الأركان العشرة ، التى لا يتم العمل الإسلامى الراشد ، إلا بها ، هذا الفرد فى مرحلة التنفيذ ، هو صفوة مرحلة التكوين ، وقد كان الفرد فى مرحلة التكوين ، هو صفوة مرحلة التعريف ، فالفرد فى مرحلة التنفيذ صفوة الصفوة ، فانحصرت بذلك واجباته الذاتية فى هذه الأركان العشرة .

ولا ينبغى أن نتصور ، أن توفر هذه الأركان العشرة ، أمر سهل ، أو غنيمة باردة ، وإنما كل ركن منها ، يحتاج إلى صبر ومعاناة ، وهى فى مجموعها لا تتوفر ، إلا فى رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه .

وحسبنا هنا أن نشير ، إلى ضرورة قراءة رسالة التعاليم ، قراءة تأمل وتدبر ومدارسة ، على يد شيوخ من رجال الدعوة ، أصحاب السابقة والخبرة فيها .

إن لرسالة التعاليم تاريخا ، لا تفهم حق الفهم إلا من خلاله ، وإن لها رجالا عايشوها ، لايستطيع غيرهم أن يفصلها ويشرحها ، إلا بمزيد من العناء والجهد .

وإن قراءة الرسالة قراءة عاجلة ، قد تؤدى إلى فهمها ، ولكن فقهها ، لا يتأتى إلا مع المدارسة ، على يد الشيوخ من رجال الدعوة وأهل السابقة فيها ـــ كما قلت آنفا .

القسم الثانى : واجبات الجماعة :

وهذه الواجبات على الجماعة ذات فروع ثلاثة :

---

(١) راجع رسالة التعاليم كاملة واقرأها قراءة تأمل وتدبر .

١ ــ واجب الجماعة على مستوى الإقليم ، الذى تمارس العمل فيه ،
٢ ــ وواجب الجماعة على مستوى العالم الإسلامى ،
٣ ــ وواجب الجماعة على مستوى العالم كله .

وكل مستوى من هذه المستويات له واجبات تخصه ، تحقق أهدافه إذا أديت على وجهها الصحيح ، وتمكن للإسلام والمسلمين فى الأرض ؛ ليسود شرع الله ومنهجه ونظامه .

ولنوضح كل واجب منها فى مستواه .

١ ــ واجب الجماعة على مستوى الإقليم الذى تعمل فيه :

تحديد هذا الواجب لابد أن تسبقه دراسة ، تعرف بالاحتياجات ، وترسم أبعادها ، وتأخذ فى اعتبارها كل الظروف والملابسات ، التى تحيط بالعمل الإسلامى فى هذا الإقليم بالذات .

وكل إقليم لابد له من احتياجات أساسية ، يشارك فيها كُلُّ إقليم فيه عمل إسلامى وحركة إسلامية ، كما لابد له من احتياجات تخصه ، وتتجاوب مع ظروفه وأوضاعه ، وتحقيق هذه الاحتياجات ، هو واجب الجماعة كهيئة .

ولذلك فسوف أتحدث عن هذه الواجبات الأساسية العامة فى كل الأقاليم الإسلامية ، ثم عن الواجبات التى تخص كل إقليم على حدته .

أما الأساسيات فى هذه الواجبات فهى ــ كما بدا لنا من خلال الزيارات والتجارب التى مرت بنا ، فتعرفنا من خلالها على هذا القدر المشترك من الأساسيات ــ فهى :

أولا : الحاجة إلى فقه الإسلام ، عقيدة وعبادة ومعاملة ، وهذا يستوجب الاهتمام الشديد بمرحلة التعريف « التبليغ » وما تحتاجه من مدارس ومساجد وحلقات ومدارسات . كل العالم الإسلامى فى ذلك سواء .

وهذا أول واجبات الجماعة فى هذا المستوى .

ثانيا : الحاجة إلى إعداد طوائف من المسلمين ، القادرين على تربية غيرهم ، وإعدادهم إعداد إسلاميا متكاملا ، وهذا يتطلب الاهتمام الشديد بمرحلة التكوين ، وماتحتاجه من وسائل ، كالأسرة والكتيبة والرحلة والدورة والندوة والمخيم والمؤتمر .

وعلى الجماعة ، أن تشيع هذا الفقه الحركى فى كل الأقاليم ، وأن تبعث بالرجال

القادرين على تفقيه العاملين بهذه الوسائل ، فهى أهم تراث الجماعة ، وأفعل وسائلها فى التربية .

ثالثا : الحاجة إلى تلبية كثير من الاحتياجات المادية للعمل الإسلامى ، كإقامة المؤسسات الاقتصادية ، والاجتماعية ، والثقافية ، والإعلامية ، والتربوية ، وما تتيحه هذه المؤسسات من فرص عمل نظيفة ، معزولة عن كل ما يلوث العمل ، من أوضار النظم والنظريات المعادية للإسلام ، وما تتيحه كذلك من فرص جيدة ، لتطوير العمل وتحسينه ، لأمانة القائمين عليه ..

وهذا يستدعى العمل على تكوين هذه المؤسسات ، ورعايتها ومدها بالعناصر القادرة على التوجيه ، وإن على الجماعة ، أن تشجع أهل كل إقليم على إقامة هذه المؤسسات ، وأن تمدهم بالخبرات والتجارب والرجال ، ماوجدت إلى ذلك سبيلا .

رابعا : الحاجة إلى تأمين العمل الإسلامى فى كل إقليم تأمينا يكفل له النجاح ، ويحول بينه وبين الاصطدام بالعقبات والعراقيل .

وهذا يلزم الجماعة برسم الخطط ، ووضع النظم والبرامج ، على أيدى الخبراء والمختصين ، ثم مَدِّ هذه الأقاليم ، بتلك الدراسات المستوعبة ، التى قامت على العلم والمعرفة والبحث والتجريب .

وأما الأساسيات التى يحتاج إليها كل إقليم على حدته وتكاد تخص الإقليم بذاته ، فإنها يجب أن تسبق بدراسة مستفيضة ، لظروف هذا الإقليم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية والتربوية ، وطبيعة النظام الذى يسوده ، ومعرفة الأهداف القريبة والبعيدة التى يستهدفها .

وكل إقليم يختلف عن الآخر ، فى هذه الظروف كلها .

وعلى الجماعة أن تضع فى اعتبارها ، كل هذه الظروف ، وهى تخطط أو تساعد أهل الإقليم فى التخطيط ، وألا تتجاهل من هذه الظروف شيئا ، مهما كان طارئا أو بسيطا ، وإلا أصيب العمل الإسلامى فى هذا الإقليم بالفشل والتخبط والضلال عن الهدف .

وأبرز مايراعى من ظروف فى أى إقليم مايلى :

١ ــ التعليم : أهدافه ووسائله والقائمون عليه ،

٢ ـــ والمساجد ودورها والمشرفون عليها ،
٣ ـــ وأجهزة الإعلام وأهدافها وما تقدمه للناس ،
٤ ـــ والاقتصاد ومؤسساته وتوجهاته ،
٥ ـــ والفكر ورجاله وتوجهاته ،
٦ ـــ والسياسة : أهدافها وأبعادها ،
٧ ـــ والأمن وظروفه وملابساته ،
٨ ـــ والعادات والتقاليد التى تسود الإقليم ،
٩ ـــ وارتباطات الإقليم بمعاهدات واتفاقيات ،
١٠ ـــ والأقليات فى هذا الإقليم .

وكل واحد من هذه الظروف ، ينبغى أن يدرس دراسة جيدة ، تتعرف على مافيه من إيجابيات وسلبيات ، تتفق مع الإسلام منهجه ونظامه ، أو تختلف معه ، وما مدى هذا الاختلاف ، وما فرص احتوائه ، أو تعديله ؟

ولا ينبغى أن تتوقف الدراسة ، عند حد سرد العيوب ، وسرد المثالب والسلبيات ، بل لا بد من تقديم البدائل المدروسة بعناية ، وطرحها على مستوى الإقليم ، فما أخذ به المسئولون فى الإقليم ، فخير ونعمة من الله على أهل الإقليم ، توجب عليهم المعاونة والمساندة ، والتشجيع والدعم . وما لم يأخذ به المسئولون ، فإن الجماعة مطالبة بأن تبذل مافى وسعها ؛ لتخرجه هى إلى حيز الوجود ، حتى تؤكد للناس صلاحه وأهميته .

وكل ظرف من هذه الظروف يمثل مرتكزا هاما ، من مرتكزات العمل الإسلامى ، ما ينبغى أن يغيب أبدا عن تصورات الجماعة وسياساتها وخططها وبرامجها ، وما يجب أن توجهه إليه من طاقات علمية وبشرية ومادية ، إن استطاعت إلى ذلك سبيلا .

وعلى رأس هذه الظروف ، وأهم منها جميعا ، ومواكب لها ، ومواز لبرامجها ، تلك التربية الخاصة ، التى تمارسها الجماعة فى أفراد الناس ، عن طريق وسائل الجماعة فى التربية الإسلامية .

وهى وسائل معروفة متكاملة ، لها من الاستمرارية ، مايجعلها أهدافا فى حد ذاتها ، لا يتوقف العمل بها ، حتى عندما تتحقق أهدافها المرحلية ، بل لا تتوقف التربية عن طريق هذه الوسائل ، حتى بعد مرحلة التمكين « الحكومة الإسلامية » لأنها وسائل خاصة ،

مكملة للوسائل العامة للتربية فى كل إقليم .

تلك حقيقة لا تقبل جدلا ، إلا عند غير المدققين فى تاريخ العمل الإسلامى بعامة ، وتاريخ الجماعة على وجه الخصوص .

وإن على أولئك الذين يتصورون أن بعض وسائل الجماعة فى التربية ، قد تقادمت ، وأصبحت عاجزة عن مواكبة المتغيرات ، عليهم أن يراجعوا أنفسهم ، وأن يدققوا فى الصدق مع أنفسهم ، بل عليهم أن يقدموا البدائل ، التى يرون إحلالها ، محل ماتقادم من وسائل التربية فى الجماعة .

٢ ــ واجب الجماعة على مستوى العالم الإسلامى :

إن هذا الواجب ، لا بد أن يركز فيه ، على الاهتمام بقضايا ذات أهمية خاصة ، وذات حجم كبير نذكر منها :

أولا : إحصاء علمى للمسلمين ، وظروفهم فى العالم الإسلامى ، يتناول مايلى :

١ ــ عدد المسلمين فى كل بلد إسلامى ،

٢ ــ وظروفهم التعليمية والثقافية ،

٣ ــ ومدى تمسكهم بالإسلام وقوة تنظيمهم ،

٤ ــ وظروفهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ،

٥ ــ والتيارات الموالية والمعادية لهم فى بلدهم ،

٦ ــ ومدى تجاوبهم وارتباطهم بالحركات الإسلامية ،

٧ ــ وحجم خبرتهم فى مجال العمل الإسلامى ،

٨ ــ وأبرز مشاهيرهم من العاملين فى الحقل الإسلامى ،

٩ ــ ومدى احتياجاتهم فى مجالات العمل الإسلامى ،

١٠ ــ ومدى مايمكن أن يقدم لهم من معونات .

ثانيا : إحصاء علمى للأقليات الإسلامية ، إحصاء يتناول مايلى :

١ ــ عدد هذه الأقليات وأماكن تواجدها ،

٢ ــ ومكان هذه الأقليات من تركيب المجتمع الذى تعيش فيه ،

٣ ــ وماذا تملك هذه الأقليات من إمكانات ،

٤ ــ والتيارات المعادية لهذه الأقليات ،

٥ ــ وأبرز المشكلات التى تعانى منها هذه الأقليات ،
٦ ــ ومدى احتياج هذه الأقلية من معونات ،
٧ ــ ومدى القدرة على تقديم المعونات لهذه الأقليات .

ثالثا : التعرف على مدى تكامل العالم الإسلامى فى المجالات التالية :
١ ــ المجال الاقتصادى ،
٢ ــ والمجال التربوى ،
٣ ــ والمجال العلمى ،
٤ ــ والمجال التقنى ،
٥ ــ والمجال السياسى ،
٦ ــ والمجال الإعلامى ،
٧ ــ والمجال التنظيمى .

وذلك يتطلب رسم خريطة واضحة كاملة للعالم الإسلامى ، تتضح فيها هذه المجالات بدقة وتفصيل للوصول إلى تعاون بلدان العالم الإسلامى فى هذه المجالات ، تعاونا يضع أقدام المسلمين على طريق الاتحاد فالوحدة .

ثم رسم خريطة لاحتياجات العالم الإسلامى فى مختلف المجالات ، ومعرفة مدى القدرة على سد هذه الاحتياجات من بلد مسلم لآخر ، ثم مدى ما تستطيع أن تستغنى به البلدان المسلمة ، عن الديون الخارجية المشروطة المجحفة ، المنتقصة من حرية بلدان العالم الإسلامى ، واستقلال إرادتها .

إن الاهتمام بقضايا العالم الإسلامى ، ووضع التصورات العلمية الدقيقة لها ، والحلول الملائمة ، هو من أهم واجبات أى جماعة مسلمة ، تتصدى للعمل الإسلامى .

٣ ــ واجب الجماعة على مستوى العالم كله :

ليس من الطموح البعيد المدى ، أن يكون للجماعة تطلع إلى العالم كله ، وعليها واجب نحوه ، أو نحو المسلمين فيه ، وإنما هو الوضع الذى يوجبه الإسلام على المسلمين العاملين ، فى مجال الدعوة إلى الله .

وإن واجب الجماعة على مستوى العالم ، يجب أن يتناول مايلى :

أولا : قضية الوجود الإسلامى فى الغرب :

أ ــ أوروبا ،

ب ــ وأمريكا .

من حيث مايلى :

١ ــ عدد المسلمين هناك ،

٢ ــ ومدى تمسكهم بدينهم ، وسط هذه المجتمعات ،

٣ ــ وإمكاناتهم المادية والمعنوية ،

٤ ــ والتجمعات الفاعلة بينهم ،

٥ ــ والتحدى الموجه إليهم ،

٦ ــ وحاجاتهم من العالم الإسلامى عموما ،

٧ ــ وحاجاتهم من الحركات الإسلامية ،

٨ ــ ووضع خطة تربوية لهم تستهدف مايلى :

* تفقيههم فى الدين ،
* تعليمهم لغة القرآن الكريم .
* عقد صلات بينهم وبين غيرهم من المسلمين .

ثانيا : قضية التيارات المعادية للإسلام والمسلمين مثل :

١ ــ بعض المستشرقين ،

٢ ــ و « التبشير » أو التنصير ،

٣ ــ والغزو الفكرى ،

٤ ــ والصليبية ،

٥ ــ والصهيونية ،

٦ ــ والإلحاد ،

٧ ــ والشيوعية أو الاشتراكية ،

٨ ــ والنزعات والمذاهب الهدامة مثل :

* الفوضويين ،
* والوجوديين ،
* والعراة ،

* ودعاة الشذوذ الجنسى ،
* والمخنثين والمترجلات من النساء ،
* والخنافس .

٩ ــ الحركات التى تدَّعى الإسلام مثل :
* القاديانية ،
* والبهائية ، والبابية ،
* والإسماعيلية ،
* والدرزية ،
* والنصيرية ،
* والبهرة ،
* والمهدية ،
* والنبهانية ،

وغيرها من الجماعات .

ثالثا : قضية الجماعات الإسلامية المعاصرة مثل .

١ ــ السلفيين ،
٢ ــ والتبلغيين ،
٣ ــ والجهاديين ،

وغيرها من الجماعات .

مع تقويم لهذه الجماعات ، وتحديد مكانها ، ومكانتها من الجماعة ، ومن العمل الإسلامى بصفة عامة .

تحديد ذلك كله ، والتعرف على مدى ما يمكن أن تواجه به الجماعات ، أو الجمعيات المنحرفة عن الكتاب والسنة ، من فكر وتنوير ودراسات وبحوث ، مع استبعاد الصراع والعنف ، أو تبادل الاتهامات ؛ لأن ذلك أسلوب لا يفيد ، إلا أعداء الإسلام والمتربصين بالمسلمين .

ومعرفة مدى ما يمكن أن يكون من تعاون وتنسيق مع الجماعات الموالية للإسلام والملتزمة بالكتاب والسنة .

ولن تستطيع الجماعة ، أى جماعة ، أن تقوم بهذا الجهد ، إلا إذا تضافرت الجهود ، وصدقت النوايا ، وكان هناك بذل وتضحية ، وطاعة وثقة ، فى القيادة ، وتعاون معها ، فى مدها بكل ما هى فى حاجة إليه ماديا ومعنويا ، وتزويدها دون أن تطلب بالمقترحات والآراء البناءة .

ثانيا : تحديد الاحتياجات

من سمات أى عمل ناجح ، أن تكون احتياجاته ومتطلباته واضحة معروفة للعاملين فيه ، معروفة نوعا وكمًّا ، وترتيبا وهدفا ووسيلة ، وبغير هذا الوضوح والتحديد ، فإن العمل ، إما أن يتعثر ، أو يضل عن الهدف .

والعمل الإسلامى فى مجال الدعوة إلى الله ، بحاجة ماسة إلى تحديد احتياجاته ، ومتطلباته على النحو الذى ذكرنا .

ومرحلة التنفيذ ، من بين مراحل الدعوة إلى الله ، حاجتها إلى ذلك أشد لكثرة احتياجاتها ومتطلباتها من ناحية ، ولتنوع هذه الاحتياجات من ناحية أخرى .

وإذا كنا قد تحدثنا ــ آنفا ــ عن التخطيط والتنظيم ، فإن تحديد هذه الاحتياجات خطوة هامة فى التخطيط والتنظيم والإدارة أى خطوة لابد منها .

وبادئ ذى بدء ، لابد من رسم خريطة للاحتياجات فى المرحلة الراهنة ، تغطى وتحدد نوعين من الاحتياجات :

أ ــ الاحتياجات العاجلة ،

ب ــ والاحتياجات الآجلة .

وبدون تحديد هذين النوعين من الاحتياجات ، لا يحدث التواصل المنشود فى سد الاحتياجات ، لأنه قد جرت العادة للأسف على تحديد الاحتياجات العاجلة ، وإهمال الاحتياجات الآجلة ، فإذا بالآجل يسرع الخطى ليكون عاجلا ، خضوعا للمتغيرات المستمرة فى الحياة البشرية ، وإذا بسد الحاجة العاجلة ، يصبح غير كاف وغير مفيد ، وما هو إلا قليل وقت ، حتى يصاب العمل بالارتباك ، ويضيع الهدف وتغيم الغاية .

أ ــ تحديد الاحتياجات العاجلة :

وإن رسم الخريطة للاحتياجات العاجلة لابد أن تراعى فيه المستويات المطلوبة على النحو التالى :

١ ــ خريطة احتياجات عاجلة ، على مستوى بلد بعينه ،

٢ ــ وخرائط احتياجات عاجلة ، على مستوى كل بلد مسلم ،

٣ ــ وخرائط احتياجات عاجلة ، على مستوى العالم كله ،

٤ ــ وخرائط احتياجات عاجلة ، على مستوى الأقليات المسلمة فى العالم .

وغنى عن التنبيه ألا يتم وضع هذه الخرائط ، إلا بأيدى علماء متخصصين ، من أبناء كل بلد مسلم ، إذ لا يعرف هذه الاحتياجات إلا أبناء البلاد ـــ وقديما قال أسلافنا رضى الله عنهم : « أهل مكة أدرى بشعابها » .

ب ـــ أما الاحتياجات الآجلة :

فإن الحديث عنها يتوقف على تنفيذ خريطة الاحتياجات العاجلة ، ونأمل أن يسهم العاملون فى الحقل الإسلامى فى ذلك فى حينه .

ولأن موضوعنا هنا ـــ فى هذا الكتاب ـــ يركز على فقه الدعوة إلى الله ، مراحلها ودعاتها والمدعوين إليها ، فإن أهم الاحتياجات عندنا ، هى ماكانت لها اتصال بالدعوة إلى الله .

وفى هذا المجال ينبغى أن يركز التحديد لهذه الاحتياجات على النحو التالى :

١ ـــ تحديد الاحتياجات فى مجال مرحلة التعريف :

وهذه الاحتياجات ، يعدها المتخصصون من الدعاة على أعلى مستويات التخصص .

وهذه الاحتياجات بعد تحديدها تتطلب مايلى :

أ ـــ خطة محكمة لسد هذه الاحتياجات ،

ب ـــ ومناهج دراسية ، تكفل للدارس التعرف على الإسلام ، عقيدة وعبادة ، وعملا وسلوكا ،

جـ ـــ ودراسة علمية منهجية فى فقه التعريف ،

د ـــ وتحديدا جيدا لصفات من يدخلون هذه المرحلة من مراحل الدعوة إلى الله ،

هـ ـــ وتحديدا دقيقا لأهلية من يقومون بالإشراف على هذه المرحلة من الدعاة ،

و ـــ وإعداد كتب ورسائل ونشرات تسد أى ثغرة فى هذا المجال ،

ز ـــ ووضع برنامج ـــ إقليمى ـــ لمرحلة التعريف ، مع تحديد المدى الزمنى الذى يجب أن ينجز فيه هذا البرنامج .

٢ ـــ تحديد الاحتياجات فى مرحلة التكوين :

ويقوم بإعداده صفوة الدعاة ، أصحاب السابقة والخبرة ، من المشرفين على هذه المرحلة ، وبعد تحديد هذه الاحتياجات ، فإنها تتطلب مايلى :

أ ـــ وضع خطة محكمة لسد ثغرات هذه الاحتياجات ،

ب ـــ وإعداد مناهج دراسية :

* نظرية ،

* وعملية ،

* وتدريبية ،

* وتقويمية ، لسد الاحتياجات فى التكوين والإعداد ،

جـ ــ وإعداد دراسة علمية منهجية فى فقه التكوين ،

د ــ وتحديدا واضحا دقيقا للصفات التى يجب أن تتوفر فيمن ينضم لمرحلة التكوين ممن أنجزوا مرحلة التعريف وفق برنامجها وإطاره الزمنى ،

هـ ــ وتحديدا دقيقا للصفات التى يجب أن تتوفر فيمن يشرفون على هذه المرحلة ، من صفوة الدعاة إلى الله ، وممن لهم السابقة والخبرة ،

و ــ إعداد الكتب والرسائل والنشرات التى تسد كل نوع من الاحتياج فى هذه المرحلة ،

ز ــ وضع برنامج للتكوين ، وتحديد مداه الزمنى بدقة وحسم .

٣ ــ تحديد الاحتياجات فى مرحلة التنفيذ :

ويقوم بإعداده صفوة الصفوة من الدعاة إلى الله ، ممن يشرفون على هذه المرحلة .

وهذه الاحتياجات بعد تحديدها ، تتطلب ما يلى :

أ ــ وضع خطة مدروسة ، لسد هذه الاحتياجات ،

ب ــ وإعداد مناهج دراسية : نظرية وعملية وتدريبية وتقويمية ــ كالمرحلة السابقة ، لسد هذا الاحتياج ،

جـ ــ وإعداد دراسة علمية منهجية فى فقه التنفيذ ،

د ــ وتحديدا صارما لصفات من ينضمون إلى هذه المرحلة من صفوة مرحلة التكوين ،

هـ ــ وتحديدا صارما دقيقا لصفات من يشرفون على هذه المرحلة من صفوة الصفوة من الدعاة ،

و ــ وإعدادا للكتب والدراسات والبحوث ، التى تسد الاحتياجات فى هذه المرحلة ،

ز ــ ووضع برنامج لهذه المرحلة ، يشتمل على إطار زمنى ، موضوع بعناية ودقة

وحسم .

وهذه المراحل الثلاث ، يمكن أن تقدم بين يدى من يقومون بالتعرف على احتياجاتها ، من أهل العلم والتخصص والسابقة والخبرة ، مؤشرات تدل ولا تكفى ، وتعين ولا تغنى ، وترسم بعض المعالم ولكنها لا ترسم الطريق .

وهذه المؤشرات هى :

١ ـــ الفقه الخاص بكل مرحلة من مراحل الدعوة إلى الله .

٢ ـــ والدراسات والبحوث العلمية المنهجية اللازمة .

٣ ـــ والدراسات العملية الميدانية « الفنية » .

٤ ـــ والرجال القائمون على العمل فى هذه المراحل وأهليتهم .

٥ ـــ والبرامج القادرة على تحقيق أهداف هذه المراحل .

٦ ـــ والاحتياجات المادية لهذه المراحل « أموال وجهود وأوقات » .

٧ ـــ والاحتياجات الأمنية لكل مرحلة .

٨ ـــ والأولويات التى يجب أن يخضع لها العمل فى كل مرحلة .

٩ ـــ والشروط الواجب توفرها فى أفراد هذه المراحل .

١٠ ـــ وأدب كل مرحلة وضرورة أن يسود كل العاملين فيها .

تلك صورة غاية فى الإجمال للاحتياجات ، من خلال رؤية فرد ، لا مجموعة من العلماء أهل التخصص من أبناء كل إقليم تحدد فيه خرائط احتياجات الدعوة إلى الله ، لعل فيها ما يعين ويشير ، وما يجلب ثواب الله تعالى ورضاه .

وهذه الاحتياجات التى رمزنا إليها رمزا ، ينبغى أن ينظر إليها ـــ كذلك ـــ على مستوى أهل كل إقليم على حدة ، ثم على مستوى العالم الإسلامى ، ثم على مستوى العالم كله .

وقد سبق أن قلنا : إن هذا واجب الجماعة ، ونحن نتحدث عن واجبات الجماعة آنفا .

كما نحب أن ننبه إلى أن تحديد هذه الاحتياجات على هذه المستويات ، عمل هام له خطره وجلاله وفاعليته فى تحقيق الأهداف ، وهو فى الوقت نفسه من أبرز الأدلة على أن الآخذين به قد بلغوا سن الرشد فى العمل الإسلامى ، ونسأل الله لهم التوفيق فى كل

أمرهم ، والسداد فيما يقومون به من عمل جليل .

٤ ــ تحديد الاحتياجات فى مرحلة التمكين[1] :

وهى هدف الدعوة إلى الله ، إذ هى مرحلة الحكم بما أنزل الله ، ووجود الحكومة الإسلامية .

ويقوم بإعداد هذه الاحتياجات ، دعاة على مستوى المسئولية عن هذه الحكومة ، كل فيما تخصص فيه وأعد له ــ وقد يحلو لبعض المعاصرين أن يسموهم حكومة الظل ــ فليكن ذلك أو سواه ، إنما المهم أن تعد هذه الاحتياجات بأقصى درجات الدقة والموضوعية ، لأنها المرحلة التى تواجه حكومات العالم كله ، لتقول : هكذا يكون الحكم بالإسلام .

وعند تحديد هذه الاحتياجات ، تتطلب على وجه الإجمال خطة يعدها أهل الاختصاص ، على أعلى مستوى تستجيب لكل مرفق من مرافق الدولة ، لكى يؤدى أداء إسلاميا ، يتخذ من الشريعة الإسلامية مصدرا ومخًّا ولبابا ، سواء أكان ذلك بتعديل ما هو قائم أم تبديله .

---

(١) سيأتى الحديث عن هذه المرحلة ، بعد الانتهاء من الحديث عن مرحلة التنفيذ ، بإذن الله تعالى .

ثالثا : تحديد الأفراد « الطاقات البشرية المنفذة »

الطاقات البشرية فى كل عمل ، هى أبرز عناصره ، وأقدرها على المضى به ، نحو أهدافه ، وفق الخطة المرسومة ، والوسائل المحددة .

ومادام البشر القائمون بالعمل على مستوى المسئولية والتقدير الصحيح للعمل المنوط بهم أهدافه ووسائله وأبعاده الزمنية ، فإن ذلك مما يطمئن على سلامة العمل وصحته واستقامته على الطريق الصحيح .

وما أصيب عمل باختلال ، أو ضلال عن الهدف ، إلا وكان من بين أسباب اختلاله أو ضلاله تقصير الأفراد القائمين به ، كان الأمر كذلك فى الماضى وفى الحاضر ، وسيظل كذلك فى المستقبل ، وفى كل مكان .

وكل جماعة تعمل من أجل الإسلام ، إنما يقوم عملها أساسا على التنسيق بين جهود الأفراد العاملين ، وحسن توجيههم ، وحسن توظيف جهودهم ، لتحقق الغاية والهدف ، أى إن العناصر البشرية ، هى التى توصل إلى الأهداف .

تلك مسلمات لا تحتاج إلى براهين وأدلة ، منذ عرفت البشرية العيش على هذا الكوكب الأرضى .

وانطلاقا من هذه المسلمة الأولية ، فإن تحديد الطاقات البشرية اللازمة للعمل الإسلامى فى كل مرحلة من مراحل الدعوة إلى الله ، أمر ضرورى بالغ الأهمية ، يتصدر دائما عوامل النجاح فى العمل .

فما هى احتياجات العمل الإسلامى من الطاقات البشرية ؟

إن كل مرحلة من مراحل العمل الإسلامى لها احتياجاتها بكل تأكيد ، ولا بد لنا أن نشير هنا إجمالا إلى احتياجات مرحلتى التعريف والتكوين ، لأن هذه مناسبتها ، ثم نفصل القول فى احتياجات مرحلة التنفيذ التى نحن بصددها الآن .

وبالتالى فهى نقاط ثلاث :

الأولى : احتياجات مرحلة التعريف .

الثانية : احتياجات مرحلة التكوين .

الثالثة : احتياجات مرحلة التنفيذ .

فنقول سائلين الله التوفيق .

النقطة الأولى :

احتياجات مرحلة التعريف :

تحتاج هذه المرحلة إلى أفراد مؤهلين لهذه المرحلة ، وإلى قيادة مؤهلة لهؤلاء الأفراد ، وإلى منسقين بين الأفراد وقياداتهم ، ولكل نوع من هذه الأنواع الثلاث صفات ، يحسن بنا أن نلقى حولها بعض الضوء ، على النحو التالى :

١ ــ الطاقات البشرية اللازمة لمرحلة التعريف ، على مستوى الأفراد :

وتحتاج هذه المرحلة ، فى هذا المجال إلى أكبر عدد من الأفراد ، الذين تتوفر فيهم الصفات التالية على وجه الإجمال :

أ ــ حب للإسلام وإقبال عليه عقيدة وعبادة ،

ب ــ وحب للعمل من أجل الإسلام ، وحب للبذل والتضحية فى سبيل ذلك ،

جـ ــ فهم جيد لضرورة العمل للإسلام فى جماعة ، انطلاقا من أن العمل الفردى ، لا يمثل إلا تحقيق مصلحة ذاتية ،

د ــ إدراك جيد لواقع المسلمين اليوم ، وكيف ابتعدوا عن دينهم ، وأسباب ذلك ، ونتائجه ، وأن المنجى لهم من ذلك ، هو العمل وفق منهج الإسلام ،

هـ ــ تعلق بالمساجد ، ورغبة أكيدة ، فى التعرف على المسلمين فيها ، ورغبة فى نفع المسلمين ، وتقوية الروابط بهم[١] .

٢ ــ الطاقات البشرية اللازمة لمرحلة التعريف ، على مستوى قيادتها :

وأبرز صفات هذه القيادات مايلى :

أ ــ التزام دقيق بالإسلام فى كل مرافق الحياة ،

ب ــ وفقه جيد للإسلام ، عقيدة ، وعبادة ، ومعاملة ، من خلال الكتاب والسنة ،

---

(١) يمكن الاستهداء فى هذه الصفات بما سبق أن تحدثنا عنه فى متطلبات مرحلة التعريف .

جـ ــ وقدرة ذاتية على الاختلاط بالناس ومعايشتهم .
د ــ وقدرة على التأثير فى الناس ، وجذبهم نحو الخير ، ونحو العمل الإسلامى ، ونحو العمل الجماعى ،
هـ ــ وقدرة على حب الناس ، والتحبب إليهم .

٣ ــ الطاقات البشرية اللازمة على مستوى التنسيق بين الأفراد وقيادتهم :

وأهم صفات هؤلاء المنسقين هى مايلى :

أ ــ كل ما اشترط فى صفات القيادى ، التى أشرنا إليها فى النقاط الخمسة السابقة .
ب ــ وقدرة على التنظيم تتمثل فى الخبرات الجيدة فى مجال العمل الإسلامى ، بمعنى أن تكون لهم سابقة فى هذا المجال ، ونشاط وحضور ، وقدرة على الحكم على الناس والأشياء .
جـ ــ وقدرة على التحليل والاستنتاج ، وربط النتائج بأسبابها ، مع دقة الحس والتنبه ، وسرعة الاستجابة .
د ــ وقدرة على تنظيم الأفراد ، ووضع كل مجموعة منهم ذات صفات مشتركة فى الإطار الملائم لها ، والظروف المناسبة لها ، وللعمل الذى تقوم به .
هـ ــ ومعرفة دقيقة بالتنظيم والإدارة والتخطيط ، على المستوى الجيد لهذه العلوم ، انطلاقا من مفاهيمها الإسلامية أولا ، ثم مفاهيمها الحديثة بعد ذلك ، بحيث تتوفر هذه المعرفة بشكل أساسى ــ لا يتسامح فيه ــ فى كل مسئول تنظيمى ، ولا تغنى الثقة هنا عن العلم والمعرفة ، مهما تكن الظروف .
و ــ وفقه عميق بالدعوة الإسلامية المعاصرة فى مراحلها الثلاثة :

* التعريف ،
* والتكوين ،
* والتنفيذ .

ومعرفة جيدة بأبعاد كل مرحلة ، ومتطلباتها ، وأهدافها ووسائلها ، واحتياجاتها ، من جميع زواياها .

وبعد : فهذه هى الطاقات البشرية التى تحتاج إليها مرحلة التعريف على مستوى الأفراد

وقيادتهم والمنسقين بين هؤلاء الأفراد وقيادتهم والتنظيم لجهودهم وطاقاتهم وتوظيفها لصالح العمل الإسلامى .

أما مرحلتا التكوين والتنفيذ ، فإن احتياجاتهما البشرية لها حديث آخر نعد به ، ونتوقف عنه الآن لطوله ولاحتياجاته المتعددة ، ونسأل الله التوفيق .

الفصل الثالث

أهداف مرحلة التنفيذ ووسائلها

أهداف مرحلة التنفيذ ووسائلها

أولا : أهداف المرحلة

إن أهداف هذه المرحلة ، تتناسب طرديا مع أهميتها بين مراحل الدعوة ، وقد أوضحنا أهميتها ، وأنها بمنزلة الغاية ، ونهاية المضمار ، بالنسبة للمرحلتين السابقتين .

من أجل ذلك ، سنرى أن أهداف هذه المرحلة ، أكثر أهمية ، بل أشد صعوبة ، مما سبقها من أهداف المرحلتين السابقتين .

ونستطيع أن نحدد أهداف هذه المرحلة ، فيما يلى :

١ ــ تطبيق قيم الإسلام ومبادئه وآدابه وإخراجها من حيز النظرية والمعنى إلى حيز التطبيق والممارسة ، وإعطاء القدوة للآخرين .

ويترتب على هذا التطبيق إلزام النفس والبيت والأبناء ، وكل من هم فى ولاية المنضم إلى هذه المرحلة ، إلزامهم جميعا بالإسلام ، عقيدة وعبادة ، وخلقا وسلوكا ، وليس هذا باليسير ، إلا من يسره الله عليه .

وإن تحقيق هذا الهدف وحده لكفيل بأن يجعل المجتمع كله ــ وهو عدد من البيوت ــ مصطبغا بالصبغة الإسلامية ، وهذا فى حد ذاته اختصار جيد للمسافات التى تفصل بين الإسلاميين ، وبين التمكين لدين الله فى الأرض .

وليس غريبا أن يؤدى اصطباغ المجتمع بالصبغة الإسلامية إلى إيجاد حكومة إسلامية ، تستجيب لرغبة المجتمع فى التغيير ، نحو الأحسن ، ونحو مايريد ، فدعوى كل حكومة ، أيا كان لونها ، أنها تستجيب فيما تأخذ به من منهج أو نظام لرغبات الناس .

٢ ــ تعميق الروابط بين المشاركين فى هذه المرحلة ، وتوثيق الصلات برفعها إلى مستوى الأخوة الإيمانية فيما بينهم ، بحيث يصبحون بالفعل كالجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى .

وهذا الهدف يتطلب ــ لكى يتحقق ــ عمق التفاهم ، وقوة التكافل ، بحيث لا

يكفى فى هذه المرحلة — كما كان كافيا فيما سبقها — التفاهم والتكافل مجردين من هذا القيد ، إذ لابد هنا من عمق التفاهم ، حتى تكون اللغة واحدة ، ولابد من قوة التكافل ، حتى تكون الاحتياجات موزعة على جميع العاملين فى المرحلة .

كما يصبح من الضرورى الفقه العميق لحقوق الأخوة فى الله ، وواجباتها لتبلغ أقصى درجاتها .

ولابد أن يكون التواصى بالحق ، طابعا لهذه المرحلة ، وله يكون التناصر والتآزر ، والتواصى بالصبر عند المحنة والبلاء ، فإن البلاء والمحنة من لوازم هذه المرحلة ، فى الكثير الغالب من الأحيان .

وتلك خطوات فى المرحلة ، يجب أن يألفها المشاركون فيها ، حتى يحمل بعضهم أعباء بعض ، ويحملون جميعا أعباء الدعوة ، دون غضاضة ، فضلا عن تذمر أو ضيق ، بل يكون هناك الرضى والشجاعة والإصرار .

٣ — تعميق الصفاء الروحى للمشاركين فى هذه المرحلة ، بحيث يروض كل منهم نفسه ، على ما لا يستطيع سواه ، فهو قد تميز بهذا الانضمام إلى تلك المرحلة ، وتميز بما توفر له من أهلية ، هى أدق وأشق من أهلية المرحلتين السابقتين ، وكل تميز لابد أن يقابله رياضة روحية ، تحافظ عليه وتصفى الروح ، من أى شوائب تعلق بهذا التميز ، فتطفىء بَرِيقَه ، أو تقلل من شأنه .

وإن ترك الروح بدون هذه الرياضة ، قد يؤدى إلى فقد هذا التميز ، لا إطفاء بريقه فحسب .

والمشارك فى هذه المرحلة من خاصة الخاصة ، ولهذا كان قيام الليل ، بالنسبة إليه عزيمة ، لابد منها ، وكظم الغيظ والصبر الجميل ، وأخذ النفس بالشدة من العزائم كذلك ، التى يأخذ بها المنضم إلى هذه المرحلة نفسه .

غير أننى أنبه إلى أن هذه العزائم المطلوبة ، ما ينبغى أن تصل بأحد الأفراد ، إلى حد التعنت مع النفس ، أو التشدد فى الدين ، فإن هذا منهى عنه ، بنصوص إسلامية عديدة ، وليس من تصفية الروح من شوائبها ، ولا من رياضتها على التحمل والصبر .

أنبه إلى هذا ، حتى لا يسىء أحد فهم المقصود ، بتعميق الصفاء الروحى فى هذه المرحلة .

٤ ــ تقوية الجوانب البدنية فى الفرد ، تقوية توصل إلى الانضباط الملتزم الذى لايؤتى من جانب ضعف أيا كان .

وإن الانضباط فى هذه المرحلة بكل معنى من معانيه ، التى أشرنا إليها فى المرحلة السابقة ــ مرحلة التكوين ــ لهو من المطالب الأولية فى هذه المرحلة .

ويضاف إليه هنا : الانضباط مع متطلبات المرحلة التى أفضنا فيها آنفا ، والتى بلغت أقصى حد ، يمكن أن يصل إليه فرد مختار .

وهذا الانضباط يتطلب بدنا قويا ، وحواس سليمة ، وجسما خاليا من الأمراض ، وإنسانا له ورد رياضى يومى ــ إن صحت منا هذه التسمية ــ وكل هذا لا يتيسر إذا حدث أى إخلال ، ولو كان يسيرا بالسنة النبوية المطهرة فى أمور حيوية فى حياة المسلم ، نشير منها إلى مايلى :

أ ــ ضرورة النوم المبكر ، للاستيقاظ قبل الفجر بوقت يجعل التهجد[1] عادة .

ب ــ وضرورة الاعتدال فى الطعام والشراب واللباس ، وكل ما له علاقة بمطالب الجسد ، حتى يظل المسلم قويا بهذا التوسط والاعتدال .

جـ ــ ضرورة تواضعه ومشاورته إخوانه فى كل ما يعنّ له من أمر ، فقد روى الشافعى بسنده ، عن أبى هريرة رضى الله عنه ؛ قال : ما رأيت أحداً أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله ﷺ . قال الشافعى : وقال الله تعالى : ﴿ **وأمرهم شورى بينهم** ﴾[2] .

د ــ ضرورة الالتزام بأمور ثلاثة ، حث عليها رسول الله ﷺ ، وهى :
* إخلاص العمل لله ،
* والنصيحة للمسلمين ،
* ولزوم جماعتهم .

فقد روى الشافعى بسنده ، عن ابن مسعود ، رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ... ثلاث لا يُغل عليهن قلب مسلم : إخلاص العمل لله ، والنصيحة للمسلمين ، ولزوم جماعتهم ، فإن دعوتهم تحيط من

---

(١) التهجد : صلاة الليل قال تعالى : ﴿ ومن الليل فتهجد به .. ﴾ .

(٢) الإمام الشافعى : مسنده : ٢ / ٤٧٩ ط الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا ١٣٦٩ هـ .

وراءهم »[1] .

هـ ــ ضرورة التضرع إلى الله ، وكثرة الدعاء ، وطلب النصر ، والثبات ، على الإيمان ، فقد روى الترمذى بسنده ، عن أبى هريرة ، رضى الله عنه ، عن النبى ﷺ ، قال : « ليس شيء أكرم على الله من الدعاء »[2] .

وروى أيضا بسنده ، عن أنس بن مالك ، رضى الله عنه ، عن النبى ﷺ ، قال : « الدعاء مخ العبادة »[3] وفى رواية له : « الدعاء هو العبادة » .

و ــ ضرورة الأخذ بكل أسباب القوة البدنية والنفسية والخلقية ؛ لأن رسول الله ﷺ شجع على ذلك ، وأثنى عليه ، فقد روى ابن ماجه بسنده ، عن أبى هريرة ، رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ، ﷺ : « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفى كل خير ... »[4] .

إن التقيد بسنة الرسول ﷺ ، هو الذى يعطى المسلم قوة فى كل شيء ، والمنضم إلى هذه المرحلة فى حاجة ملحة إلى أن يكون قويا فى بدنه ، ونفسه ، وخلقه ، وحسبه أنه مجاهد فى سبيل الله ، عليه أن يعد نفسه ويستعد لكل ما يتطلبه الجهاد من أعباء .

وغنى عن البيان والتنبيه ، أن المشارك فى هذه المرحلة ، لا يتساهل مع نفسه فى تناول الشاى والقهوة ، وسائر المكيفات أخذا بالعزيمة كذلك .

٥ ــ الاستمرار فى العطاء المتصل بالعمل فى المرحلتين السابقتين ، لأن الأصل فى العمل الإسلامى الراشد ، أن يكون على مستوى التوازى أحيانا ، وعلى مستوى التوالى فى بعض الأحيان .

وذلك يترتب عليه اتساع دائرة العمل والبذل ، والتضحية ، بالوقت والجهد والمال والنفس ، إن ذعت ضرورة لذلك .

---

(١) السابق : ١ / ١٤٠ .

(٢) الإمام الترمذى : صحيحه : باب فضل الدعاء : ٥ / ١٢٥ ط الكتبى .

(٣) السابق : ٥ / ١٢٦ .

(٤) ابن ماجه : سننه : باب القدر : ١ / ٤١ ط دار الفكر بيروت دون تاريخ .

ومن أدب هذه المرحلة ، أن يضع كل مشارك فيها نفسه ملكا لدعوته بحيث تكون مطالب الدعوة إلى الله وحاجاتها ، مقدمة عنده على مطالب نفسه وحاجاتها .

والاستمرار فى العمل فى هذه المرحلة ، يعنى من جانب آخر ، أن المشارك فى هذه المرحلة ، مطالب بأكثر مما يطالب به المشارك فى أى مرحلة سابقة ، فهو مطالب بأعباء هذه المرحلة — وهى ثقيلة — ومطالب بالاستمرار فى أعباء مرحلة التعريف وممارستها ، وبأعباء مرحلة التكوين وممارستها ...

ألا ما أصعب الطريق ، وما أقل الزاد ، وما أضعف الراحلة ، إن ذلك لسان حال المشارك فى هذه المرحلة إذا تأمل وتدبر ، ولكنها الاستعانة بالله وبالصبر والصلاة .

وذلك من أدب المرحلة كذلك .

٦ — العمل الجاد الدءوب على تلبية حاجات المجتمع كله ، وجلب المصالح للناس ، ودرء المفاسد عنهم ، وسد كل ثغرة تقرباً بذلك إلى الله ، وأداء للواجب ، وتدربا عمليا على التعاون على البر والتقوى .

وهذا يعنى أن أفراد هذه المرحلة عليهم واجب من نوع جديد ، يتعاونون فيه ، ومن معهم ، ومن حولهم من إخوة وأصدقاء ومحبين للخير ، هذا الواجب هو دفع الحاجات عن المجتمع ، ودفع الأضرار عنه — كما أسلفنا — وذلك إنما يكون بما يلى :

أ — إنشاء المؤسسات الصغيرة ، التى تكفل لأهل الحاجة ، سد حاجتهم ، كالمتاجر الصغيرة ، والمصانع الصغيرة ، وأى مناشط أخرى توفر للناس حاجاتهم ، مع احتفاظهم بكرامتهم وإنسانيتهم ، وبالترفع عن ذل السؤال ، ورفض أن يكون المسلم يداً آخذة ، والإصرار على أن يكون يدا عاملة .

ب — والإسهام فى كل عمل يعود على المجتمع بالنفع والخير ، كبناء المساجد والمشافى والمدارس ، وتقوية الطلاب فى دروسهم ، والإسهام فى تنظيف الحى الذي يعيشون فيه ، وتجميله ، ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا .

جـ — الإسهام فى كل عمل من شأنه أن يحول بين الناس وبين الشرور والمفاسد ، التى يمكن أن تقع بهم ، وذلك بالتوعية والتنبيه ، وبذل الجهد والمال ، لأن ذلك عندما يترك للجهات الحكومية وحدها ، يبهظها من جانب ، ولا يؤدى

على وجهه الجيد من جانب آخر ، كما هو مشاهد فى كثير من المجتمعات الإسلامية .

٧ — استشراف المرحلة التالية « مرحلة التمكين » والإعداد لها ، والاستعداد للقيام بأعبائها ، لأنها المرحلة الأمل ، ولا ينال الأمل إلا بالعمل ، والجهد المتواصل ، مع الاستعانة بالله ، والصبر والصلاة ، وإخلاص النية ، وصدق التوجه إلى الله ، والنصيحة للمسلمين ، ولزوم الجماعة .

وربما كان هذا الهدف أصعب الأهداف وأبعدها ، لأن الوصول إلى تحقيقه يتطلب — فوق ما تتطلبه الأهداف التى ذكرنا من جهود — أمرين :

الأول : أن يشعر المشارك فى هذه المرحلة أن الأعمال المنوطة به أكثر من الأوقات التى يملكها ، فيحرص على وقته وأوقات إخوانه ، فلا يضيع منها جزءًا إلا فى عمل نافع ومفيد ، ومسقط لأحد الواجبات عن كاهله ، وما أكثر الواجبات كما ذكرنا ..

والثانى : أن يشعر المشارك فى هذه المرحلة ، أن الأمل أكبر من العمل ، فيضاعف الجهد ، ويحاول الإجادة والإحسان .

وهذان الأمران يوجبان على المشارك فى هذه المرحلة ، أن يقبل على الله بقلبه وعقله وجوارحه كلها ، وأن يبذل من جهده ووقته وماله ما يستطيع ، عسى الله أن يجعل له نصيبا ومشاركة فى مرحلة التمكين .

ثانيا : وسائل المرحلة

كما قلنا فى الحديث عن الوسائل فى كل مرحلة من مراحل الدعوة إلى الله ، نقول هنا : **إن ضابط الوسيلة فى الإسلام أن تكون مشروعة ــ أى مما أحل الله ممارستها ــ فهذا شرط أساسى فى كل وسيلة ، من وسائل العمل الإسلامى .**

والوسائل فى هذه المرحلة ، لن تختلف كثيرا عن الوسائل العامة للتربية التى تعارفت عليها كبرى الحركات الإسلامية فى العصر الحديث ، وهى حركة « الإخوان المسلمون » [1] .

وإن تلك الوسائل ــ كما تحدثنا عنها فى مرحلة التكوين ــ تتكامل فى تربية الفرد على أى مستوى من مستويات حاجاته التربوية ، روحية وعقلية وبدنية وحركية وتنظيمية .

وإن هذه الوسائل أو بعضها ، لقادرة على الوفاء بكثير من احتياجات مرحلة التنفيذ .

وإن نظرة إلى أهداف مرحلة التنفيذ التى ذكرنا آنفا ، لتدلنا على ماينا‌سبها من الوسائل ، وهى فى تصورنا مايلى :

أولا : المخيم :

وهو وسيلة تحقق الهدف الأول من أهداف المرحلة ، وهو : تطبيق مبادىء الإسلام وقيمه تطبيقا عمليا .

ففى المخيم ينخرط الفرد ، ويخضع لنظامه وأدبه ، فإذا به يطبق الإسلام تطبيقا عمليا فى يومه وليلته ، طوال مدة المخيم ، فى كل أمر من أمور حياته .

ففى المخيم كل شىء يخضع للنظام الإسلامى ، والأدب الإسلامى ، والتمسك الدقيق بمفردات هذا النظام ، وجزئيات ذلك الأدب ، فهو تطبيق عملى للإسلام ، يتناول :

النوم واليقظة ،

والطعام والشراب ،

والمشى والكلام ،

---

(١) لنا كتاب فى هذه الوسائل اسمه : وسائل التربية عند الإخوان المسلمين دراسة تحليلية تاريخية ــ نشر دار الوفاء ١٤١٩ هـ ــ لمن أراد التوسع .

والعمل والراحة ،

والتعليم والتعلم ،

والحركة والسكون ،

والتعامل مع أعضاء المخيم وقيادته ،

وأداء الواجبات ، وممارسة الحقوق ،

والانضباط الدقيق ،

والالتزام الواعى المتأمل .

تحدثنا عن ذلك بتفصيل فى الكتاب ، الذى أشرنا إليه آنفا .

ونضيف هنا إلى الفرد المشارك فى مرحلة التنفيذ عبئاً آخر ، يوازى أهمية المرحلة التى هو فيها ؛ ذلك أن الفرد فى هذه المرحلة ، مطالب بأن يجعل من حياته كلها ، فى عمله وبيته وجيرانه ومسجده والحى الذى يعيش فيه ، مجالا لتطبيق الإسلام عمليا ، فى كل ما يتصل بحياته ، أى عليه أن يحيا فى نظام المخيم وأدبه باستمرار ، حتى يبلغ من الانضباط الحد الملائم لمكانه فى هذه المرحلة ومكانته ، وما أيسر ذلك على من يسره الله عليه .

ثانيا : الدورة :

وهى وسيلة تحقق الهدف الثانى من أهداف مرحلة التنفيذ وهو : تعميق الروابط والصلات بين المشاركين فى هذه المرحلة . وهذا الهدف حركى ، يمثل قمة الأهمية فى مرحلة التنفيذ ، لأنها مرحلة جهاد ، والجهاد كما وصفه رب العزة سبحانه ، يحتاج إلى تنظيم وإدارة ، وسد ثغرات ، كما ورد ذلك فى قوله تعالى : ﴿ **إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص** ﴾ (١) والصف يعنى التماسك ، وتقوية الصلات ، وسد الثغرات والفرج .

والآية الكريمة تطالب المجاهدين بالكثير .

تطالبهم بأن يقاتلوا فى سبيل الله ، لا فى سبيل أخرى . وتطالبهم بأن يكونوا صفا متماسكا ، كأنهم بنيان مرصوص ، أى لا يستطيع العدو أن ينفذ إليهم من خلال ثغرة فى

---

(١) سورة الصف : ٤ .

هذا الصف ، فهو كالبنيان المتماسك بالملاط ، المتلاصق والمتضام ، ليواجه عوامل الهدم والتقويض .

ويخبرهم الله بأنهم إن فعلوا ذلك أحبهم .

إن الآية الكريمة ، تشير إلى طبيعة الروابط ، بين الأفراد المجاهدين فى سبيل الله ، وتوضح لهم كيف تكون هذه الروابط ، فإذا ضعفت لبنة ، أو انهارت انهار البناء كله ، لأن اللبنة تربط البناء بعضه ببعض ، أنواعا من الربط ، ربط موقع ، وربط وشائج ، تحدث التماسك ، وربط ضرورة لا يقوم البناء إلا بها ، وربط هدف وغاية ، وهو أن يؤدى هذا البناء وظيفته ، وهى جهاد أعداء الله ، وتحقيق التمكين لدين الله .

إنه ارتباط عاطفى روحى عقلى حركى تنظيمى ، وهدف كبير من أهداف هذه المرحلة أن تقوى هذه الروابط .

والدورة ـــ فى تصورى ـــ هى الوسيلة الملائمة لتقوية هذه الروابط ، فهى كما تحدثنا عنها هناك [(١)] تستهدف موضوعا بعينه ، تكثف فيه الدراسة ، ويعمق النظر حتى ينضج الموضوع من جميع جوانبه ، نظرية كانت هذه الجوانب أو عملية .

فإذا اختير موضوع « الروابط بين المنضمين إلى مرحلة التنفيذ » موضوعا للدورة ، فإن ذلك سوف يساعد كثيرا ، على أن يدرس هذا الموضوع بعناية وتركيز ، نظريا وعمليا ، فيعرف كل فرد من المشاركين بدقة وعمق ، ماذا له ، وماذا عليه فى هذا المجال ، وماهى أبعاد هذه الروابط ، وما المدى الذى تصل إليه ؟

فإذا أديت الدورة على وجهها الصحيح ، فإن الأفراد المشاركين فى هذه المرحلة يفيدون منها مالا يستفاد من الكتب والأسفار وينطلقون إلى التطبيق والتنفيذ ، ليكونوا مع إخوانهم هذا الصف المحكم البناء ، الذى لا يستطيع عدو أن ينفذ إلى داخل بنائه ، من خلال لبنة منهم ضعفت ، أو لم تفقه وظيفتها فى تماسك البناء .

إن مواجهة العمل والعدو فى هذه المرحلة ، لن تنجح بغير هذا التماسك الوثيق .

ثالثا : الكتيبة :

وهى وسيلة تحقق الهدف الثالث من أهداف هذه المرحلة وهو : تعميق الصفاء

(١) فى كتاب وسائل التربية عند الإخوان المسلمين .

الروحى للمشاركين ، وترويض هذه الأرواح ، لتتخلص من الشوائب والأوضار التى تعوقها عن التقرب إلى الله .

ولا بد أن نسأل هنا : لماذا كان هذا الهدف ؟

ولا بد لنا أن نجيب بقولنا : كان هذا الهدف من بين أهداف مرحلة التنفيذ ، لأن أفرادها مجاهدون فى سبيل الله ، يخوضون معارك حقيقية ، فى سبيل الدعوة إلى الله ، معارك سلم وأمان فى الاستمرار فى العطاء لمراحل الدعوة إلى الله ، ومعارك حرب وصراع عند القتال فى سبيل الله ، لجهاد عدو من أعداء الله .

والمجاهد إنما يرجى أن يتحقق على يديه النصر ، أو يلقى ربه فى المعركة ، فائزا بالشهادة فى سبيل الله .

وهذا المجاهد فى مسيس الحاجة ، أن يقوى صلته بمن يهب النصر أو الشهادة ، وتقوية هذه الصلة ، إنما تكون بمزيد من القرب إلى الله ، والتقرب إليه بالنوافل من العبادات — وهذا هو جو الكتيبة ، كما أوضحناه هناك . [1] الكتيبة التى ينتقى لها أفرادها ، والتى تستمر أربعين لقاءً أسبوعيا أو نصف شهرى ، الكتيبة وفق برنامجها ، الذى يركز على ترويض الروح ، وتصفيتها من الشوائب ، الكتيبة القادرة على تخريج رجال ، يتم على أيديهم النصر أو ينالون الشهادة .

روى البخارى بسنده ، عن أبى هريرة ، رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ ، : « إن الله تعالى قال : من عادى لى وليا [2] فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلى عبدى بشىء أحب إلى مما افترضت عليه ، وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى عليها ، وإن سألنى أعطيته ، ولئن استعاذنى لأعيذنه » [3] .

هذا فى اختصار وتركيز ، هو جو الكتيبة الذى يخرج رجالا ، يتم على أيديهم النصر أو يلقون ربهم شهداء .

---

(١) الكتاب السابق .

(٢) الولى : من تولى الله بالطاعة والتقوى ، فتولاه الله بالحفظ والنصرة .

(٣) الإمام البخارى : صحيحه : باب الرقائق .

رابعا : الرحلة :

وهى وسيلة تحقق الهدف الرابع ، من أهداف مرحلة التنفيذ ، وهو : **تقوية الجوانب البدنية فى الفرد ، حتى يصل إلى الانضباط الملتزم ، الذى لا يؤتى من جانب ضعف أيا كان .**

والرحلة تستهدف تقوية البدن بالدرجة الأولى ، كما تستهدف الانضباط ، وقوة التحمل والصبر ، ولا بد أن أؤكد أن الانضباط لا يتسير إلا مع بدن قوى .

والمنضم إلى هذه المرحلة التنفيذية ، بحاجة إلى أن يتعامل مع الرحلة ، ليتقوى بدنه ، لكن عليه أن يدخل على برنامج الرحلة ، مزيدا من الرياضة البدنية العنيفة ، والمزيد من التدرب على الجوع والعطش ، والمزيد من الصبر على بذل المجهود البدنى الشاق ، لأن المرحلة ــ كما أسلفنا ــ مرحلة جهاد ، والجهاد يحتاج إلى القوة بكل أنواعها .

إن للرحلة شروطا وآدابا ، وإنها من جانب من جوانبها تشبه الرياضة البدنية ، ومن جانب آخر تشبه الرباط فى سبيل الله ، ومن جانب ثالث تشبه الصوم ، ومن جانب رابع تشبه الصلاة والذكر .

وإن المنضمين إلى هذه المرحلة بحاجة إلى كل ذلك ، وإلى أكثر منه .

إنهم بحاجة إلى القدرة على التحكم فى هذا البدن بقوة ، بحيث لا يعطونه من مطالبه إلا ما يريدون ، لا ما يريد هو .

وهم بحاجة إلى أن يلزموا هذا البدن ، بأن يبذل من الجهد والعرق والحركة ، مايرغبون هم فيه ، لا ما يرغب هو .

إن بداية القوة الروحية ، وقوة الإرادة أن يتحكم الإنسان فى مطالب بدنه ، فلا يعطيه منها إلا مايلائم حد الاعتدال فى المطعم والمشرب ، والعمل والراحة ، وكل أمره .

خامسا : الندوة :

وهى وسيلة قادرة على تحقيق الأهداف الثلاثة الباقية ، من أهداف مرحلة التنفيذ ، على النحو التالى :

١ ــ هدف الاستمرار فى العطاء المتصل بالمرحلتين السابقتين التعريف والتكوين :

هذا الهدف بحاجة إلى ندوة تعقد فى هذا المجال ، لا يشارك فيها إلا الدعاة المنتمون

للعمل الإسلامى فى الجماعة ، ولا يديرها أو يشرف عليها ، إلا صفوة من الدعاة .

وفى هذه الندوة الواحدة ، أو التى تعقد مرات تناقش قضية « العمل الإسلامى بالنسبة للمنضمين إلى مرحلة التنفيذ » وقد بلغوا من النضج مابلغوا ... وتثار المسائل والقضايا التالية ، لينتهى فيها إلى الرأى الصائب ·

أ ـــ أيشارك أفراد مرحلة التنفيذ ، فى العمل الذى يتصل بالمرحلتين السابقتين ، أم يعكفون على متطلبات مرحلتهم ؟ وأى الأمرين أجدى على العمل الإسلامى ؟

فإذا كانت نتيجة الدراسات والآراء فى الندوة ، قد أوصلت إلى أن المشاركة فى عمل المرحلتين السابقتين ، هو الأجدى ، طرحت قضية أخرى هى :

ب ـــ ما حجم العمل الذى يكلفون به فى هاتين المرحلتين ؟ وكيف يوفق بين متطلبات العمل فى مرحلته ، ومتطلبات العمل فى المرحلتين السابقتين ، وكيف يتم التنسيق ؟

وإذا انتهى الرأى والشورى فى الندوة ، إلى أن يتفرغ المنضمون إلى مرحلة التنفيذ ، لمتطلبات مرحلتهم ، فإن على الندوة ، أن تناقش قضية متولدة عن هذا الرأى هى :

ما المدى الزمنى الذى يجب أن يقطع فيه الشوط فى هذه المرحلة ، وقد تفرغ أفرادها لها ، وهم طاقات جيدة منتقاة ؟

وذلك أن المدى الزمنى لمرحلة التنفيذ له أبعاد معروفة ، كما سنوضح فى الفصل السادس فهل يظل على ماهو عليه ، أم يدخل عليه تغيير ؟

والأصل فى كل قضايا العمل الإسلامى ، أن تعقد حولها ندوات ، وأن لا يفتى فيها رجل فذ ، مهما يكن موقعه ، فضلا عن أن يصدر بها قرار من القيادة .

فكل رأى ينبع عن مشورة وحوار ، أثرى وأجدى على العمل فى أى مجال ، من أى رأى يصدر ، لا عن مشورة وحوار ، والمسلمون يثنى عليهم ربهم سبحانه بأنهم ﴿ **وأمرهم شورى بينهم** ﴾ .

من هذا ندرك أهمية الندوة وما تؤدى إليه من إنضاج للرأى وتجويد وإحسان ؛ لاختيار رأى على آخر ، وتفضيل خطة عمل على سواها .

ومن هنا ندرك كيف كانت الجماعة موفقة غاية التوفيق ، عند اعتمادها الندوة وسيلة من وسائل تربية العقل ، وإنضاج الرأى .

٢ ـــ هدف العمل الدائب على تلبية احتياجات المجتمع كله :

إنما يستطاع الوصول إلى تحقيق هذا الهدف بالندوة كذلك .

إن احتياج المجتمع إلى كثير من ضرورياته ، أو إلى بعض كمالياته ، واجب المسلمين جميعا ، وواجب كل جماعة قادرة عليه ، كما هو واجب كل فرد قادر على ذلك .

وأفراد هذه المرحلة أولى الناس بالعمل على ذلك ، انطلاقا من أصل دينى صحيح ، فقد روى أصحاب السنن أن النبى ﷺ ، قال : « المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يسلمه ، ومن كان فى حاجة أخيه المسلم ، كان الله فى حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة ، فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ، ستره الله يوم القيامة » [(١)].

والنصوص فى ذلك كثيرة .

ولابد أن ننظر بتأمل إلى هذه المعالم البارزة فى الحديث الشريف :

حاجة المسلم ،

وكربة المسلم ،

وستر المسلم ،

وكيف يجزى الله من يقوم بهذه الأعمال ، أو يسد هذه الثغرات .

هذه الأمور تحتاج إلى ندوة ، تدرس وتبحث وتحاور ، لتهتدى إلى مايجب أن يكون ، وهناك أسئلة تطرح فى الندوات مثل :

ماهى حاجات المجتمع ؟ وما نوعها ؟ وما حجمها ؟

وما هى وسائل تحقيق هذه الحاجات ؟

(١) البخارى : صحيحه : باب المظالم ، ومسلم : صحيحه : باب البر ... إلخ .

ومن الذين يناط بهم دفع هذه الحاجات ؟

كل تلك مسائل ، لا يفتى فيها رجل برأى ، مهما كان موقعه من العمل الإسلامى ــ كما أسلفنا ــ وإنما الندوة وحدها ، هى التى تستطيع أن تقدم فى ذلك ــ بعد الحوار والشورى ــ الرأى الجيد المنخول .

٣ ــ هدف الاستشراف للمرحلة التالية « مرحلة التمكين » :

الندوة وسيلة لتحقيق هذا الهدف ، عن طريق مشاركة أهل العلم والخبرة والسابقة فى العمل الإسلامى ، وما يسفر عنه حوارهم من رأى .

وذلك أن استشراف مرحلة التمكين ، موضع جدل بين العاملين فى الحقل الإسلامى ، فمن الذى يفتى فى ذلك ، ويخلص إلى الرأى السديد ؟

ثم هناك عديد من القضايا والمسائل ، التى يجب أن تثار فى هذا المجال مثل :

هل تعد مرحلة التنفيذ آخر المراحل ، وبخاصة أنها مرحلة العمل والتطبيق والجهاد ؟ أم أن وراءها مرحلة التمكين لدين الله فى الأرض ؟

وهل هناك مرحلة يمكن أن نسميها ما بعد التمكين ، والتى يمكن أن نشير إلى محتواها إشارة عابرة ، فى ضرورة الاستمرار ، فى التعريف والتكوين والتنفيذ ، ومتطلباتها فى التربية ؟ أم يحدث توقف بعد التمكين عن التربية ؟

وما موقف الإسلام وتاريخه من الاستمرار فى التربية بعد التمكين ؟

هل انقطع الرسول ﷺ عن تربية الأفراد بعد أن استقر فى المدينة المنورة ، وأقام المجتمع المسلم ، والدولة المسلمة ، وعاش مع أصحابه مرحلة التمكين ؟

أم أنه ﷺ استمر فى تربية الأفراد ، والتعريف بالإسلام ، وتكوين أفراده ، بعد التمكين ؟

وما موقف الصحابة ، رضوان الله عليهم ، بعد أن جاء نصر الله والفتح ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا ، والتحق رسول الله ﷺ بربه ؟ وفتح الله عليهم الدنيا ؟

هل وقفوا عند مرحلة التمكين ؟

أم استمروا فى التعريف بالإسلام ونشره ، وتربية الأفراد على أخلاقه وآدابه ؟

وماموقف التابعين ، رضوان الله عليهم ، من هذه القضايا والمسائل ؟

كل ذلك لا تغنى فيه إلا ندوة ، حشدت لها الطاقات العلمية ، من الدعاة المشغولين بالعمل الإسلامى ، الذين لهم رصيد فى هذا المجال ، يمكنهم من إعطاء الرأى المنخول ، وحوار الآراء الأخرى ، والخروج من ذلك كله بما يحقق مصالح المسلمين .

الفصل الرابع

الحكم الشرعى فى ممارسة العمل فى مرحلة التنفيذ

الحكم الشرعى فى ممارسة العمل فى مرحلة التنفيذ

أولا : حكم الشرع فى ممارسة العمل بالنسبة للدعاة

أتصور أن حديثنا عن حكم الشرع فى ممارسة العمل فى المرحلتين السابقتين ، جعل الأمور أكثر وضوحا الآن .

فإذا كان الأفراد فى مرحلة التنفيذ ، قد استوفوا شروط الأهلية ، على النحو الذى تحدثنا عنه فى المتطلبات ، فإن الدعاة فى هذه المرحلة ــ وقد سكتنا عن شروط أهليتهم ، على اعتبار أنها معروفة ، يمكن أن يشار إليها فى كلمات ، ويمكن أن تفهم وتدرك ، دون حديث ، إذ هى :

١ ــ استيفاء سائر الشروط التى تحدثنا عنها ، عن الدعاة فى مرحلة التكوين .

٢ ــ وتعمق فى فقه الدين يبلغ بهم درجة النظر .

٣ ــ وسابقة فى الدعوة والحركة والتنظيم ، وتاريخ فى العمل والجهاد .

٤ ــ وقدرات قيادية ...

إذا كان الدعاة فى هذه المرحلة على هذا المستوى ، وربما أكثر ... فإن ممارستهم للعمل فى هذه المرحلة ــ وقد هيأهم الله لها ــ واجب شرعى من منطلق قول الله ، تبارك وتعالى ، لأمثالهم فى الأمم الماضية ــ ودعوة الله واحدة فى كل الأمم ــ : ﴿ **وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه** ﴾ [1] .

فقد أخذ الله عليهم الميثاق ، بما علمهم وفقههم ، حتى قطعوا فى مجال الدعوة إلى الله هذه الأشواط البعيدة ، فما يسعهم إلا أن يؤدوا هذا الواجب ، وأن يقوموا به خير قيام .

إن واجب الدعاة فى هذه المرحلة ، يتجاوز التعليم والتربية إلى ضرورة نقل الخبرة

---

(١) سورة آل عمران : ١٨٧ .

والتجربة إلى الأجيال الآتية « التوريث » لصالح الدعوة ، غير متجاهلين التعلم والتربية .

إن الدعاة فى هذه المرحلة ، مالم يضعوا أيديهم على ردفاء ، يعلمونهم أصول الصنعة ، وأخلاقياتها وآدابها ، فضلا عن شروطها وأركانها ، فقد قصروا فى حق دعوتهم ، وفى حق أنفسهم ، وفى حق إخوانهم ، وهم بهذا التقصير مع ربهم فى خطر عظيم .

إن الداعية فى هذه المرحلة ، ماوصل إلى ماوصل إليه ، حتى بذل جهدا هائلا ، وكلف إخوانه ودعوته ومشايخه فى الدعوة ، جهودا هائلة كذلك ، فهو على وجه الحقيقة مدين لدعوته ، مدين لإخوانه ، ومن أولى منه ، بقضاء الدين ؟

ومن أولى منه ، بأن يمشى هو إلى دائنيه ، فيرد عليهم دينهم ولا ينتظر ، حتى يحضر إليه دائنوه ، فيتقاضونه ديونهم ؟ إن هذا هو أدب الإسلام فى رد الديون ، أن يمشى المدين إلى الدائن ، فيقضيه دينه ، ولا يكلفه مشقة الحضور إليه .

وبلغة أخرى : إن ماتجمع لدى الداعية إلى الله من رصيد دعوى وعملى وحركى وتنظيمى ، قد بلغ بكل تأكيد حد النصاب الذى تجب فيه الزكاة ، فعليه أن يؤدى فى هذا النصاب ، حق الفقراء والمساكين والعاملين عليها ... فى مجال الدعوة إلى الله ، إذ كل من هم دون هذا الداعية ، فى العلم والفقه والتحصيل والخبرة والسابقة ، فى الدعوة ، هم على وجه اليقين بالنسبة له ، فقراء أو مساكين أو عاملون عليها ، أو مستحقون للزكاة الواجبة عليه وعلى أهل اليسار من أمثاله ، فى الدعوة والحركة والتنظيم .

إن الدعاة إلى الله فى كل مراحل الدعوة ، متكافلون فيما بينهم ، ومع من دونهم من إخوانهم فى العلم والتحصيل والخبرة ، وإن عليهم أن يأخذوا بأيديهم ، حتى يصلوا بهم ، إلى ما وصلوا هم إليه .

إن ذلك كله يوجب على الدعاة ممارسة العمل فى هذه المرحلة ، ولا يدع لهم مجالا أو فرصة ، يتباطئون فيها عن الواجب ، فضلا عن أن يتكاسلوا ، أو يتقاعسوا فى نقل الدعوة ، وتوريث خبراتها ، وأخلاقياتها وآدابها ، لمن وراءهم من العاملين فى حقل العمل الإسلامى .

إن التأمل فيما يحيط بالعمل الإسلامى من تيارات معادية ، تستهدف إجهاض العمل الإسلامى ، وقطع حاضره عن ماضيه ، وقطع مستقبله عن حاضره ، يوجب على الدعاة فى

هذه المرحلة ، أن يشمروا ، وأن يورثوا ، وأن يفوتوا بذلك على أعدائهم ، فرصة إجهاض العمل الإسلامى .

ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد .

ثانيا : حكم الشرع فى ممارسة العمل بالنسبة للأفراد

أفراد هذه المرحلة ، صفوة مختارة ، من صفوة مختارة ، وما توفر فيهم من أهلية ، منذ كانوا فى مرحلة التكوين ، ثم استيعابهم لتلك المرحلة ، وتأهلهم لمرحلة التنفيذ ، ميزة ميزهم الله بها ، ونعمة تفضل بها عليهم .

الأفراد فى مرحلة التنفيذ مجاهدون ، قد استوفوا أركان البيعة العشرة من : فهم وإخلاص وعمل وجهاد وتضحية وطاعة وتجرد وثبات وأخوة وثقة .

وقد برزوا بفضل الله ، فى استيعاب كل ركن من أركان البيعة ، حتى غدوا مجاهدين ، تسد بهم الثغور ، ويُدْرَأ بهم الشر والضرر ، وهم الذين أعدوا أنفسهم ، وأخذوا بكل أسباب الاستعداد ، ليطيروا فرحين إلى كل هيعة ، يحسبونها تندبهم إلى عمل إسلامى فى أى مكان ، من هذا العالم الإسلامى الفسيح .

وبحسب الواحد منهم فى الفهم ، أنه بلغ درجة النظر ، وفى العمل أنه يسهم فى إقامة دولة إسلامية ، فخلافة راشدة ، فنشر للدعوة فى كل أرجاء العالم .

وحسبهم فى التضحية ، أنهم أصبحوا يؤثرون دعوتهم ، على أنفسهم وذويهم .

وحسبهم فى الأخوة ، أن أصبح الواحد منهم مؤمنا بأنه بإخوانه كل شيء ، وأنه بدونهم نهبة لأى ذئب يأكل من الغنم القاصية .

وحسبهم فى الثبات أنهم أضحوا لا يعرفون مبدأ أرسخ من مبدأ الإسلام ، وأنهم يموتون دون التزحزح عنه .

لقد نضج الفرد فى هذه المرحلة ، إلى الحد الذى جعله شجرة ، أصلها ثابت ، وفرعها فى السماء ، تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ، وبهذا النضج ، وهذا الاستعداد ، أصبحت ممارسة العمل فى هذه المرحلة بالنسبة لهم ، بل توريثهم لكل ماأفادوا إلى غيرهم ، أصبح ذلك واجبا شرعيا ، تقوم عليه الأدلة والبراهين ، من نصوص الدين الحنيف .

إن هذا الواجب أوجبته عليهم الآية القرآنية التى ذكرناها آنفا ، وهى قوله تعالى : ﴿ **وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه** ﴾ ، والآية الكريمة التى يقول الله ـــ تبارك وتعالى فيها : ﴿ **الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون**

أحدا إلا الله وكفى بالله حسيبا ﴾ (١) .

وهذه الآية الكريمة عامة فى كل داعية إلى الله ، وإن كان المقصود بها رسول الله ﷺ ، وكل ما يكلف به رسول الله ﷺ ، يكلف به كل مسلم ، إلا إذا كان التكليف خاصا به ﷺ . ولأن العبرة فى النص الإسلامى بعموم اللفظ ، لا بخصوص السبب — على هذا أجمع أسلافنا ، من أهل العلم بالدين ، رضى الله عنهم .

وعموم اللفظ فى الآية الكريمة يصف رسول الله ﷺ ، وكل داعية إلى الله ، بأنهم يبلغون رسالات الله ، وهذا واجب تحف به المخاطر ، لأن أهل الباطل ، ومعاندى الحق ، لا يفتأون ، يتنادون إلى تحدى الحق وأهله .

ومع هذه المخاطر — وهى لا بد واقعة ؛ لأنها سنة الله فى الدعوات والعاملين فيها — فهم يخشون ربهم وحده ، ولا يخشون أحدا سواه ، سواء أكانت سلطة زمنية تتحدى الحق ، أم تحول بين دعاة الحق ، وبين أن يمارسوا دعوتهم ، وأيا كانت وسائل تلك الحيلولة ، تضر بالمال أو الأهل أو النفس ، تبدد الأمن أو تبدد الراحة والعافية ، فذلك دائما شأن أعداء الحق .

وينبغى أن يكون دعاة الحق كذلك ، لا يخشون أحدا إلا الله ؛ لأنهم لو خافوا قعدوا عن الدعوة إلى الحق ، ولو قعدوا أثموا ، وأغضبوا ربهم ، ومهما قعدوا ، فلن يحول القعود بينهم وبين ما قدر عليهم أن يروه من أذى وعنت ، لأنهم مؤمنون تماما بقول المعصوم ﷺ ، فيما رواه الترمذى بسنده ، عن ابن عباس ، رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ... واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء ، لن ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا ، على أن يضروك بشىء ، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام ، وجفت الصحف » (٢) .

فكيف يخاف المؤمن غير الله ؟

وم يخاف ؟ فَوْتَ نفعٍ أو لحاق ضرر ؟

إن الدعاة إلى الله فى هذه المرحلة ، وقد استعدوا هذا الاستعداد ، لن يخافوا أحدا غير

---

(١) سورة الأحزاب : ٣٩ .

(٢) الإمام الترمذي : صحيحه : ٤ / ٧٦ حديث رقم ٢٦٣٥ ط الكتبى دون تاريخ .

الله ، ومادامت الأعمار والأرزاق بيد الله وحده ، فليفعل من يشاء ، ما شاء ، فلن يكون ، إلا ما قد كتب على المؤمن .

إن الذين وصلوا إلى هذه المرحلة من مراحل الدعوة ، لا يخاف عليهم الانزلاق فى متاهات الخوف من الظالمين ، ليقعدوا بهذا الخوف عن العمل والجهاد ، أو هكذا نحسبهم ، ولا نزكى على الله أحدا .

الفصل الخامس

المدى الزمني لمرحلة التنفيذ وأولويات العمل فيها

المدى الزمنى لمرحلة التنفيذ وأولويات العمل فيها

كلمة فى بداية هذا الفصل :

على الرغم من الأهمية القصوى لهذه المرحلة ، وعلى الرغم من أن الدعاة فيها ، والأفراد ، قد بلغوا حدا من العلم والخبرة ، ربما كان كافيا ، ولا يحتاج إلى مزيد فى هذا المجال ، على الرغم من ذلك كله ، فإن المرحلة كغيرها من المراحل ، لا بد أن يكون لها تصور زمنى ، ومدى تنتهى إليه .

وإن دأبنا أن نتحدث عن الحد الأدنى لهذا المدى الزمنى للمرحلة ، تاركين الحد الأعلى له فيها مفتوحا ، لأن العلم والفقه والخبرة والتجربة ، لا سقف لها تقف عنده .

ومن الضرورى كذلك ، أن لا ندع العمل فيها يسير كيفما شاء ، أو شاء له العاملون ، وإنما يجب أن نرسم نظاما لأولويات العمل فى هذه المرحلة .

ومهما أنكر بعض حسنى النية من المسلمين علينا ، وعلى أمثالنا ، عن أن نتحدث عن أولويات فى العمل الإسلامى ، فإنا لا بد فاعلون ، لإيماننا بأن كل عمل منظم ، يسعى فى طريقه نحو هدفه ، لا بد له أن يخضع لأولويات ، بل لا نبالغ إن قلنا : إن هذه الأولويات ، قد تبلغ من الأهمية حد الشروط والأركان ؛ وإن أدلتنا على ذلك كثيرة ، أشرفها ، وأولاها عندنا ، ماكان من قدوتنا ﷺ ، فهو الذى علمنا نظام الأولويات فى العمل .

ومن نسى فليتذكر دعوة الإسلام فى مكة ، وليتأمل أولويات العمل فيها ، على النحو الكريم التالى :

أولا : ﴿ اقرأ باسم ربك الذى خلق ... ﴾ [1] . ثم
ثانيا : ﴿ ياأيها المدثر . قم فأنذر ... ﴾ [2] . ثم
ثالثا : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين .... ﴾ [3] . ثم

---

(١) سورة العلق : ١ .　(٢) سورة المدثر : ١　(٣) سورة الشعراء : ٢١٤ .

رابعـــا : ﴿ فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ﴾[1] . ثم

خامســـا : ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ... ﴾[2] . ثم

سادســـا : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ... ﴾[3] . ثم

سابعـــا : ﴿ فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم ... ﴾[4] . ثم

ثامنـــا : ﴿ لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينازعنك في الأمر وادع إلى ربك ... ﴾[5] . ثم

تاسعـــا : ﴿ ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك وادع إلى ربك ولا تكونن من المشركين ﴾[6] . ثم

عاشـــرا : ﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ... ﴾[7] . ثم

حادي عشر : ﴿ وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ... ﴾[8] . ثم

ثاني عشر : ﴿ وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة ... ﴾[9] .

أبعد هذا الترتيب ، وتحديد الأولويات على هذا النهج القرآني ، يقول بعض حسني النية بأنه لا أولويات .

ولو شئنا أن نستشهد على هذه الأولويات من السنة لاتسع بنا المجال ، فحسبنا هذا ، ونسأل الله أن يهدينا وإياهم .

ولنأخذ في الحديث عن المدى الزمني للمرحلة ، ثم عن أولويات العمل فيها ، سائلين الله التوفيق .

---

(١) سورة الحجر : ٩٤ .
(٢) سورة يوسف : ١٠٨ .
(٣) سورة النحل : ١٢٥ .
(٤) سورة الشورى : ١٥ .
(٥) سورة الحج : ٦٧ .
(٦) سورة القصص : ٨٧ .
(٧) سورة الحج : ٣٩ ، ٤٠ .
(٨) سورة الحج : ٧٨ .
(٩) سورة التوبة : ٣٦ .

أولا : المدى الزمنى للمرحلة

فيما أتصور ، ومن خلال النظر فى أبعاد المرحلة ــ الذى تحدثنا عنها فى الفصل الأول من مرحلة التنفيذ ــ والتى حددنا فيها الأبعاد كبلوغ درجة النظر ، وتكوين الأفراد المتخصصين ، لسد ثغرات العمل الإسلامى ، وعمق الانتماء للإسلام والتطبيق العملى له ، كما أسلفنا .

وعند النظر فى طبيعة المرحلة ، وهى كما حددناها :
الجهاد بكل معانيه ، والصبر على الابتلاء ، والإصرار على المواصلة ، وكمال الطاعة ، وعقد البيعة ، والالتزام بواجباتها .

أقول : عند النظر إلى كل ذلك ، نستطيع أن نتصور ــ مجتهدين فى هذا التصور ــ أن المدى الزمنى اللازم لتحقيق هذه الأبعاد ، والتجاوب مع طبيعة المرحلة ومتطلباتها ، يستدعى طرح عدد من الأسئلة أولا ، ثم الإجابة عن هذه الأسئلة ثانيا ، ثم من خلال ذلك يتبين المدى الزمنى المطلوب لهذه المرحلة .

أما الأسئلة فهى :

١ ــ كم يحتاج الفرد فى هذه المرحلة من وقت للدراسة والبحث فى علوم الإسلام ، ليبلغ درجة النظر فيه ، وفى نصوصه ؟

٢ ــ وكم يستغرق من وقت ، إعداد الأفراد المتخصصين فى مجالات العمل الإسلامى ؟

٣ ــ وكم يستغرق من الوقت ، الوفاء بموجبات البيعة ، وتطبيق أركانها العشرة ؟

٤ ــ وكم يستغرق من الوقت ، ممارسة الجهاد بكل أنواعه ، والصبر على الابتلاء ، والتدرب على كمال الطاعة ؟

إن التفكير فى الإجابة على هذه التساؤلات ، ليس من شأنى هنا ، ولكنه شأن القائمين على مرحلة التنفيذ ، والمشرفين على العمل فيها .

ولكنى أستطيع أن أتصور ، لأفتح المجال أمام غيرى ، أن ثلاثة أعوام تعتبر حدًّا أدنى للوصول إلى تحقيق هذه الأمور ، ولتحقيق أهداف المرحلة التى ذكرنا فى الفصل الثالث من هذه المرحلة .

إنه حد أدنى فى تصورى ، لا يقبل انتقاصا ، ولكنه يقبل الزيادة بكل تأكيد .

وبعد : فمجال التصور لهذا الحد الزمنى الذى يلزم مرحلة التنفيذ ، مفتوح أمام كل من يستطيع أن يدلى برأى فيه .

غير أن القادرين بحق على هذا التصور ، هم القادرون على الإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها ، بل هم القائمون على هذه المرحلة المشرفون على العمل فيها .

مع ضرورة أن نؤكد أن هذا المدى الزمنى للمرحلة ، لا بد أن يختلف باختلاف الأقاليم والبلاد والأفراد ، وكل ذلك يستوجب حذرا ومرونة ، فى تحديد المدى الزمنى اللازم لهذه المرحلة .

ثانيا : أولويات العمل فى هذه المرحلة

كما قلنا ـــ فيما سبق فى مرحلة التكوين ـــ إن تحديد الأولويات فى كل مرحلة يقتضينا أن نضع أبعادها أمام أعيننا ، ثم ننظر أى هذه الأبعاد أولى بالبدء به قبل غيره ، فتستبين لنا سبيل الأولويات ، ولنسرد هذه الأبعاد هنا لنصل إلى ماتريد .

وهذه الأبعاد هى :

١ ـــ بلوغ بعض الأفراد درجة النظر ،

٢ ـــ وتكوين الأفراد المتخصصين لسد ثغرات العمل الإسلامى ،

٣ ـــ وتعميق الانتماء للدين والدعوة ،

٤ ـــ وتطبيق الإسلام عمليا .

وعند التدقيق فى هذه الأبعاد نجد الأولويات فيها ، يجب أن ترتب على النحو التالى :

الأولوية الأولى :

التطبيق العملى للإسلام :

بمعنى أن أول مايهم القائمين على المرحلة ، وما يهتم به الأفراد فى هذه المرحلة ، أن يحاولوا أفرادا ومجتمعين تطبيق الإسلام تطبيقا عمليا ، فى حياتهم الخاصة أنفسهم وبيوتهم ، فى الأهل والأبناء والأقارب ، ثم فى مجالات أعمالهم ، ثم فى المجتمع كله .

والمقصود بالتطبيق العملى للإسلام أن يلتزم الفرد بالإسلام فى كل مايقوم به من قول أو عمل أو فعل أو ترك ، خلقا وأدبا ، ونظاما ومنهجا ، دون تهاون فى شيء من ذلك ، ودون استصغار لشأن من الشئون ، أو شيء من الأشياء .

وإن هذا التطبيق العملى لا يتطلب مدى زمنيا بعينه ، بقدر ما يتطلب من مبادرة وتنفيذ فورى ، دون إبطاء ، مع استمرار فى هذا التطبيق ، دون تواكل أو كلل .

إن هذا التطبيق العملى للإسلام مطلوب من كل أحد على حدة ، ومطلوب من مجموع الأفراد ـــ كما قلنا ـــ ويترتب على ذلك ، أن بعض أنواع التطبيق الجماعى التى تحتاج إلى تضافر الجهود ، والتى يمكن أن يقوم بها الفرد وحده ، يجب أن تتصدى لها المجموعة كلها ، وتحمل عبء تطبيقها ، وإخراجها إلى حيز الوجود .

وإن هذا التطبيق العملى لمبادئ الإسلام وأخلاقه على مستوى الفرد أو المجموعة ، لهو

جذب وتشويق لأفراد وجماعات أخرى ، ينبغى أن تغار ، وأن تتنافس مع غيرها فى هذا التطبيق .

ولابد أن نؤكد أن التطبيق العملى للإسلام ، يحقق ما لا حصر له من مصالح الناس ، ويدفع عنهم ما لا حصر له من الأضرار والشرور .

وحسب الناس أن يروا مجتمعا يطبق أفراده الإسلام عمليا ...

كيف يضيع فى هذا المجتمع لأحد حق ؟

وكيف يقع فيه على أحد ظلم ؟

بل كيف يوجد فيه ذو حاجة ؟

إن التطبيق العملى للإسلام ، صيانة لحقوق ، وأداء لواجبات ، ونصرة لمظلوم ، وتعاون على البر والتقوى ، وتواص بالحق ، وتواص بالصبز ، وأمر بمعروف ونهى عن منكر ، وعدل وإحسان ، وتكافل ، يجعل المسلمين فعلا ، كالجسد الواحد .

كيف يطبق الإسلام عمليا فى مجتمع ، ثم توجد فيه آفات خلقية أو سلوكية مِنْ : كذب وغش ونفاق ، وغيبة ونميمة وفسق وفجور ، أو ربا أو سرقة أو زنا ، أو أى عمل يضر بالمجتمع ، على أى مستوى من مستويات الضرر ؟

إن أقرب طريق إلى السعادة فى هذه الحياة الدنيا ، بل أقرب طريق إلى الأمن والأمان ، هو التطبيق العملى للإسلام .

إن الذى يطبق الإسلام عمليا فى حياته ، لا بد أن يكون ناجحا محبوبا منتجا ، قادرا على أن يعطى ، لدينه ودنياه ، مايستقيم به أمر الدين ، وأمر الدنيا معا .

الأولوية الثانية ــ فى ترتيب الأولويات :

عمق الانتماء للدين وللدعوة إلى الله :

ويحتل هذا البعد المكانة الثانية بعد التطبيق العملى للإسلام ، لأنه يترتب عليه أن يكون نتيجة لهذا التطبيق العملى ، إذ لا يعمق الانتماء للدين والدعوة شيء ، مثل التطبيق العملى لهذا الدين .

وكما أن التطبيق العملى للإسلام ، لا يتقيد بمدى زمنى معين ، فكذلك الأمر بالنسبة لعمق الانتماء للدين والدعوة ، إذ هو عمل وسلوك والتزام ، وفقه دقيق وعميق للدين .

إن عمق الانتماء للإسلام ، يعنى التزاما صارما بأخلاقه وآدابه ، واعتزازا شامخا بالانتساب إليه ، وهذا وذاك من شأنه ، أن يشعر المسلم بأصالته وشموخه ، فلا ينبهر بشيء ، كائنا مايكون ، مادام مرجع هذا الشيء ، غير إسلامى .

إن عمق الانتماء إلى الإسلام ، يعنى النظر إلى كل صفة فردية أو اجتماعية فى المجتمع ، مهما كانت هذه الصفة ، ومهما كان المروجون لها ، ينظر إلى تلك الصفة ، ويعايرها بمعيار الحلال والحرام ، فإما أن تكون مما أحل الله وأباح ، فتقبل ، أو مما حرم ومنع ، فتلفظ وتطرح ، مع مزيد من الاستعلاء عليها ، والاعتزاز بما هو إسلامى أحله الله .

إن عمق الانتماء إلى الإسلام ، يعنى مزيدا من التقرب إلى الله بالنوافل ، حتى يبلغ المسلم بذلك درجة أن يحبه الله ، فإذا أحبه الله كان النجاح فى ركابه ، والفلاح فى عمله ، والفوز المبين فى كل أمره .

وحسب المسلم إذا بلغ هذه الدرجة أنه يبصر بعين الله ، ويسمع بأذن الله ، ويبطش بيد الله ، ويمشى برجله ، كما ورد فى الحديث القدسى الصحيح ، الذى أوردناه ، غير مرة فى هذا الكتاب .

إن عمق الانتماء للدين ، يتطلب من المسلم ، أن يعد نفسه دائما لما يطلبه منه دينه ، فى أى موقع من المواقع ، وفى أى ظرف من الظروف ، إنه يجند نفسه ، وينتظر أن يطير إلى حيث تريده مصلحة الدين ــ كلما سمع هيعة طار لها ــ إنه نوع من المرابطة فى سبيل الله .

أما عمق الانتماء للدعوة فله متطلبات أخرى ، كما أنه مترتب على عمق الانتماء للدين .

إن متطلبات عمق الانتماء للدعوة كثيرة نذكر من أبرزها مايلى :

١ ــ التعرف الدقيق على احتياجات الدعوة ، فى كل مرحلة من مراحلها .

٢ ــ وإعداد النفس لسد هذه الحاجات ، مهما كلفت من جهد أو وقت أو مال ، مادام ذلك فى وسعه ، بحيث لا يليق به ، أن تكون الدعوة بحاجة إلى شيء ، وفى وسع أحد أفراد مرحلة التنفيذ أن يسده فلا يفعل .

٣ ــ وأن يعتبر نفسه أولى الناس بتلبية احتياجات الدعوة ، وأن يعاود إلى سدها قبل سواه وسواء أكانت هذه الحاجة مادية ، أم معنوية ، أم حركية ، أم تنظيمية ، فليس أحد أولى منه بسد هذه الحاجة .

٤ ــ وأن يعتبر الدعوة أولى به من نفسه ، فإن لم يفعل فليس بأهل لأن يكون فى مرحلة التنفيذ ، فإن وجد نفسه فيها ، وهذه صفته ، فليعلم أنه لم يستجمع أهليتها ، وإنما تسرب إليها ، نتيجة خلل فى تطبيق المعايير والأهلية ، وعليه أن يراجع نفسه ، ويستغفر ربه ، وينظر ماذا ينقصه من أهلية المرحلة فيستكمله .

٥ ــ وأن يعد نفسه لتحمل مزيد من العناء ، ومزيد من البلاء ، ومزيد من الأذى ، وليس فى وسعه أمام ذلك كله إلا أن يصبر ويحتسب ، وأجره عند الله غير مضيع بإذن الله .

الأولوية الثالثة ــ فى ترتيب أولويات العمل فى المرحلة :

إعداد المتخصصين وسد ثغرات العمل الإسلامى :

وترتيب هذا البعد من أبعاد مرحلة التنفيذ ، هو الثالث فى مجال أولويات العمل .

وذلك أن إعداد المتخصصين علميا ، الذين يسدون ثغرات العمل الإسلامى ، قد يعنى : رحلة عن وطن محبوب ، وقد يعنى هجرة إلى مكان غير مرغوب ، وقد يعنى هجرة عن أهل وولد ، وقد يعنى تجردا من مال أو جاه ...

قد يعنى كل ذلك ، أو بعضه ، لأن ثغرة من ثغرات المسلمين لا تسد إلا بذلك .

وعليه أن يستجيب راغبا لا راهبا ، لأنه فى المستوى الذى يوجب عليه ذلك .

إن سد ثغرات العمل الإسلامى تضحية ، بل تضحيات عديدة ، تضحية بالجهد أو الوقت أو المال ، أو البعد والغربة ، أو بالراحة والأمن ، وكل ذلك مقبول ، بل مرغوب فيه بالنسبة لمن كان فى مرحلة التنفيذ ، استجابة لنداء رسول الله ﷺ ، وهو يثنى على أولئك الذين تسد بهم الثغور ، ويموت أحدهم ، وحاجته فى نفسه ، لا يستطيع لها قضاء .

إن أفراد هذه المرحلة كلهم مطالبون ، بأن يكونوا من أولئك الذين تسد بهم الثغور .

وإن الثغور فى العمل الإسلامى لكثيرة :

* هناك ثغور أو ثغرات فى العلم والمعرفة .
* وهناك ثغرات فى المال واقتصاديات العمل .
* وهناك ثغرات فى تربية الأفراد على منهج الإسلام .
* وهناك ثغرات فى مجالات الإعلام .

- وهناك ثغرات فى الكشف والاختراع .
- وهناك ثغرات فى الدفاع عن الإسلام ، أمام أعدائه ، والراغبين فى تشويه تاريخه ورجاله .
- وهناك ثغرات فى السياسة .
- وهناك ثغرات فى أسباب القوة والمنعة .
- وهناك ثغرات فى الجهاد بالكلمة واللسان .
- وهناك ثغرات فى الجهاد والقتال فى سبيل الله :

هناك فلسطين .

وهناك أفغانستان ،

وهناك الفلبين ،

وهناك كل بلد يضطهد فيها أحد المسلمين .

- وهناك ثغرات فى الأمن .

وهناك وهناك ...

وأهل هذه المرحلة أولى الناس بسد هذه الثغرات ، فهم على مستوى من الإعداد والاستعداد ، لا نجد لهم فى مراحل الدعوة نظراء .

إنهم أولى الناس بسد هذه الثغرات ، لأنهم أبناء مرحلة الجهاد فى سبيل الله ، وسبيل الله هو كل هذه الأنواع من العمل التى ذكرنا ، وهذا وحده هو الذى يوصل إلى مرحلة التمكين ، التى تستشرفها هذه المرحلة .

الأولوية الرابعة ـــ فى ترتيب أولويات العمل :

بلوغ بعض أفراد هذه المرحلة درجة النظر فى الدين :

ويأتى هذا فى آخر الأولويات لسببين :

الأول : أنه واجب طائفة من أهل هذه المرحلة ، لا واجب كل أفرادها .

والثانى : أن هذا البعد من أبعاد المرحلة ، يتطلب نوعا خاصا من الاستعداد عند من يقع عليه الاختيار ، ليبلغ درجة النظر .

وقد سبق لنا أن أوضحنا المقصود بدرجة النظر وهى : القدرة على النظر فى النص الإسلامى من كتاب وسنة لاستنباط حكم شرعى تفصيلى منه .

وإن بلوغ درجة النظر فى الدين ، ليحتاج إلى آلات وأدوات تمكن من بلوغه ، كما يحتاج إلى استعدادات ومواهب غالبا ما لا تتوفر فى جميع أفراد المرحلة ؛ لذلك كانت أولوية هذا البعد آخرا .

وقد يقول قائل : إن بلوغ درجة النظر ترف علمى ، لا يحتاج إليه العمل الإسلامى احتياجا ضروريا .

وهذا القول غير صحيح للأسباب التالية :

١ ـــ أن أفراد هذه المرحلة صفوة مختارة ، مرت عبر مصاف عديدة ، واجتازت اختبارات متعددة ، حتى وصلت إلى ماوصلت إليه من إعداد واستعداد وأهلية .

وبلوغ درجة النظر عند عدد من الناس ، يتطلب زيادة عدد هؤلاء ، كلما اتسعت دائرة العمل الإسلامى ، ومادمنا قد وصلنا إلى مرحلة التنفيذ ، فإن العمل الإسلامى قد اتسعت قاعدته أكبر اتساع ، وحسبك بها اتساعا ، وفيها مرحلة التعريف ، ومرحلة التكوين .

لا بد إذن من أفراد غير قلائل ، يبلغون درجة النظر فى الدين ، ليكونوا رصيدا ضروريا فى فقه الدين والدعوة ، فليس ترفا ، وإنما هو ضرورة .

٢ ـــ أن هذا الدين منهج حياة متكامل ، وأنه يحتاج فى كل عصر ، إلى أن تفسر نصوصه ، بحيث تحقق لأهل العصر مصالحهم ، التى أباح الله لهم ، وتدفع عنهم كل مايضرهم .

ولا يكون ذلك ممكنا إلا على أيدى من بلغوا درجة النظر فى الدين ، فلا بد منهم لتفسير نصوص الدين تفسيرا جيدا ، لا يعتسف ولا يتكلف ، ولا يستجيب لمصلحة لا يحلها الله .

٣ ـــ أن الدعوة إلى الله بحاجة مستمرة إلى أن تصل بطائفة من أبنائها الدعاة الذين تربوا فى أحضان الدعوة ووفق برامجها ، بحاجة أن تصل بهم إلى درجة النظر فى الدين ، حتى يسدوا من الثغرات العلمية ما يجب أن يسدوه ، غير تاركين ذلك دائما ـــ كما هو الشأن فى معظم البلدان الإسلامية ـــ إلى من تخصصوا فى الدراسات الإسلامية ، لأن لهؤلاء المتخصصين ما يشغلهم عما تحتاج إليه الدعوة فى أمر عاجل أو موقوت .

مع التنبيه ، على أن هؤلاء المتخصصين بعمق فى الدراسات الإسلامية ، مالم يكونوا مشغولين بهموم الدعوة وظروفها ، فلن يستطيعوا أن يسدوا هذه الثغرات .

فليست القضية ، قضية تخصص عميق فى الدراسات الإسلامية فحسب .

الفصل السادس

برنامج مرحلة التنفيذ

برنامج مرحلة التنفيـذ

أولا : الأسس التى يقوم عليها البرنامج

كما أوضحنا وأكدنا غير مرة ، فقلنا : إن أسس برنامج التربوى لأى مرحلة من مراحل الدعوة إلى الله هى :

١ ــ الأساس التوجيهى .
٢ ــ والأساس التعليمى النظرى والعملى ،
٣ ــ والأساس التدريبى ،
٤ ــ والأساس التقويمى ،
٥ ــ وأساس المتابعة والاختبار .

وبغير إطالة فى حديث ربما يكون مكرورا ، نؤكد أن هذه الأسس فى مرحلة التنفيذ ، لابد أن تراعى مع مزيد من العمق ، والتأنى ، وبخاصة فيما يتصل بالتثقيف النظرى والعملى .

أما الأساس التدريبى فى هذه المرحلة ، فإنه يقفز إلى أعلى درجة ، ويتصدر قائمة الاهتمام ، وذلك لأن المرحلة مرحلة تنفيذ ، والتدريب أساس للتنفيذ ، ومرتكز له ، يقوم عليه ، إذ كيف يتم التنفيذ على وجهه الصحيح ، مالم يكن معه أو يسبقه تدريب ؟

ولأن المرحلة مرحلة تنفيذ ، فإن تنامى الأنشطة التى تستهدف الخدمات الاجتماعية والاقتصادية وغيرها ، يُعد من طبيعة المرحلة ، وكل ذلك لايتم فى صورته الصحيحة ، إلا إن كان معه أو يسبقه تدريب ، فالتدريب فى هذه المرحلة جدير بأن يركز عليه ، وأن يعطى من الأهمية فى البرنامج مايوازى أثره فى سائر الأنشطة .

وحسبك بأهداف هذه المرحلة ، وما تتطلبه هذه الأهداف من تدريب لتحقق أهدافها .

أما أساس المتابعة والاختبار ، فشأنه شأن التدريب فى هذه المرحلة ، وإذا كان أساس المتابعة والاختبار هاما فى كل مرحلة ، لفرز الأفراد ، وتقويمهم تقويما علميا دقيقا ، فإنه فى هذه المرحلة أكثر أهمية وإلحاحا .

الفرد فى هذه المرحلة يتصدى للقيام بأخطر ما يتطلبه العمل الإسلامى فى أى مرحلة من المراحل ، إنه التنفيذ والتطبيق ، والجهاد بكل أنواعه ، والممارسة لكل عمل إسلامى من شأنه أن يحقق للناس سعادة الدنيا والآخرة .

وقد تحدثنا فيما سبق عن المتابعة والاختبار ، فى الفصل السادس من مرحلة التعريف ، وهناك حددنا وسائل المتابعة وطرق الاختبار ، فليعد إليها القارئ ، بدلا من أن نعيد الحديث فيها ثانيا ولو على وجه الإجمال .

أما الأساس التقويمى فى هذه المرحلة فضرورى ، على الرغم من أن المتابعة والاختبار قد تغنى عنه ، وذلك خشية أن يتسرب من المرحلة أحد دون أن يستوعب كل مافى برنامجها ، وما تفرضه طبيعتها وأبعادها وأهدافها عليه من سمات .

وما نوافق على أن التقويم يغنى عن المتابعة والاختبار ، ولا على أن المتابعة والاختبار تغنى عن التقويم ، فلكل من الأساسين وظيفته ، التى يحتاج إليها العمل فى مراحل الدعوة إلى الله .

ثانيا : محتوى البرنامج فى مرحلة التنفيذ

محتوى البرنامج دائما يتبع الأهداف ، ويشتمل على كل مامن شأنه أن يساعد على تحقيقها .

فإذا كان التطبيق العملى للقيم والمبادئ الإسلامية ، هو أبرز ما سميت المرحلة بمرحلة التنفيذ من أجله ، فإن محتوى برنامج المرحلة ، لابد أن يخدم هذا الهدف بالذات ، وأن يقدم كل ما من شأنه أن يساعد على التطبيق والتنفيذ .

وكما أشرنا ـــ فى غير مكان من هذا الكتاب ـــ فإن المخيمات والحياة الإسلامية العملية فى هذه المخيمات ، يجب أن تكون قاسما مشتركا فى كل النواحى العملية والتطبيقية ـــ ذلك كلام مجمل يحتاج إلى شيء من التفصيل .

أما تفصيل هذا الكلام فنقول فيه :

إن محتوى برنامج مرحلة التنفيذ ، يجب أن يكون على النحو التالى :

١ ـــ حضور كل فرد من أفراد المرحلة مخيما شهريا لمدة يوم أو يومين ، ومخيما ربع سنوى لمدة ثلاثة أيام أو أسبوع ، ومخيما نصف سنوى لمدة أسبوع ، ومخيما سنويا لمدة أسبوع أو أسبوعين ، على أن يكون الهدف الأول من المخيم ، هو التطبيق العملى لقيم الإسلام ومبادئه وأخلاقه وآدابه .

مع ضرورة الاهتمام الشديد بالدقة والانضباط فى إعداد المخيم والمشاركين فيه .

٢ ـــ حضور كل فرد من أفراد المرحلة عددا من الدورات ، لا يقل عن دورة فى كل شهر ، تخدم كل منها مفهوما من المفاهيم اللازمة للمرحلة ، فتكثف فيه الدراسة ويتعمق البحث .

وعلى سبيل المثال فإن من هذه المفاهيم التى ينبغى أن تعقد لها دورات هى :

أ ـــ دورة لتعميق الروابط الأخوية بين أفراد هذه المرحلة .

ب ـــ دورة للتعرف الدقيق على دور الفرد فى هذه المرحلة ، وفى عطائه للمرحلتين السابقتين .

جـ ـــ دورة فى المجالات الخدمية التى يمكن أن يؤديها أفراد هذه المرحلة للمجتمع .

د ـــ دورة فى طبيعة العمل فى المرحلة .

هـ ــ دورة فى متطلبات العمل فى المرحلة .

و ــ دورة فى أهلية من يصعدون من هذه المرحلة إلى مرحلة التمكين .

ز ــ دورة رياضية أو أكثر ، بحيث تكون عملية تستهدف تقوية البدن ، وتعويده على تحمل المشاق .. بعد دراسة علمية موضوعية لأثر الرياضة والتريض فى حياة الناس .

٣ ــ حضور كل فرد من أفراد هذه المرحلة ، عدداً من الكتائب الشهرية أو نصف الشهرية ، بحيث تقدم دراسة جيدة فى فقه الكتيبة وأهدافها وشروطها وآدابها[1] على أن يركز فى كتائب مرحلة التنفيذ ، على الناحية الروحية ، أكثر من سواها ، بل أحيانا دون سواها .

٤ ــ دراسة فقهية مكثفة من خلال الكتاب والسنة وحدهما ، بضميمة كتاب فى أصول الفقه ، ليتدرب الفرد فى هذه المرحلة على كيفية استنباط الأحكام الشرعية من الكتاب والسنة ، حتى يعاونه ذلك على بلوغ درجة النظر التى هى من بين أهداف هذه المرحلة .

وهكذا يجب أن يشتمل البرنامج ، على كل ما يساعد على تحقيق الأهداف ، التى تسعى هذه المرحلة إلى تحقيقها .

وكما سبق أن قلنا ــ كذلك ــ إن محتوى برنامج المرحلة بدقة وتفصيل ، يجب أن يضعه القائمون على المرحلة ، أى قيادتها .

وكل ماقدمناه هنا ، مجرد تصور واقتراح ، تحفظ وقد يقاس عليها ، والأصل ألا يقاس عليها ، لأن أهل المرحلة والمشرفين عليها فى كل قطر من أقطار العالم الإسلامى ، قد يلزمهم فى محتوى البرنامج مالم أذكره وما لا يلزم سواهم .

أكرر أن ما قدمته مجرد اقتراح ، والله من وراء القصد ، وهو الهادى إلى سواء السبيل .

---

(١) أوضحنا ذلك بالتفصيل فى كتابنا وسائل التربية عند الإخوان المسلمين . المشار إليه آنفا .

المرحلة الرابعة : مرحلة التمكين

وتشمل :

التقديم .

الفصل الأول : تعريف المرحلة وتحديد أبعادها .

الفصل الثانى : طبيعة المرحلة ومتطلباتها .

الفصل الثالث : أهداف المرحلة ووسائلها .

الفصل الرابع : الحكم الشرعى فى ممارسة العمل فيها .

الفصل الخامس : المدى الزمنى للمرحلة وأولويات العمل فيها .

الفصل السادس : برنامج المرحلة ومحتواه .

مرحلة التمكين

التقديم :

تعد مرحلة التمكين ، ذؤابة العمل الإسلامى المنظم الهادف ، بل هى النتيجة الطيبة المرجوة للمقدمات الجيدة المدروسة بعناية ، المشمولة بتوفيق الله سبحانه .

إنها المرحلة التى تمثل الثمرة الناضجة ، إذا مَثَّلتْ المراحل التى سبقتها التربة الصالحة ، والماء ، والبذرة الصالحة ، والتعهد والرعاية ، غير أن الجهد الذى يوصل إلى هذه المرحلة ليس بشريا كله ، وإنما يستطيع المؤمن الذى ينظر بنور الله أن يلمس أثر يد الله سبحانه ، فى الوصول إلى مرحلة التمكين لدينه فى الأرض .

فالله سبحانه وتعالى لا يضيع أجر من أحسن عملا ، وهو سبحانه يحب المتقين ، ويحب المحسنين ويحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص ، ولقد وعد جل شأنه بأن ينصر رسله ، والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ، وفى الآخرة ، بل جعل نصر المؤمنين حقا عليه .

أقول هذا ، حتى لا يغتر بعض العاملين فى الحقل الإسلامى ، إذا وصلوا إلى مرحلة التمكين ، فيتصورون أن هذا ، هو ثمرة جهدهم وجهادهم ، إذ الحق أن مع هذا الجهد والجهاد إرادة الله وتوفيقه .

كما أنه من المسلم به ، أن العاملين فى حقل الإسلام ، لن يصلوا إلى مرحلة التمكين ، إلا إذا كانت المراحل التى سبقتها ، قد أدى العمل فيها على وجهه ، وحقق أهدافه ، وكان موضع رضا الله سبحانه وتعالى .

وأى قصور أو تقصير فى أى مرحلة من المراحل السابقة ، سوف ينعكس على هذه المرحلة ، تأخرا فى الوصول إليها ، أو فشلا فى هذا الوصول ، أو وصولا ، ثم فشلا سريعا .

وإذا كنا قد قررنا فيما مضى من الكتاب ، أن كل مرحلة إذا أديت على وجهها ، وفق خطتها وأهدافها ومتطلباتها ، فإنها تقتضى المرحلة التى تليها ، فإن معنى الوصول إلى مرحلة التمكين ما يلى :

أن مرحلة التعريف حققت جميع أهدافها ،

وأن مرحلة التكوين قد أثمرت ثمراتها ،

وأن مرحلة التنفيذ قد أوفت على غايتها .

ولتوضيح ذلك : تكون مرحلة التعريف قد أوجدت الرأى العام الإسلامى ، بل الشارع ذا النبض الإسلامى .

وتكون مرحلة التكوين ، قد أعدت الرجال الذين يعتمد عليهم فى القيام بأعباء الدعوة ، وأن عناصر إسلامية جيدة ، قد أصبحت تمثل قطاعا كبيرا فى المجتمع ، قادرا على الفعْل والتأثير ، والانتقال من العلم والمعرفة والثقافة ، إلى التخطيط والتنظيم والإدارة والعمل .

وتكون مرحلة التنفيذ ، قد أدخلت الإسلام مبادىء وقيما وأخلاقا وسلوكا ومنهجا ونظاما ، إلى حيز التطبيق والممارسة ، وكونت المجاهدين فى سبيل الله بكل ما تحمله كلمة المجاهد من معنى ، وأن عناصر ذات قدرات معينة ، واستعدادات خاصة ، قد استطاعت أن تؤثر فى الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعلمية والفنية ، تأثيراً نجح فى التمهيد للوصول إلى مرحلة التمكين ، مرحلة وجود الحكومة الإسلامية ، التى تحكم بما أنزل الله .

إن هذا التواكب والتوافق بين المراحل الثلاث التى سبقت التمكين ، هو الذى ساعد على الوصول إلى مرحلة التمكين .

وإن الجهد المطلوب فى هذه الحالة ، هو المحافظة على تلك القمة ، التى بلغها العمل الإسلامى ، بجهد الإسلاميين ، وتوفيق الله سبحانه .

ويخطىء من يظن أن الإسلاميين ، سوف يصلون إلى مرحلة التمكين ، بعد خوض بحار من الدم ، وتخطى ألوف الجثث من الضحايا ، المعاندين للإسلام ومنهجه .

يخطىء هذا الظان خطأ كبيرا ، لبدهية لا تغيب عن عاقل ، وأولية يدركها ببساطة كل متأمل هى : أن الإسلاميين يعيشون فى مجتمعات مسلمة ، ويتعايشون مع مسلمين ،

ولن يكون قتال بين مسلم ومسلم إلا عند خروج عن الدين ، فإن كان قتال بينهم فى غير ذلك ، فالقاتل والمقتول فى النار ..

والإسلاميون يعرفون هذا ، ولا يقبلون أن يدخلوا فى معصية الله وغضبه ، بقتال مسلمين أمثالهم ، دون مبرر من الدين نفسه .

ولكنها الدعايات المضادة ، والإشاعات المغرضة ، والرغبة فى تشويه الإسلام والإسلاميين ، وإغراء أعدائهم بهم ، وربما إغراء السلطة بهم ... والإسلاميون أوعى من ذلك ، وأدرى بأبعاد هذه القضية الجائرة ، وهم ماضون فى خطتهم فى العمل ، فى مراحل الدعوة إلى الله ، غير مبالين بنعيق غربان الشؤم ، الذين لا يعيشون إلا فى جو ملبد بالمظالم والصراعات .

ولكن قد تكون للإسلاميين معارك مع غير المسلمين ، يخوضونها بكل شجاعة وتضحية ، إذا اقتضت ظروف بعينها خوض تلك المعارك ، وهى معارك فى الإسلام دائما ، تسبقها الدعوة إلى الحق ، والجدال بالتى هى أحسن ، والحرص على هداية الناس ، قبل الحرص على قتالهم ، لأن ذلك هو أدب الإسلام ، وهو منهج الإسلام فى الحياة .

ولن يحيد الإسلاميون عن منهجهم ، لأن حاقدا أو خبيثا أراد أن يجرهم إلى معركة لايقرها الإسلام .

فإلى الذين يخوفون بعض الغافلين من الحكام ، ومن القائمين على أنظمة لا تأخذ بالإسلام فى حياتها ـــ من الإسلاميين وما سوف يقدمون عليه من عنف ، للوصول إلى الحكم بما أنزل الله يخوفونهم من الإسلاميين ، حتى يجهز هؤلاء الحكام على الإسلاميين قبل أن تقع ـــ فى تقديرهم ـــ كارثة الحكم بما أنزل الله ، وحاشا للحكم بما أنزل الله ، أن يكون كذلك أبدا ...

أقول لهؤلاء المرجفين وهؤلاء الخائفين :

اقرأوا تاريخ محمد ﷺ وتاريخ الصحابة والتابعين ، فما كان من محمد ﷺ ، فسوف يكون من الإسلاميين ، ومالم يفعله الرسول ، فلن يفعلوه بحال ؛ لأنهم مقتدون ملتزمون بهذا الدين ، كما جاء به المعصوم ﷺ ، وكما مارسه هو وأصحابه ، رضوان الله عليهم .

اقرأوا التاريخ لهذه الحقبة ، تعرفوا حقيقة الإسلاميين ، وحقيقة نواياهم ، وليس الوصول إلى الحكم بما أنزل الله فى تصور الإسلاميين ، وقفا عليهم ، وإنما إذا استطاع أى حاكم مسلم ، أن يحكم بما أنزل الله ، وأن يطبق شريعة الإسلام فى حياة الناس ، فالإسلاميون عون له وتبع وردء ، يشد أزره ، ويحارب فى صفه ، ويدعو الله له بكل تأييد وتوفيق .

كما أن الإسلاميين ليسوا جبناء ولا هيابين ، ولا بالذين يتركون مواقع العمل ، خشية بطش حاكم أو سلطان ، فهم يعرفون جيدا معنى التضحية ، ومعنى الصبر ، ومعنى الابتلاء ، ويحتسبون عند الله كل ما يصيبهم فى سبيله ، كما أنهم ليسوا ضعفاء ، ولن يقعدوا عن معركة يوجبها الإسلام ، وسوف يفوزون دائما فى معاركهم بالنصر ، أو الشهادة فى سبيل الله .

إلى الحكام الذين يخوفهم (المغرضون) من الإسلاميين ، نقول :

إن القضية بين الإسلاميين وبينكم لا تحتمل أن تسمعوا فيها لأقوال المغرضين ، أو الوشاة ، أو الحاقدين ، أو الحريصين على أن يظل الحكم بعيدا عن شريعة الإسلام ، ليثروا بغير حق ، وإنما تستطيعون مناقشة الإسلاميين أنفسهم بأنفسكم ، لا بوسائط ، لتعرفوا منهم خططهم ، وبرامج عملهم وأساليب هذا العمل ووسائله .

ولن تجدوا فى جعبتهم حمامات دم ، ولا انقلابات ولا ثورات ، وإنما ستجدون عملا هادئا هادفا ، عازما على أن يصل إلى هدفه ، إن لم يكن اليوم فغدا ، وإن غدا لناظره قريب ، ولو أقمتم أنتم الحكم بشريعة الله ، لكانوا عونا لكم ، وإن لم يعينوكم فقد أخطأوا فى حق دينهم أولا ، وفى حق أنفسهم ثانيا .

وممعن فى الخطأ ، من يدعى أن الإسلاميين يحكمون على المسلمين بالكفر والخروج عن الدين ؛ لأن ذلك غير جائز شرعا ، إلا فى الحدود التى وردت فيها نصوص من الشريعة ، وهى محصورة تقريبا .... وعلى رأسها :

الارتداد عن الدين ،

وإنكار ماهو معلوم من الدين بالضرورة ،

والإتيان بقول أو عمل لا يحتمل وجها غير الكفر .

ومع ذلك فقبل الحكم عليهم بالكفر ، يناقشهم العلماء بالدين فإن كانت لديهم شبهة أزيلت ، وإن كان تعمد وإصرار استتيبوا ، أى طلب منهم أن يتوبوا ، وأن يرجعوا عن الكفر إلى الإيمان وعن الضلال إلى الهدى ، فإن أبَوْا طبق عليهم حكم الإسلام فيهم وفى أمثالهم .

فأين هو الحكم بالكفر على المسلمين ؟

أمّا أن يؤخذ الإسلاميون ، بجريرة كلمة تصدر من غرير ، أو جاهل بالإسلام ، يهرف بما لايعرف ، فهذا ظلم وافتيات على الحق ، قبل أن يكون افتياتاعلى الإسلاميين .

وإن من رحمة الله بالمسلمين ، أن جعل دينهم واضحا ، وأحكامه أشد وضوحا ، ويسر كتابه للذكر ، فليس فى الأمر طلاسم ولا مُعَمَّيات ولا أسرار ولا كهنوت ، وإنما الشريعة كما وصفها رسول الله ، ﷺ : محجة بيضاء ، لا يزيغ عنها إلا هالك ، وأن ليلها كنهارها فى الوضوح والصراحة .

كما هو مخطىء كذلك ، من يتصور أن إقامة حدود الله ، التى حد لعباده ، لتستقيم بها حياتهم ، وتوقيع العقوبات على المجرمين والمرتكبين ، قتلا أو قطعا أو جلدا ، إنما هو وحشية وقسوة ، تلك قالة غافلين أو حاقدين أو مضللين ، لأن أرحم الراحمين هو الذى شرع تلك الحدود ، فكيف توصف بأنها وحشية أو قسوة ؟

وهل نسى أولئك الغافلون ، ما ارتكبه هؤلاء المجرمون من جرائم ؟ لِمَ لم يسموا هذه الجرائم وحشية وقسوة ؟

كيف يَقْتُل القاتِلُ ، فلا يسمى عمله هذا وحشية ، فإذا ما اقْتُصّ منه ، بعد ثبوت الأدلة ، قيل عن القصاص إنه وحشية ؟ لقد كذبوا والله ، فإن فى القصاص حياة للناس .

وكذلك الأمر فى سائر الجرائم ، إذا ارتكبت لم يصفوا مرتكبها بالوحشية ، وإذا أقيم عليه حد الله قالوا ذاك وحشية !!!

إنها الأحقاد والرغبة فى التشويه ، والتنفير عن الإسلام ، ولكن الله غالب على أمره ، وسوف يبلغ هذا الإسلام ، بمبادئه السمحة مشارق الأرض ومغاربها بإذن الله ، وبجهد العاملين من المسلمين .

وهَدَى الله الغافلين والحاقدين والمضلِّلين والمضلَّلين .

وبعد : فإن مرحلة التمكين ، تضع المسلمين جميعا على الطريق الصحيح ، الذى

تستقيم عليه حياة البشرية كلها ، مسلمها وغير مسلمها على السواء .

هى مرحلة استخلاف الله للصالحين من عباده فى الأرض ، يحكمون فيها بشرعه ، ويطبقون منهجه ونظامه ، وهذا الاستخلاف ليس محاباة للمسلمين ، ولا مجاملة لأصحاب أكمل دين ، وأتم نظام ، ولكنه استخلاف مشروط ، وتمكين له أهلية وشروط . قال رب العزة : ﴿ **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا** ﴾[1] .

فهى شروط ثقيلة ، وأهلية باهظة التكاليف :

الإيمان بكل مقتضياته ، وما أكثرها .

والعمل الصالح بكل آدابه ، وما أعظمها .

وعبادة الله وحده ، وما أكثر تبعاتها .

وعدم إشراك أحد أو شيء فى عبادته وما أخفاها ، فالشرك أخفى من دبيب النمل .

وإذن فليست محاباة ولا مجاملة ، وبالتالى فلن يستطيع المسلمون يوما أن يرددوا مقالة يهود ، حيث يزعمون أنهم شعب الله المختار .

نعم المسلمون خير أمة أخرجت للناس ، ولكن بما يأمرون به من معروف ، وينهون عنه من منكر ، بعد الإيمان بالله .

---

(١) سورة النور : ٥٥ .

الفصل الأول

تعريف مرحلة التمكين وتحديد أبعادها

تعريف مرحلة التمكين وتحديد أبعادها

أولا : تعريف المرحلة

التمكين فى اللغة : مصدر للفِعْل « مَكَّن » .

ومعنى مكّن له فى الشيء : أى جعل له عليه مكانا ، وملكه له .

فالتمكين فى اللغة : سلطان وملك .

والذى يشير إلى ذلك المعنى ، قوله تعالى عن ذى القرنين : ﴿ **إنا مكنا له فى الأرض وآتيناه من كل شيء سببا** ﴾[١] .

والمعنى : أن الله مكن لهذا الرجل الصالح فى الأرض ، فأعطاه سلطانا قويا ، ويسر له كل الأسباب التى تدعم هذا السلطان ، سببا من كل شيء مما يوطد السلطان ويقويه .

وكذلك الشأن فى حديث القرآن الكريم ، عن نبى الله يوسف بن يعقوب ، عليهما السلام ، فقد قال تعالى عنه : ﴿ **وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين . ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون** ﴾[٢] .

فقد مكن الله ليوسف فى الأرض ، ينزل فيها حيث شاء ، ويقيم فيها حيث يشاء ، رحمة منه سبحانه ، لأنه أحسن فأحسن الله إليه ، لقد كان السجن ليوسف مدرسة ، تعلم فيها الكثير ، فخرج منها بأمر الله محسنا ، فمكنه الله فى الأرض .

ومرحلة التمكين فى الدعوة إلى الله تعنى أن الله ، تبارك وتعالى ، يمكن لدينه فى الأرض ، عن طريق المؤمنين الذين يعملون الصالحات ، وأن هذا التمكين ، يسبقه الاستخلاف والملك والسلطان ، ويعقبه أمن بعد خوف .

﴿ **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما**

---

(١) سورة الكهف : ٨٤ .

استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لايشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون . وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون ﴾[1] .

والتمكين ــ كما قلنا ــ السلطان والملك .

السلطان للدين الإسلامى ، على كل دين ونظام .

والملك أى الحكم للمسلمين بهذا الدين على البشرية كلها .

ولكن ذلك مشروط ــ كما فى الآية الكريمة ــ بثلاثة شروط :

شرطين للحصول على التمكين ، وشرط لاستمرار التمكين .

أما شرطا الحصول على التمكين فهما :

١ ــ الإيمان بكل معانيه وبكافة أركانه .

* وإن كلمة ﴿ منكم ﴾ فى الآية ، تعنى أن يكون المؤمن من الأمة الإسلامية ، أى منتميا إلى خاتم الأديان وأتمها وأكملها .

٢ ــ والثانى العمل الصالح بكل أنواعه ، بحيث يشمل كل أنواع الخير ، وكل صنوف البر .

وأما شرط الاستمرار للتمكين فهو أمور هى :

١ ــ إقامة الصلاة ،

٢ ــ وإيتاء الزكاة ،

٣ ــ طاعة الرسول ﷺ .

وهذه الثلاثة هى إجمال للإسلام كله .

فالصلاة كما هو معروف هى عماد الدين ، وهى التى تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وهى دليل الإسلام وعلامته .

والزكاة تراحم وتكافل ، ودفع لحاجات المحتاجين ، الذين حدد الله سبحانه أنواعهم فى آية ﴿ **إنما الصدقات للفقراء ..** ﴾[2] كما هى طهارة لقلب المزكى ، وطهارة لماله .

---

(١) سورة النور : ٥٥ ــ ٥٦ .

(٢) سورة التوبة : ٦٠ .

وطاعة الرسول ﷺ ، هى الالتزام بكل ما أمر والانتهاء عن كل ما نهى ، وذلك الإسلام كله .

وستظل الطاعة للرسول ﷺ ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، مصاحبة للتمكين لا تنفك عنه ، ولا ينفك عنها ، قال الله تعالى : ﴿ **الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور** ﴾[1] .

وفى هذه الآية النصّ على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وهو من صميم ما أمر الرسول ﷺ به .

والتمكين فى آية سورة النور : ﴿ **وعد الله الذين آمنوا منكم ...** ﴾ قد حُصِر بين أمرين ، أحدهما كالبداية والتمهيد له ، والثانى كالنتيجة له .

أما الأول الممهد للتمكين فهو : الاستخلاف أى الملك والحكم .

وأما الأخير فهو : تبديل الخوف أمنا .

وأما الوسط بين الطرفين فهو التمكين للدين فى الأرض . يا سبحان الله !

إذا ملك المسلمون ، وحكموا بمنهج الله ، مكنوا فى الأرض .

وإذا مكنوا فى الأرض ، ذهب عنهم كل خوف ليحل محله الأمن .

ألا من متبصرين لهذه الحكم القرآنية ؟

ألا من مؤمنين يفقهون ويتدبرون القرآن ؟

وفى إيجاز : إن مرحلة التمكين ، هى المرحلة التى يصبح فيها دين الله ، دين الإسلام ، ممكنا من البشرية تتقاضى إلى منهجه ونظامه فى كل شيء .

وعندئذ يكون المسلمون قد بلغوا من كمال الإيمان ، وتمام العمل الصالح ، وطاعة الرسول ﷺ ما جعلهم أهلا لأن يمكن الله لهم دينهم ، الذى ارتضى لهم ، ولأن يبدل خوفهم أمنا .

إن مرحلة التمكين وإن كانت قمة المراحل ، إلاأنها ليست آخر المراحل ، فبعدها :

---

(١) سورة الحج : ٤١ .

استمرار التمكين والمحافظة عليه ، وإن ما وراء التمكين لفى أهمية التمكين ، بل أكثر أهمية .

وقبلها ومُوَاكِب لها ، كل تلك المراحل التى تحدثنا عنها ، من تعريف وتكوين وتنفيذ ، فهذه كلها يجب أن يستمر العمل فيها مواكباً للتمكين ، وما بعد التمكين ، وموازيا له إلى أن تقوم الساعة ، وذلك أن المتغيرات فى الحياة وفى الناس كثيرة ، ومستمرة أبدا ، ومع هذا التغيير المستمر ، لابد أن يقوم الدعاة إلى الله بواجبات التعريف والتكوين والتنفيذ والتمكين ، وما بعد التمكين ، فتلك هى مواجهة المتغيرات بمنهج الإسلام فى الحياة .

ويوم يعدل الدعاة عن هذا العمل الموازى لمرحلة التمكين ، فسوف يحدث الانتكاس والتراجع ، إذ تنشأ الأجيال الجديدة ، فلا تجد من يعرّفها ، ولا من يُربِّيها ولا من يُفقّهها أن الإسلام عمل وتطبيق ، فيعود المسلمون القهقرى والعياذ بالله .

إن بعض الناس قد يرون هذه المرحلة بعيدة المنال .

وإن بعضهم ليراها مستحيلة التحقق ،

وإن بعضهم ليراها قريبة جد قريبة .

أما الذين يرونها بعيدة المنال ، فهم على صواب طالما بقى المسلمون غير محققين لشرطى الإيمان والعمل الصالح ، الإيمان بكل شعبه والعمل الصالح بكل أنواعه .

وأما الذين يرونها مستحيلة ، ثم يأخذون فى تثبيط الهمم ، وفت العزائم ، فهم مع حسن الظن بهم ، جهلة بالإسلام ، جهلة بسنة الله سبحانه فى حياة البشر .

أما جهلهم بالإسلام ، فذلك لأن النصوص الإسلامية ، التى ذكرنا آنفا ، تؤكد أن التمكين لدين الله فى الأرض ، حقيقة قرآنية ثابتة ، إذا توفرت لها شروطها ، التى تحدثنا عنها ، من إيمان وعمل صالح وطاعة للرسول ﷺ ، كما أن السنة النبوية اشتملت على تأكيد ذلك كذلك .

روى البخارى بسنده عن خباب بن الأرتّ ، رضى الله عنه ، قال : شكونا إلى رسول الله ﷺ ، وهو متوسد بردة له فى ظل الكعبة ، فقلنا : ألا تستنصر لنا ؟ ألا تدعو الله لنا ؟

فقال : « قد كان من قبلكم ، يؤخذ الرجل ، فيحفر له فى الأرض ، فيجعل فيها ، فيؤتى بالمنشار ، فيوضع على رأسه ، فيجعل نصفين ، ويمشط بأمشاط الحديد ، ما بين

لحمه وعظمه ، ما يصده ذلك عن دينه ، والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ، لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون »[1] .

وأما أنهم يجهلون سنة الله فى حياة البشر ، ويجهلون حكم التاريخ ، فذلك أن الله تبارك وتعالى ، ما أنعم على البشرية بهذا الدين وأكمله وأتمه ، ورضيه لها دينا ، إلا وهو يريد لهذا الدين أن يسود وأن يمكن ، وأن تظل ـــ على الأقل ـــ طائفة من أهل هذا الدين متمسكة بالدين ، لا تخاف فى الله لومة لائم ، تقاتل دونه ، حتى يظهرها الله على أعداء الدين ، يفعلون ذلك ، حتى قرب آخر أيام البشرية على هذه الأرض ، يوم تقاتل هذه الطائفة الدجال .

أما أولئك الذين يرون مرحلة التمكين قريبة جد قريبة ، فهم من المتفائلين ، وليسوا على خطأ إذا قام المسلمون بما عليهم من واجب ، وتحققت فيهم أهلية التمكين ، وتوفرت شروطها التى أشرنا إليها آنفا .

وإن نصر الله لقريب ، لمن يكون على أيديهم النصر .

وبعد : فذلك تعريفنا لمرحلة التمكين .

---

(١) الإمام البخارى : صحيحه : باب الإكراه : ٩ / ٢٦ ط دار الشعب .

ثانيـا : تحديد أبعادهـا

أما البعد الأول لهذه المرحلة فهو :

« ممارسة سلطة الحكم بما أنزل الله » :

والأصل فى هذه المرحلة ، أن تكون الحياة فيها قائمة بين الناس ، على أساس الحكم بكتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ ، وتطبيق ذلك على كل صغير وكبير ، من شئون الحياة والأحياء ، حتى يعيش الناس أمنا ورخاء وعدالة حقيقية .

البعد الثانى :

« طبع الحياة اليومية بالطابع الإسلامى » :

ومعنى ذلك أن تنضبط أمور الناس من حيث قولهم وفعلهم وعملهم وراحتهم وأخلاقهم وسلوكهم ، وكل ما يتصل بحياتهم ، ينضبط ذلك كله ، بالمنهج الإسلامى المنظم للحياة ، والذى تحكمه وتحدد خطواته أوقات الصلوات المكتوبة .

فلا سهر يعيق عن القيام لصلاة الفجر .

ولا عمل أثناء أذان أو إقامة أو أداء فريضة .

ولا مظاهر للفوضى والتسيب ، فى أى مجال من مجالات العمل ، ولا شغل للناس بما يلهيهم عن مصالح دينهم ودنياهم .

ولا إهمال فى عمل ، ولا تراخى فيه ، مهما غاب الرقباء والرؤساء ، ولا تواكل بترك كل عمل أو إصلاح على الحكومة ، وإنما تكون مشاركة ، ويكون حرص على الإسهام .

ولكن لابد من ترفيه وتسرية فيما أحل الله ، وإن القلوب تمل كما تمل الأبدان ، فروحوا عنها ساعة وساعة .

البعد الثالث :

« صبغ المؤسسات كلها بصبغة الإسلام » :

بمعنى أسلمة هذه المؤسسات والمرافق من حيث أهدافها ووسائلها والقائمون عليها ، بحيث تستمد هذه المؤسسات والمرافق أهدافها ووسائلها من مبادىء الإسلام ، وقيمه ، وبحيث يكون القائمون عليها أفرادا صالحين ، ملتزمين بالإسلام فى أخلاقهم وتعاملهم ، مع مؤسساتهم ومع العاملين فيها .

وربما كان هذا البعد أكثر الأبعاد ، احتياجا إلى الهدوء والتأنى ، لأن عملية التحويل نفسها ، لا تقل صعوبة عن عملية الإنشاء ، بل ربما تتطلب مجهودا أكبر .

وهذه المؤسسات والمرافق ، هى كل أجهزة الدولة ووزاراتها وإداراتها .

مع ضرورة التركيز بالإصلاح ، على مجالين بالغى الأهمية فى الإصلاح والتحويل هما :

الأول : التعليم ، لما له من خطر على النشأة وبناء الشخصية ،

والثانى : الإعلام ، لما له ــ كذلك ــ من أهمية فى صبغ الفكر والثقافة بصبغة معينة .

البعد الرابع :

« إعداد التخصصات العلمية فى سائر المجالات » :

وذلك أن متطلبات الحياة الإنسانية كثيرة ، ولابد أن يوجد فى كل مجال من مجالات الحياة ــ اجتماعية وسياسية واقتصادية وفكرية وثقافية وتربوية وإعلامية ، وعلمية وفنية وتقنية وغيرها ــ متخصصون فى هذه المجالات ، على أعلى مستوى من التخصص ، وعلى أحسن مستوى من الالتزام بالإسلام ، إيجاد ذلك على مستوى الإقليم ثم على مستوى العالم الإسلامى ، لأن الحقيقة التى ما ينبغى أن تغيب عن الأذهان ، أن العالم الإسلامى كله أمة واحدة .

البعد الخامس :

« إعداد التخصصات القادرة على سد احتياجات العمل الإسلامى » :

ومعنى ذلك أن توضع ــ على أيدى الخبراء ــ خريطة لاحتياجات العمل الإسلامى فى مراحل الدعوة كلها : التعريف والتكوين والتنفيذ والتمكين ، على اعتبار أن هذه الاحتياجات متجددة ومستمرة كذلك ، وعلى اعتبار أن هذه المراحل متواكبة متوازية ، وإعداد المتخصصين القادرين على سد هذا الفراغ .

وليس لمرحلة التمكين عمل أهم من ذلك العمل ، لما له من صلة بالاستمرار فى التمكين .

وبعد : فهذه أبعاد مرحلة التمكين ، كما بدت لنا ، ونسأل الله أن نكون قد وفقنا فيما

ذهبنا إليه ، وإلا فإن عند أهل العلم والخبرة فى العمل الإسلامى متسعا رحبا لمزيد من الإضافات والتعديلات .

الفصل الثانى

طبيعة مرحلة التمكين ومتطلباتها

طبيعة مرحلة التمكين ومتطلباتها

أولا : طبيعة المرحلة

إن طبيعة مرحلة التمكين ، لابد أن تأخذ فى اعتبارها ، طبيعة المراحل الثلاث التى سبقتها .

ولابد لنا أن نذكر هنا ، بما سبق أن حددناه فى طبيعة كل مرحلة من تلك المراحل حيث قلنا :

إن طبيعة مرحلة التعريف ، هى العمومية ،

وإن طبيعة مرحلة التكوين ، هى الخصوصية ،

وإن طبيعة مرحلة التنفيذ ، هى الجهاد والعمل .

هذه الطبائع ، لتلك المراحل الثلاث ، التى تتمخض عن مرحلة التمكين ، هى التى تملى علينا طبيعة مرحلة التمكين ، والتى يمكن أن نحددها فيما يلى :

١ ــ السلطان والهيمنة ، على كل مرافق الحياة ومؤسساتها ، هيمنة نابعة من روح الإسلام ومنهجه فى الحياة ، لتصطبغ الحياة كلها بصبغة الله ، ومن أحسن من الله صبغة ، وصبغة الله هى هدايته وحجته ، أو الفطرة السوية التى فطر الناس عليها .

وليس معنى ذلك ، أن هذه المرحلة ، ومن طبيعتها السلطان ، أن يكون هناك تسلط أو ظلم ، فإن ذلك من شأن أنظمة الحكم التى لا تتقيد بشرع الله ولا تخافه .

أما فى الإسلام ، فإن ظلم فرد واحد ــ ولو كان من غير المسلمين ــ كبيرة من الكبائر ، بل هى معاداة لمنهج الله ، ونظام الإسلام ، ومعاداة للنبى ﷺ ، كما ورد ذلك فى أكثر من حديث نبوى شريف .

٢ ــ طبع الحياة الاجتماعية بطابع إسلامى فى كل مجال من مجالاتها ، البيت والشارع

والمدرسة والجامعة وأجهزة الإعلام ، والمرافق العامة كلها ، وكل ماله علاقة بحياة الإنسان من قريب أو بعيد .

وربما كان أبرز ما فى هذه المرافق ، مما يحتاج إلى الطابع الإسلامى : الأسواق ، فلو طبعت بالطابع الإسلامى ، بحيث أصبح التعامل فيها ، وفق ما شرع الله فى البيع والشراء والصرف والشركات والتجارات كلها ، لأمن الناس على أموالهم أولا ، ثم أمنوا على معاشهم ثانيا ، فضلا عن إرضائهم لربهم .

إن الأسواق ـــ وأماكن التجارة كلها ـــ لو انضبطت بميزان الإسلام ، وقانونه ، لما كان هناك غش ولا خداع ولا احتكار ولا مغالاة فى الأسعار ، ولا باع أحد على بيع أخيه ، ولا كان هناك شيء يضر بمصلحة المتعاملين .

إن ضبط الأسواق بداية جيدة ، لضبط المجتمع كله ، إنه حرب جيدة للربا ، وقضاء حقيقى على استغلال حاجات الناس ، وإن رسول الله ﷺ كانت له فى الأسواق جولات ، يقوم فيها عوج المعوج .

وكذلك كان خلفاؤه الراشدون من بعده ، والصالحون من حكام المسلمين على مر العصور .

الحياة الاقتصادية كلها يجب أن تطبع بطابع إسلامى ، وبخاصة ما يتصل بالمصارف والقروض وغير ذلك .

٣ ـــ إلزام الناس بأدب الإسلام وأخلاقه فى كل أمورهم إلزاما ، فما دامت مرافق المجتمع قد انضبطت مع الإسلام ، وخضعت لموازينه ، فلا مجال لأحد أن يخرج عن هذه الموازين ، أو يشذ عن تلك القيم والآداب ، وإنما يلتزم كل أحد بما جاء فى الإسلام .

وإنما نقول ذلك ونؤكده ، لأن عدم انضباط المجتمع بموازين الإسلام ، قد يعطى لبعض الآثمين فرصة فى أن يمارس ماهو منهى عنه ، وسط هذا الخلل فى المجتمع ، فيصعب ضبطه أو نهيه ، ويسهل عليه أن يقارف ، وفى هذا وذاك فساد وإفساد .

وطبيعة هذه المرحلة هى إلزام الناس بأدب الإسلام ، وأطرهم على الحق أطرا ، وذلك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وتسخير السلطة لتطبيق الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والله سبحانه يزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن .

٤ ــ طبع العلاقات السياسية للدولة بطابع الإسلام ، بمعنى التزام الدولة بالنظم الإسلامية فى علاقاتها الخارجية مع الدول غير الإسلامية .

وليس ذلك مما يصيب بعض العاملين فى السلكين السياسى والتجارى بنكسة أو خيبة أمل فى النظام الإسلامى ، لأن النكسة الحقيقية ، والخيبة الأصلية ، أن تكون الدولة مسلمة ، ثم تتعامل مع غير المسلمين ، وفق نظامهم هم ، لا نظام الإسلام ، والمسألة لا تحتاج جرأة ، ولا انقلابا ، ولا مقاطعة للدول غير الإسلامية ، وإنما تحتاج إلى اعتزاز بالإسلام ، ورغبة جادة فى التعامل وفق منهجه ونظامه .

وخصوصا إذا عرفنا أن تعامل النظام الإسلامى مع غير المسلمين ، تعامل جيد وكريم .

٥ ــ نشر دعوة الإسلام فى العالم كله ، بحيث لا يبقى على وجه الأرض أحد ولا مكان ، إلا وتصل إليه دعوة الإسلام ، وبخاصة إذا كانت وسائل الاتصال على النحو الجيد السريع التى هى عليه الآن ، فما بالنا بالغد الذى يتطور فيه كل شىء نحو الأجود والأسرع ؟

وعلى وجه اليقين ، فإن مرحلة التمكين هى أوْلى المراحل بنشر دعوة الإسلام فى ربوع العالمين ، لأن الإمكانات المتاحة لهذه المرحلة ، غير متاحة لمرحلة غيرها .

إن وزارات الخارجية لدول العالم الإسلامى ، يجب أن تؤدى عملا أساسيا ، فى مجال نشر دعوة الإسلام ، فى البلاد التى تمثل فيها دولتها .

وزارات الخارجية اليوم ، تضم فى مجالات عملها ملحقين عديدين للتجارة والثقافة والتعليم وغيرهم ، ومرحلة التمكين سوف تفرض ملحقا من الدعاة الذين يتولون نشر دعوة الله فى تلك البلاد ، وهذا من أبرز واجبات المرحلة .

إن مرحلة التمكين ، هى مرحلة الاعتزاز بالإسلام الذى مَلّك ، ومنهجه الذى ساد وحكم ، فلا يمكن أن تتخلى عن نشر دعوة الله فى أرض الله ، وذلك أمل يراود الدعاة إلى الله ، ومن أجله يتشوقون إلى مرحلة التمكين .

إن مرحلة التمكين هى مرحلة تحقيق الآمال ، ووجوب المحافظة على هذه الآمال ، حتى يقوم الناس لرب العالمين .

وبعد : فتلك صورة مجملة لطبيعة مرحلة التمكين ، قابلة لإضافة المضيفين ، وتعديل المعدلين ، على شرط واحد هو : أن يكون من العاملين فى الحقل الإسلامى ، وفى مراحل الدعوة إلى الله .

ولا نحجر على غيرهم أن يقترحوا ، ولكن اقتراحاتهم لابد أن تخضع لمعايير الإسلام ، فتقبل أو ترفض .

ثانيا : متطلبات المرحلة

وكما أوضحنا غير مرة فقلنا : إن متطلبات المرحلة هى : الأهلية ، التى يجب أن تتوفر فى العاملين فيها ، سواء أكانوا من قادتها أو الدعاة فيها ، أم كانوا من الأفراد المشاركين فيها .

والحديث عن الأهلية ، كما تعودنا فى المراحل الماضية ، يكون على مستويين :

الأول : مستوى القائمين على المرحلة من الدعاة .

والثانى : مستوى المشاركين فى المرحلة ممن يسهمون فيها .

فلكل من هذين أهلية يجب أن تتوفر فيهم شروطها .

١ ــ أهلية القائمين على هذه المرحلة :

إن القائمين على هذه المرحلة ، هم أعلى قيادات العمل الإسلامى ، فهم الوزراء والمدراء ــ بلغة الناس اليوم ــ وهم الدعاة بلغة العمل الإسلامى ومراحله .

وإن العمل الإسلامى كله ، يقوم على كاهل هذين النوعين من الناس فى هذه المرحلة ، دعاة أو مشاركين فى العمل .

وبديهى أنه كلما ارتفع شأن العمل ، كلما ارتفع شأن القائمين عليه والمشاركين فيه .

وقد سبق أن أوضحنا أن هذه المرحلة هى ذؤابة العمل الإسلامى وذروته ، وبالتالى فإن الدعاة فيها ــ بلغتنا ــ هم أهم قيادات العمل الإسلامى ، وأرفعهم قدرا وأكثرهم خبرة ، وليس تزكية لهم أن نقول عنهم : إنهم أفضل قيادات العمل الإسلامى ؛ لأننا لا نسمى ولا نحدد أشخاصا بأعيانهم .

فما الأهلية التى تخول لهؤلاء الدعاة أن يقودوا العمل فى هذه المرحلة ؟ وما الصفات التى تحقق هذه الأهلية ؟

إن هذه الصفات أكثر من أن تحصى ، وذلك أنه ما من صفة من صفات التقوى والورع ، أو من صفات العلم والثقافة ، أو من صفات الخبرة والسابقة فى العمل الإسلامى ، إلا وتكون متوفرة فيهم ، فهم كما قلنا أعلى درجات القيادة .

ولو شئنا أن نفصل بعض التفصيل فى هذه الصفات لعددنا منها ما يلى :

أ ــ أعلى درجات التقوى والورع ، أى كل ما كان فى الوسع والطاقة فهو مطلوب ، لأن الداعية هنا أنموذج وقيادة يشار إليها ، ويحسب لهذه القيادة بدقة عملها

وسلوكها ، على العمل الإسلامى كله .

وهذه القيادة تمثل العمل الإسلامى ، فى أكمل صوره عند الناس ، وفى الواقع كذلك .

وعلى وجه الإجمال ـــ فى هذه الصفة ـــ نقول : إن الداعية عليه أن يختط لنفسه أسلوبا فى الحياة يلزم به نفسه وهو : « أن يدع مالا بأس به ، حذرا مما به بأس » حتى يبلغ بذلك درجة المتقين الورعين .

ب ـــ أرقى درجات العلم والثقافة ، بحيث لا يكون وراء ما حصله من علم وثقافة ، شيء يمكن له أن يطلع عليه أو يستوعبه ، إلا وقد فعل ، وذلك لأنه قيادة عليا ، عليه أن يفكر ويخطط ، وينظم ويختار ، بل يبتكر ، وما يقاد الناس وترسم لهم طرق عيش فى الحياة بوسيلة أفضل من العلم المتعمق ، والثقافة الرفيعة ، فذلك الذى ييسر له الاطلاع ، والتعرف على أحسن ما يصلحهم ، ويصلح لهم فى الدنيا والدين .

وسواء أكان هذا العلم المطلوب فى الدعاة ، علما دينيا أم علما دنيويا ، فإنه مطلوب بشكل أساسى .

وسواء أكانت الثقافة مادية (١) ، أم كانت غير مادية (٢) ، فإن كلا منهما مطلوب ومرغوب ، بل مشروط لكى تتحقق الأهلية فى قيادات هذه المرحلة .

جـ ـــ أعلى درجات الخبرة فى العمل القيادى ، بمعنى أن ذلك الداعية ، وقد مارس القيادة مرات ـــ فى مجموعات صغيرة العدد ، وفى مجموعات أكبر عددا ، وفى تجمعات وجماهير فى مجال الدعوة الإسلامية ومراحلها ، مارس كل ذلك بنجاح وتوفيق ، أهله لهذا الوضع القيادى الرفيع ـــ فإنه قد تعلم من ذلك ، بل أجاد

---

(١) الثقافة المادية :
هى كل الأشياء التى يصنعها الإنسان ، كالمسكن والأثاث وسائر الأدوات التى تلزمه فى حياته ، والملابس وغيرها ، وكل ما يتصل بالإنتاج والتكنولوجيا والاختراعات والمكتشفات ، التى تحدث مثل هذه الأشياء .

(٢) الثقافة غير المادية :
هى كل السمات الثقافية التى لها علاقة بالإنسان مثل المهارات والمعايير والمعرفة والمعتقدات والاتجاهات واللغة التى تنتقل من جيل إلى جيل .

كيف يقود ، وكيف يتعامل ، وكيف يخطط ، وكيف يخطو بمن يقودهم دائما إلى الأمام ، بل عرف كيف يتغلب على الصعاب ، وكيف يواجه المتغيرات .

وتلك هى السابقة فى العمل الإسلامى التى تمكنه من قيادة كافة مستويات العمل ، ومن الاستجابة الجيدة لكل متطلباته ، ومن القدرة على الوصول إلى أهدافه بنجاح وتوفيق .

وإنما كان ذلك من بين الشروط ، بل من أهمها ، لأن العمل الذى يتصدى لقيادته فى هذه المرحلة ، هو التخطيط والتنظيم والإدارة لأوسع دائرة من دوائر العمل الإسلامى ، مع التصدى لتلبية حاجات أوسع دائرة من دوائر تجمع المسلمين فهى على مستوى وطن بأسره ، بل ربما كانت على مستوى العالم الإسلامى ـــ يوم يُفضى التمكين إلى إقامة الخلافة الإسلامية ، أمل العمل الإسلامى كله ، على كل صعيد وفى كل زمان ومكان .

د ـــ أن يكون على علم بأهم قضايا العالم الإسلامى كله ، قضاياه الاجتماعية بكل فروعها ، والسياسية والاقتصادية والثقافية والعلمية والعملية ، لأن مرحلة التمكين تتميز بأنها تربط أقطار العالم الإسلامى ، بأوثق رباط ، وهو العقيدة ، ولأن هذه المرحلة عندما يبلغها العمل الإسلامى فى وطن ، يكون قد بلغها فى ثان وثالث بإذن الله ، نتيجة للتواكب فى مراحل الدعوة الإسلامية بين أقطار المسلمين .

وليس لقيادة العمل الإسلامى فى هذه المرحلة ، أن تعيش بمعزل عن قضايا قطر إسلامى ، مهما كان موقعه بعيدا فى المكان .

بل أكثر من ذلك ، لابد أن يكون الدعاة فى هذه المرحلة مستوعبين لخريطة احتياجات قطرهم الذى يعيشون فيه بالدرجة الأولى ، ولخريطة احتياجات أقطار العالم الإسلامى كله تبعا لذلك ، وأن يكونوا قادرين على معرفة موقعه ، وموقع موطنه من العالم الإسلامى كله ، ليدرك ما له وما عليه نحو كل ذلك .

إن الداعية فى هذه المرحلة رجل عالمى ، بكل ما تدل عليه كلمة عالمى من معنى ، لأنـه يُمثل قيادة لدين عالمى ، ويستهدف أن تدين البشرية كلها بدين الإسلام ، حرصا عليها من الضياع وحبا لها .

هـ ـــ أن يكون الدعاة أو القادة فى هذه المرحلة قادرين على أن يحققوا فيما بينهم ـــ أى

فى مجموعهم — نوعا من التكامل فى كل التخصصات المطلوبة للعمل الإسلامى فى كل مجال من مجالات حياة الناس ، دون التساهل فى أى مجال أو تخصص ، أو دمج مجالين ، لقرب أحدهما من الآخر ، لأن القائد الناجح هو من يتولى عملا بعينه ، ويتفرغ له فيعطيه كل جهده ووقته وقدرته على الإبداع والابتكار ، ولن يكون ذلك إلا بالتخصص فيه ، كما أنه يتعارض تماما مع الدمج مهما تقارب المجالان ، هذا إذا شئنا للعمل أن يؤدى على أفضل وجه ممكن ، وأرضاه لله سبحانه وتعالى .

وهذه القدرة على التكامل بين الدعاة ، تتطلب تنسيقا فيما بينهم ، وتعرفا دقيقا على مايرغب كل واحد منهم أن يتفرغ له من تخصص ، وليس ذلك بصعب لأن ممارسة العمل الإسلامى ، قد وثقت الروابط ، وعمقت الصلات بين العاملين فى حقله ، بل كان ذلك بحد ذاته هدفا فى بعض المراحل السابقة ، على مرحلة التمكين .

و — أن يكون الدعاة فى هذه المرحلة على استعداد تام لاستمرار تحصيل الخبرة الرفيعة المستوى ، من خلال ما يجمع بينهم فى كل حين وآخر من ندوات ، لتبادل وجهات النظر والخبرات ، حول قضية من قضايا العمل الإسلامى المعاصرة .

بل ربما جمعتهم مؤتمرات على مستوى العالم الإسلامى — لا القطر الواحد — وما تسهم به المؤتمرات ، فى إثراء الفكر والخبرة ، من خلال هذه المشاركة الواسعة فى المؤتمر ، من العقول الممتازة ، على مستوى العالم الإسلامى كله .

والذى نحب أن ننبه إليه هنا — بل نحذر منه — وهو فى رأينا آفة تصيب بعض القادة بعد أن يصلوا إلى منزلة القيادة ، هى الاستنامة إلى ما وصلوا إليه والوقوف عند هذا الحد ، كأنه الحد الأقصى الذى لا مزيد عليه .

وذلك خطا وعددناه آفة لسببين :

الأول : أنه لا يوجد ما يسمى بالحد الأقصى فى مجال العلم أو الخبرة فى العمل ، بل السقف مفتوح لكل راغب فى ازدياد .

والثانى : أنه ليس أحد فى مجال العمل الإسلامى ، يجوز له أن يعتبر نفسه ، قد بلغ من العلم والخبرة حدا لا يزاد عليه فيه .

على أن القائد أو الداعية الذى يتوقف عن الإفادة بما حوله ، والتعمق فى مجال عمله ،

جدير بأن يفقد القدرة على العطاء بعد حين ، وهو على وجه اليقين إذا استنام ، عاجز عن أن يواكب المتغيرات المستمرة فى الحياة ، وهو مطالب أبدا بأن يواكب المتغيرات ، وأن يواجهها بأمثل الأساليب للتغلب عليها .

ومن نافلة القول ، أن نذكر هؤلاء الدعاة فى هذه المرحلة ، بأنهم كسائر المؤمنين طلاب حكمة ، يبحثون عنها فى مظانها ، وأنى وجدوها فهم أحق الناس بها ، لأن ذلك معروف لهم ، ومركوز فى طباعهم من خلال ما مارسوا من عمل .

إن الاستعداد بل الرغبة فى الاستمرار من الاستزادة فى مجال العلم والخبرة ، شرط أساسى فى إكمال أهلية الدعاة القائمين على العمل فى هذه المرحلة .

٢ ـــ أهلية المشاركين فى هذه المرحلة :

المشاركون فى هذه المرحلة ، صفوة صفوة الصفوة فى العاملين فى الحقل الإسلامى ، وهم فى ذات الوقت أعمدة النظام وأسسه التى يقوم عليها ، ومن زاوية أخرى ، يعدون قيادات على درجة عليا من الكفاءة لهذه المرحلة .

ولهذا كانت الصفات التى تؤهلهم لهذه المرحلة ، من أهم الصفات المطلوبة فى أى مرحلة من مراحل العمل الإسلامى .

ولنستعرض الآن بعض الصفات التى تحقق فيهم الأهلية لهذه المرحلة :

أ ـــ الفقه العميق بالإسلام منهجا ونظاما ، وقدرة على حل جميع المشكلات الإنسانية ، بما أودع الله فى هذا الدين من قدرة على الاستجابة لمطالب البشرية كلها فى حدود ما شرع الله .

فكل واحد من المشاركين فى هذه المرحلة ، عليه أن يكون متفقها بالإسلام بتفاصيل منهجه ونظامه فى الحياة ، لأن طبيعة العمل الذى يتصدى له ، تستوجب هذا التفقه بهذا العمق .

ب ـــ التصور الدقيق الصحيح لقضايا الوطن الذى يعيش فيه ، ولقضايا العالم الإسلامى ـــ معظمها ـــ مع ترتيب لها من حيث الأهمية والأولوية ؛ لأن المشاركين فى هذه المرحلة ـــ كما قلت آنفا ـــ هم أعمدة النظام وأسسه التى يقوم عليها ، وكيف تكون الدعائم والأسس ، وهى غير قادرة على حمل الأعباء فى أوطانها ، فضلا عن أعبائها فى العالم الإسلامى .

مع التأكيد على أن قضايا العالم الإسلامى متشابهة إلى حد كبير .

ومع اليقين بأن الإسلام ، يعالج من خلال منهجه ونظامه جميع القضايا ، ويضع لها أنسب الحلول أيا كان موقعها ، وأيا كان عمقها .

وكيف يسهم المشاركون فى حل تلك القضايا ، وهم لا يعرفون أبعادها حق المعرفة ؟

ألا إن العبء كبير ، والحمل ثقيل ، والجهد شاق ، ولكنه يسير على من يسره الله عليه ، لإخلاصه ، وصدق عزمه ، وقوى إيمانه .

جـ ــ التصور الدقيق الصحيح لقضايا العمل الإسلامى ، وسط هذه التيارات المعادية له المترصدة لكل مايهم به ، أو يعزم عليه ، فضلا عما ينفذه .

وهذا التصور لا يأتى ، إلا نتيجة لخبرة طويلة ، وممارسة متأنية ، ومعاناة مكلفة .

ومع هذا التصور الدقيق لقضايا العمل الإسلامى ، لابد له من قدرة على معرفة أنواع العمل الإسلامى ، على مستوياته المتعددة .

مستوى الأفراد ،

ومستوى الجماعات ،

ومستوى الظروف المحيطة به .

ومستوي الإقليم ،

ومستوى العالم الإسلامى ،

بل مستوى العالم كله .

مع التوقيت الجيد ، لإبراز العمل فى الوقت والمكان المناسبين .

وإن قضايا العمل الإسلامى ، لتتبع من أنواع هذا العمل ، وهى كثيرة متشعبة لا نستطيع أن ندخل فى تفصيل لها هنا .

والدعاة فى هذا المجال ، مطالبون بالإدراك العميق لأولويات العمل الإسلامى فى

الوطن الذى يعيشون فيه ، الأولويات التى تضبط إيقاع العمل ، وتساعد على الوصول بأمان إلى هدفه .

د ـــ المعرفة المتعمقة الشاملة للتيارات المعادية للإسلام والعاملين فى حقله ، معرفة جيدة ، تتناول مايلى :

ـــ حجم التيار المعادى ونوعه ماديا كان أو معنويا ، ومدى قدرته على التأثير فى العمل الإسلامى والعاملين فيه .

ـــ موقع التيار المعادى من الإقليم ، ومن العالم الإسلامى .

ـــ أهداف هذا التيار المرحلية والعامة ، ووسائله فى تحقيق الأهداف .

ـــ ذيول التيار المعادى ، وأتباعه ، والمروجون له ، من المسلمين ومن غير المسلمين .

ـــ خطته ومدى ما نجح فيه من هذه الخطة .

ـــ الأسلوب الملائم لصد هذا التيار ، أو إبطال أثره ، أو إفشال خططه المرحلية أو العامة .

ـــ الاهتمام بأن تكون المبادرة بأيدى المشاركين فى هذه المرحلة ، وعدم الاكتفاء بردود الأفعال .

هـ ـــ المعرفة التامة بإمكانات العمل الإسلامى فى الوطن الذى يعيش فيه المشاركون فى هذه المرحلة .

وهذه الإمكانات تتناول :

ـــ الإمكانات البشرية ،

ـــ والإمكانات المادية والمعنوية ،

ـــ والإمكانات فى مجال الحركة والقدرة على الوصول إلى مواقع هذه التيارات المعادية للعمل الإسلامى ،

ـــ والإمكانات فى مجال التحليل والاستنتاج ،

ـــ والإمكانات فى مجال الرصد والتسجيل ،

ـــ والإمكانات فى مجال التخطيط ،

ـــ والإمكانات فى مجال التنفيذ .

و ـــ المعرفة الجيدة بإمكانات العمل الإسلامى فى العالم الإسلامى كله ، أملا فى الوصول إلى مايلى :

ـــ التنسيق بين إمكانات الأوطان ، لإحداث التكامل بينها .

ـــ وتوفير الجهود والأوقات والأموال ،

ـــ والوصول إلى إحكام توظيف الطاقات ،

ـــ وتبادل الخبرات والمعلومات .

ـــ وتبادل بعض الخبراء والعلماء والمتخصصين ،

ـــ وتبادل الآراء فى وضع الخطط الملائمة للعمل ، والملائمة لصد التيارات المعادية .

وبعد : فتلك هى الصفات التى يجب أن تتوفر فى المشاركين فى هذه المرحلة ، حتى تتحقق بها أهليتهم للعمل فى أهم مرحلة من مراحل العمل الإسلامى ـــ مرحلة التمكين ـــ .

وليست هذه الصفات ـــ كما قلنا فى صفات الدعاة ـــ بالميسورة ولا السهلة ، كما أنها ليست بالمستحيلة ، إنها كذلك يسيرة على من يسرها الله عليه ، بإخلاصه وصدق نيته وعزيمته .

الفصل الثالث

أهداف مرحلة التمكين ووسائلها

أهداف مرحلة التمكين ووسائلها

كلمة بين يدى الأهداف :

إن أهداف مرحلة التمكين ـــ تبعا لمكانة المرحلة ـــ هى أغلى الأهداف وأعلاها ، وأجداها على العمل الإسلامى كله ، وعلى الناس جميعا الذين يعيشون فى ظل تمكين دين الله فى الأرض .

وليس صحيحا ما يتصوره بعض الناس ـــ من الإسلاميين أنفسهم ـــ من أن الوصول إلى مرحلة تمكين دين الله فى الأرض ، هو أكبر الأهداف أو هدف الأهداف ، وأنه لا عمل بعده ولا جهاد .

ليس هذا بصحيح أبدا ، لأن العمل الإسلامى بعيد الغايات ، بل غير متناهى الغايات ، فى مجال مراحل الدعوة إلى الله بالذات .

إن غاية العمل الإسلامى فى صورتها الضخمة التى تشبه أن تكون نهائية هى : « ألا يعبد غير الله فى الأرض » .

فلو كانت هذه هى نهاية العمل الإسلامى ، فإن وراءها لغاية أو غايات أخرى ، تتمثل فى مقاومة شياطين الإنس والجن ، الذين يوسوسون بالشر ويزينونه لبعض الناس ، من لهؤلاء ينهاهم عن المنكر ويبطل عليهم كيدهم ؟

إن الله تبارك وتعالى أراد للعمل الإسلامى ألا يقف عند حد ، حتى بعد الوصول إلى التمكين لدين الله فى الأرض ـــ يوم أراد أن يُبقى قوى الشر ـــ الشياطين وأتباعهم ـــ يُغْوُون الناس ، ويستفزون فيهم عوامل الشر ، فالشياطين باقون طالما على الأرض حياة إنسانية ، أى إلى يوم قيام الساعة . والعمل الإسلامى ، والعاملون فى الحقل الإسلامى لهذه القوى الشريرة بالمرصاد ، يبطلون أعمالهم ، ويفسدون عليهم تزيينهم الشر لبعض الناس .

تلك إرادة الله ، حتى لو وصل الإسلاميون إلى مرحلة التمكين ، فهى إرادة ماضية فى طريقها حتى يقوم الناس لرب العالمين .

ومن أجل بُعد هذه الغايات ، ومكانة أهداف مرحلة التمكين ، كان لابد أن نشير إليها ، أو إلى نماذج فيها ، كما بدا لنا من خلال التفكير والتأمل ، والله ولي التوفيق .

أولا : أهداف المرحلة

الهدف الأول :

وضع دستور للدولة الإسلامية، يستمد كل ما فيه من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وسائر مصادر التشريع الإسلامى ، كالإجماع ، والقياس ، والمصالح المرسلة ، وسد الذرائع .

بحيث يكون هذا الدستور ، بديلا للدستور القائم ، وبحيث يحدد مجموع القواعد الأساسية ، التى توضح تماما مايلى :

١ ــ نظام الحكم ،

٢ ــ وتنظيم السلطات العامة وارتباط بعضها ببعض ،

٣ ــ وتحديد اختصاص كل سلطة من السلطات الثلاث ، التشريعية والقضائية والتنفيذية ، بكل دقة ،

٤ ــ وتوضيح حقوق الأفراد على الدولة ، وواجباتهم نحوها ، الحقوق بكل تفصيلاتها معنوية ومادية ، وكذلك الواجبات والالتزامات .

٥ ــ وضع القوانين المفصلة للدستور مثل :

أ ــ القانون المدنى :

الذى ينظم العلاقة بين الأفراد فى المجتمع ، دون النظر إلى حياتهم العامة التى تتصل بالقانون العام ، وهذه الروابط أبرز مافيها أمران :

ــ العائلة ،

ــ والملكية .

ب ــ والقانون الجنائى :

الذى ينظم ويتضمن القواعد ، التى تبحث فى المجرم والجريمة ، ويقسم الجرائم بحسب درجة خطورتها ويبين أركانها ــ والجزاء الجنائى الذى يوقع على المجرم .

وقانون تحقيق الجنايات كالنظم والإجراءات التى يجب مراعاتها ، لتنفيذ العقوبات ،

وكل ماله صلة بالقانون الجنائى من قريب أو بعيد .

جـ ـــ والقانون العام :

أى مجموعة النظريات والأحكام ، التى تستمد من العرف السائد فى البلاد ـــ بشرط ألا يكون هذا العرف مخالفا لمبادئ الشريعة الإسلامية وقيمها وأخلاقها ـــ وسائر المبادئ اللازمة ، للمحافظة على أرواح الناس وعقولهم وأموالهم ، وما إلى ذلك بسبيل .

وليس لأحد أن يتصور أن هذه الأنواع من القوانين ، لا تجد فى الشريعة ومصادرها متسعا ، فإن الشريعة الإسلامية ، إنما جاءت وأُكملت وأُتمت ، لتستجيب لكل ما هو فى صالح الناس ، وما يدفع عنهم أى ضرر .

الهدف الثانى :

وضع نظام عام للدولة ، نابع من الإسلام ومصادر الشريعة ، يتناول كل مناشط حياة الناس ، الشخصية والعامة .

وعلى سبيل المثال فلابد من وضع الأنظمة التالية :

١ ـــ نظام التعليم فى كل مراحله المعروفة ، بل التعليم المستمر بعد المراحل التعليمية ، يتناول : التعليم والتدريب والتثقيف ،

٢ ـــ ونظام للإعلام ،

٣ ـــ ونظام للاقتصاد والتجارة والمصارف ... إلخ ،

٤ ـــ ونظام لتنمية الثروة والموارد ،

٥ ـــ ونظام لتعامل الفرد مع الدولة ، وتعامل الدولة مع الفرد ، بحيث يحفظ للدولة هيبتها ، وللفرد كرامته وإنسانيته .

٦ ـــ ونظام للجيش والتجنيد ، وما يتصل به ،

٧ ـــ ونظام سياسى للدولة ، يوضح الأسس التى تقوم عليها سياسة الدولة الداخلية والخارجية ، وما فيهما من تفريعات ضخمة ،

٨ ـــ ونظام للعمل والعمال ونقاباتهم ،

٩ ـــ ونظام للنقابات المهنية .

١٠ ـــ ونظام للخدمات التى تؤديها الدولة للمواطن مثل :

أ ــ الخدمات الاجتماعية العامة ،

ب ــ والخدمات الصحية ،

جـ ــ والخدمات التى تقدمها المرافق العامة فى الدولة .

١١ ــ ونظام للدعوة إلى الله ، ونشرها على مستوى العالم كله ،

١٢ ــ ونظام للتعامل مع الدول التى لا تدين بدين الإسلام ،

١٣ ــ ونظام للمساجد ،

١٤ ــ ونظام للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ،

١٥ ــ ونظام للأوقاف .

وغير ذلك من الأنظمة التى تقتضيها مصالح الناس ، أو دفع المضار عنهم .

وغنى عن البيان قولنا : إن كل هذه الأنظمة ، يجب أن تستقى من مصادر الشريعة الإسلامية وحدها ، دون الالتجاء إلى أى قوانين وضعية ، لتكون مصدرا لهذه الأنظمة ، لأن هذا الالتجاء هو الذى أدى بالمجتمعات الإسلامية ، فى فترة غيبة الوعى الإسلامى ، والدعوة الإسلامية إلى التبعية والوقوع فى براثن الأعداء ، بل وإغراق هذه المجتمعات فى الديون وربوياتها ، والانتقاص من حرية البلاد ، وعجز الحكام فيها عن اتخاذ القرار .

الهدف الثالث :

تحكيم شرع الله فى عباده ، بمعنى ألا يكون للناس تحاكم ولا تقاض إلا إلى نظام قضاء إسلامى ، وإلى قوانين إسلامية ، ليعم العدل ، ويسود الحق ، ولا يقع ظلم على أحد من الناس ، مسلما كان أو غير مسلم ، لأن الظلم كله حرام .

وذلك أن شرع الله وحده ، هو الكفيل بتحقيق ذلك كله .

ومعنى تحكيم شرع الله فى الناس عند التطبيق والتنفيذ أن يشمر المجتهدون ، وأهل الفقه من المسلمين ، بالنظر فى مصادر الشريعة ، ليستنبطوا منها ما يكفل تحقيق هذا الهدف .

ومن نافلة القول ، أن نرد على من يدعون أن الشريعة الإسلامية لا تستجيب للمتغيرات المستمرة فى حياة الناس ، فتلك مقولة من يجهل الشريعة ، أو يجادل بالباطل وهو يعلم الحق .

وحسب الشريعة فى هذا المجال ، بابان كبيران واسعان من أبوابها العديدة فى

التشريع هما :

ــ جلب المصالح .

ــ ودرء المفاسد .

فليس أطوع من هذين البابين للاستجابة لكل المتغيرات فى أى زمان ومكان .

الهدف الرابع :

إلزام الناس بمنهج الإسلام فى الحياة ، فى الكلام والسكوت ، والعمل ، والمطعم ، والمشرب ، والمنكح ، والمسكن ، والملبس ، والتعامل كله ، فى كل مجال له علاقة بحياة الإنسان ، أى إلزامه بمنهج الإسلام ، وجميع مقرراته ، لأنه وحده المنهج القادر على أن يحقق للناس سعادة الدنيا والآخرة .

وفى مرحلة التمكين تعتبر الحكومة ، مسئولة بين يدى الله عن إلزام الناس بمنهج الإسلام ، ومسئولة عن المقصرين فى الالتزام به ، ولها أن تأطرهم عليه أطرا ؛ لأنه الحق ، ولها أن تأطر عليه بكل قوة .

والرافضون لمنهج الله من حيث مايوجبه من سلوك وأخلاق ، خارجون على حدود ما أمر الله ، وهؤلاء تلزمهم الحكومة الإسلامية بالعودة إلى المنهج إلزاما يقوم على العقل والمنطق والحوار أولا ، ثم على القوة والقهر والإلزام بعد ذلك .

ولو أدى إلزامهم بمنهج الإسلام إلى الحرب ، فإنها حرب مشروعة ، وبخاصة إذا انضم إليهم من يؤيدهم من الرافضين ، وقاوموا حكومة الإسلام

هذا إلزام على مستوى الأفراد .

وهناك إلزام على مستوى الجماعات والمؤسسات والمرافق العامة للدولة ، وهو إلزام يفرضه النظام ، فإن أبى هذا الالتزام أحد المسئولين عن عمل نصح ، فإن قبل فبها وإلا كان عزله واجبا ، لأنه لابديل عن هذا المنهج فى أى جماعة أو مؤسسة أو مرفق من مرافق الحياة .

وكل المرافق ملزمة بالأخذ بمنهج الإسلام فى عملها ، سواء ماكان منها من مرافق الخدمات ، كالتعليم والصحة والإعلام والثقافة وغيرها ، أو ما كان من مرافق الإنتاج ، أو

مرافق الجباية ، هذه المرافق ملزمة بمنهج الإسلام فى ذاتها ، وفى تعاملها مع الناس ، أو مع غيرها من المرافق .

ولا ينبغى أن يحدث فى هذا الالتزام بمنهج الإسلام تساهل أدنى تساهل ، لأنه لو حدث فإن سوسا خبيثا يأخذ فى نخر عظام الأجهزة والمرافق ، حتى تتهاوى ساقطة فى هاوية البعد عن منهج الإسلام .

وما أُتِىَ المسلمون فى ماضيهم من باب ، كهذا الباب ، باب التساهل فى الالتزام بالإسلام ، وبمنهج الإسلام ، لذلك فإن الوصول إلى مرحلة التمكين يقتضى الاستمساك الشديد بمنهج الإسلام كاملا غير منقوص .

الهدف الخامس :

نشر دعوة الله فى العالم كله :

وذلك أن دين الإسلام ، دين دعوة مستمرة ، لا تتوقف ، حتى تتوقف الحياة البشرية من على وجه الأرض .

وممارسة الدعوة بعد التمكين ، هى الممارسة المجدية القادرة على الوصول إلى أهدافها ، لأن دولة وحكومة ترعاها وتؤيدها ، والحق مهما كان واضحا ، فإنه بحاجة إلى قوة تؤيده وتحميه ، ذاك الشأن هو سنة من سنن الله فى الأرض .

والدولة المسلمة وكل أجهزتها ومؤسساتها ومرافقها ، مطالبة أن تبلغ دعوة الله إلى عباده ، تبلغ المؤمنين ليزدادوا إيمانا ، وتبلغ غيرهم ليهتدوا ، ويدخلوا فى الإيمان .

مطالبة بهذا التبليغ ، بوسائل الإعلام المتنوعة ، مسموعة ومرئية ومقروءة ، ومطالبة بذلك عن طريق الدعاة المخلصين ، الذين يجيدون فن الدعوة ، ويفقهون مراحل العمل فيها ، ويجيدون أساليبها ووسائلها ، ولهم فى ذلك رصيد جيد يعول عليه .

إن هؤلاء الدعاة بما هم عليه من خبرة ، سيكونون أكثر جذبا للناس نحو الدعوة ، من وسائل الإعلام العادية . إن وسائل الدعاة إلى الله ، التى تتمثل فى القول والعمل والقدوة ، أكثر فعالية من أى وسائل إعلامية تقليدية ، يكفى أن الداعية يحاور ويناظر ويجادل بالتى هى أحسن ، ووسائل الإعلام تعرض ماعندها دون جدال أو حوار .

إن وزارة بأسرها فى الحكومة الإسلامية ، يجب أن تنشأ ، وأن تسمى وزارة الدعوة ،

وأن تعين الدعاة على التغلب على هموم الدعوة ، بكل ما أوتيت من إمكانات .

وهذه الوزارة فى تصورى ، يجب أن تتصدى للمهام التالية :

١ ــ إعداد الدعاة على المستوى الذى يتطلبه العصر الذى يعيشون فيه ، والمجتمع الذى يمارسون فيه الدعوة ، إعدادا علمياً فنيا ميدانيا .

٢ ــ تنظيم وسائل الإعلام والتنسيق بينها ، لتؤدى مهمتها فى الدعوة إلى الله .

٣ ــ توجيه الدعوة إلى الله إلى عامة المسلمين ، حتى يزدادوا علما بهذا الدين .

٤ ــ توجيه الدعوة إلى المقصرين فى حق دينهم من المسلمين ، حتى يقلعوا .

٥ ــ توجيه الدعوة إلى الله ، إلى غير المسلمين فى العالم كله .

إلى غير ذلك من المهام ، التى يقترحها أهل الخبرة والتجربة ، فى مجال الدعوة والدعاة والمدعوين .

الهدف السادس :

وضع نظام للجهاد فى سبيل الله ، لتكون كلمة الله هى العليا ، ولا أقل ــ فى هذا المجال ــ والحكومة إسلامية من أن تعدل أسماء وزارات الحرب أو الدفاع ، إلى التسمية الإسلامية الدالة المعبرة الهادفة الخادمة لأغراض الدين وهي :

« وزارة الجهاد فى سبيل الله » .

كما لابد من الاستغناء عن الأنظمة الوافدة أو المستوردة التى تتجاهل قيم الدين وآدابه ، فى إعداد الجنود .

كما لابد من التفكير فى بديل إسلامى للتجنيد الإجبارى ، لأن الجهاد فى سبيل الله عبادة ، بل ذروة العبادات ، فلا يليق أن يجبر الناس عليه ، فما دامت الحكومة إسلامية والدولة وكل مؤسساتها ــ فى مرحلة التمكين ــ إسلامية ، فإن كل فرد من المسلمين ، سوف يكون عارفا لواجبه ، سريع الاستجابة لأدائه من نفسه ، دون إجبار ، ولا يكون الإجبار أو الأطر ، إلا عندما يكون قعود وتخل عن أداء الواجب ، أو عندما يكون الجهاد فرض عين .

وإن الجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا ، ليس عدوانا على أحد ، حتى وإن كان من غير المسلمين ، إنما هو تأمين لحاضر المسلمين ومستقبلهم ، وحماية لأرضهم وعرضهم ومالهم ودينهم نفسه أمام أى معتد على واحد من هذه ، التى يعتز بها كل الناس ،

أصحاب الفطر السوية .

الجهاد فى سبيل الله تعامل إنسانى مع غير المسلمين ، بالأسلوب الذى شرعه الإسلام ، والذى أوضحناه ، وفصلنا القول فيه ، ونحن نتحدث عن أركان الدعوة إلى الله ، حيث عددنا الجهاد فى سبيل الله ، ركنا من أركان الدعوة إلى الله (١) .

إن الجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا ، فريضة محكمة ، ماضية على المسلمين إلى يوم يقوم الناس لرب العالمين ما يتخلى عنها المسلمون فى عصر ، حتى يضعفوا ويذلوا ، ويستهين بهم كل عدو لهم .

فقد روى الإمام أحمد بسنده ، عن عبد الله بن عمر ، رضى الله عنهما ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا ضَنّ الناس بالدينار والدرهم ، وتبايعوا بالعينة ، واتَّبعوا أذناب البقر ، وتركوا الجهاد ، أنزل الله بهم بلاء فلم يرفعه عنهم ، حتى يراجعوا دينهم » (٢) .

والمعنى أن المسلمين إذا بخلوا بالمال فى سبيل الله وأوجه الخير ، وتبايعوا بالنسيئة المفضية إلى الربا ، وانشغلوا بالزرع والرعى عن الجهاد فى سبيل الله ، وتركوا بذلك الجهاد ، نزل بهم البلاء ـــ ولا بلاء أشق من الضعف والذل ـــ حتى يراجعوا دينهم ، ويعودوا إلى الجهاد فى سبيل الله .

الهدف السابع :

وضع نظام لتعامل المسلمين مع غير المسلمين فى السلم ، أى وضع نظام للعلاقات الخارجية التى تحكم دولة المسلمين ، فى تعاملها مع غير المسلمين .

وهذا النظام ، يعكف عليه المتخصصون فى هذا المجال ، فيصوغونه على النحو الذى لا يختلف فى شيء مع شريعة الإسلام ، وفى الوقت نفسه يحقق مصالح الدولة الإسلامية ، ويحفظ عليها كرامتها ، واعتزازها بدينها .

وهذا الهدف لا تستطيع حكومة أن تقوم به ، إلا إذا وصل الإسلاميون إلى مرحلة التمكين لدين الله فى الأرض .

وبعد : فتلك أهداف من بين أهداف مرحلة التمكين ، أكرر أنه يمكن الزيادة عليها ، ويمكن الحذف ، والمجال مفتوح أمام كل قادر على تصور مبنى على العلم .

(١) كان ذلك فى الفصل الرابع المعنون : أركان الدعوة إلى الله . من الباب الأول من هذا الكتاب .

(٢) الإمام أحمد : مسنده : ١٤ / ١٦ شرح الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا ط دار الشهاب . القاهرة .

ثانيا : وسائل تحقيق هذه الأهداف

شرطنا أكثر من مرة ، أن تكون الوسائل فى العمل الإسلامى كله مشروعة أحلها الله ، ولا نزال ننبه إلى ذلك لعظيم خطره .

كما أوضحنا سابقا أن الوسائل الجيدة ، هى القادرة على تحقيق الأهداف ، فى أى مرحلة من مراحل الدعوة الإسلامية .

وفى هذه المرحلة مرحلة التمكين ، فإن نظرة فى الأهداف التى حددناها آنفا ، تدلنا وتساعدنا على التعرف على الوسائل التى تحقق تلك الأهداف .

وهى فى تصورنا على النحو التالى :

١ ـــ بالنسبة لوضع دستور للدولة :

والوسيلة : أن تُكوَّن مجموعات من كبار الدعاة ، قادة المرحلة ، مع مجموعة من كبار المتخصصين فى الشريعة الإسلامية ، مع عدد من قادة العمل الإسلامى ، فى مجالاته المتعددة ، مع بعض المتخصصين فى الدراسات القانونية ، ليعكف هؤلاء جميعا ، على وضع الدستور الملائم للدولة الإسلامية ، المستمد من مصادر الشريعة الإسلامية وحدها ، بحيث لا يزحم هذه المصادر ، مصادر أخرى أيا كانت .

وتلك نقطة بداية ، لا يجوز التغاضى عنها بحال ، وبالضرورة سوف توفر سائر الإمكانات لهذه المجموعة ، التى تضع أول دستور إسلامى فى عصرنا هذا .

ومن هذا الدستور ، يكون المنطلق لسائر القوانين والنظم التى تكفل للناس حياة إسلامية حقة .

٢ ـــ بالنسبة لوضع نظام عام للدولة :

الوسيلة : أن تكوَّن مجموعة من كبار الدعاة إلى الله فى هذه المرحلة ، مع مجموعات متنوعة من المتخصصين فى مختلف مناشط ومجالات الحياة البشرية ، دون استثناء لمنشط أو مجال ، وعلى سبيل المثال :

المتخصصون فى مجال الدعوة ، والتعليم ، والإعلام ، والسياسة ، والاقتصاد ، والاجتماع ، والأدب ، والثقافة ، والقضاء ، والأمن ، والعلاقات الخارجية ، والزراعة ، والصناعة ، والصحة ، والنقل ، والنقد ، والمصارف ، وكل ماله صلة بحياة الناس ، وتنظيم

هذه الحياة .

لوضع النظام العام للدولة الإسلامية ، بحيث لا يدع هذا النظام ثغرة فى حياة الناس ، ليعبث بها عابث ، أو يحتال عليها محتال ، لأن تنوع هذه المجموعات ، سوف يكون كفيلا بالشمول والإحاطة .

والشرط الوحيد فى هذا النظام ، هو أن يكون إسلاميا أى مما أحل الله ، ومما فيه صالح المسلمين ، بجلب الخير لهم ، أو دفع الضرر عنهم فى الدين والدنيا .

٣ ــ بالنسبة لضرورة تحكيم شرع الله فى الناس :

الوسيلة : أن تكوَّن مجموعة من كبَار الدعاة فى هذه المرحلة ، مع مجموعة من العاملين فى القضاء ، مع مجموعة من الذين يمارسون الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، مع مجموعة من رجال الأمن والسلطة التنفيذية ، لوضع نظام ملزم للقضاء ، وللمسئولين فى سلطة التنفيذ ، وللناس بالتحاكم إلى شرع الله وحده ، دون سواه ، فى كل أمر من أمور الحياة ، مع وضع نظام يكفل المساءلة والعقوبة ، لكل من أخل بهذا الالتزام ، من قضاة وسلطة تنفيذ وعموم الناس .

وإن مسئولية الدولة عن تطبيق هذا النظام ، مسئولية تسمح لها ، بإيقاع أى عقوبات ، يقترحها النظام على الممتنعين عن التحاكم إلى الشريعة من أى مستوى من المستويات .

أما غير المسلمين فى المجتمع المسلم ، فإن لهم نظاما يحقق لهم ممارسة عبادتهم فى أديانهم ، والتقاضى إلى تلك الأديان فى كل الأمور التى تعد شخصية ، كالزواج والميراث ، وما إلى ذلك ، أما الأمور العامة التى يترتب عليها مصالح عامة للمسلمين فى المجتمع المسلم ، أو يترتب عليها إلحاق ضرر بهم ، فإن التحاكم فيها لابد أن يكون لشريعة الإسلام .

والمبدأ العام أن لا يظلم أحد فى المجتمع ، الذى يتحاكم إلى شريعة الإسلام .

٤ ــ بالنسبة لإلزام الناس بمنهج الإسلام فى الحياة :

الوسيلة : أن يبدأ هذا الإلزام ، بأن تلتزم الدولة وزارات وإدارات ومؤسسات ومرافق وحكاماً ومسئولين عن أى عمل ، بمنهج الإسلام فى الحياة ، فى كل شيء ، فى الخلق والسلوك ، والفعل والترك ، وكل ما يصدر منهم من عمل شخصى ، أو عمل له علاقة

بالناس .

ومنهج الإسلام فى الحياة شامل ، ومفصل وواضح ، ولا يعجز أحدا أن يأخذ به ، فى أى أمر من أمور الحياة ، والأخذ به يطبع الحياة البشرية كلها ، بطابع الرضى والسعادة ، والنشاط والإنتاج ، والصدق والأمانة ، والغيرة على محارم الله ، كما يدعم العلاقات الاجتماعية بين الناس ويرقيها ، ويزيدها تعاونا على البر والتقوى ، وتناهيا عن الإثم والعدوان .

إن الأخذ بمنهج الإسلام المفصل فى الحياة ، سوف يريح سائر أجهزة الدولة ومرافقها ، ويحقق لها مزيدا من الرقى والقدرة على تحقيق الأهداف .

كما أنه سوف يقلل التقاضى ، فضلا عن تقليل الجريمة ، إذ كيف يرتكب جريمة من كان ملتزما بمنهج الإسلام فى حياته ، ولماذا يتقاضى من لم يقع عليه ظلم أو عدوان من أحد ؟

وما يسعنى أن أستقصى فوائد التزام الناس والدولة بمنهج الإسلام فى الحياة .

٥ ــ بالنسبة لنشر دعوة الله فى العالم كله :

الوسيلة : إعداد جماعات من الدعاة ، الذين يتصدون لنشر دعوة الله فى العالم كله ، بمختلف الألسنة التى يتحدث بها الناس ، فى أى مكان من العالم .

وهؤلاء الدعاة ، يجب أن يزودوا ، إلى جانب اللغة التى سوف يتحدثون بها ، فى المكان الذى يذهبون إليه ، بمعلومات كافية عن طبيعة هذا المكان ، وعادات أهله ، وأعرافهم وتقاليدهم ، والملل أو النحل السائدة عندهم ، حتى تكون دعوتهم هؤلاء الناس إلى الإسلام ، قد قامت على البصيرة ﴿ **أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى ...** ﴾ (١) .

أما أن يذهب الدعاة إلى تلك البلاد ليدرسوا ويعرفوا ذلك كله وهم هناك ، فهذا تضييع للوقت والجهد ، ودليل على سوء التخطيط والتنظيم .

إن المرحلة ، مرحلة التمكين ، مطالبة بما قد تهيأ لها من وسائل وأدوات ، أن تعنى تماما بإعداد هؤلاء الدعاة ، الذين ينشرون دعوة الله فى غير المسلمين من العالم كله .

---

(١) سورة يوسف : ١٠٨ .

إن هذا هو واجب مرحلة التمكين ، وما أكثر واجباتها ، وقد مكنت لدين الله فى الأرض !!!

٦ ـــ بالنسبة لوضع نظام للجهاد فى سبيل الله :

والوسيلة : أن تكون مجموعة من كبار الدعاة ، ومعهم مجموعة أو مجموعات من كبار المتخصصين فى العلوم والقيادات العسكرية ، لوضع نظام دقيق ، ومستوعب للجهاد فى سبيل الله ، لتكون كلمة الله هى العليا ، لا لمجرد الدفاع ، ولا للعدوان والتوسع على حساب الغير .

والأساس الذى يقوم عليه هذا النظام ، هو باب الجهاد فى كتب السنة ، وفى كتب الفقه الإسلامى ، وما يراه الدعاة مناسبا ، وملائما لطبيعة العصر .

والشرط الأساسى فى هذا النظام ، ألا يستعير من قوانين الجيوش الأجنبية ـــ غير المسلمة ـــ لما فيها من تناقض مع روح الجهاد فى الإسلام ، ولما تتضمنه من بعض المفاسد والعيوب ، التى يتبناها النظام الحاكم الذى أقر هذه النظم .

إن الجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا ، تأكيد لمرحلة التمكين ، ودعم لاستمرارية التمكين لدين الله فى الأرض ، ولو قعدت الدولة عن الجهاد فى سبيل الله ، لَانْتَكَست وضعفت ، وأصبحت نهبة لكل معتد ـــ كما كان الأمر فى الماضى ، ولا نحب أن يعيد التاريخ نفسه فى هذا المجال .

٧ ـــ بالنسبة لوضع نظام لتعامل المسلمين مع غير المسلمين فى السلم :

الوسيلة : أن تكون مجموعة من كبار الدعاة فى هذه المرحلة ، ومعهم متخصصون من المسلمين فى مجال العلاقات الخارجية للمسلمين بغيرهم ـــ وقد تم إعداد هؤلاء من قبل ، وتحدثنا عن ضرورة هذا الإعداد ونحن نتحدث عن إعداد المتخصصين فى مختلف المجالات ، فى البعد الرابع ، من أبعاد مرحلة التمكين ، فى الفصل الأول من فصولها ـــ فالمتخصصون الإسلاميون موجودون ، ولا داعى للترقيع بمتخصصين فى العلاقات الخارجية من غير الإسلاميين أو من غير الملتزمين .

هذه المجموعة ، تضع هذا النظام ، وتحيطه بكل ما يكفل للدولة الإسلامية اعتزازها وانتماءها لهذا الدين ، وأخلاقه وآدابه ، دون أن يسمح بمجاراة تلك الدول غير المسلمة ،

فى أى عادة أو تقليد لا يقره الإسلام .

مع ضرورة أن تعطى هذه الدول غير الإسلامية كافة حقوقها التى تقرها شريعة الإسلام ، وإلزامها بكل ما يجب عليها نحو المسلمين الذين يقيمون فيها .

وبعد : فتلك أهداف مرحلة التمكين ، وهذه وسائل تحقيق هذه الأهداف اجتهدت فيها ما وسعنى العلم ـــ على قلته ـــ والخبرة ـــ على قلتها أيضا ـــ وكل ما أقصد من ذلك ، أن أقدم مقترحات ، يبدأ منها التصور العلمى الدقيق لأهل العلم والخبرة ، إنها نقطة ضوء فقط ، أما ملء المكان بالضوء وتبديد كل ظلمة فيه ، فهذا من شأن العلماء المتخصصين ، فى هذه المجالات ، التى تحدثت عنها .

وأرجو ألا أحرم أجر من اجتهد .

الفصل الرابع

الحكم الشرعى فى ممارسة العمل فى مرحلة التمكين

الحكم الشرعى فى ممارسة العمل فى مرحلة التمكين

إن مرحلة التمكين ــ وقد وصل إليها المسلمون بعد هذا الجهد والجهاد ، فأقاموا حكم الله ، وطبقوا شريعته فى الناس ــ لا يجوز لهم أن يتراخوا ، فى ممارسة العمل فى المرحلة ، فضلا عن أن يقعدوا أو يتراجعوا .

إن التمكين لدين الله فى الأرض والعمل على الوصول إليه ــ كما قد بينا فيما سبق ــ واجب شرعاً بالأدلة التى سقناها هناك ، وإذا كان الأمر كذلك فإن الاستمرار فى التمكين لدين الله فى الأرض ، واجب شرعاً كذلك .

إن الإسلام ــ كما أسلفنا ــ قد طالبنا بالوصول إلى هذه المرحلة ، مهما كلفنا الوصول إليها من جهود وتضحيات ، فإذا وصل المسلمون إليها ، أى إلى الحكم بما أنزل الله ، فبلغوا بذلك أهدافهم ، فهل يجوز لهم أو لبعضهم أو لأحد منهم ، أن يكف عن ممارسة العمل ، فى الحكم بما أنزل الله ؟

اللهم : لا .

إن الحكم الشرعى فى ممارسة العمل فى هذه المرحلة ، هو الوجوب على كل المشاركين فيها من دعاة يقودون العمل فيها ، إلى مشاركين يسهمون بجهدهم ، فى الحكم بما أنزل .

وإن الأدلة على هذا الوجوب كثيرة ، يصلح لها ما قدمناه آنفاً ــ ونحن نتحدث عن الحكم الشرعى فى ممارسة العمل فى مرحلتى التكوين والتنفيذ ــ ولكننا سنسوق هنا بعض النصوص الإسلامية ، التى تدعم هذا الوجوب ، وتزيد الأمر إيضاحاً ، بالنسبة لكل راغب فى ازدياد .

وسوف يكون حديثنا هنا عن الحكم الشرعى فى ممارسة العمل ، فى هذه المرحلة ، بالنسبة للدعاة والمشاركين معاً ، لأن الحكم لا يختلف فى القادة ، عن المشاركين فى هذه المرحلة بالذات .

أما النصوص المؤكدة لوجوب العمل والاستمرار فيه ، فهى كثيرة ، نذكر منها ما نرى فيه مقنعاً ، وهى ما يلى :

أولاً : من القرآن الكريم :

قال الله تعالى :

﴿ أفغير الله أبتغى حكما وهو الذى أنزل إليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين . وتمت كلمت ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم . وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون . إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾ (1) .

وهذا السؤال — فى صدر الآية — **﴿ أفغير الله أبتغى حكما ﴾** ؟ سؤال للاستنكار ، أى استنكار أن يلجأ المسلمون فى أى أمر من أمورهم الدينية ، أو الدنيوية ، إلى حكم غير حكم الله ، وإلى حاكم غير الله سبحانه ، لأن الله وحده ، هو صاحب الحق فى ذلك .

وإن كان ذلك كذلك ؛ لأن الله تبارك وتعالى ، لم يترك شيئاً من أمور الدين أو الدنيا ، إلا فصله ، وأوضحه ، بل يسره ، فأغنى بذلك عن الالتجاء إلى حاكم سواه ، أو إلى منهج غير منهجه — كما ورد فى الآية : **﴿ وهو الذى أنزل إليكم الكتاب مفصلاً ﴾** والمعنى : أن الله سبحانه أنزل هذا القرآن الكريم ، ليحكم به الناس ، فيما اختلفوا أو يختلفون فيه ، وجعله مشتملاً على كل المبادئ التى يقوم عليها نظام الحياة البشرية ، وضمنه من الأحكام التفصيلية ، ما يمثل ثوابت راسخة ، أو يجب أن ترسخ فى أى مجتمع بشرى ، مهما كان مستوى هذا المجتمع من حيث زمانه ومكانه ، وما وصل إليه من علم وما حققه من معرفة ، فى سائر مجالات الحياة ، الاجتماعية والسياسية والاقتصادية .

هذه الثوابت التى أراد الله سبحانه أن تستقر فى المجتمعات الإنسانية كلها ، لها صلة وثيقة بتوحيد الله سبحانه ، وبالإيمان والإسلام ، والعدل والإحسان ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والجهاد فى سبيل الله ، لتكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا

---

(1) سورة الأنعام : ١١٤ — ١١٧ .

السفلى .

كما أن لهذه الثوابت ، صلة وثيقة ، بتحريم أمور ، لابد أن تظل محرمة ، ما بقيت على الأرض حياة للإنسان ، وهذه المحرمات هى :

١ ـــ الشرك بالله ،

٢ ـــ وترك الإحسان إلى الوالدين ،

٣ ـــ وقتل الأولاد خشية الفقر ،

٤ ـــ وعمل الفواحش ما ظهر منها وما بطن ،

٥ ـــ وقتل النفس التى حرم الله قتلها إلا بالحق كالقصاص ونحوه ،

٦ ـــ وأكل مال اليتيم إلا بالتى أحسن حتى يبلغ أشده ،

٧ ـــ وانتقاص الكيل أو الميزان ،

٨ ـــ وترك العدل لأى سبب ،

٩ ـــ ونقض العهد ،

١٠ ـــ واتباع غير شرع الله ومنهجه .

وقد تمثلت هذه المحرمات الثابتة ، التى يجب أن يكون تحريمها أبدياً فى الآيات القرآنية الكريمة التالية :

﴿ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون . ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون . وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾ [١] .

---

(١) سورة الأنعام : ١٥١ ـــ ١٥٣ .

وفى الآية الأخيرة من هذه الآيات الكريمة لفظ يفيد وجوب اتباع شرع الله دون سواه وهو قوله تعالى ﴿ **وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه** ... ﴾ فهو ملزم باتباع سبيل الله ، دون أى سبيل ، وفيه تنبيه على أن اتباع أى سبل أخرى ، ليس وراءه إلا الفرقة والضياع .

وقال سبحانه :

﴿ **ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون . إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولى المتقين . هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون** ﴾ [1] .

فهذا النص القرآنى الكريم ، ملزم للنبى ﷺ ولأمته جميعاً ، باتباع شريعة الله وحدها ، على سبيل الأمر والوجوب ﴿ **فاتبعها** ﴾ ، مع التنبيه على أن هذه الشريعة من الله سبحانه ﴿ **جعلناك** ﴾ .

ومع النهى عن اتباع أى نهج سواها ، لأن اتباع سواها جهل وهوى ، وممالأة لأهل الباطل والهوى والجهل ، ومع هذه الممالأة لن يكون إلا الضياع .

وفى الآية الكريمة إشارة ، إلى أن أصحاب الهوى ، مهما تحالفوا وتكاتفوا ، وزينوا لمن مالأهم على باطلهم ، فإنهم لن يستطيعوا أن يغنوا عمن مالأهم واتبع هواهم شيئاً ، لأن الله تبارك وتعالى ترك أهل الهوى يتولى بعضهم بعضاً ، بينما تولى هو سبحانه عباده المتقين .

كما أن فى الآية تأكيدا على أن هذا القرآن الذى جاء بتلك الشريعة بصائر للناس ، ونور وهدى ورحمة لكل من أخذ به .

وقال سبحانه : ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما** ﴾[2] ففى هذه الآية الكريمة ــ كسابقتها ــ إلزام لكل مسلم أن يتحاكم فى كل أمره ، وفى كل ما يحدث بينه وبين غيره من الناس من أمور ، إلى شريعة الله وحدها ، دون سواها ، كما أن الآية أوضحت أن إيمان المؤمن لا يتم ولا يكون ، إلا إذا رضى قلبه واطمأنت نفسه ، إلى الحكم بشرع الله سبحانه ، وسلم بأن هذا هو الحق ، الذى لا حق سواه .

هذا عن النصوص من القرآن الكريم .

---

(١) سورة الجاثية : ١٨ ــ ٢٠ .　　(٢) سورة النساء : ٦٥ .

ثانيا : من السنة :

أما النصوص الموجبة للعمل بما أنزل الله من السنة النبوية فكثيرة ، ذكرنا أعداداً منها ، ونحن نتحدث عن أركان الدعوة إلى الله[1] ونسوق هنا جانباً آخر ، نستشهد به على ضرورة ، أن يلتزم المسلمون بكتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ ، وأن يتحاكموا إليها وحدها .

روى الإمام أبو داود بسنده ، عن ابن مسعود ، رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أول ما دخل النقص على بنى إسرائيل ، أنه كان الرجل يلقى الرجل ، فيقول : يا هذا اتق الله ، ودع ما تصنع ، فإنه لا يحل لك ، ثم يلقاه من الغد ، فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده ، فلما فعلوا ذلك ، ضرب الله قلوب بعضهم ببعض » ثم قال :

﴿ لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون . ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون . ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى وما أنزل إليه ماالتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون ﴾ [2] .

ثم قال : « كلا والله لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، ولتأخذن على يد الظالم ، ولتأطرنه على الحق أطرا ، ولتقصرنه على الحق قصرا ، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ، ثم لَيَلْعَنَنّكُمْ كما لعنهم » [3] .

وروى الترمذى بسنده ، عن حذيفة ، رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « والذى نفسى بيده ، لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم »[4] .

وروى الإمام البخارى بسنده ، عن عبادة بن الصامت ، رضى الله عنه ، قال : بايعنا

---

(١) كان ذلك فى الفصل الرابع من الباب الأول من الكتاب .

(٢) سورة المائدة : ٧٨ — ٨١ .

(٣) أبو داود : سننه : كتاب الملاحم الحديث ذو الرقم ٤٣٣٦ / ج ٤ / ١٢١ ط دار الفكر دون تاريخ . ورواه الترمذى كذلك .

(٤) الترمذى : باب الفتن :

رسول الله ﷺ على السمع والطاعة ، فى العسر واليسر ، والمنشط والمكره ، وعلى أثرة علينا ، وعلى ألا ننازع الأمر أهله ، إلا أن تروا كفراً بواحا عندكم من الله تعالى فيه برهان ، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا ، لا نخاف فى الله لومة لائم (١) .

وروى الإمام مسلم بسنده ، عن عبد الله بن مسعود ، رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « مامن نبى بعثه الله فى أمة قبلى ، إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب ، يأخذون بسنته ، ويقتدون بأمره ، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف ، يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل »(٢) .

إلى غير ذلك من الأحاديث النبوية ، التى تلزم باتباع منهج الله ، والتمسك به ، والعمل بمقتضاه ، أمراً بمعروف ، ونهياً عن منكر ، وجهاداً فى سبيل الله .

وإن فى هذه الأحاديث النبوية الكريمة التى ذكرنا ، لإشارات جديرة بالتأمل والنظر ، نشير إلى طرف منها فيما يلى :

١ ـــ أن المجتمع المسلم يجب أن يحاصر من لا يمتثل لشريعة الله ، فلا يجد من الناس من يجالسه أو يحادثه ، فذلك إجبار له على ترك الإثم والمعصية .

٢ ـــ أن ترك التحاكم إلى شريعة الله سبحانه ، يستوجب لعنة الله ـــ والعياذ بالله ـــ كما لعن بنى إسرائيل ، عندما فعلوا ذلك .

٣ ـــ أن ترك التحاكم إلى شريعة الله سبحانه ، يستوجب العقاب الدنيوى ، فضلا عن العقاب الأخروى .

٤ ـــ أن المسلم مطالب بأن يتمسك بالشريعة ، وأن يتحاكم إليها فى كل أمره ، وألا يخاف فى ذلك أحدا ، وألا يعبأ بلوم من يلومه فى ذلك من أهل الباطل والهوى .

٥ ـــ أن المسلمين إذا تركوا التمسك بشريعة الله ، والتحاكم إليها ، أصبحوا من الذين يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون ، والعياذ بالله .

وبعد : فهذه الآيات القرآنية الكريمة ، وهذه الأحاديث النبوية الشريفة وهى قليل من

---

(١) البخارى : باب الفتن . والحديث متفق عليه .

(٢) الإمام مسلم : صحيحه : باب الإيمان .

كثير ، تؤكد بما لا يدع مجالاً لتردد ، فضلاً عن ارتياب أو شك ، أن المسلمين جميعاً حكاماً ومحكومين ، مطالبون بأن يحكموا كتاب الله وشريعته فى حياتهم ، وأن يلتزموا بها فى كل أمورهم ، فهى الصراط المستقيم وحدها ، حتى لا تتفرق بهم السبل الأخرى من مناهج ونظريات ، فيضلوا بها عن سبيل الله سبيل الحق .

وإذا كان عامة المسلمين مطالبين بهذا شرعاً ، فكيف لا يكون ذلك واجباً على المشاركين فى مرحلة التمكين لدين الله فى الأرض من دعاة يقودون المرحلة ، ومشاركين يصنعون الحياة الإسلامية ، صناعة فى معاش الناس ؟

إن ممارسة العمل فى مرحلة التمكين ، بل إن الاستمرار فى ممارسة العمل فى هذه المرحلة ، واجب شرعاً على كل أهل هذه المرحلة ، من قادة ومشاركين .

وحسبنا هذا فى بيان حكم الشرع فى ممارسة العمل فى هذه المرحلة من مراحل الدعوة إلى الله ، والله ولى التوفيق .

الفصل الخامس

المدى الزمني لمرحلة التمكين وأولويات العمل فيها

المدى الزمنى لمرحلة التمكين وأولويات العمل فيها

أولاً : المدى الزمنى للمرحلة

هذه المرحلة تختلف تماماً فى المدى الزمنى عن المراحل التى سبقتها ، فقد كانت تلك المراحل بحاجة إلى وعاء زمنى ، ينضج فيه الأفراد ، الذين يخوضون غمار كل مرحلة منها ، لأن المراحل السابقة كلها تدخل فى مجال الإعداد والتكوين والتدريب على تطبيق العمل على العلم .

أما فى هذه المرحلة فإن الأفراد قد نضجوا بما أهلهم للوصول إلى التمكين لدين الله فى الأرض ، وإن التعريف والتكوين والتنفيذ ، وقد آتى أكله ، وأثمر مرحلة التمكين ، وبالتالى فإن العلم والعمل كلاهما قد بلغا من الاكتمال النسبى ، الحد الذى هيأ لمرحلة التمكين أن تتحقق ، وسمح لها أن تؤمن للعمل الإسلامى ، وجوداً فعلياً فى مجال الحياة البشرية كلها .

وإن التعريف والتكوين والتنفيذ ، هى التى تحتاج إلى وعاء زمنى يتم فيه هذا العمل ، من معرفة بالإسلام ، وتربية على أسسه ، وتطبيق وتدريب ، أما التمكين ، فالزمان كله وعاؤه ، ولا يمكن أن يغنى فيه جزء من الزمان عن جزء آخر ، وإلا حدث التعطيل لشرع الله ومنهجه .

إن مرحلة التمكين لدين الله فى الأرض ، غاية فى ذاتها ، ومن بلغ الغاية ، وصل فى الشوط إلى النهاية ، وحقق الهدف ، فليست حاجته إلى المدى الزمنى المعين المحصور بين حدين ، وإنما تكون حاجته إلى زمان متطاول ، لا ينتهى إلا بحياته ، أو بحياة البشرية على الأرض ، ليمارس فى هذا الزمان المتطاول ، التمكين لدين الله فى الأرض ، وتحكيم كتابه فى الناس ومنهجه ونظامه فى كل ما يتصل بحياة الناس ، فى معاشهم أو معادهم .

إن المدى الزمنى لهذه المرحلة لا حدود له إلا أن تستمر سيادة كتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ سيادة كاملة ، تؤدى إلى أن لا يعبد إلا الله فى الأرض ، وحتى لا يكون على الأرض مظلوم ، أو محتاج ، وإن على القائمين على هذه المرحلة ، والمشاركين فى العمل فيها ، أن يمضوا فى هذا الطريق ، وأن يستمروا فى هذا المضى ، حتى تتحقق هذه الأهداف .

إن الاستمرار فى مرحلة التمكين ، هو مطلب أساسى بعد الوصول إليها ، بل إن التمكين لدين الله فى الأرض إذا لم تكن له استمرارية ، فإنه تردٍّ ونكوص وإثم ومعصية ، إذ لا بديل لدى المؤمنين عن التمكين لدين الله فى الأرض أبد الآبدين ، وإن معنى ذلك أن زمن التمكين لدين الله فى الأرض ، متطاول لا ينتهى أبداً ، وذلك من فضل الله على البشرية ، إذ جعل الحق والعدل منهجاً يتحاكم الناس إليه ، كما أن ذلك من أكبر الأدلة وأقواها ، على عظمة هذا الدين ، وسمو منهجه ، الذى يحقق بين الناس الحق والعدل ، فإن آفة البشرية كلها من لدن درجت على هذه الأرض ، أن يختفى فيها الحق والعدل ، أو أن يشوبهما الباطل والظلم .

فلماذا الاستمرارية فى التمكين لدين الله فى الأرض ؟

لأن الأجيال التى تفد إلى الحياة من جديد ، وضرورة أن تحكم هذه الأجيال بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، تحتم هذه الاستمرارية ، وتوسع المدى الزمني للمرحلة ، إلى غير ما حد يقف عنده .

ولأن بعض العصاة والآثمين الذين تزين لهم الشياطين سيّء أعمالهم ، فينخدعون بذلك ، وتوسوس إليهم بالشر ، فينساقون إليه ، إن هؤلاء ــ وقلما تخلو الأرض منهم ــ يحتمون على قادة هذه المرحلة ، وعلى المشاركين فى العمل فيها ، أن يستمروا إلى أبعد مدى يمكن أن يوجد فيه آثم أو عاص .

ولأن الذين تعمى بصائرهم عن الحق فيكفرونه ، وتغيم أمام أبصارهم الرؤية ، فيلبسون الحق بالباطل ، وتضطرب بهم عقولهم وقلوبهم ، فيندون عن الفطرة التى فطرهم الله عليها ، فيفسقون بذلك عن أمر ربهم .

إن هؤلاء ــ وليسوا بالقليلين فى دنيا الناس ــ ليوجبون على هذه المرحلة أن تستمر ، إلى أن يثوب الناس إلى الحق ، أو أن يؤطروا عليه أطرا ، ويقصروا عليه قصرا .

وإن الشياطين وما يوحون به إلى أتباعهم من باطل ، وما يمنونهم به من أوهام وظنون ، إن هؤلاء الشياطين سيجدون دائماً من الأتباع والمستجيبين فى كل زمان ومكان ، ما يجعل المضى فى مرحلة التمكين فرضاً محتوماً ، لتقف هذه المرحلة بما تطبقه من شرع الله ومنهجه من هؤلاء الشياطين وأوليائهم موقفاً حاسماً ، يحق فيه الحق ، ويزهق الباطل ، ومادامت مشيئة الله سبحانه ، قد اقتضت أن يكون لإبليس وأتباعه ، من شياطين الجن والإنس ،

وجود على هذه الأرض ــ حتى يرثها الله سبحانه ــ فإنهم سوف يمارسون إغواء من يستخفون عقولهم من الناس ــ وهم كثير ، فإن مرحلة التمكين لدين الله فى الأرض لا محيد عنها ، ولا مناص منها ، بل هى الدواء والشفاء من هذه الأدواء ، ومعنى ذلك أن ينفسح المدى الزمنى لهذه المرحلة ، بحيث تستمر إلى أن يقوم الناس لرب العالمين ، يوم يقول الشيطان عندما يقضى الأمر للناس الذين أغواهم وأعماهم : ﴿ **إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى ...** ﴾[1] .

إن كل تلك الأمور تجعل مرحلة التمكين لدين الله فى الأرض ، مرحلة تحتاج إلى الزمان كله ، لا إلى مدى معين منه ، وتحتاج إلى استمرارية لا تتوقف ، حتى يقوم الناس لرب العالمين .

---

(١) سورة إبراهيم : ٢٢ .

ثانياً : أولويات العمل فى المرحلة

الأولويات فى العمل فى هذه المرحلة ، غير لازمة نسبياً ــ مع احترامنا الكبير لفكرة الأولويات ــ وذلك أن كل أنواع العمل فى هذه المرحلة ، يجب أن تتم على نمط يجعلها متساوية فى الأهمية ، مواكباً بعضها لبعض ، ليس فيها ما هو أولى بالتطبيق من سواه .

إن التمكين لدين الله فى الأرض ، يعنى أن كل شىء فى حياة الناس ، قد خضع لمنهج الله ، ونظامه ، إن طوعا وإن كرها ، فالمستجيب فى هذه المرحلة ، يُشكر من الله ومن الناس ، والمعاند للحق بعد ما تبين ، يؤطر عليه بقوة الدولة ، وهيبة السلطة ، ولا يلقى من المعاملة ، إلا كفاء ما عاند وكابر .

ومادام الأمر كذلك فلا عمل أولى من عمل ، ولا تطبيق أولى من تطبيق ، ولا قضية أولى من الخضوع لمنهج الله ونظامه من قضية أخرى .

كل عمل فى هذه المرحلة على مستوى قيادة المرحلة ، أو على مستوى المشاركين فى العمل فيها ، أو على مستوى الناس عموماً ، له أولوية وجدارة ، ويجب أن يأخذ من الأهمية مثل مايأخذ سواه ، فكل الأعمال فى هذه المرحلة فى الأولويات سواء ، فلا يجوز لنا ــ على سبيل المثال ــ أن نقول : إن تطبيق حد شرب الخمر على شاربها أولى من تطبيق حد القذف ، ولا أن حد الزنا أولى من تطبيق حد السرقة ، فضلاً عن أن نقول : إن تطبيق منهج الله على الناس فى الأحوال المدنية ــ مثلاً ــ أولى من تطبيق منهج الله عليهم ، فى الجنايات التى يقترفونها !!!

إن شيئاً من ذلك لا يجوز ، ما دمنا قد وصلنا إلى مرحلة التمكين ، بل الأصل أن يمكن لدين الله فى الأرض ، وأن يحكم الناس بنظامه ، فى كل أمر من أمور حياتهم ، دون أولويات أو أفضليات ، أو راجح ومرجوح .

لقد سبق لنا أن قلنا : إن المراحل التى سبقت مرحلة التمكين ، كانت الضرورة فيها تقضى بالأخذ بنظام الأولويات ــ على النحو الذى بيناه هناك ــ أما هذه المرحلة ، فلا وجه لأن يؤخذ فيها بهذا النظام ، لأن كل أعمالها يجب أن تكون على قدم المساواة والموازاة .

ولو أخذنا بنظام الأولويات فى هذه المرحلة ، فإنما يكون ذلك على حساب المرحلة نفسها ، لما سيدخل عليها من تجاوز وتساهل فى تطبيق شرع الله على عباد الله ، وهذا

مرفوض ، وغير جائز ، لأن من يمارسه ، يكون كمن يؤمن ببعض المنهج ويكفر ببعض ، أو على أحسن التقدير ـــ مع حسن الظن ـــ يكون كمن يقسم منهج الله ونظامه ، إلى فاضل يبدأ به ومفضول يؤخره إلى حين ، وحاشا لله ، أن يكون منهجه كذلك ، لأنه المنهج الذى يضمن للناس سعادة معاشهم ومعادهم إذا أخذوا به كله ، ولم يفاضلوا فى شيء منه على شيء .

بل إن القول بأولويات فى مرحلة التمكين لدين الله فى الأرض ، سوف يترتب عليه إرجاء لإحقاق بعض الحق ، وتأجيل لتحقيق بعض العدل ، وليس ذلك بجائز فى هذه المرحلة .

وكيف تستساغ الأولويات فى هذه المرحلة ، وقد جعل الله للمؤمنين السبيل كل السبيل ، على الذين يقفون عقبة فى طريق الدعوة إلى الله ؟ ومكنهم منهم ، ومكن بهم لدينه ؟

هذا ما أتصوره فى أولويات العمل فى هذه المرحلة ، ولمن شاء أن يقول بغير ذلك ، أن يقدم الأدلة والبراهين ، وعسى الله أن ينفع المسلمين ، بما يقدمون من اجتهادات فى مجال العمل الإسلامى ، ومجال الدعوة إلى الله .

الفصل السادس

برنامج مرحلة التمكين

برنامج مرحلة التمكين

مرحلة التمكين ليس لها برنامج معين ـــ بالمعنى الذى حددناه للبرنامج ، ونحن نتحدث عن المراحل السابقة ـــ من حيث الأسس التى يقوم عليها ، ومن حيث المحتوى الذى يجب أن يشتمل عليه ؛ وذلك لأن هذه المرحلة تختلف فى هذا المجال ، عن المراحل السابقة ، اختلافا جوهريا ، يتمثل فى أن المراحل السابقة كانت كالأسباب ، وهذه المرحلة هى كالنتيجة لهذه الأسباب ، ولأن تلك المراحل كانت إعدادا وتطبيقا ، أما هذه المرحلة فهى سيادة منهج الله على الحياة والأحياء .

وهذه الفروق تقتضى ألا يكون لهذه المرحلة برنامج زمنى معين ، ولا محتوى مختار من بين محتويات ، لأن زمن هذه المرحلة هو الحياة إلى أن يقوم الناس لرب العالمين ، ومحتوى برنامجها ، هو الإسلام كله ابتداء من شهادة : أن لا إله إلا الله محمد رسول الله ، إلى إماطة الأذى عن الطريق ، وما بين هذين الحدين من بضع وسبعين ، أو بضع وستين شعبة .

غير أن مايوازى برامج المراحل السابقة فى هذه المرحلة ، هو أن يكون لمرحلة التمكين لدين الله ، خطة مدروسة بدقة وتفصيل ، تؤدى إلى هيمنة شرع الله ونظامه على الحياة عموما ، والأحياء جميعا ، لإحقاق الحق ، وإقرار العدل ، وعبادة الله وحده دون سواه ، والاستقامة على أمر الدين ، الذى أكمله الله وأتمه ، ورضيه للبشرية كلها دينا .

إن ذلك يوازى ـــ فى تصورى ـــ الأسس التى يقوم عليها البرنامج فى المراحل السابقة .

وأما محتوى هذا البرنامج ، الموازى لبرامج المراحل السابقة فى محتواها ، فهو كل عمل ، وكل نظام ، وكل خطة تؤدى إلى تحقيق الأهداف التى تحدثنا عنها آنفا ، والتى حصرناها فى سبعة أهداف ، فكل ما حقق هذه الأهداف فهو من صميم المحتوى ، بل إن الوسائل التى ذكرنا لتحقيق هذه الأهداف ، يمكن أن تكون من بين ما يجب أن يحتويه البرنامج .

والله سبحانه من وراء القصد ، فى كل ماقلنا ، وما سنقول .

الباب الثالث

فقه الداعي إلى الله

ويتناول :

التقديم ..

والفصل الأول : وظيفة الداعى إلى الله .

والفصل الثاني : أهلية الداعى إلى الله .

والفصل الثالث : إعداد الداعى إلى الله .

والفصل الرابع : برنامج مقترح لإعداد الدعاة إلى الله .

فقه الداعى إلى الله

التقديم :

فى هذا الباب الثالث من الكتاب ، محاولة للتعرف على الداعية إلى الله ، من خلال وظيفته المنوطة به ، ومن خلال ما يجب أن يتوفر فيه ، من أهلية تتمثل فى صفات أساسية ، لا يستطيع أن يمارس عمله بدونها ، ومن خلال إعداده لهذا العمل الجليل ، الذى هو امتداد لعمل الرسول ﷺ ، ثم من خلال برنامج مقترح لإعداد الداعية إلى الله ، يشمل الجوانب الثقافية والفنية والعملية والتدريبية .

ونود ــ قبل الحديث فى فصول هذا الباب ــ أن نلقى ضوءا على ترجمة الباب وهى :

« **فقه الداعى إلى الله** » كما فعلنا ذلك فى بداية كل باب من أبواب الكتاب ، حيث قدمنا لمفهوم « فقه الدعوة إلى الله » وهو ترجمة الباب الأول ، وقدمنا لمفهوم « مراحل الدعوة إلى الله » وهو ترجمة الباب الثانى ، خضوعا لمنهج بحث التزمناه فى الكتاب كله ، أملا فى الوصول إلى إزالة أى لبس أو غموض فيما نحن بصدده .

سائلين الله تعالى التوفيق والسداد .

«فقه الداعى إلى الله » :

الفقه يعنى ــ كما أسلفنا ــ العلم بالشيء والفهم له ، كما يعنى الفطنة . وهو أخص من العلم .

والفقه يعنى ــ كذلك ــ التوصل إلى علم غائب ، بعلم شاهد ، كما يعنى العلم بأحكام الشريعة .

والتفقه : التخصص كما جاء فى قوله تعالى : ﴿ **فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون** ﴾ [1] .

---

(١) سورة التوبة : ١٢٢ .

هذا هو معنى الفقه فى هذا المجال .

والداعى إلى الله هو : من يحث الناس على قصد الله ، والتوجه إليه فى كل قول وعمل ، وهذا القصد والتوجه ، يبدأ بتوحيد الله سبحانه ، توحيد ألوهية وربوبية ، وينتهى بإماطة الأذى عن الطريق ، ويجمع بين هذين الطرفين كل أركان الإيمان ، ومفردات الإسلام ، وقضايا العدل ، وأمور الإحسان ، وشتى أنواع فعل الخير .

والداعى الأول إلى الله سبحانه فى تاريخ الإسلام هو محمد ﷺ وصحابته ، رضوان الله تعالى عليهم ، ثم كل من اتبع رسول الله ﷺ ، فآمن بهذا الدين وأسلم وجهه إلى الله ، وهو محسن ، استجابة لقول الله تعالى على لسان رسوله ﷺ : ﴿ **قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى ....** ﴾[1] .

والدعاة إلى الله فى كل عصر هم : كل مسلم يعلم من هذا الدين ، مايجب أن يبلغه إلى غيره من الناس ، ويدعوهم إليه .

وقد جرت فى الناس قالة — لا نرى أنها بعيدة عن المكر بالدين والكيد للإسلام والمسلمين — توهم الناس بل الغافلين منهم أن الدعوة إلى الله واجب علماء الإسلام الذين تخصصوا فى علومه ، وهذا باطل من القول ، وسوء فقه من زاعميه ، لأن الدعوة إلى الله — كما أوضحنا ذلك فى الباب الأول من هذا الكتاب — واجب كل مسلم ، على قدر من العلم بالإسلام ، وبصيرة بهذا القدر ، إذ عليه أن يبلغه إلى سواه من المسلمين ، الذين لا يعلمون مايعلم .

وقد أوسعنا هذا الموضوع بحثا ودراسة ، فى الباب الأول من الكتاب ، فليعد إليه من أراد التذكر .

وإضافة الفقه إلى الداعى إلى الله فى قولنا : فقه الداعى إلى الله ، تعنى أن هذا الداعى إلى الله ، عليه أن يفقه الدعوة ، بأن يعرف على وجه الدقة وظيفته فيها ، ويتأكد من استكمال أهليته للعمل بها ، ويستعد للقيام بأعبائها ، كما يعنى أنه مطالب بأن يعرف من تاريخ الدعوة إلى الله ، وتاريخ دعاتها ، ما لا يسعه أن يجهله ، حتى تستنير له الطريق ، ويخطو فيها ، وقد عبدها سابقوه ، وكانوا له على هذه الطريق معالم يهتدى بها .

---

(١) سورة يوسف : ١٠٨ .

كما تتناول تلك الإضافة فيما تعنيه ، أن هذا الداعى إلى الله ، يجب أن يفقه حق الفقه ، طبائع المدعوين [1] حتى يستطيع الدخول إلى عقولهم وقلوبهم ، من حيث يجب أن تكون المداخل ، كما نعنى بالضرورة أن يكون على فقه بنفسه هو ، فيعرف ماذا ينقصه من صفات تؤهله للعمل ، وما ينقصه من استعداد نفسى وعقلى واجتماعى ، وما ينقصه من تدرب ، قبل أن يخوض غمار الممارسة .

وعلى وجه الإجمال ، فإن فقه الداعى إلى الله يتناول أنواعا من الفقه نشير إليها فيما يلى :

فقهه لنفسه ، ومعرفة ما ينقصه من وسائل وأدوات .

وفقهه للدعوة من حيث أصولها ، ومراجعها ، ومراحلها ، وطبيعة كل مرحلة ، ومتطلباتها ، وأهدافها ، ووسائلها ، ووعاؤها الزمنى ، وبرنامجها ، وما يجب أن يحتويه هذا البرنامج .

وفقهه للمدعوين ، طبائعهم ، ومدى استعداد كل واحد منهم وتقبله ، وظروفهم النفسية والعقلية والاجتماعية ، وما يمكن أن تواجه به هذه الظروف من عمل الداعية إلى الله .

إن الداعية إلى الله مطالب بكل هذا وبأكثر منه فى مجال عمله ، إنه مطالب ببذل أقصى الجهد والوقت ، ومطالب بأقصى درجات العطف والشفقة على المدعوين ، وبأقصى درجات الحرص على أن يستجيبوا ويهتدوا إلى طريق الحق ، طريق الدعوة إلى الله .

إن ذلك ما نعنيه ، عند إضافتنا الفقه إلى الداعى إلى الله ، وإن الفصول الأربعة لهذا الباب سوف ترسم صورة ــ بعون الله ــ دقيقة الأبعاد ، واضحة المعالم ، لفقه الداعى إلى الله .

---

(١) سوف نتحدث عن المدعوين بتفصيل فى الباب الرابع « فقه المدعوين إلى الله » .

الفصل الأول

وظيفة الداعي إلى الله

ويتناول :

توضيح مفهوم وظيفة الداعي إلى الله ، وهي ما يلي :

الوظيفة الأولى : الحرص على تبليغ الناس هذا الدين .

الوظيفة الثانية : تأكيد أن هذا الدين وحده هو الواجب الاتباع .

الوظيفة الثالثة : تعليم الناس أمور دينهم ودنياهم .

الوظيفة الرابعة : حث الناس على فعل الخير .

الوظيفة الخامسة : غرس الانتماء إلى الإسلام في نفوسهم .

الوظيفة السادسة : غرس الالتزام بالإسلام في سلوكهم .

الوظيفة السابعة : توظيف طاقات الناس فيما يعود عليهم بما ينفعهم في الدنيا والآخرة .

وظيفة الداعى إلى الله

مفهوم وظيفة الداعى إلى الله :

نعنى بالوظيفة : مجموعة الواجبات والمسئوليات والسلطات والاختصاصات التى تستهدف تحقيق الدعوة إلى الله ، كما تجب على الداعى إلى الله .

وربما كان ما نعنيه بالوظيفة على هذا النحو ، أقرب ما يكون إلى المفهوم الإدارى لها ، وذاك قصدنا ، لأنه أدخل فى الدلالة عليها ، وأعون على تحقيق أهدافها .

وذلك أن مجموعة الواجبات ، أو الأعمال المترابطة المخطط لها ، التى يجب أن يؤديها الداعية إلى الله ، لا تتم على وجهها إلا إذا روعيت لها خصائص بعينها ، من أهم هذه الخصائص مايلى :

١ ـــ وجود نظام عام للمعرفة النظرية لعمل الداعية ، بحيث يعتبر مصدرا رئيسياً لاكتساب المهارة فى هذا العمل .

٢ ـــ تقبل الناس مجتمعا وأفرادا ومنظمات ، لعمل هذا الداعية ، واختصاصاته وسلطاته ومسئولياته ، واحترامهم لخبرته فى هذا المجال .

وعمل الدعوة إلى الله ، إلى الحق إلى الخير ، أجدر الأعمال بأن يحظى بهذا التقبل .

٣ ـــ وجود قواعد للدعاة ، وتنظيمات غير رسمية لهم ، تستهدف إكساب الدعاة وما يقومون به ، الاحترام والتقدير من الناس ، لما تحيطهم به هذه التنظيمات والمنظمات من رعاية وحماية .

وتلك الواجبات أو المسئوليات والاختصاصات ، بل السلطات كذلك ، تنوعت فى تصورنا لوظيفة الداعية إلى الله ، إلى أنواع كثيرة ، حاولنا حصرها فى مفردات سبعة ، هى التى أشرنا إليها ، فيما تناوله الفصل الأول إجمالا .

ونحاول هنا أن نفصل القول فى مفردات وظيفة الداعى إلى الله ، على النحو التالى ونسأل الله التوفيق .

وسوف نسمى كل مفردة من هذه المفردات وظيفة ، فنقول الوظيفة الأولى ، ثم الثانية ، إلى أن نتحدث عن السبعة كلها .

الوظيفة الأولى

الحرص على تبليغ الناس هذا الدين

الداعى إلى الله حريص – بحكم عمله – كل الحرص على أن يبلغ الناس أمور دينهم ، لا يألو فى ذلك جهدا ، ولا يستكثر من أجله عملا ، فذلك شأنه أبدا ، لأن الله – تبارك وتعالى – أراد له الخير ، إذ فقهه فى الدين ، وأوجب عليه التبليغ عنه .

وكيف لا يبلغ دين الله لعباده ، وهو يسمع كلام الله ، ويتدبر قوله تعالى : ﴿ **وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون** ﴾ [1] .

وهذه الآية الكريمة ، توجب التعليم على كل قادر عليه ، ممن عرفوا من أمر الدين ، ما يجدون الناس فى حاجة إليه وإلى معرفته .

وفى الحديث الشريف ، مارواه أبو نعيم ، من حديث ابن مسعود ، رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « ما آتى الله عالما علما ، إلا وأخذ عليه من الميثاق ما أخذ على النبيين ، أن يبينوه للناس ولا يكتموه » .

وروى الإمام أحمد بسنده ، عن معاذ ، رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ ، لمعاذ لما بعثه إلى اليمن : « لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها » .

وروى أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس بسنده ، عن عبد الله بن مسعود ، رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « من تعلم بابا من العلم ، ليعلم الناس أعطى ثواب سبعين صديقا » .

وإن حرص الداعية إلى الله ، على تبليغ الناس دعوة الله ، وأمور دينهم ، لنابع من فقهه ، بأن كتمان العلم ، غير جائز ، فقد منع الله سبحانه كل من آتاه علما من كتمانه ، فى قوله سبحانه : ﴿ **ولا تكتمونه** ﴾ .

وقد ورد فى السنة النبوية المطهرة ، ما رواه الترمذى بسنده ، عن أبى هريرة ، رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « من علم علما ، فكتمه ، ألجمه الله يوم القيامة

---

(١) سورة آل عمران : ١٨٧ .

بلجام من نار » .

كما أن الآية الكريمة التى تقول : ﴿ **وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون** ﴾ (١) تحرم الكتمان على كل من يعرف الحق ، والله حق ، والدين حق ، ومن عرف ذلك ، حرم عليه أن يكتمه عن الناس .

وإن هذا الدين وحى من الله تبارك وتعالى لنبيه محمد ﷺ ، وهذا الوحى : إما قرآن كريم ، وإما حديث قدسى ، وإما حديث نبوى ، وإما عمل من أعمال الرسول ﷺ ، أو إقرار منه لعمل ما ، والنبى ﷺ معصوم لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى .

وهذا الدين لا بد من تبليغه للناس بعد رسول الله ﷺ ، أوّل من بلغ ، وتلك مهمة منوطة بالدعاة إلى الله ، فهم ورثة الأنبياء بما أفاء الله عليهم من علم ، وهذا العلم هدية ، أو عطية ، يقدمونها لإخوانهم فى الدين ، فيثابون على ذلك أجزل الثواب ، فقد أخرج الطبرانى بسنده ، عن عبد الله بن عباس ، رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله ، ﷺ : « نعم العطية ، ونعم الهدية ، كلمة حكمة تسمعها ، فتطوى عليها ، ثم تحملها إلى أخ لك مسلم ، تعلمه إياها ، تعدل عبادة سنة » .

وإن الدعاة إلى الله ـــ وهم ورثة الأنبياء ، وحملة العلم ، والأمناء على الدين ـــ لهم أولى الناس بتبليغ وحى الله إلى عباد الله ، فهم لذلك أهل ، وإن هؤلاء الدعاة إلى الدين ، من نعمة الله على الناس التى لاتُعد ، ولا يُحصى أثرها وخيرها ، ولقد كان وما يزال من رحمة الله بالناس ، ومن نعمته على دين الحق ، أن يقيض فى كل عصر من العصور لهذا الدين طائفة من الدعاة إلى الله ينذرون أنفسهم للدعوة ، ويبذلون فى سبيلها من جهدهم ومن وقتهم ، ماعلى مثله يتجدد أمر هذا الدين ، تلك سنة ، ماتخلفت فى عصر من العصور ، ولا زمن من الأزمان .

لقد كان صحابة رسول الله ﷺ أمثلة رفيعة القدر ، فى الدعوة إلى الله ، فتركوا فى العالم الذى عاشوا فيه نورا وهدى ، كانا كالشمس وضحاها .

ثم جاء من بعدهم ، التابعون ، رضوان الله عليهم ، وما أكثرهم عددا ، وما أعظمهم إخلاصا لدين الله ، فثنوا على دعوة الصحابة ، رضوان الله عليهم ، إلى الله ، مصابيح علم

---

(١) سورة البقرة : ١٤٦ .

وتنوير ، فكانوا كالقمر إذا تلاها .

ثم أفاء الله على الإسلام والمسلمين بالدعاة الهواة المصلحين على رأس كل قرن من الزمان ، فعلموا ووجهوا ، وأزالوا الشبهات والأباطيل ، وجردوا الحق مما علق به من أوهام وترهات ، فكانوا كالنهار إذا جلاها .

ومن هؤلاء الدعاة المخلصين ، فى كل زمان ومكان ، يكون التمكين لهذا الدين ، فضلا من الله ورحمة ، بل تكون حركات الإصلاح فى كل بقاع العالم الإسلامى ، ويكون التحدى لأعداء الإسلام ، أعداء الحق .

وإن أعداء الإسلام ، لا يرضيهم شيء مثل ما يرضيهم ، أن يقعد الدعاة إلى الله عن الدعوة ، وهم فى سبيل ذلك يبذلون كل غال ونفيس ، ويدبرون ويكيدون ، ولكن الله سبحانه لهم ولكيدهم بكل مرصد ، بما وعد به المؤمنين من نصر وتمكين ، وإن آية كريمة فى القرآن الكريم ، لتقوم سدا منيعاً ، فى وجه كل من تحدثه نفسه ، بالقعود عن الدعوة إلى الله ، أو يزين له شياطين الإنس والجن أن الدعوة إلى الله ، محفوفة بالأخطار وهى قوله تعالى : ﴿ **الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله وكفى بالله حسيبا** ﴾ (١) فهى مدح للذين يبلغون رسالات الله ، إلى عباد الله ، وتوجيه لهم ، بأن يمضوا فى التبليغ ، لا يخافون فيه لومة لائم ، وبشارة لهم ، بأن الله سبحانه حسيب رقيب لهم ولسواهم ، ومجازٍ كلاً بما فعل .

وقد روى الإمام أحمد بسنده ، عن أبى سعيد الخدرى ، رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يحقرن أحدكم نفسه ، أن يرى أمرا لله فيه مقال ، ثم لا يقوله ، فيقول الله : ما يمنعك أن تقول فيه ، فيقول : رب خشيت الناس ، فيقول : فأنا أحق أن يخشى » .

إن حرص الدعاة إلى الله على تبليغ دين الله إلى عباد الله ، هو الوظيفة الأولى لهم ، ما يجوز لأحد منهم ، أن يقصر فى القيام بها ، فضلا عن القعود عنها ، لأن الله سبحانه ناط بهم هذا العمل الجليل ، وجعلهم فيه ورثة أنبيائه ، عليهم الصلاة والسلام ، وما قدمنا على ذلك من نصوص ، يؤكد وجوب هذه الوظيفة عليهم .

---

(١) سورة الأحزاب : ٣٩ .

الوظيفة الثانية

تأكيد أن هذا الدين وحده هو الواجب الاتباع

وذلك أنه لو وجب اتباع دين آخر معه ، لاضطربت الإنسانية فى معاشها ومعادها ، ولما أصبح لدين لاحق ، حقّ إكمال دين سابق ، ولما أرسل الله الرسل ، بعضهم من بعد بعض ، ليكمل لاحقهم ماجاء به سابقهم ، ولما وردت النصوص الإسلامية من قرآن كريم وسنة نبوية تحتم اتباع خاتم الأديان وحده . دون سواه ، فمن القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ (1) وقوله سبحانه : ﴿ **وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا** ﴾ (2) وقوله جل شأنه : ﴿ **قل يأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا** ﴾ (3) وقوله سبحانه عن القرآن الكريم : ﴿ **ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين . إن هو إلاذكر للعالمين** ﴾ (4) وقوله جل شأنه : ﴿ **تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا** ﴾ (5) .

ومن السنة النبوية مارواه مسلم بسنده ، عن أبى هريرة ، رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « والذى نفسى بيده ، لا يسمع بى أحد من هذه الأمة ، يهودى ولا نصرانى ، ثم يموت ، ولم يؤمن بالذى أرسلت به ، إلا كان من أصحاب النار » (6) .

وفى الصحيح أيضا أن رسول الله ﷺ قال : « بعثت إلى الأسود والأحمر » قال مجاهد : يعنى الإنس والجن وقال غيره : يعنى العرب والعجم ، والكل صحيح (7) .

وإنما وجب اتباع الدين الإسلامى ، الذى جاء به محمد ﷺ وحده دون سواه ، لأنه الدين الناسخ لكل دين سبقه ، ولأسباب عديدة منها :

١ — أنه الدين الذى بقيت معجزته خالدة على الزمان وهى القرآن الكريم ، على حين فنيت معجزات الأديان الأخرى .

٢ — وأنه الدين الذى استكمل للبشرية سائر ما تحتاج إليه فى معاشها ومعادها .

---

(1) سورة الأنبياء : ١٠٧ . (2) سورة سبأ : ٢٨ . (3) سورة الأعراف : ١٥٨ .

(4) سورة ص : ٨٦ ، ٨٧ (5) سورة الفرقان : ١ . (6) مسلم : صحيحه : ١ / ٧٥ ط الحلبى .

(7) انظر كتابنا : عالمية الدعوة الإسلامية ، ففيه ستة وعشرون حديثا فى هذا الموضوع ط دار عكاظ ١٤٠٤ هـ — ١٩٨٤ ، ١ / ٢٤٦ وما بعدها .

٣ ـــ وأنه الدين الصالح بمبادئه ومنهجه ونظامه لكل زمان ومكان .

٤ ـــ وأنه الدين الذى أعلن رسوله محمد ﷺ أنه خاتم النبيين والمرسلين ، فى حين لم يصرح بذلك أحد من الأنبياء السابقين .

٥ ـــ وأنه الدين الذى تكفل الله سبحانه بحفظ كتابه ، فقال سبحانه : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ (١) فى حين لم يتكفل بمثل ذلك لغيره من الكتب التى أنزل .

٦ ـــ وأنه الدين الكامل التام ، من بين الأديان كلها ، وأدلة كماله مايلى :

أ ـــ أنه الدين الذى يشتمل على نظام جامع للحياتين الدنيا والآخرة ، ففى الحياة الدنيا ، أقامها على نظام محكم سديد ، يؤدى إلى الأخوة بين الناس ، ويحدد لكل منهم حقه وواجبه ، فردا وعضوا فى أسرة وعضوا فى مجتمع محلى ، وعضوا فى مجتمع إسلامى عالمى .

وفى الحياة الأخرى ، جعل هذه الدنيا ، مزرعة لها ، ودار عبور إليها ، بل جعل الدار الآخرة هى الحياة الحقة : ﴿ **وإن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون** ﴾ (٢) .

وقد أعلن الله تعالى عن كمال الدين الإسلامى فى قوله تعالى : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا** ﴾ (٣) .

ب ـــ وأنه دين من صنع الله ومن وحيه ، والله سبحانه موصوف بالكمال ، بل الكمال المطلق ، ولما أراد لهذا الدين أن يكون خاتم الأديان ، شاء له أن يكون كاملا ، وإذا كان للإسلام مصدران هما : الكتاب والسنة ، فإن كل مصدر منهما ، له من الكمال ما يناسبه ، ففى القرآن ، وصفه الله سبحانه ، بأنه جامع شامل ، جمع للناس من كل ما يهمهم فى حياتهم مَثَل ، وأنه بين لهم فيه كل شىء ، وجعله هدى ورحمة ، قال تعالى : ﴿ **ولقد صرفنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل** ﴾ (٤) .

وقال سبحانه : ﴿ **ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى**

---

(١) سورة الحجر : ٩ .

(٢) سورة العنكبوت : ٦٤ .

(٣) سورة المائدة : ٣ .

(٤) سورة الإسراء : ٨٩ .

للمسلمين ﴾[1] .

وقال جل شأنه : ﴿ **ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شىء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون** ﴾ [2] .

وفى السنة النبوية جاء قوله تعالى : ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾ [3] .

وقال سبحانه : ﴿ **من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولّى فما أرسلناك عليهم حفيظا** ﴾ [4] .

وقال رسول الله ﷺ : « ... فعليكم بسنتى ، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى ، عضوا عليها بالنواجذ » [5] .

جـ ـــ وأن الله سبحانه أوجب على الناس جميعا أن يؤمنوا به ، وأعلن أنه لن يقبل منهم سواه ، ومن المحال أن يطلب الله من الناس أن يؤمنوا بدين ناقص ، أو يقبل منهم دينا ناقصا ، قال الله تعالى : ﴿ **إن الدين عند الله الإسلام** ﴾[6] وقال سبحانه : ﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين** ﴾[7] وقال جل ذكره : ﴿ **أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السمٰوات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه يرجعون** ﴾[8] .

فلو كان هناك دين من الأديان كاملاً مرضياً عنه من الله سبحانه ، غير دين الإسلام ، لقبله الله من الناس ، ورضى أن يتدينوا به ، ويتحاكموا إليه ، ولكن هذا الدين الذى جاء إلى محمد خاتم المرسلين ، هو الذى تميز بذلك وحده .

د ـــ وأنه الدين الوحيد ، الذى ما ترك شيئا يهم الناس ، فى معاشهم ومعادهم ، إلا ووضع له النظام المتكامل القادر على تحقيق السعادة للناس فى كل زمان ومكان ، قال الله

---

(١) سورة النحل : ٨٩ . (٢) سورة يوسف : ١١١ . (٣) سورة الحشر : ٧ .
(٤) سورة النساء : ٨٠ . (٥) رواه أبو داود والترمذى وقال الترمذى : حديث حسن صحيح .
(٦) سورة آل عمران : ١٩ . (٧) سورة آل عمران : ٨٥ . (٨) سورة آل عمران : ٨٢ .

تعالى : ﴿ **وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلك وصاكم به لعلكم تتقون** ﴾(١) .

وقال سبحانه : ﴿ **وهذا صراط ربك مستقيماً قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون** ﴾(٢) .

هـ ــ وأنه الدين الذى تميز بأن أجاب الإجابة القاطعة على كبريات القضايا ، التى حيرت بعض الغافلين ببعدهم عن وحى الله ، ولا تزال تحير كثيراً منهم حتى اليوم مثل :

ــ قضية سر وجود الإنسان على هذه الأرض ،

ــ وقضية مصير الإنسان بعد الموت ،

ــ وقضية منهج الإنسان فى الحياة الدنيا .

لقد تحدث الإسلام عن تلك القضايا ، الحديث الشافى ، الذى يزرع الأمن والطمأنينة فى النفس . فقال عن سر وجود الإنسان على هذه الأرض ، وأصل خلقته : ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظاما لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين** ﴾(٣) وقال تعالى : ﴿ **فلينظر الإنسان مم خلق . خلق من ماء دافق . يخرج من بين الصلب والترائب** ﴾(٤) .

وأوضح أن السر فى خلق الإنسان على هذه الأرض ، هو عبادة الله وحده ، فقال سبحانه : ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾(٥) وعبادة الله يدخل فيها : التوحيد ، والإيمان ، والإسلام ، والإحسان ، والعدل ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، والجهاد فى سبيل الله ، لتكون كلمة الله هى العليا ، وفعل الخير ، وكف الأذى ...

ذلك هو الجواب على السؤال الأول ، الذى حير كثيرا من الناس.. كما أن الإسلام أجاب على السؤال الثانى ، إجابة قاطعة ، فأوضح ، أن مصير الإنسان بعد هذه الحياة الدنيا ، هو العودة والرجوع إلى الله يوم القيامة ، حيث يحاسبه على ما قدمت يداه ، قال

---

(١) سورة الأنعام : ١٥٣ . (٢) سورة الأنعام : ١٢٧ . (٣) سورة المؤمنون : ١٢ ــ ١٤ .
(٤) سورة الطارق : ٥ ــ ٧ . (٥) سورة الذاريات : ٥٦ .

تعالى : ﴿ **إن إلى ربك الرجعى** ﴾[1] وقال سبحانه : ﴿ **ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون** ﴾[2] وقال جل شأنه : ﴿ **وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم . صراط الله الذى له ما فى السمٰوات وما فى الأرض ألا إلى الله تصير الأمور** ﴾[3] .

وإن هذه الإجابة الحاسمة ، حول مصير الإنسان لتزيل كل لبس أو غموض أو بلبلة تعترى بعض الناس .

وأما الإجابة على القضية الثالثة : وهى منهج الإسلام فى الحياة الدنيا ، فإن الإسلام جاء بأكمل المناهج وأتمها ، وأحسنها للناس ، وأقدرها على تحقيق مصالحهم وحدها ، وأكد أن الالتجاء إلى أى منهج آخر ، غير منهج الإسلام ، فيه ضياع للناس وإفساد لدنياهم وآخرتهم ، قال الله تعالى :

﴿ **ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون . إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولى المتقين** ﴾ [4] .

وقال سبحانه : ﴿ **وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون** ﴾[5] .

لقد أوضح الإسلام هذه القضايا الكبرى فى تاريخ البشرية إيضاحاً يبدد كل شك وكل وهم .

وإن ذلك ليدل على أن هذا الدين وحده ، هو الواجب الاتباع ، لأنه وحده الذى أجاب على تلك القضايا الهامة ، فى تاريخ حياة الإنسان على هذه الأرض .

وإن قيام الداعية إلى الله ، بحشد الأدلة والبراهين على أن هذا الدين وحده ، هو الوجب الاتباع ، لمن أهم وظائفه فى مجال الدعوة إلى الله .

وهذه الوظيفة إذا أديت على وجهها ، ترتب عليها الكثير ، مما يحسب فى صالح الداعية والدعوة نفسها إذ يترتب عليها ما يلى :

— اقتناع الناس بالدين الواجب الاتباع ، ودخولهم فيه عن علم وبينة .

---

(١) سورة العلق : ١٩ . (٢) سورة الزمر : ٧ . (٣) سورة الشورى : ٥٢ .

(٤) سورة الجاثية : ١٨ — ٢٠ . (٥) سورة الأنعام : ١٥٣ .

ـــ تخلص الناس من أوهام اتباع أديان أخرى ، فضلاً عن نظم ومناهج ونظريات .

ـــ اطمئنان الناس إلى أن هدفهم فى الحياة هو عبادة الله وحده ، وأن مصيرهم إليه وأنه مجازيهم عما قدمت أيديهم فى الدنيا ، وفى ذلك ما فيه من تقوية الإيمان ، وترشيد العمل وتهذيب السلوك ، ليعيش الناس حياة طيبة ، تحقق لهم سعادة الدنيا والآخرة .

الوظيفة الثالثة

تعليم الناس أمور دينهم ودنياهم

وأمور الدين التى يجب أن يعلمها الدعاة للناس هى :

أولاً : تعليم الناس التوحيد .

ثانياً : تعليم الناس فروع الإيمان وشعبه .

ثالثاً : تعليمهم أركان الإسلام ، ومعانى الإحسان ، وتوضيح ما أحل الله لهم ، وما حرم عليهم .

أولا : تعليم الناس التوحيد :

وربما كانت قضية التوحيد ، هى أبرز قضايا العصر ، الذى يعيشه الناس فى مستهل القرن الخامس عشر الهجرى ، إذ دخلت على الناس فى هذا العصر مدخولات من الحضارات الضالة عن الحق ، والآفات العقلية والنزعات والأهواء ، جعلت توحيدهم لله مشوباً بكثير مما يجب أن ينقى منه .

إن الدعاة إلى الله ، عليهم أن يعلموا الناس ، معنى التوحيد النقى من الشوائب والأوضار ، بحيث يعتقد كل موحد أن الله سبحانه هو وحده المعبود بحق ، وأن يظهر ذلك على الإنسان لفظاً ينطقه ، وعملاً يمارسه ، وسلوكاً يسلكه فى حياته .

ومن صميم التوحيد الاعتقاد بأن الله سبحانه وحده هو رب العالمين ، وأن كل المخلوقات مربوبة له سبحانه .

ولا يفوت الدعاة فى هذا المجال ، أن يعلموا الناس أن التوحيد ، يتناول نوعين منه هما :

توحيد الألوهية ، بمعنى إفراد الله وحده بالعبادة .

وتوحيد الربوبية ، بمعنى إفراد الله وحده بالخلق والربوبية .

ولابد لنا هنا أن نجلى هذين النوعين من التوحيد ، بعض التجلية ليكون الأمر واضحاً أمام كل داعية إلى الله .

إن توحيد الألوهية المطلوب تعليمه للناس ، يتناول أموراً ثلاثة :

١ ـــ إفراد الله سبحانه وحده بالعبادة إذ لا معبود بحق إلا هو ، قال تعالى : ﴿ **اعبدوا الله ما لكم من إلـٰه غيره** ﴾[1] وقد جعل هذه الآية مقولة كل رسول من رسله عليهم أفضل الصلاة والسلام فهى مقولة نوح[2] وهود[3] وصالح[4] وشعيب[5] وكذلك قال كل رسول .

وقال تعالى : ﴿ **فاعلم أنه لا إلـٰه إلا الله** ﴾[6] وقال سبحانه : ﴿ **قال بل ربكم رب السمٰوات والأرض الذى فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين** ﴾[7] وتلك مقولة إبراهيم ، عليه السلام .

وهكذا كانت الدعوة إلى عبادة إلـٰه واحد ، لا إلـٰه غيره ، مقولة كل نبى أرسله الله ؛ أكدت ذلك آية قرآنية كريمة هى قوله تعالى : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إلـٰه إلا أنا فاعبدون** ﴾[8] .

٢ ـــ أن يعبد الله تعالى وحده ، وفق ما شرع ، وبمقتضى ما أنزل ، على خاتم رسله وأنبيائه محمد ﷺ ، قال الله تعالى : ﴿ **ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ...** ﴾[9] ، وكل ما جاءت به الشريعة ، من عقائد وعبادات ومعاملات لازم ، لا يعبد الله إلا وفقه ، وكل ما حرمت الشريعة ، فهو حرام ﴿ **قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم ...** ﴾[10] الآيات وكل ما أحلت الشريعة حلال قال تعالى : ﴿ **قل أحل لكم الطيبات ...** ﴾ الآيات[11] وعبادة الله الحقة ، يلزمها : تطهير المعتقد ، وسلامة العبادة ، وحسن المعاملة ، والتحلى بكل أدب دعت إليه الشريعة ، والتخلى عن كل مكروه رأت الشريعة كراهية أن يتصف به المتعبد لله .

وإن لكل شيء يمس حياة الإنسان أدباً فى الشريعة ، فللطعام أدب ، وللمشى أدب ، وللنوم أدب ، وللكلام أدب ، وللصمت أدب ، بل لقضاء الحاجة أدب ، ولدخول المسجد أدب ، وللخروج منه أدب وهكذا .

---

(١) وردت هذه الآية فى سورة الأعراف وهود والمؤمنون .
(٢) سورة الأعراف : ٥٩ .
(٣) سورة الأعراف : ٦٥ .
(٤) سورة الأعراف : ٧٣ .
(٥) سورة الأعراف : ٨٥
(٦) سورة محمد : ١٩ .
(٧) سورة الأنبياء : ٥٦ .
(٨) سورة الأنبياء : ٢٥ .
(٩) سورة الجاثية : ١٨ .
(١٠) سورة الأنعام : ١٥١ ـــ ١٥٥ .
(١١) سورة المائدة : ٤ ـــ ٥

٣ ـــ أن تقوم عبادة الله على أركان أساسية هى :

حب الله ،

والثقة فيه ،

والأنس إلى ذكره ،

والتوكل عليه وحده ،

والإنابة إليه ،

والفرار إليه ،

والخوف منه ،

والطلب منه وحده ،

والذل له ،

والاستسلام إليه ،

وإيثار ما عنده ،

والافتقار إليه ،

وعدم الاستغناء عنه .

وهذه الأمور الثلاثة التى يجب أن يتعلمها الموحد لله ، هى التى تفسر بدقة عبارة « أشهد أن لا إله إلا الله » وهى المعنى الصحيح لتوحيد الألوهية .

وأما توحيد الربوبية المطلوب تعليمه للناس فإنه يتناول كذلك أمورا ثلاثة :

١ ـــ الاعتقاد بأن الله وحده هو رب العالمين ، على وجه الحقيقة ، فلا رب سواه .

ويترتب على ذلك الاعتقاد ، الإيمان بأنه الخالق الرازق المحيى المميت ، الذى بيده الملك ، وهو على كل شىء قدير ، وأنه النافذ أمره فى جميع خلقه ، القائم على شئونهم النافع الضار ، الغنى عما سواه ، الواهب ، المانع ذو الجلال والإكرام .

٢ ـــ الإيمان بأسمائه وصفاته ، كما سمى نفسه ، وكما وصف نفسه فى كتابه الكريم ، وعلى لسان خاتم أنبيائه محمد ﷺ ، فقد وردت فى القرآن الكريم آيات وضحت أسماء الله وصفاته ، وجاء فى السنة النبوية أحاديث شرحت هذا وفصلته ؛ فيجب على كل موحد لله أن يؤمن بهذه الأسماء ، وبتلك الصفات دون تشبيه ، أو تعطيل ، و دون تأول .

٣ ـــ الاعتقاد بأن ما سوى الله ، من ناس وجن وملائكة وشياطين وأشياء ، مخلوقون مربوبون لله ، مفتقرون إليه سبحانه فى إيجادهم ، وفى حياتهم ، وفيما يمارسون من عمل ، بل لا قيام لحياتهم إلا بإرادته سبحانه وتعالى .

وإن توحيد الربوبية على هذا النحو يسلتزم توحيد الألوهية ، وهذا ما يجب أن يعلمه الدعاة إلى الله لعباد الله .

ثانيا : تعليم الناس فروع الإيمان وشعبه [١] :

فللإيمان فروع أو مفردات أوضحها جبريل عليه السلام حينما سأل النبى ﷺ ، عن الإيمان والإسلام والإحسان واجاب : « الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وأن تؤمن بالقدر خيره وشره ... » .

والإيمان على هذا النحو ، تقوم عليه العقيدة الصحيحة ، فى الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر ، فلا تدع هذه العقيدة الصحيحة مجالا للأوهام ، ولا لتخرصات المتخرصين ، وإنما تنقى القلب والعقل من شوائب الوهم والخرافة والأساطير .

وإذا صح الإيمان صح كل شيء فى حياة الإنسان ، فالمؤمن بهذه الصورة النقية من الإيمان ، طيب القلب ، حسن الخلق ، نقى السريرة ، يحب الخير للناس ، يسهم بهذه الصفات فى بناء المجتمع القادر على تحقيق سعادة الدنيا والآخرة .

ثالثا : تعليم الناس أركان الإسلام ، ومعانى الإحسان ، وما أحل الله لهم ، وما حرم عليهم :

إن هذا واجب الدعاة إلى الله ، لتستقيم عليه حياة الناس فى الدنيا والآخرة .

وأركان الإسلام كما وردت على لسان جبريل عليه السلام هى :

الشهادتان « أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله » ،

وإقام الصلاة ،

وإيتاء الزكاة ،

وصوم رمضان ،

---

(١) سبق أن تحدثنا عن شعب الإيمان فى الفصل الرابع من الباب الأول .

وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا .

كما أن عليهم ، ليصح إيمانهم وإسلامهم ، أن يعلموهم كل ما أخبر به المعصوم ﷺ ، من السمعيات ومدار ذلك كما قال أسلافنا من العلماء على عشرة أصول هى :

الأصـــل الأول : الحشر والنشر[1] ،

والأصـــل الثانى : سؤال منكر ونكير ،

والأصـــل الثالث : عذاب القبر ،

والأصـــل الرابع : الميزان ،

والأصـــل الخامس : الصراط وهو جسر ممدود على متن جهنم ،

والأصـــل السادس : أن الجنة والنار مخلوقتان[2] ،

والأصـــل السابع : أن الإمام الحق بعد رسول الله ، ﷺ ، هو أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم على ، رضى الله عنهم ، على هذا انعقد إجماع الصحابة ، رضوان الله عليهم ، ولم يشذ عن هذا الإجماع إلا الروافض ، ولم يرد فى ذلك نصوص .

والأصـــل الثامن : أن فضل الصحابة ، رضوان الله عليهم ، حسب ترتيبهم ، وقرائن أحوالهم .

والأصـــل التاسع : أن شرائط الإمامة بعد الإسلام والتكليف ، خمسة هي : الذكورة والورع والكفاية ونسبة قريش ، وإذا اجتمع عدد من الموصوفين بهذه الصفات ، فالإمام من انعقدت له البيعة من أكثر الخلق ، والمخالف للأكثر باغ يجب رده إلى الانقياد إلى الخلق .

والأصـــل العاشر : أنه لو تعذر وجود الورع والعلم فيمن يتصدى للإمامة ،وكان فى صرفه إثارة فتنة لا تطاق ، حكمنا بانعقاد إمامته .

هذا ما يتصل بأمور الدين فى أركان الإسلام والسمعيات . وأما أمور الدين التى يجب

(١) النشر : البعث و إحياء الله الموتى .

(٢) وردت بذلك نصوص كثيرة من الكتاب والسنة لا مجال لذكرها هنا .

أن يعلمها الدعاة للناس ، مما يتصل بالمعاملات فهى : أن يعلموهم التعامل فيما بينهم ، وفق شريعة الله ونظامه ، فى كل ما له علاقة بحياة الإنسان ، على هذه الأرض وتعامله مع الناس ، بل مع مفردات هذا الكون ، الذى يعيش فيه ، وكلما جد جديد فى التعاملات خف إليه القادرون على الاجتهاد من الدعاة ، فأوضحوا فيه الحلال والحرام .

وأما أمور الدنيا ، التى يجب أن يعلمها الدعاة للناس فكثيرة ، وهى تخضع لأصلين كبيرين فى الإسلام هما :

المصلحة المرسلة ،

وسد الذريعة .

بمعنى أن الدعاة إذا رأوا فى عمل من الأعمال مصلحة عامة للمسلمين ، ولم يرد فيه نص ، علموا الناس أن هذا حلال لهم ، وإذا رأوا فى عمل من الأعمال مضرة للمسلمين ، ولم يرد فيه نص ، علموهم أن هذا محرم عليهم .

وكذلك النظر فى كل أمر من أمور الدنيا ، ما لم يرد فيه نص يحرمه ، وما لم يجلب ضررا للمسلمين فهو حلال ..

كما يجب على الدعاة ، أن يعلموا الناس الإحسان [1] ، بمعنى مراقبة الله والإحسان بمعنى التجويد والإتقان .

وأن يوضحوا لهم ما أحل الله لهم ، وما حرم عليهم .

كل هذه الأمور ، داخلة فى وظيفة الدعاة إلى الله ، فى تعليم الناس أمور دينهم ودنياهم .

وما لم يقم الدعاة بهذا الواجب ، فكيف يتعلم الناس أمور دينهم ودنياهم ؟

إن البديل للدعاة إلى الله ، فى تعليم الناس أمور دينهم ، هم أدعياء العلم بالإسلام ، من أولئك الذين تسيطر عليهم الخرافة ، وتملأ عقولهم الأوهام ، وتُغَشِّى على قلوبهم الضلالات ، وإنه ما أتى المسلمون فى دينهم على مر التاريخ ، إلا من مثل هؤلاء عندما يقصر الدعاة الأصلاء إلى الله .

---

(١) سبق أن تحدثنا عن الإحسان فى الفصل الرابع من الباب الأول .

إن وراء كل بدعة ابتدعها أحد من المسلمين ، فى أى عصر من العصور ، جاهل متعالم فى الدين ، يهرف بما لا يعرف ، على فرض حسن نيته .

وإن البديل للدعاة إلى الله فى تعليم الناس أمور دنياهم ، هم دعاة النظم الوضعية والنظريات الخادعة والمذاهب الهدامة ، ومن وراء ذلك التيه والضلال ، الذى يحار فيه المسلمون .

وإن المسلمين ما بعدوا عن منهج الإسلام فى الحياة إلا بتقصير الدعاة الأصلاء ، وقعودهم عن أداء وظائفهم ، ليحل محلهم الضالون والمغضوب عليهم ، فيجرون المسلمين إلى التيه والضلال .

الوظيفة الرابعة

حث الناس على فعل الخير

الدعاة إلى الله ، عملهم الأصيل هو حث الناس على فعل الخير ، لأن ممارسة الخير فى الحياة ، تنفى عنها كثيرا من متاعبها وصغائرها ، وتجعل الناس يعيشون حياة آمنة مطمئنة ، لا قلق فيها ، ولا خوف ، ولا جريمة ، ولا عدوان ، ومن أجل ذلك أمر الله تبارك وتعالى المؤمنين بفعل الخير ، قال سبحانه : ﴿ **يأأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون** ﴾ [1] .

وفعل الخير هو : ممارسة الفضائل والآداب والأعمال الصالحة ، التى ترضى الله سبحانه ــ وما دامت ترضيه فهى تحقق للناس مصلحة ، أو تدفع عنهم مفسدة ــ وقد ندب الله المؤمنين إليها ، وحبب فيها ، وجعلها درجة يرقى إليها كل من أدى الفرائض والواجبات .

والخير ــ عند التأمل ــ هو كل ما ينفع الناس ، مما أحل الله ، ينفع الناس فى دينهم ودنياهم ، على مستوى الفرد والجماعة وعلى مستوى الراعى والرعية ــ وقد سبق لنا حديث عن حب الخير للناس [2] ــ ونذكر هنا بالحديث النبوى الشريف ، الذى أوردناه هناك ، فقد روى ابن ماجه بسنده ، أن رسول الله ﷺ ، قال : « إن من الناس مفاتيح للخير مغاليق للشر ، وإن من الناس مغاليق للخير مفاتيح للشر ، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه ، وويل لمن جعل مفاتيح الشر على يديه » .

وما من خير يعود على البشرية كلها بالنفع فى معاشها ومعادها ، إلا وقد أمر الله به ، وزاده المعصوم ﷺ ، شرحا وتفصيلا .

إن كل الفضائل الإنسانية ، التى تعارف عليها عقلاء الناس ، من يوم كان على هذه الأرض حياة ، من لدن آدم عليه السلام ، وإلى أن يقوم الناس لرب العالمين ، إن كل الفضائل تدخل فى قوله تعالى : ﴿ **وافعلوا الخير لعلكم تفلحون** ﴾ .

وإن كل الفضائل ، لتدخل فيما أمر به الرسول ﷺ ، من خير ، و ماترك ﷺ ، من خير إلا أمر به ، ولا ترك من شر إلا نهى عنه ، وهو القائل فيما يرويه عنه البخارى

(١) سورة الحج : ٧٧ .

(٢) كان ذلك فى الفصل الثانى من مرحلة التنفيذ فى متطلبات المرحلة فى حركية الأفراد .

بسنده ، عن أبى سعيد رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « وإن أكثر ما أخاف عليكم ، ما يخرج الله لكم من بركات الأرض » قيل : وما بركات الأرض ؟ قال : « زهرة الدنيا » فقال له رجل : هل يأتى الخير بالشر ؟ فصمت النبى ﷺ ، حتى ظننا أنه ينزل عليه ، ثم جعل يمسح عن جبينه ، فقال : « أين السائل ؟ » قال : أنا — قال أبو سعيد : فحمدناه حين طلع ذلك — قال رسول الله ﷺ : « لا يأتى الخير إلا بالخير ، إن هذا المال خضرة حلوة ، وإن كل ما أنبت الربيع يقتل حبطا ، أو يلم ، إلا آكلة الخضرة ، أكلت حتى إذا امتدت خاصرتاها ، استقبلت الشمس ، فاجترت وثلطت وبالت ، ثم عادت فأكلت ، وإن هذا المال حلوة من أخذه بحقه ، ووضعه فى حقه ، فنعم المعونة هو ، ومن أخذه بغير حقه ، كان كالذى يأكل ولا يشبع » (١) .

إن كل الفضائل ، التى تعارف عليها الناس فى كل زمان ومكان ، من : صدق ووفاء وأمانة وعفة ونزاهة وعدل وإحسان ورحمة وعطف على الضعيف ونجدة للمستغيث ، وشجاعة وصبر وحلم ورزانة وكرم ، وكل ما يحفظ على الإنسان كرامته ، وعلى الإنسانية تكريم الله لها ، إن كل ذلك من الفضائل التى يجب أن يتحلى بها الإنسان المسلم فى حياته ، إرضاء لله تعالى ، والله سبحانه قد أمر بها ، أو ندب إليها .

هذا هو الخير فى صورته العامة الذى دعا إليه الإسلام .

فما الخير الذى يحث الدعاة إلى الله الناس عليه ؟

إنه أنواع نذكر منها ما يلى :

١ — حث الناس على فعل الخير مع أنفسهم :

وإنما يكون ذلك ، بأن يلزم الإنسان نفسه بالاستجابة لكل ما أمر الله تعالى به ، والانتهاء عن كل ما نهى الله تعالى عنه ، فذلك رأس الخير وذروته ، بل هو البعد عن كل ما يسخط الله .

وإذا كان ذلك من الواجب ، الذى لا مفر منه لكل إنسان ، فإن أداء هذا الواجب ، يحتاج إلى حث وتشجيع ، وذلك هو عمل الدعاة إلى الله .

وفى مجال الحصول على رضا الله سبحانه ، فقد يكون من ممارسة الخير ، أن يعوّد

---

(١) الإمام البخارى : صحيحه : باب الرقائق ٨ / ١١٣ ط الشعب القاهرة دون تاريخ .

الإنسان نفسه على أداء الفضائل والآداب ، وأنواع الإحسان ، يتقرب بذلك إلى الله ، حتى ينال ثوابه ورضاه .

فمن الذى ييسر على الناس التحلى بالفضائل والآداب ، وألوان البر والإحسان فى القول والعمل ؟

من الذى يحث الناس ويشجعهم على ذلك الخير ؟

إنهم الدعاة إلى الله فهم دعاة إلى الخير .

وإن الإنسان يصبح أحسن ما يكون ، وأقرب ما يكون إلى الله ، عندما يمارس فعل الخير فى نفسه على هذا النحو الذى ذكرنا .

وما بالنا بمجتمع يأخذ كل واحد من أهله نفسه بفعل الخير ؟

أيمكن أن يكون فيه ظلم ؟

أيحتمل أن يكون فيه قلق أو خوف ؟

أيجوز أن يكون فيه رذيلة ؟

أيعقل أن تمارس فيه الجرائم ؟

اللهم لا ... لأن كل تلك المعايب إنما تأتى من الشر وممارسته ، والخير لا يأتى إلا بخير كما قال المعصوم ﷺ .

إن البداية الحقيقية لإصلاح كل مجتمع هى إصلاح الفرد ، وإصلاح الفرد إنما يكون بممارسته الخير ، وإلزام نفسه به ، وما قامت الرسالات والنبوات بعمل أهم من إصلاح الفرد ، وحثه على فعل الخير فى نفسه ، لأن ذلك هو الطريق الصحيح لإصلاح المجتمع كله .

٢ ــ حث المسئولين على حب الخير :

حث الناس على تربية كل من فى ولايتهم ، على حب الخير ، وفعله استجابة لقول الرسول ﷺ : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » (١)

رب الأسرة مسئول أمام الله عمن هم فى ولايته ، من زوج وأولاد وعن كل من يعايشونه

---

(١) أخرجه البخارى فى أبواب الجمعة والوصايا ، والإمام مسلم فى باب الإمارة ، وأبو داود فى باب الإمارة ، والترمذى فى باب الجهاد ــ والحديث طويل .

فى أسرته من خدم ، مسئول أمام الله ، أن يغرس فى نفوسهم حب الخير وأن يربيهم على ذلك وأن يكون هو رائدهم فى حب الخير .

بل إن كل مسلم مسئول أن يدعو إلى فعل الخير كل من يخالطهم ، من أهل وجيران وأصدقاء وأقرباء ، ولو أدى كل مسلم هذا العمل ، فما يمضى كبير وقت ، حتى يصبح المجتمع كله ممارسا للخير ، فتنحسر الرذائل ، وتعم الفضائل ، وينعم الناس بالأمن والسعادة .

إن الدعاة إلى الله مطالبون بأن يحثوا أرباب الأسر على غرس حب الخير وممارسته ، فيمن يكونون تحت ولايتهم ، بل على الدعاة أن يشجعوا الناس جميعا على ذلك .

إن تلك وظيفة هامة من وظائف الدعاة إلى الله .

إن الدعاة إلى الله مطالبون ، بأن يشجعوا كل مسئول فى مسئوليته على حب الخير وممارسته ، ابتداء من مسئولية الإنسان عن نفسه ، وانتهاء بمسئولية الحاكم عمن يحكمهم ، تشجيعهم بالحكمة والموعظة الحسنة .

٣ ـــ حث الناس عموما وفى كل حين على فعل الخير :

إن عامة الناس ، قد يتصورون أن فعل الخير له أوقات بعينها ، وله مناسبات بعينها ، كأولئك الذين يجودون فى شهر رمضان ، ثم هم يبخلون بقية العام ، أو أولئك الذين يَتنفّلون فى شهر رمضان ، ثم لا يؤدون نافلة فى غيره ، وإن واجب الدعاة أن ينبهوا إلى خطأ هذا التصور .

إن الدعاة إلى الله ، عليهم أن يشجعوا الناس ، كل الناس ، على فعل الخير ، كل الخير ، فى كل وقت ، وفى كل مناسبة ، مع أنفسهم ، ومع كل من يتعاملون معهم من الناس ، حتى يكون فعل الخير ، هو السمة المميزة للمسلمين فى تعاملهم .

إن ذلك من شأنه ، أن يحاصر الشر ، ويضيق عليه مسالكه ، فلا يبقى إلا الخير ، وذلك أن الناس ، كل الناس ، يعيشون دائما فى صراع مع أنفسهم ، بين فعل الخير ، أو مقارفة الشر ، لأن فى القلب لمتين : لمة من الملاك ولمة من الشيطان ، وإن لمة الملاك إيعاد بالخير ، وتصديق بالحق ، وإن لمة الشيطان ، إيعاد بالشر ، وتكذيب بالحق [١]

(١) ورد بهذا المعنى حديث شريف أخرجه الترمذى فى باب التفسير فى تفسير سورة البقرة .

وإن هذا الصراع بين الملاك والشيطان ، أو بين الحق والباطل ، هو صراع بين الخير والشر ، والسعداء من الناس ، هم الذين يغلبون الخير على الشر ، والتعساء الخائبون ، هم الذين يغلبون الشر على الخير .

وإن من أهم وظائف الدعاة إلى الله ، أن يأخذوا بأيدى الناس إلى الخير ، وأن يباعدوا بينهم وبين الشر ، أسوة بالمعصوم ﷺ ، فقد روى البخارى بسنده ، عن أبى هريرة ، رضى الله عنه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ ، يقول : « إنما مثلى ومثل الناس كمثل رجل استوقد نارا ، فلما أضاءت ما حوله ، جعل الفراش وهذه الدواب التى تقع فى النار يقعن فيها ، فجعل الرجل يزعهن ، ويغلبنه فيقتحمن فيها ، فأنا آخذ بحجزكم عن النار ، وأنتم تقتحمون فيها »[1] .

إن الدعاة إلى الله فى هذا المجال ، مجال تحبيب الناس فى الخير ، يعيشون صراعا مع الشيطان ، إذ يحببون فى الخير ، وهو يحبب فى الشر ويزينه للناس ، والغافل من الناس من يترك داعية الخير ، ويذهب إلى داعية الشر ، إن مصير هذا الغافل هو الخسران .

وإن الناس عندما يستجيبون لداعى الله ، فيمارسون الخير عن حب له ، ويمتنعون عن الشر عن كره له ، يحيون حياة إنسانية كريمة جديرة بمكانة الإنسان عند الله ، ولائقة بمكان الإنسان ومكانته من الحياة .

إن الناس إذا مارسوا الخير ، امتلأت دنياهم رحمة وعدلا ، وأمنا وحبا ، وخلت بالتالى من العنف والقسوة ، والجور والظلم ، والخوف والقلق ، والبغض ، وهكذا ينبغى أن تكون حياة الإنسان .

وإن الامتناع عن ممارسة الشر سوف يخلص المجتمعات الحديثة من أمراض خطيرة ، زاد انتشارها ، تعود جميعها إلى عائلة الأمراض النفسية والعصبية ، ويقتلع من نفوسهم الميل إلى العدوان والانحراف والشذوذ والتطرف .

إن هذه الأمراض النفسية والعصبية أفرزت للناس القلق والخوف والاكتئاب ، والإحباط والرغبة فى التخلص من الحياة ، وكل ذلك سببه الابتعاد عن فعل الخير ، وممارسة الشر بالابتعاد عن منهج الله فى الحياة ، وإن كل هذه الأمراض سوف تزول وتزول معها آثارها ،

---

(١) البخارى : صحيحه : باب الرقائق ٨ / ١٣٧ ط الشعب القاهرة .

إذا عاد الناس إلى منهج الله ، وفعلوا الخير ، فحققوا بذلك الفلاح الذى وعد الله به .

إن كثيرا من المشكلات ، التى يعانى منها الناس فى حياتهم ، سوف تجد حلا بفعل الخير ، بل ستجد الحل الأمثل .

وعلى رأس هذه المشكلات :

مشكلة الفقر ،
ومشكلة الخوف ،
ومشكلة الطمع ،
ومشكلة الأثرة ،
ومشكلة التسيب ،
ومشكلة السلبية ،
ومشكلة الخيانة ،
ومشكلة الغدر ،
ومشكلة العهارة ،

ومشكلة المشاكل ، وهى تنكب طريق الحق، والبعد عن منهج الله ونظامه ، وما سن من أخلاق وآداب .

إن كل تلك المشكلات ، سوف تجد الحل ، إذا فعل الناس ، كل الناس ، الخير ، وامتنعوا عن الشر ، أى اتبعوا منهج الله ، لأن منهج الله هو الخير ، وإقصاؤه عن سلوك الناس وأخلاقهم هو الشر ، وإن التاريخ الذى عاشه المسلمون حتى اليوم ، لخير شاهد على ذلك الذى نقول .

إن إقصاء منهج الله عن حياة الناس ، إنما يكون نتيجة للاستجابة لهمزات الشياطين :

شياطين الجن بما يزينون للناس من باطل ، يلبسونه ثوب الحق .

وشياطين الإنس ، بما يقدمونه للناس من مناهج ونظم ونظريات ، تحول بينهم وبين الأخذ بمنهج الله ونظامه .

إن الدعاة إلى الله ، وهم يحثون الناس ، كل الناس ، على حب الخير وفعله ، وينهونهم عن الشر وفعله ، إنما يدعون إلى الأخذ بمنهج الله سبحانه وتعالى .

الوظيفة الخامسة

غرس الانتماء إلى الإسلام فى نفوس الناس

سبق لنا حديث مفصل عن الانتماء لهذا الدين ، أسبابه والمؤسسات التى يتم فيها ـــ لا نحتاج معه هنا إلى أن نعيد الكلام فيه ـــ [1] ولكننا نكتفى هنا بما يلى :

إن الدعاة إلى الله مطالبون بأن يغرسوا الانتماء إلى الإسلام فى نفوس المسلمين ، فتلك وظيفة أساسية ، لا يحيد عنها الدعاة إلى الله أبدا ، فبها تنعدل الموازين كلها فى حياة الناس .

والانتماء إلى الإسلام ـــ كما قلنا هناك ـــ اعتزاز بهذا الدين وافتخار بالانتساب إليه .

والانتساب إلى الإسلام ، ليس بالأسماء والكنى والألقاب ، ولكنه بالعمل والممارسة .

الانتماء إلى الإسلام ، يعنى ترك الاعتزاز بأى شىء آخر سواه ، سواء أكان هذا الشىء ، جاها أم مالا أم منصبا أم عشيرة أم وطنا ، وذلك لأن هذه الأشياء ، التى يعتز بها الغافلون من الناس ، إلى زوال وضياع ، ومهما حصل الإنسان منها ، فإنه مفارقه وهو حىّ أحياناً وبعد موته بكل تأكيد ، أما الاعتزاز بالإسلام ، فهو اعتزاز بالله وبمنهجه وبكتابه ، وذاك باق خالد ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

فلينظر كل عاقل راشد بم يعتز ، وبم يفخر ، وإلى أى شىء ينتمى ، أبالفانى أم الباقى ؟

إن الانتماء إلى الإسلام ، والاعتزاز به وحده ، ليذكر صاحبه دائما بهذا الدين ، ومنهجه ونظامه فى الحياة ، وإذا تذكر الإنسان ذلك ، فاتبع المنهج ، كان له فى هذا الاتباع السعادة والرضى ، والممارسة الكريمة لحياة كريمة ، تستجيب لإرادة الله تكريم الإنسان .

وإن كل انتقاص لكرامة الإنسان فى الدنيا ، إنما يأتى من مخالفة منهج الله ونظامه ، وإن هذه الكرامة وذاك التكريم للإنسان ليقتضى أن يعيش الإنسان حياته الدنيا ، مرفوع الرأس ، موفور الاحترام ، مصون الحقوق ، كريم العيش ، مؤديا كل ماعليه من واجبات .

إن لهذا الإنسان حرمة فرضها الإسلام له حيا وميتا ، فقد روى الترمذى بسنده ، عن

---

(١) كان ذلك الحديث فى العنصر الثالث « الاستمرارية » من متطلبات مرحلة التنفيذ فى الخطة والمنهج .

نافع ، عن ابن عمر ، رضى الله عنهما ، قال : صعد رسول الله ﷺ ، المنبر فنادى بصوت رفيع قال : « يامعشر من أسلم بلسانه ، ولم يفض الإيمان إلى قلبه ، لا تؤذوا المسلمين ، ولا تعيروهم ، ولا تَتَّبِعُوا عوراتهم ، فإنه من تَتَبَّع عورة أخيه المسلم ، تَتَبَّع الله عورته ، ومن يتتبع الله عورته يفضحه ولو فى جوف رحله » قال : ونظر ابن عمر يوما إلى البيت أو إلى الكعبة فقال : ما أعظمك وأعظم حرمتك ، والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك[1] .

ولا يحقق للإنسان كل هذه الحقوق ، ولا يحافظ له على تلك الحرمة العظيمة ، مثل اتباع منهج الله ونظامه ، والاعتزاز بهذا الاتباع ، والانتماء لهذا الدين .

إن الدعاة إلى الله لهم فى هذا المجال جهد وظيفى لا يعفون منه بحال ، وإن نجاحهم فى أداء هذه الوظيفة ـــ وهم بفضل الله ناجحون ـــ لينقل المجتمع كله من الضلال إلى الهدى ، ومن الباطل إلى الحق ، ومن الشر إلى الخير .

إذ ماذا بعد الحق إلا الضلال ؟

إن فقدان الانتماء إلى الإسلام عند المسلمين ، هو الذى ضيعهم على فترات طويلة من تاريخهم ، وهو الذى مكن منهم أعداءهم ، فغلبوهم على دينهم أولا ، ثم على دنياهم بعد ذلك ، وما كان ذلك إلا بأن ألقوا فى روعهم ، الاعتزاز بمناهج ونظم غير ما شرع الله .

وإن الصحوة الإسلامية الحقيقية ، لتكمن فى الانتماء إلى الإسلام ، والاعتزاز بهذا الانتماء ؛ لأن المنتمى إلى الإسلام بحق ، لا يجد فيه عدوه نقطة ضعف يركبه من خلالها ، ثم يسوقه إلى حيث ضياعه فى الدنيا والآخرة .

إن الصحوة الإسلامية ، ليست كلاما ، ولا أصواتا عالية ، ولاتشدداً ، ولا تطرفا ، ولكنها فى جوهرها اعتزاز بالإسلام ، وإصرار على التمسك بأخلاقه وآدابه ، واستمساك بمنهجه فى الحياة .

وإن الحركات الإسلامية الصحيحة المنهج فى تاريخ الإسلام ، إنما كانت كذلك ، لأنها فقهت الانتماء إلى الإسلام ، وعرفت كيف تعتز به .

---

(١) الإمام الترمذى : صحيحه : باب ما جاء فى تعظيم المؤمن الحديث ذو الرقم ٢١٠١ ، ٣ / ٢٥٥ ط الكتبى ـــ القاهرة دون تاريخ .

بل إن التحليل الدقيق لمشكلات العالم الإسلامى اليوم ، ليؤكد للمنصف المدقق من المحللين ، أن أسباب هذه المشكلات جميعها ، ما صغر منها وما كبر ، وما خفى منها وما ظهر ، هو فقد الانتماء إلى الإسلام ، أو ضعف الاعتزاز به وبمنهجه ، فى مواجهة الحياة ، وفى مقارعة الأعداء ، ولا نستثنى من ذلك مشكلة من المشكلات .

ولنضرب على تلك المشكلات بعض الأمثلة ، ونسوق بعض الشواهد ، لعل النائم يستيقظ ، ولعل الغافل يتنبه ، ولعل الذى استهان بالانتماء إلى الإسلام ، يفيق على الحقيقة ، فهناك المشكلات التالية :

مشكلة تخلف المسلمين اليوم فى مجال العلم والاكتشاف ،
ومشكلة تخلف المسلمين اليوم فى الاقتصاد ،
ومشكلة تخلف المسلمين اليوم سياسيا ،
ومشكلة تخلفهم وتخليهم عن قيمهم وأخلاقهم وآدابهم ،
ومشكلة تخلفهم وتخليهم عن دورهم الحضارى ،
ومشكلة تبعيتهم لغيرهم ، وانبهارهم بما لدى غيرهم ،
ومشكلة انغماس بعضهم فى الباطل والمنكر ،
ومشكلة تصدى بعضهم لبعض ، وتحدى بعضهم لبعض ،
ومشكلة غرقهم فى الدين الأجنبى المشروط .

إن كل واحدة من هذه المشكلات ، وراءها فقد الانتماء إلى الإسلام ، وفقد الاعتزاز به وبمنهجه ، الذى يستطيع أن يحل كل هذه المشكلات ، وإن الصحوة الإسلامية الحقة ، ليجب أن تبدأ بهذا الانتماء .

إن الدعاة إلى الله إذا نجحوا ، فى غرس الانتماء إلى الإسلام فى نفوس الناس ، فقد نجحوا فى التغلب على كل تلك المشكلات ، وتلك وظيفة حيوية من وظائفهم .

الوظيفة السادسة

غرس الالتزام بالإسلام فى سلوك الناس

إن الدعاة إلى الله عليهم أن يغرسوا فى نفوس الناس ، الالتزام بقيم الإسلام وآدابه ، بعد غرس الالتزام به عقيدة وعبادة ، وفكرا وثقافة .

وقد تحدثنا بتفصيل عن الالتزام فى مرحلة التنفيذ من قبل [1] ــ ولكننا هنا نوضح واجب الدعاة إلى الله مع هذا الالتزام .

ونبدأ حديثنا هنا بما نريده من هذا الالتزام ؟

أى نحرر المعنى الذى نقصده فى هذا المجال تحريرا ملائما لواجبات الدعاة فى هذه الوظيفة .

نريد بالالتزام هنا ، ما هو بعد الإيمان ، أو ما يقوى هذا الإيمان ، ويزيده نمواً ، فإذا كان من المقرر أن الإيمان يزيد بالطاعات ، وينقص بالمعاصى ، فإن الالتزام بالإسلام عقيدة وعبادة ، وفكراً وسلوكاً ، وأدباً وأخلاقاً ، هو من أهم ما يقوى الإيمان ويزيده ، حتى يقرب به من الكمال ، وذلك أن الالتزام فى جوهره طاعة لله وتقرب إليه ، بما افترض على عباده وما ندبهم إليه .

وإن الفارق بين مسلم ملتزم بالإسلام ، وآخر غير ملتزم أحياناً به ، يكون كالفارق بين مؤمن وكافر ، لأن الناس لهم المظاهر وما يشاهدون ، وأما الباطن فإلى الله وحده ، وهذا فارق جوهرى هام .

وفارق آخر أن الإيمان الحق ، هو ما وقر فى القلب وصدقه العمل ، وما لم يكن هناك التزام ، فأى قيمة للإيمان وأى أثر له ؟ وما جدوى إيمان يغمر القلب أو يعمره نظرياً ، ولا يؤدى بصاحبه إلى تصديق ذلك الإيمان بالعمل والالتزام ؟

إن الصلاة وهى إحدى أركان الإسلام ، تكفى وحدها لتدل ــ عند تركها ــ على كفر تاركها والعياذ بالله ، وذلك أن الرسول ﷺ ، نهى عن قتال أقوام ، يقيمون الصلاة ، فيصدقون بها إيمانهم عملياً ، ولا علينا مادام الظاهر ملتزماً ، أن يكون الباطن كما يكون ،

---

(١) كان ذلك فى العنصر الثالث « الاستمرارية » من متطلبات المرحلة التنفيذية فى الخطة والمنهج ، من الفصل الثانى فى هذه المرحلة .

لأن الله تبارك وتعالى وحده ، هو المطلع على الباطن والمحاسب عليه ، أما الناس فحسبهم الظاهر ، والسلوك الملتزم بالإسلام .

وإن مما لابد من توضيحه ـــ ونحن نتحدث عن الالتزام ـــ أن نؤكد أن الإسلام كل لا يتجزأ ، وأنه لا يجوز لأحد من الناس أن يلتزم بشيء مما جاء به الإسلام ، ويدع شيئاً مهما كان ذلك الشيء المتروك ، صغيراً أو ضئيلاً ، لأن كل ما دعا إليه الإسلام من خلق وأدب ، يتمم بعضه بعضاً ، والإسلام كل متكامل لا يستغنى ببعضه عن بعض ، بل لا يستغنى بمعظمه عن بعضه .

إن للالتزام أبعاداً هامة ، لابد من إلقاء الضوء عليها ، للوصول فى هذا المجال إلى وجه الحق والصواب ، بعون من الله وتوفيق .

وإن هذه الأبعاد فى تصورنا هى :

البعد الأول :

الالتزام العقيدى :

بمعنى أن يكون معتقد الإنسان ، وما ينطوى عليه قلبه ، هو المعتقد الإسلامى الصحيح ، القائم على توحيد الله سبحانه ـــ على النحو الذى أوضحنا آنفاً ـــ والإيمان بالله وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، والإيمان بالقدر خيره وشره ، بحيث لا يسمح الإنسان ، بأن يتسرب إلى قلبه ، أى معتقد آخر ، ليبقى قلبه نقياً من الشوائب خالياً من الأغيار .

وكل ما يصدر من الإنسان من قول أو عمل ، يجب أن يكون نابعاً من عقيدته ، وتابعاً لمحتوى هذه العقيدة ، فإذا ما كان القلب عامراً بالمعتقد الإيمانى الصحيح ، كان الإنسان فى عصمة دائمة ، من الزيغ والانحراف والضلال والعمل السيّيء .

البعد الثانى :

الالتزام التعبدى :

بمعنى أن يكون التعبد لله ، وفق ما شرع من صلاة وصيام وزكاة وحج ، وكل ما فرض الله على عباده من فرائض ، فصحة الالتزام فى العبادة ، تعنى أن لا يزيد المتعبد على ما فرض الله عليه ، ولا ينقص حتى تكون عبادته سليمة .

ولكل فريضة مما فرض الله على الناس شروط وآداب ، لابد أن تراعى وأن تلتزم ، والقدوة فى هذه العبادات المفروضة هو رسول الله ﷺ ، الذى قال : « صلوا كما رأيتمونى أصلى » وقال : « خذوا عنى مناسككم » وحياة رسول الله ﷺ ، وسيرته ، هى العبادة فى أرقى درجات سلامتها ، ولا يتم التزام مسلم بالإسلام ، إلا إذا جاءت عبادته وفق ما شرع الله سبحانه .

البعد الثالث :

الالتزام الفكرى :

بمعنى أن يكون فكر الإنسان وعقله ، وكل ما يؤثر فى هذا الفكر والعقل من مراجع ، نابعاً من الإسلام ، وما يعمر به الإسلام فكر المؤمن من آراء وتصورات .

والفكر الإسلامى الصحيح ، يعمر العقل بالتصور الصحيح عن الكون وسائر ما فيه من مخلوقات الله ، جن وملائكة وشياطين وإنس ، وأفلاك ويابسة وماء وفضاء .

الفكر الإسلامى الصحيح يعمر العقل بالتصور الصحيح عن الحياة الدنيا ، وموقف الإنسان فيها ومنها ، وأسلوب تناوله لها ، ويمده بالتصور الصحيح للإنسان نفسه ، وللطبيعة وما وراءها ، مما لا تدركه الحواس ، بحيث يكون هو التصور الصحيح ، الذى جاء عن طريق وحى الله إلى خاتم رسله محمد ﷺ ، وذاك هو ما يسمى بالسمعيات كالبعث والحشر والحساب والميزان والجنة والنار ، إلى آخر ما أخبرت به نصوص الدين الإسلامى .

كل هذه الأمور ــ وغيرها كثير ــ يجب أن يكون عنها الإنسان فكرة نابعة ، من مراجع الدين الإسلامى وحدها ، مع استبعاد كل مرجع آخر ، مهما كان قدره ، أو شهرته بين الناس .

وهذا الاستغناء بمراجع الإسلام ، عما سواها هو تحرير لفكر الإنسان من الوهم والخرافة والترهات ، وتنقية له من شوائب الضلال والرجعية ، والقعود عن مواكبة ركب الحق فى الطريق إلى الله .

ولابد لنا من تحديد مقصودنا بالمراجع الإسلامية ، حتى لا تختلط على أحد مع سواها ، مما لا يستأهل أن يكون مرجعاً .

هذه المراجع الإسلامية ــ باختصار شديد ــ هى :

١ ـــ القرآن الكريم ، وتفاسيره ، وشروحه المعتمدة ، وعلى رأسها التفاسير التى فسرت القرآن بالقرآن ، ثم التى فسرت القرآن بالسنة النبوية ، ثم اجتهادات المفسرين من السلف الصالح ، ومَن بعدهم ، بشرط ألا يتعارض مذهب أحد منهم فى التفسير ، مع أصل من أصول الدين ، ولا مع أصل من أصول اللغة العربية ، لغة القرآن الكريم ، ووعاء الدين الإسلامى الحنيف .

٢ ـــ مراجع السنة النبوية المطهرة وهى أحاديثه الشريفة ، التى ثبتت صحة نسبتها إليه ﷺ ، وفى مقدمتها صحيحا البخارى ومسلم ، ثم بقية الكتب الستة ، وما جاء فى مستواها ، من حيث الدقة والتحرى والتحقيق ، كالمسانيد ، وعدد من السنن ، وعدد من المجاميع ، بشرط صحتها ووثاقتها .

٣ ـــ مراجع السيرة النبوية ، وفى مقدمتها سيرة ابن إسحق ، وكل كتب السيرة التى ألفها علماء الحديث ، والمشاهير من علماء المسلمين .

٤ ـــ مراجع الفقه الإسلامى ، وهو اجتهادات الأسلاف فى فهم الكتاب والسنة ، وما صح لدى كل واحد منهم من سنة الرسول ﷺ ، وفى مقدمتها كتب الأئمة الأربعة :

أبى حنيفة النعمان ومالك والشافعى وأحمد ، ثم غيرهم من المشتغلين بعلم الفقه .

٥ ـــ مراجع علماء العصر ، ممن يملكون أدوات الاجتهاد وعلومه ، ويقدرون عليه ، بشرط ألا يكون فى اجتهاداتهم ما يخالف شيئا من نصوص الدين ، ولا أمراً أجمع عليه صحابة رسول الله ﷺ ، ورضى عنهم أجمعين .

تلك مراجع الإسلام .

وهذا ما نعنيه بالالتزام الفكرى المدعوم بهذه المراجع .

البعد الرابع :

الالتزام العملى السلوكى :

بمعنى أن تكون جميع أقوال الإنسان وأفعاله ، ملتزمة بالإسلام متقيدة بما أحل الله ، وما حرم ، بل أكثر من هذا ، وهو الالتزام بكل ما ندب إليه الإسلام ، أو حبب فيه من خلق

وقيمة وأدب ، وذلك أن الإسلام ما ترك من شيء له علاقة بالإنسان فى عمله وسلوكه ، إلا رسم له حدوده ، ووضح أبعاده .

* إن الكلام والصمت ،
* والحركة والسكون ،
* والحب والكراهية ،
* والرضى والغضب ،
* والأخذ والعطاء ،
* والفعل والترك ،
* والبيع والشراء ،
* وكل عقد ، يحفظ للإنسان حقوقه أو يلزمه بواجبه .

كل ذلك نظمه الإسلام ورسم له أسلم طريق ، وأقوم منهاج .

وإن التعامل مع الناس :

* مؤمنهم وكافرهم ومنافقهم ،
* والولى منهم والعدو ،
* والقريب والبعيد ،
* والجار الجنب ، والصاحب بالجنب ،
* والفقراء والأغنياء ،
* وابن السبيل ، وما ملكت اليمين ،
* والصغير والكبير ،
* والصديق ، ورفيق الطريق ،
* والأخ فى الدين ،
* وكل إنسان يتعامل معه المسلم .

كل أولئك ، جعل الإسلام للتعامل معهم ، نظاماً وأدباً وواجبات وحقوقاً .

* وإن السلم والحرب ،
* والصلح والعهد ،
* والذمي والمستأمن .

كل ذلك جاء فيه الإسلام بأكمل نظام وأتمه .

* بل الطعام والشراب ،
* واللباس والمأوى ،
* والمنكح والمعاشرة والمفارقة ،
* والنوم واليقظة ،
* والصداقة والعداوة ،
* والتعامل مع الوالدين والأبناء ،
* ومع الخدم والتابعين .

كل ذلك وضع له الإسلام منهجاً ونظاماً ، ونادى بضرورة الالتزام بهذا النظام ، وأوضح ــ وأكد تاريخ المسلمين ما أوضح ــ أن الالتزام بهذا النظام ، وذاك المنهج ، هو الذى يحقق للناس السعادة فى الدنيا والآخرة .

إن هذه الأبعاد التى ذكرنا ، تشمل كل ما يصلح الإنسان فى دينه ودنياه ، وهى حدود الالتزام وأبعاده التى أردنا أن نوضحها .

وإن الدعاة إلى الله مطالبون بأن يغرسوا فى الناس الالتزام بمنهج الله ، فى مختلف شعب الحياة ، وفى كل جزئية من جزئياتها ، على النحو الذى فصلنا آنفاً ، إن هذا من أهم ما يقوم به الدعاة إلى الله من أعمال ووظائف .

وإن التساهل فى الالتزام بأى جزئية من جزئيات منهج الإسلام فى الحياة ، باب يفضى إلى شر مستطير ، وإن بدا لبعض الناس أنه أمر هين ، وأنه من اللمم المعفو عنه ، لأنا نقول : إن اللمم إذا كان معفواً عنه ، فإن التقرب إلى الله ، والحصول على رضاه ، يستوجب على الإنسان ، أن يخرج من دائرة اللمم ، إلى دائرة الاستقامة على الجادة ،

والالتزام بكل صغير وكبير مما أمر به الإسلام ، أو ندب إليه .

إن من عباد الله رجالاً ، يتحرزون لأمر دينهم ، فلا يمارسون شيئاً من اللمم ، وهؤلاء هم الذين يقوم على أكتافهم البناء ، وبهم تنهض الأمم ، وتتقى المكاره ، وعليهم يتنزل نصر الله لعباده ، وهؤلاء هم لباب المجتمع المسلم وسواؤه .

والأصل أن جميع المسلمين يكونون كذلك ، ولن يكونوا كذلك ، إلا إذا أحبوا الخير ، ومارسوه فى سلوكهم ، وأخلاقهم ، والتزموا به ، فى كل أمرهم .

والوصول إلى ذلك منوط بجهود الدعاة إلى الله ، وقيامهم بأداء وظائفهم ، على النحو المرضى لله عز وجل .

الوظيفة السابعة
توظيف طاقات الناس فيما يعود عليهم بالنفع فى الدين والدنيا

وذلك أن غيب المسلمين اليوم ، هو أن كلًّا منهم يعمل لهذا الدين من خلال رؤيته الخاصة ، أو من خلال عمله الفردى ، مع أن معظم المسلمين لهم من القدرات والإمكانات فى مجال العمل الإسلامى ، ما لو وظف بدقة ، لأثمر أحسن الثمر ، فى حين أن تركه دون توظيف تبديد للطاقات ، وضلال عن كثير من الأهداف .

إن ترك جهود المسلمين ، بغير توظيف لها ، فيما يعود على الناس بالخير فى الدنيا والآخرة ، تعويق للعمل الإسلامى كله على مستوى الفرد أو الجماعة ، وصرف له عن هدفه الأكبر ، وهو سيادة شرع الله ومنهجه ، والتمكين لدين الله فى الأرض .

ومهما يكن حجم الجهود البشرية غير الموظفة ومهما يكن قدر التحمس لهذه الجهود والاندفاع بها ، إلى حيث يتصور الأفراد أنه الهدف ، فإن ذلك إذا تم بغير توظيف لهذه الجهود وذاك الحماس ، فإنه غير جدير بتحقيق الهدف .

وإن توظيف هذه الطاقات والجهود ، من أهم ما يجب أن يقوم به الدعاة إلى الله ، على اعتبار أن ذلك وظيفة هامة من وظائفهم .

ولنذكر هنا بما سبق أن تحدثنا فيه عن التوظيف فيما سلف من الكتاب(١) من أن التوظيف يقتضى ، تحديد الأهداف وتحديد الوسائل ، وتحديد الأفراد العاملين ، وتحديد الأعمال نفسها ، وتعديد مجالاتها أمام الناس ، ليعرف كل منهم ، ماذا يجب عليه أن يفعل لهذا الدين الذى ينتمى إليه ، ويلتزم بعقيدته وعبادته وفكره وثقافته وعمله وسلوكه .

إن هذا التحديد واجب الدعاة إلى الله ، الذى لا واجب بأهم منه فى عملهم .

الدعاة فى هذا المجال يوظفون الناس فى العمل الإسلامى ، كلًّا منهم على حسب طاقته وإمكانه ، وقربه أو بعده من الانتماء إلى الإسلام والالتزام به .

ومعنى ذلك أن كل جهد فى العمل الإسلامى ، يبذله مسلم من المسلمين ، مهما كان مكان هذا المسلم أو مكانته مطلوب ، ولا يمكن أن يستغنى عنه ، ويجب أن يوظف .

---

(١) كان ذلك فى الفصل الثانى من مرحلة التنفيذ .

أما أولئك الذين التزموا بالإسلام ، وعايشوا مراحل الدعوة إلى الله ، فإنهم يوظفون فى المجال الذى أجادوه ـــ وهؤلاء هم الذين تحدثنا عنهم فى مرحلة التنفيذ .

أما غير هؤلاء فلا تترك أعمالهم دون توظيف ، يوضح لهم الهدف والوسيلة ، ونوعية العمل ؛ لأن هذه الأعمال ، وإن جاء بعضها دون ما يُؤْمل ويرجى ، لأن صاحبها قد لا يكون أكثر من مسلم ينتمى للإسلام باسمه ووثيقة مولده ، فإنه على الرغم من ذلك لا يهمل ولا يتجاهل ، ولا يترك دون تخطيط وتوظيف ، وإلا ضاع هذا العمل سدى .

إن المسلمين اليوم ـــ وهم أكثر من ألف مليون مسلم ـــ يعملون أو يعمل عدد كبير منهم من أجل دينه ، ما فى ذلك شك ، فلو وفق الدعاة إلى الله إلى توظيف جهودهم وأعمالهم من أجل الإسلام ، فإنه لن يمضى طويل وقت ، حتى تصل هذه الجهود إلى أهدافها ، مادامت قد وجهت أو وظفت التوظيف الصحيح .

إن آفة العالم الإسلامى اليوم ، أنه دول عديدة تزيد على الأربعين ، وأن كل دولة من هذه الدول تعمل من أجل الإسلام ، أو تدعى العمل من أجله ، بينما لا توظف عملها ذاك ، بمعنى أن تحدد هدفه ووسيلته ، والعاملين فيه ، ونوعية العمل ، ولذلك يضيع هذا العمل سدى .

وإن آفة كل دولة من هذه الدول على حدة ، أن كثيراً من الجماعات الإسلامية فيها ، تعمل وفق رغباتها الذاتية ، وما يتراءى لها أنه الأصلح والأنفع للإسلام والمسلمين ، دون توظيف لهذا العمل ، ليحقق الأهداف الكبرى ، لا الأهداف المحدودة .

وإن ترك هذه الأعمال دون توظيف ، لهو تبديد للجهد ، وبعثرة للطاقة ، فى غير الجدوى الإسلامية القادرة على تحقيق الأهداف الكبرى ، التى يتسنمها الوصول إلى الحكم بما أنزل الله .

وإن من آفات الدولة المسلمة اليوم ـــ كذلك ـــ أن كثيراً من أفرادها ، الذين لم ينتموا إلى جماعات إسلامية ، وإنما يعملون للإسلام بجهودهم الفردية الذاتية ، هم بحاجة ماسة إلى أن توظف جهودهم ، وأن ترسم لهم خريطة أهداف ، وأن تحدد لهم وسائل بعينها لتحقيق هذه الأهداف ، بل يحدد لكل منهم مجال العمل ، الذى يستطيع أن يمارس فيه نشاطه .

إن توظيف طاقات المسلمين ، أمماً أو دولاً ، وأفراداً أو جماعات ، ضرورة يقتضيها حب الإسلام ، والرغبة فى أن يتقدم به المسلمون فى مجالات الحياة ، ليثبتوا بذلك لأنفسهم أولاً ، وللناس بعد ذلك ، أنهم بهذا الدين ، خير أمة أخرجت للناس .

وكما أن ذلك ضرورة يقتضيها حب الإسلام ، فإنه كذلك ضرورة يوجبها ، أنه أكمل دين ، وأتم نظام ، وأشمل منهج ، وأقدره على الاستجابة لحياة إنسانية كريمة ، تحظى فى ظله بسعادة الدنيا والآخرة .

إن هذا التوظيف على مختلف مستوياته ، هو عمل الدعاة إلى الله ، الذين يتصدون دائماً للدعوة ، ويعرفون طبيعتها ، ومتطلبات العمل فيها ، ويدركون بنظر ثاقب ، وإخلاص واع أهداف الدعوة إلى الله ووسائلها ، إلى تحقيق تلك الأهداف .

إن على هؤلاء الدعاة ، أن يبصروا الناس ، كل الناس ، بما يجب عليهم من عمل للإسلام ، وأن يوظفوا هذا العمل ، ليحقق أحسن الأهداف ، وأولاها بالتحقيق .

إن ذلك من صميم وظائف الدعاة إلى الله .

وبعد : فتلك صورة مجملة لوظائف الدعاة إلى الله ، اجتهدنا فى جمع أبعادها ، ولمّ أجزائها ، واستقرأنا فى ذلك تاريخ الدعاة الأوائل الذين اصطفاهم الله على الناس ، وأوحى إليهم أن يمارسوا الدعوة إليه على مر تاريخ البشرية من لدن آدم عليه السلام ، وإلى أن بعث محمداً ﷺ ، وحمل عبء الدعوة من بعده صحابتُه ، رضوان الله عليهم ، وتابعوهم ، والمجددون المصلحون لأمر هذا الدين فى كل عصر ، إلى يوم الناس هذا الذى نعيش فيه .

إن الدعاة إلى الله اليوم ، عليهم أن يتذكروا دائماً ، أنهم امتداد لعمل رسل الله وأنبيائه ، عليهم أفضل الصلاة والسلام ، وأن يواصلوا عملهم بغير كلال أو ملل ، وأن يحتسبوا عند الله وحده أجرهم ومثوبتهم ، مهما تحملوا من أجل الدعوة إليه من متاعب ومشقات ، فإنه وحده الذى يجزى بالحسنة عشر أمثالها ، بل يزيد عن ذلك تفضلاً منه وتكرماً ، لمن شاء من عباده المخلصين .

الفصل الثانى

أهلية الداعى إلى الله

ويتناول :

التمهيد وعدداً من النقاط التالية :

أولاً : الصفات الفطرية التى تؤهل الداعى إلى الله وأهمها :

١ ـ الإيمان القوى .
٢ ـ الإخلاص .
٣ ـ الصلاح والتقوى .
٤ ـ الذكاء .
٥ ـ القدرات المناسبة للوظيفة .

ثانياً : الصفات المكتسبة التى تؤهل الداعى إلى الله وأهمها :

١ ـ العلم .
٢ ـ الفقه .
٣ ـ النشاط .
٤ ـ المرونة .
٥ ـ الأمل فى الله .

أهلية الداعى إلى الله

التمهيد :

الدعاة إلى الله هم المبلغون عن الله ورسوله دين الحق ، وهداية الخلق ، ولما لهذا التبليغ من خطر ومكانة ، كان لابد لمن يقوم به ، من أن يتصف بالصفات ، التى تؤهله للقيام بعمل الأنبياء والرسل من قبل .

وإن أهلية الدعاة إلى الله قضية كبرى ، تشغل بال كل من يتصدى للعمل الإسلامى ، فى كل عصر من العصور ، إنها شغلت رسول الله ﷺ نفسه ، فكان يختار من يكلفهم بالدعوة ، ويوصيهم وينصحهم ويعلمهم ، ثم يبعثهم إلى حيث ينوبون عنه فى التبليغ والدعوة إلى الله .

وكانت هذه الأهلية شغلاً شاغلاً للصحابة ، رضوان الله تعالى عليهم ، فكانوا ينتقون ويصطفون من يكلفونهم بهذا العمل الجليل ، ثم يتبعون هذا الاصطفاء بالنصائح والوصايا ، التى تفيض بها كتب التاريخ الإسلامى .

ثم استمرت هذه الأهلية للدعاة إلى الله شغل العلماء وأهل الغيرة على الإسلام حتى يومنا هذا ، ما يمل الحديث عنها ، ولا يقلل من شأن الاهتمام بها ، ولا تتجاهل ، بأى حال من الأحوال .

وهذا هو الإمام ابن القيم الجوزى ، يتحدث عن هذه الأهلية فى عصره ــ وقد توفى عام ٧٥١ من هجرة الرسول ﷺ ــ فيقول تحت عنوان :

« صفات المبلغين عن الرسول » :

« ولما كان التبليغ عن الله سبحانه يعتمد العلم بما يبلغ والصدق فيه ، لم تصلح مرتبة التبليغ بالرواية والفتيا ، إلا لمن اتصف بالعلم والصدق .

فيكون عالماً بما يبلغ صادقاً فيه ،

ويكون مع ذلك :

حسن الطريقة ،

مرضى السيرة ،

عدلاً فى أقواله وأفعاله ،

متشابه السر والعلانية فى مدخله ومخرجه وأحواله .

وإذا كان منصب التوقيع عن الملوك ، بالمحل الذى لا ينكر فضله ، ولا يجهل قدره ، وهو من أعلى المراتب السنيات ، فكيف بمنصب التوقيع عن رب الأرض والسموات ؟

فحقيق بمن أقيم فى هذا المنصب ، أن يعدّ له عدته ، وأن يتأهب له أهبته ، وأن يعلم قدر المقام الذى أقيم فيه ، ولا يكون فى صدره حرج من قول الحق والصدع به ، فإن الله ناصره وهاديه .

وكيف وهو المنصب الذى تولاه بنفسه رب الأرباب ، فقال تعالى : ﴿ **ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم فى الكتاب** ﴾[1] .

وكفى بما تولاه الله بنفسه شرفا وجلالة ، إذ يقول : ﴿ **يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة** ﴾[2] .

وليعلم المفتى عمن ينوب فى فتواه ، وليوقن أنه مسئول غدا وموقوف بين يدى الله »[3] .

إن الإمام ابن القيم ، رحمه الله ، قد أجمل أهلية الداعى إلى الله الذى يفتى الناس فى أمور دينهم ، وما يجب أن يتحلى به من صفات فى هذه الكلمات الوجيزة ، التى ناسبت عصره ، والتى يمكن أن نشير إلى مفرداتها فيما يلى :

١ ــ العلم بما يبلغ ،

٢ ــ الصدق فيما يبلغ ،

---

(١) سورة النساء : ١٢٧ .   (٢) سورة النساء : ١٦٧ .

(٣) ابن القيم : إعلام الموقعين عن رب العالمين ١١٨ ط دار الكتب الحديثة القاهرة .

٣ ـــ حسن الطريقة فى التبليغ ،

٤ ـــ حسن السمعة والسيرة بين الناس ،

٥ ـــ العدل فى أقواله وأفعاله ،

٦ ـــ الوضوح وتشابه السر والعلانية ، فى ظاهره وباطنه ، وجميع أحواله ، أى البعد الشديد عن النفاق والرياء

٧ ـــ أن يستكمل أسباب الأهلية لهذا العمل ،

٨ ـــ أن يكون مقدراً لجلال هذا العمل الذى يقوم به ،

٩ ـــ أن يصدع بالحق ولا يكون فى صدره حرج منه ،

١٠ ـــ أن يكون واثقاً فى نصر الله له .

وكما أن لكل مقام مقالا ، فإن لكل عصر رجالا ـــ كما قال أسلافنا ، رضوان الله عليهم ـــ ولذلك فنحن نحاول أن نتحدث عن أهلية الدعاة إلى الله ، وأهم صفاتهم ، بلغة تلائم عصرنا الذى نعيشه ، بعد عصر ابن القيم بسبعة قرون ؛ وتقسيم أدخل فيما يألفه الناس اليوم ، وبخاصة المثقفون منهم .

ونستطيع تحقيقاً لهذا الهدف أن نقسم أهلية الدعاة إلى الله ، أو صفاتهم ، إلى مجموعتين من الصفات ، يتفرع من كل واحدة منهما مفردات عديدة .

إحدى هاتين المجموعتين صفات فطرية ، يمنحها الله من شاء من عباده ، ومن حرمها لا يستطيع أن يحصلها .

والثانية صفات مكتسبة ، يحصلها الإنسان بجده وجهده ، ومهما كان محروماً منها ، فإنه قادر على اكتسابها وتحصيلها .

وإن حديثنا هذا على هذا النحو من التفصيل ؛ موجه أساساً إلى الدعاة إلى الله ، وإلى الذين تحدثهم أنفسهم أن يكونوا من الدعاة إلى الله ، ليعرف كل منهم إن كان صالحاً للقيام بأعباء الدعوة ، أو خلق محروماً مما يمكنه من القيام بها ؟

فإن كان ممن حرم هذا الاستعداد الفطرى فلا عليه من حرج ؛ لأن كل إنسان ميسر لما خلق له ، وإن مجالات العمل للإسلام لتستوعب الألوف ، بل الملايين ممن لا يمارسون

عمل الدعاة ، ولعله ينجح ويوفق فيما يسر له من عمل ، بأكثر مما لو كان من هؤلاء الدعاة إلى الله .

وإن كان ممن منحوا هذا الاستعداد ، بدأ فى طريق الإعداد والاستعداد ، فحصل كل صفة من الصفات التى تؤهله للقيام بأعباء الدعوة إلى الله ، وإنها لطريق شاقة ومليئة بالعقبات .

والله سبحانه هو الموفق والمعين .

أولا : الصفات الفطرية فى الداعى إلى الله

الفطرة : هى ما أبدع الله وركز فى الناس من قوة على معرفة الإيمان ، وهى المشار إليها فى قوله تعالى : ﴿ **ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله** ﴾ (١) .

والفطرة : الجبلة القابلة لدين الحق ، ومنها قول الرسول ﷺ : « ما من مولود إلا يولد على الفطرة » (٢) .

والفطرة : الخلقة التى يكون عليها كل موجود أول خلقه .

والفطرة : هى الطبيعة السليمة التى لم تُشَب بعيب ، ومنها قوله تعالى : ﴿ **فطرة الله التى فطر الناس عليها** ﴾ (٣) .

والفطرة : الفطنة التى تعنى الحكم على الأشياء ، بصورة صائبة وحصيفة .

والفطرة السليمة ــ عند الحكماء ــ هى استعداد لإصابة الحكم ، والتمييز بين الحق والباطل ، وهى تولد فى النفس معرفة تقابل المعرفة المنهجية للعلم .

ومن أجل هذا عددنا : الإيمان والإخلاص والصلاح والذكاء والقدرات الخاصة ، من الصفات الفطرية ، إذ هى قوى يهبها الله لمن يشاء من عباده .

ولنتحدث عن كل واحدة من هذه الصفات على حدة ، منبهين أننا اجتهدنا فى عد هذه الصفات من الصفات الفطرية ، ونرجو أن نكون قد وفقنا فى هذا الاجتهاد .

---

(١) سورة الزخرف : ٨٧ .

(٢) البخارى : صحيحه : باب الجنائز .

(٣) سورة الروم : ٣٠ .

١ — الإيمان القوى

الإيمان بمعنى إذعان النفس للحق ، على سبيل التصديق ، وذلك باجتماع ثلاثة أشياء :

تحقيق بالقلب ،

وإقرار باللسان ،

وعمل بحسب ذلك من الجوارح .

وقد جعل رسول الله ، ﷺ ، أصل الإيمان ستة أشياء ، هى الواردة فى الحديث : أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره .

والإيمان منحة من الله وهبة يهبها لمن يشاء ، قال تعالى : ﴿ **يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علىَّ إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين** ﴾[١] ، فالإيمان هداية من الله وليس كسبا من أحد .

وقوة الإيمان تعنى أن يكون الداعية إلى الله ، قد استكمل صفات المؤمنين أقوياء الإيمان ، وتلك الصفات التى تقوى الإيمان — والإيمان يقوى ويضعف ، لأنه يزيد وينقص — يمكن أن نتعرف عليها من خلال آيات القرآن الكريم ، ومن خلال الحديث النبوى الشريف .

أما الآيات فمنها قوله تعالى :

﴿ **قد أفلح المؤمنون . الذين هم فى صلاتهم خاشعون . والذين هم عن اللغو معرضون . والذين هم للزكاة فاعلون . والذين هم لفروجهم حافظون . إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون . والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ، والذين هم على صلواتهم يحافظون . أولئك هم الوارثون . الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون** ﴾[٢] .

وهذه الصفات التى عددتها الآيات الكريمة هى :

أ — الخشوع فى الصلاة — والخشوع فى الضراعة ،

---

(١) سورة الحجرات : ١٧ .

(٢) سورة المؤمنون : ١ — ١١ .

ب ــ الإعراض عن كل ما لا ينفع ،

جـ ــ أداء الزكاة وفق شروطها وآدابها ،

د ــ العفة والاستقامة ،

هـ ــ رعاية الأمانة والعهد ،

و ــ المحافظة على الصلوات وفق شروطها وآدابها .

ومنها قوله تعالى : ﴿ **وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما . والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما . والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما . إنها ساءت مستقرا ومقاما . والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما . والذين لا يدعون مع الله إلـٰها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما . يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا . إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما . ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا . والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما . والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا . والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما . أولـٰئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما . خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما** ﴾[1] .

وهذه الصفات التى عددتها هذه الآيات الكريمة هى :

أ ــ التواضع ،

ب ــ الحلم والمسالمة ،

جـ ــ الخشوع ،

د ــ قيام الليل وكثرة الذكر ،

هـ ــ تغليب الخوف على الرجاء بكثرة الدعاء ،

و ــ الاعتدال فى إنفاق المال ،

ز ــ التوحيد النقى الخالص من شوائب الشرك ،

ح ــ التنزه عن قتل النفس التى حرم الله قتلها إلا بالحق ،

---

(١) سورة الفرقان : ٦٣ ــ ٧٦ .

ط ــ اجتناب الزنا ومقدماته ،

ى ــ رفض شهادة الزور ،

ك ــ الابتعاد عمن يشتغلون باللهو ،

ل ــ التقبل لكل نصح يسدى إليهم ،

م ــ الإحسان إلى الأهل والولد ،

ن ــ الرغبة فى التجويد والتفوق والإمامة فى الخير .

وعباد الرحمن هؤلاء ، هم المؤمنون المخلصون عبادتهم لله ، ويقابلهم ، الذين يعبدون الدنيا وأعراضها ، ويعكفون على خدمتها .

ولا بد أن ننبه هنا ، إلى أن الإيمان القوى يعنى من بين ما يعنيه ، أن تكون للداعية سيرة طيبة فى الناس يعرف بها ، ولا ينفك عنها ، وذلك أن سيرة الإنسان يمليها عليه إيمانه وما يعتقد .

والمؤمن بالله لايعرف طريقا فى الحياة ، ولا مسلكا من مسالكها ، إلا ما شرع الله ، بحيث يلتزم بكل ما شرع الله ، ولا يسمح لنمط من أنماط السلوك أن يزاحم فى قلبه أو فى سلوكه شرع الله ونظامه ، وذلك أن شرع الله صالح لكل زمان ولكل مكان ولكل إنسان ، ومن غيره يكون الضياع للإنسان والمكان والزمان .

وأما الأحاديث النبوية التى تحدثت عن صفات المؤمنين فكثيرة كثيرة تعجزنا ــ هنا ــ عن أن نسرد منها القدر الذى اهتم بتحديد هذه الصفات .

غير أننا نكتفى فى هذا المقام بالإشارة إلى حديث واحد ، جامع لكل صفة ، يجب أن يتحلى بها المؤمن ، وهو قوله ﷺ ، فيما رواه عنه البخارى ومسلم بسنديهما ، عن أبى هريرة ، رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الإيمان بضع وستون شعبة ــ أو بضع وسبعون شعبة ــ أعلاها ــ أو أرفعها ، أو فأفضلها ــ على اختلاف الروايات ــ قول : لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان » .

وقد شرحنا هذا الحديث ، وعددنا هذه الصفات السبعة والسبعين كلها ، بما لا نحتاج معه إلى إعادة ، وإنما نحيل إليه القارئ لينظر ويتأمل فى هذه الصفات (١) .

---

(١) كان ذلك فى الفصل الرابع من الباب الأول من الكتاب .

وبعد : فإن الداعية إلى الله ، لابد أن يكون مفطورا على الإيمان ، وأن يحاول ما وسعه أن يقوى هذا الإيمان ، ويزيده بالطاعات ، حتى يكون أهلا لحمل أعباء الدعوة إلى الله ، والتبليغ عن الرسول ﷺ .

٢ ــ الإخلاص

والإخلاص هو : التبرى من كل ما دون الله تعالى . وضده النفاق أو الرياء .

وقد حدد الله مكان المنافقين والمؤمنين وأوضح مكانتهم فى قوله سبحانه وتعالى :

﴿ إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا . إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما ﴾ (١) .

أما المؤمنون الذين يجمع الله بينهم ، وبين من تاب وأصلح واعتصم بالله ، وأخلص دينه له ، فهم المخلصون لله فى عبادتهم المتبرئون من كل ما سواه ، وهم المخاطبون مع النبى ﷺ ، فى قوله تعالى : **﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ﴾** (٢) وهم المطالبون بالإخلاص فى قوله تعالى : **﴿ هو الحىّ لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين ﴾** (٣) وفى قوله تعالى : **﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة ﴾** (٤) .

وإخلاص الأمة الإسلامية يعنى أنها تبرأت مما يدعيه اليهود من التشبيه ، ومما يدعيه النصارى من التثليث ، وأخلصت الدين كله لله وعبدته وحده لا شريك له قال الله تعالى : **﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾** (٥) .

وقد روى الإمام مسلم بسنده ، عن أبى هريرة ، رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ، ﷺ : « قال الله عز وجل : أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، فمن عمل لى عملا ، أشرك فيه معى غيرى ، فأنا منه برىء ، وهو للذى أشرك » (٦) .

---

(١) سورة النساء : ١٤٥ ــ ١٤٦ . (٢) سورة الزمر : ٢ . (٣) سورة غافر : ٦٥ .

(٤) سورة البينة : ٥ . (٥) سورة الكهف : ١١٠ .

(٦) الإمام مسلم : صحيحه : باب الزهد .

وعن سهل بن عبد الله : « لا يعرف الرياء إلا مخلص ، ولا النفاق إلا مؤمن ، ولا الجهل إلا عالم ، ولا المعصية إلا مطيع » (١) .

وعن الجنيد : « لو أن عبدا أتى بافتقار آدم ، وزهد عيسى ، وجهد أيوب ، وطاعة يحيى ، واستقامة إدريس ، ووُدّ الخليل ، وخلق الحبيب ، وكان فى قلبه ذرة لغير الله ، فليس لله فيه حاجة » (٢) .

إن الداعية إلى الله ، يتعرض فى عمله لكثير من المواقف ، التى لو لم يخلص فيها لله ، لحبط عمله ، والعياذ بالله ؛ فهو محدث لبق ، فصيح لسن ، عالم مقنع ، مؤثر جاذب ، محبوب محب ، شفوق خدوم ، خلوق ... إلى آخر مايجب أن يتوفر فيه من صفات الداعية ، وكل تلك الصفات ، قد تجره إلى الإعجاب بنفسه ، أو الرغبة فى أن يعجب الناس به . وهذا وذاك ، طارد للإخلاص ، موقع فى الرياء أو النفاق والعياذ بالله ، فليكن من ذلك كله على حذر .

إن كل عمل يقوم به الداعية إلى الله ، يجب أن يكون خالصا لوجه الله تعالى بأن تكون نيته فى هذا العمل معقودة على طلب رضا الله ، وقصد وجهه .

بل إن عمل كل مسلم يجب أن يكون كذلك ، لينال ثواب الله ، فعن بعض السلف ، رضوان الله عليهم ، أنه قال : « يسرنى أن يكون لى فى كل شىء نية ، حتى فى الأكل والشرب والنوم » (٣) أى لا يجعل هذا الصالح شيئا من أمره كله مقصودا لذاته ، بل مقصودا لوجه الله تعالى .

إن الإخلاص صفة أساسية من صفات الداعى إلى الله ، لا يستطيع بدونها أن يمارس الدعوة إلى الله ، وكيف يفعل ونصوص الدين الكثيرة ، تهدد وتتوعد من لا يخلص أمره كله لله ؟

إن الداعى إلى الله ما يبغى من وراء دعوته أجرا من أحد ، أسوة برسول الله ﷺ ، فيما حكى عنه الله تعالى فى كتابه الكريم ، قال تعالى : ﴿ **وما تسألهم عليه من أجر إن هو إلا ذكر للعالمين** ﴾ (٤) .

---

(١) القزوينى : مختصر شعب الإيمان للبيهقى ١٦٦ ط المنيرية القاهرة ١٣٥٥ هـ .

(٢) السابق : ١٦٦ .

(٣) السابق : ١٦٦ وهذا الصالح اسمه : زبيد .

(٤) سورة يوسف : ١٠٤ .

وقوله تعالى : ﴿ **قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا** ﴾ (1) .

وقد كانت هذه مقولة كل رسول من رسل الله ، صلوات الله عليهم وسلامه ، فهى مقولة نوح عليه السلام ، قال تعالى : ﴿ **وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين** ﴾ (2) .

ومقولة هود عليه السلام : ﴿ **وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين** ﴾ (3) .

ومقولة صالح عليه السلام : ﴿ **وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين** ﴾ (4) .

ومقولة لوط عليه السلام : ﴿ **وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين** ﴾ (5) .

ومقولة شعيب عليه السلام : ﴿ **وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين** ﴾ (6) .

إن الداعية إلى الله ، لا يطلب على عمله أجرا من أحد ، ولا ثناء من أحد ، ولا يقوم بعمله تقرباً لأحد من الناس ، ولا خشية من أحد ، ولا طمعا فى أحد .

إنه يقوم بعمله هذا لله محتسبا الأجر عنده ، متقربا به إليه ، راغبا إليه ، طامعا فى فضله .

إن الداعية إلى الله لا بد أن يكون مفطورا على الإخلاص لله ، وقصد وجهه فى كل شأن من شئونه ، وتلك من أبرز صفات الداعية إلى الله .

---

(1) سورة الفرقان : ٥٧ .

(2) سورة الشعراء : ١٠٩ .

(3) سورة الشعراء : ١٢٧ .

(4) سورة الشعراء : ١٤٥ .

(5) سورة الشعراء : ١٦٤ .

(6) سورة الشعراء : ١٨٠ .

٣ ــ الصلاح والتقوى

الصلاح : ضد السيىء وضد الفاسد من القول والعمل ، قال الله تعالى : ﴿ **خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا** ﴾ (١) .

وقال سبحانه : ﴿ **ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها** ﴾ (٢) .

وإصلاح الله الإنسان يكون تارة بخلقه إياه صالحا ، قال الله تعالى : ﴿ **والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم** ﴾ (٣) .

وتارة يكون بإزالة ما فيه من فساد ، قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا . يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما** ﴾ (٤) .

وتارة يكون بإزالة ما فيه من فساد بعد وجوده ، قال تعالى : ﴿ **وأصلح لى فى ذريتى** ﴾ (٥) .

والتقوى هى : جعل النفس فى وقاية مما يخاف ويخشى .

والتقوى فى الشريعة : حفظ النفس عما يؤثم ، وذلك بترك المحظور ، وإنما يتم ذلك بترك بعض المباحات ، لما روى البخارى بسنده ، والترمذى ومسلم ، وسائر أصحاب السنن ، عن النعمان بن بشير ، رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الحلال بيّن والحرام بين وبينهما ــ أو بين ذلك ــ أمور مشتبهات ... » الحديث (٦) .

والداعية إلى الله ما لم يكن على درجة من الصلاح والتقوى ، تعتبر من صفاته الأساسية لا العارضة ، فلن يستطيع القيام بأعباء الدعوة إلى الله ، لأنه إذا فَقَد الصلاح والتقوى ، فَقَد الأهلية لهذا العمل الجليل ، فهل يدعو إلى الصلاح وهو غير صالح ؟ وهل يدعو إلى تقوى الله وهو لا يتقيه ؟ .

---

(١) سورة التوبة : ١٠٢ . (٢) سورة الأعراف : ٥٦ . (٣) سورة محمد : ٢ .

(٤) سورة الأحزاب : ٧٠ . (٥) سورة الأحقاف : ١٥

(٦) الإمام الترمذى : سننه : باب البيوع الحديث ذو الرقم ١٢٢١ ، ١٠ / ١٤٣ ط الكتبى دون تاريخ .

ولا بد لنا هنا أن نحدد ما نعنيه بصلاح الداعية وتقواه ، فنقول : إن مانقصده بهذه الصفة أمورا نذكر منها :

أ ــ أن يكون مرضى السيرة بين الناس يشهد له بالصلاح كل من عرفه منهم .

ب ــ وأن يكون عدلا فى أقواله وأفعاله مشهورا بين الناس بأنه يؤثر العدل ــ ولو على نفسه وذويه ــ .

جـ ــ وأن يكون متشابه السر والعلانية ، ظاهره كباطنه ، يشهد له بذلك سلوكه وعمله .

د ــ وأن يكون صادق الكلمة واللهجة ، صادق الوعد والعهد والنية ، معروفا بين الناس بذلك .

هـ ــ وأن يكون ورعا يؤثر ما عند الله على ما عند الناس ، لا يطمع فى أعراض الدنيا ولا يعطيها أكثر مما تستحق .

و ــ وأن يكون تاركا لما لا بأس به حذرا مما به بأس .

ز ــ وأن يكون بعيدا عن الشبهات يتقيها ما وسعه اتقاؤها ليحفظ بذلك دينه وعرضه .

ح ــ وأن يكون محبوبا من الناس ، مألفا ينجذب الناس إليه ، لما فى خلقه من سماحة وسعة .

ط ــ وأن يكون ملازما للأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، مراعيا آدابهما الشرعية ، لا يتوانى عن ذلك ما وسعه الحول والحيلة .

ى ــ وأن يكون معروفا بحب الخير للناس ، معاونا لهم على القيام بأدائه ، لا يألو جهدا فى حثهم عليه .

ك ــ وأن يكون ذا حياء أسوة بسيد الدعاة ﷺ ، لما روى البخارى بسنده ، عن أبى سعيد الخدرى ، رضى الله عنه ، قال : « كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء فى خدرها ، وكان إذا كره شيئا عرفناه فى وجهه » (١)

ل ــ وأن يكون وصالا للرحم ، بارا بأهله وولده وصديقه ، لأن تلك صفة المؤمن عامة ، فما بالنا بمن يتصدى للتبليغ عن الله ورسوله ؟

م ــ وأن يكون متواضعا ، لين الجانب ، كاظما غيظه ، إلا أن تنتهك حرمة من حرمات

---

(١) الإمام البخاري : صحيحه : باب الأدب

الله سبحانه .

ن ـــ وأن يكون حسن الخلق . ومن أجمع ما قرأت فى حسن الخلق ما قاله البيهقى فى ذلك ، حيث قال : « ومعنى حسن الخلق : سلامة النفس نحو الأرفق والأحمد من الأفعال ، وقد يكون ذلك فى ذات الله ، وقد يكون فيما بين الناس .

وهو فى ذات الله ـــ عز وجل ـــ أن يكون العبد منشرح الصدر بأوامر الله تعالى ونواهيه ، يفعل ما فرض عليه طيب النفس به ، سلسا نحوه ، وينتهى عما حرم الله عليه ، غير متضجر منه ، ويرغب فى نوافل الخير ، ويترك كثيرا من المباح لوجهه تعالى وتقدس ، إذا رأى أن تركه أقرب إلى العبودية من فعله ، مستبشرا لذلك غير ضجر منه ولا متعسر به .

وهى فى المعاملات بين الناس :

أن يكون سمحا لحقوقه لا يطالب غيره بها ، ويؤتى ما يجب عليه لغيره منها .

فإن مرض ولم يُعد ،

أو قدم من سفر فلم يزر ،

أو سلم فلم يُرد عليه ،

أو أضاف فلم يُكرم ،

أو شفع فلم يجب ،

أو أحسن فلم يشكر ،

أو دخل على قوم فلم يمكن ،

أو تكلم فلم ينصت له ،

أو استأذن على صديق فلم يؤذن له ،

أو خطب فلم يزوج .

أو استمهل الدين فلم يمهل ،

أو استنقص منه فلم ينقص ، وما أشبه ذلك ؛ لم يغضب ، ولم يعاتب ، ولم

يتنكر من حاله حال ، ولم يستشعر فى نفسه أنه قد جفى وأُوحش ، وأنه لا يقابل كل ذلك إذا وجد السبيل إليه بمثله .

بل يضمر أنه لا يعتد بشيء من ذلك ويقابل كلا منه ، بما هو أحسن وأفضل وأقرب إلى البر والتقوى ، وأشبه بما يحمد ويرضى .

ثم يكون فى إيفاء ما يكون عليه ، كهو فى حفظ ما يكون له ،

فإذا مرض أخوه المسلم عاده ،

وإن جاء فى شفاعة شفعه ،

وإن استمهله فى قضاء دين أمهله ،

وإن احتاج منه إلى معونة أعانه ،

وإن استسمحه فى بيع سمح له .

ولا ينظر إلى الذى يعامله كيف كانت معاملته إياه فيما خَلَا ، وكيف يعامل الناس ، وإنما يتخذ الأحسن لنفسه إِمَاماً ، ينحو نحوه ولا يخالفه .

والخلق الحسن ، قد يكون غريزة ، وقد يكون مكتسبا » انتهى هذا الكلام الجامع فى حسن الخلق [1] .

وهكذا ينبغى أن يكون الداعية إلى الله فى صلاحه وتقواه وحسن خلقه ، ليكون أهلا للدعوة إلى الله ، ولكى يورث هذا الصلاح وتلك التقوى ، وهذه الصفات وتلك الأخلاق ، إلى من يدعوهم من الناس إلى الله .

ومن الواضح أن حديثنا هنا عن الصفات الفطرية ، ومنها الخلق الحسن الذى هو غريزة وفطرة ، يمنحها الله من يشاء من عباده .

ولا أدل على الصلاح والتقوى من حسن الخلق .

وإذا كان الصلاح هدى من الله ، ومنحة منه يركزها فى طباع واحد من عباده ، فإن التقوى قد تكون كذلك ، وقد تكون مكتسبة يتعلمها الإنسان ، ويلزم بها نفسه ، ويحاول

(١) القزوينى : شرح مختصر شعب الإيمان للبيهقى ٢٠١ ــ ٢٠٢ ــ الطبعة السابقة .

ما وسعه أن يضع نفسه فى موضع الحفظ ، عما يؤثمه أمام الله .

والذى نعنيه من التقوى فى هذا المقام ، هو تلك الفطرة التى يفطر الله عليها بعض النفوس ، فيكون فى طبع الإنسان من هؤلاء ، تقوى الله ، وتجنب الوقوع ، فيما يؤثم ، لأن حديثنا هنا عن الصفات الفطرية .

ألا إن الدعاة إلى الله يجب أن يكونوا نماذج حية لما يدعون إليه ، وهم يدعون إلى الحق والخير والهدى ، فليكونوا كذلك والله الموفق والهادى إلى أحسن الأخلاق ، لا يهدى لأحسنها إلا هو سبحانه وتعالى .

٤ ـــ الذكاء

الذكاء : هو القدرة على التجريد والتحليل والتركيب ،

وهو الحكم والتمييز والاختيار ،

وهو القدرة على الابتكار ، أى مواجهة المواقف الجديدة بنجاح ، أو حل المشكلات الجديدة ، بابتكار الوسائل الملائمة لها .

والذكاء أنواع :

أ ـــ الذكاء النظرى : وهو القدرة على معالجة المعانى والرموز .

ب ـــ والذكاء العملى : وهو القدرة على معالجة الأشياء .

جـ ـــ والذكاء الاجتماعى : وهو القدرة على معالجة الأشخاص فى المواقف الاجتماعية المختلفة .

والذكاء كله منحة من الله تعالى ، لا مجال للإنسان فى كسبه ، والعوامل الوراثية تعين مستوى الذكاء من حيث هو قدرة ، أما العوامل البيئية ، فتعين مدى نمو هذه القدرة ، ومدى إمكاناتها .

وكل أنواع الذكاء الثلاثة ـــ التى ذكرنا ـــ لازمة للداعية إلى الله ، فهو بحاجة أبدا إلى أن تتوافر فيه القدرات العديدة التى يتطلبها عمله ، وتمكنه من أداء وظائفه ، أى يلزمه الذكاء النظرى والعملى والاجتماعى جميعا ، وعلى سبيل المثال المفصل بعض التفصيل ، فإن الداعية إلى الله بحاجة إلى القدرات التالية :

أ ـــ القدرة على مواكبة القضايا الفكرية والعلمية والفلسفية :

بحيث يعالج منها ما يحتاج إلى علاج ، يعدل المفاهيم التى تعارض شيئا من الدين أو يغيرها أو يقبل من هذه المفاهيم والأفكار والعلوم والفلسفات ما يرى فيه مصلحة للناس ، دون مساس أدنى مساس بالمعتقدات الصحيحة ، التى جاء بها الإسلام ، فى كل ما يتصل بالإيمان والإسلام ، والإحسان والعدل ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والجهاد فى سبيل الله ، وفى كل ماوضعه الإسلام للفكر ، من منهج ونظام ومسار .

الداعية إلى الله حارس أمين على العقيدة أن تشوه ، أو تشاب بباطل أو ضلال ، حريص كل الحرص على ألا يصيبها خلل فكرى أو علمى أو فلسفى ، ولذا فإنه بحاجة إلى أن يكون من أصحاب الذكاء النظرى بل الذكاء النظرى المتميز .

وما أُتى المسلمون ولا المفكرون المسلمون من شىء أساء إلى معتقداتهم ، مثل ما أُتوا من قبل الأزياء الفكرية التى نقلوها عن الآخرين ، واعتقدوا بها دون غربلة وتصفية .

إن بصمات هذا الفكر الشائه ، وتلك الفلسفات الضالة ، لا تزال واضحة فى كثير من المسلمين ، وفى بقاع كثيرة من الأرض ، لأن الدعاة إلى الله فيهم ، لم يقوموا بعملية التمييز والنقد والتحليل لهذه الأفكار والفلسفات ، حتى يقبل منها ما لا يتعارض مع الإسلام ومنهجه ، ويرفض ما يتعارض .

إن هذا النقل دون تمييز ، هو الذى أسهم فى تشويه صورة المسلمين الفكرية أولا ، ثم أدى بعد ذلك إلى تخليهم عن دورهم الحضارى بعد ذلك ، والسبب ـــ كما ذكرنا ـــ أن الدعاة إلى الله لم بقوموا بعملهم فى هذا المجال كما ينبغى .

ب ـــ القدرة على معالجة الأشياء عمليا :

بمعنى أن الدعاة إلى الله ، عليهم أن يوجهوا إلى التعامل مع المكتشفات والمخترعات والآلات ، وبذل الجهد العلمى فى سبيل أن يكتشفوا هم ويخترعوا من الآلات والأدوات ، ما تكون به الحياة الإنسانية أسلس وأكثر راحة للإنسان .

إن المسلمين ما ينبغى أن ينتظروا ، حتى يكتشف لهم الآخرون ويخترعوا ، لأن هذا الانتظار يعنى أنهم يعيشون عالة على غيرهم فى هذا المجال الحيوى من مجالات الحياة الإنسانية ، وهذه منزلة دون ما ينبغى أن يكون عليه أصحاب أكمل دين ، وأتم منهج ،

وأشمل نظام ، إنها تبعية لا تتلاءم مع خير أمة أخرجت للناس ، ولا مع ﴿ **لتكونوا شهداء على الناس** ﴾ .

إن الإمساك بزمام العلم والتقنية ، واجب شرعى طالب به الدين الإسلامى من مطالباته العديدة للمسلمين التى يحثهم فيها على العلم والمعرفة ، والبحث والتأمل ، والسير فى الأرض ، والنظر فى مخلوقات الله ، والتعامل مع ماأودع الله فى هذا الكون من قوى وطاقات ومقدرات ، يجب أن تسخر بالعلم والتقنية لخدمة الإنسان .

إن القرآن الكريم حافل بهذه المطالبات ، بل الأوامر الصريحة من مثل قوله تعالى : ﴿ **قل سيروا فى الأرض ...** ﴾ (١).

وقوله سبحانه : ﴿ **قل انظروا ماذا فى السموات والأرض ...** ﴾ (٢).

وقوله تعالى : ﴿ **أفلم يسيروا فى الأرض ...** ﴾ (٣).

وقوله تعالى : ﴿ **فسيروا فى الأرض ...** ﴾ (٤) .

هذه الآيات الكريمة ، وغيرها كثير ، توجب على المسلمين أن يمسكوا بزمام العلم والتقنية ، وأن يفيدوا بهذا العلم من كل ما ملأ الله به الكون من خيرات سخرها للإنسان .

إن الدعاة إلى الله عليهم أن يوجهوا لذلك ، وأن ينبهوا دائما إليه ، وتلك مهمة تستلزم ذكاء عمليا فى معالجة هذه الأمور ، لابد أن يكون الدعاة مؤهلين لها .

جـ ـــ القدرة على معالجة شئون الأفراد والجماعات فى المواقف الاجتماعية المتعددة :

الإنسان فرد فى جماعة ، وهو بهذه العلاقة فى تغير اجتماعى مستمر ، نتيجة لاستمرار التغير فيما حوله ، وإذا تغير الإنسان نتيجة لذلك ، فلا بد أن يكون التغير مرسوما محدد الأبعاد والمعالم ، لا يتعارض ـــ كذلك ـــ مع شىء من النظم الاجتماعية المتكاملة ، التى جاء بها الإسلام .

لقد تميز الإسلام بأن نظامه الاجتماعى ، قد أقام العلاقات بين الناس ، على أسس أخلاقية رفيعة المستوى ، قادرة أكثر من سواها على أن تمضى بالإنسانية كلها فى حياة اجتماعية راشدة ، تحقق لها سعادة الدنيا والآخرة .

---

(١) سورة الأنعام : ١١ وتكررت فى النمل : ٦٩ ، والعنكبوت : ٢٠ .
(٢) سورة يونس : ١٠١ .
(٣) سورة يوسف : ١٠٩ وتكررت فى الحج : ٤٦ ، ومحمد : ١٠ .
(٤) سورة النحل : ٣٦

إن الحقوق والواجبات أوضح ما تكون ، وأعدل ما تكون فى منهج الإسلام ونظامه ، فى كل شعبة من شعب الحياة .

إن نظام الأسرة زوجين وأبناء وأقارب وخدما ، أكمل نظام عرفته البشرية ، من لدن خطت على درب الحياة خطواتها الأولى ، وإلى أن تلقى ربها يوم الدين ، إن أفراد الأسرة جميعا لم يعرفوا تكريما — من خلال ممارستهم للحقوق والواجبات ، فى ظل المنهج الإسلامى — مثل ما عرفوا فى هذا المنهج ونظامه .

وإن المجتمع كله أسراً وجماعات ، محكوم دائما بنظام تقوم عليه العلاقات بين الأفراد ، أو بينهم وبين الجماعات ، أو بين كل أولئك وبين الحكومات ، بحيث لا تظلم أحدا على حساب أحد ، ولا تحابى جماعة دون جماعة ، وإن هذا النظام الذى تقوم عليه تلك العلاقات ، قد حير الإنسانية فى مجتمعاتها العديدة ، عبر الأزمان والأماكن ، فلم تهتد فيه إلى نوع يحمى الحقوق ، ويصونها ، دون غرض أو منفعة ، ويلزم بالواجبات ، ويعين على أدائها ، دون قهر أو تسلط ... إلى أن جاء الإسلام خاتم الأديان بهذا النظام .

إنه إذا كان الإنسان اجتماعيا ، بحكم ضرورة الحياة التى يحياها ، فإن المنهج الإسلامى ، قد نظم له هذه الحياة الاجتماعية ، أدق تنظيم وأحكمه .

وإن الإنسان إذا كان مدنيا بطبعه ، يميل إلى العمران ويسعى إلى التحضر والترقى فى وسائل العيش ، فإن الإسلام وضع له النظام الذى يجعله فى القمة من هذه المدنية ، ولا يرضى له إلا أن يكون رائدها ، والآخذ بيدها ، إلى قمة التحضر الإنسانى ، والترقى فى مجالات الحياة كلها .

إن الأخوة التى جاء بها الإسلام — ولم يسبق إليها على هذا النحو — وجعلها أساس العلاقات بين المسلمين ، وأحاطها بسياج من الحقوق والواجبات ، إن هذه الأخوة لكفيلة بأن تجعل من المجتمع مجتمعا ، تسوده أرقى العلاقات وأنقاها ، وأبعدها عن مظنة شوائب الاستغلال والاستعلاء والتنافس غير المشروع .

إنها أخوة تحكمها التفاصيل الدقيقة للحقوق والواجبات ، والتى تدفع كل فرد فى المجتمع إلى العمل والإنتاج ، والمضى فى طريق الحق والهدى وحب الناس .

إن هذا المجتمع الإنسانى فى ظل منهج الإسلام ونظامه ، مجتمع منتج ، لا يعرف الكسل ولا الخمول ، فضلاً عن السلبية وعدم المبالاة ، فضلاً عن الإهمال والغش ، والظلم

والتعدى الذى تمارسه مجتمعات كثيرة ، لم تستظل بمنهج الإسلام .

إن المجتمع الإسلامى فى ظل نظام الإسلام ، لا يعرف الجريمة بأنواعها ؛ لأنه مجتمع ملتزم بدين الله الذى حرم الجريمة ، إنه مجتمع لا يجرم فيه الفرد ، إلا وهو متخل عن إسلامه والتزامه وإيمانه بربه « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ... » تلك من كلمات الرحمة المهداة محمد ﷺ ، إنه المجتمع الذى يحاصر الجريمة فلا تجد لها متنفساً ، ويزيل أسبابها ، ويقاومها بقوة ، فلا تقع فيه ، إلا من خلل فى سد الفرج وإزالة الأسباب .

إنه المجتمع الذى لا تجد فيه مرضى النفس ، ومنحرفى الخلق ، لأن الناس فيه مؤمنون بربهم وبمنهجه ، وقلما تجد مؤمناً يصاب بهذه الأمراض ، فما بين التزامه بمنهجه وإيمانه بالقضاء والقدر ، تزول كل أسباب الأمراض النفسية والعصبية .

إن القدرة على معالجة قضايا المجتمع بهذه الأنظمة الإسلامية ، هى عمل الدعاة إلى الله الأول ، وشغلهم الشاغل ، ويجب عليهم أن يتأهلوا له ، ويتزودوا بكل ما من شأنه أن يوصلهم إلى هذا المستوى من القدرة على علاج شئون الأفراد والجماعات فى تلك المواقف الاجتماعية المتعددة .

٥ ــ القدرات المناسبة لوظيفة الدعاة إلى الله

إن هذه القدرات التى تستوجبها طبيعة عمل الدعاة إلى الله كثيرة ، وإن الداعية إلى الله الذى يفقد هذه القدرات ، قلما يواتيه النجاح فى عمله ، مهما بذل من جهد ، ومهما كان حريصا ، فهى قدرات مهيئة لا بد من توفرها فيه .

وسوف نذكر نماذج لهذه القدرات بصورة مجملة ، خشية أن يفضى بنا التفصيل إلى توسع وإسهاب ، يخرج بنا عن السمت الذى رسمناه لأنفسنا فى هذا الكتاب .

ومن هذه القدرات ما يلى :

أ ــ القدرة على البيان والإفصاح فى المجالات الملائمة لذلك وهى :

* مجال الكلام والمشافهة ،
* ومجال الحوار والمناظرة،
* ومجال الكتابة والتأليف .

ب ــ القدرة على الخطابة المؤثرة ، التى تقوم على الإمتاع والإقناع ، كل أنواع الخطابة :

* الدينية ،
* والاجتماعية ،
* والسياسية .

جـ ــ القدرة على الحكم الصحيح على الناس والأشياء :

ولا يتأتى ذلك ، دون حيادية ، وقدرة على سبر الأغوار ،وتعمق المواقف والأحداث، وذلك يتطلب مايلى :

* ذكاء وشفافية ،
* وثقة فى النفس ،
* واستهدافا لإحقاق الحق .

د ــ القدرة على النقد والموازنة بين الأمور بنظر فاحص وتأمل جيد لما يراد نقده أو الموازنة بينه وبين سواه ، وذلك يتطلب مايلى :

* الدقة فى التعرف على الصفات المشتركة بين الأمرين ،
* والقدرة على التمييز بين الفاضل والمفضول ،
* والجرأة فى الإعلان عن الرأى دون مجاملة .

هـ ــ القدرة على التحليل والتركيب ، بمعنى أن تكون لدى الداعية قدرة على فك الموقف أو الموضوع إلى أجزائه الحقيقية ، ومعرفة أهمية كل جزء على حدة ، وكل جزء بالنسبة للكل ، وهذا يتطلب مايلى :

* القدرة على التفصيل لأى مجمل ،
* والقدرة على إعادة تركيب الأجزاء ،
* والقدرة على الخروج بنتائج .

و ــ القدرة على الاختيار والاصطفاء ، وقديما قال أسلافنا : اختيار الرجل جزء من عقله ، وهذه القدرة على الاختيار أو الاصطفاء ، تتطلب من الداعية إلى الله أمورا كثيرة ، نذكر منها ما يلى :

* القدرة على معرفة الميزات والعيوب ،
* والقدرة على توسم الصلاحية ،
* والقدرة على التفضيل والترجيح .

ز ــ **القدرة على الابتكار** ، أى الاتجاه إلى الشيء أو الموقف ، دون انتظار معونة ، أو مساعدة من أحد ، وذلك يتطلب استعدادات كثيرة منها :

* توقد الذكاء ،
* والقدرة على تصور الحلول المناسبة ،
* والقدرة على المبادرة .

ح ــ **القدرة على التأثير فى الناس ، وجذبهم إلى جانب الدعوة إلى الله ، وإلى جانب الحق ، وزرع التشبث بالحق فى نفوسهم** . وذلك يتطلب :

* القدرة والاستعداد بالنسبة لتحصيل وسائل التأثير ، من ذكاء وشخصية ومرونة ،
* القدرة على استقطاب الناس ، باستجماع وسائل هذا الاستقطاب ،
* والقدرة على إقناع الناس بالتشبث بالحق ، مهما ضحوا فى سبيله .

ط ــ **القدرة على تنظيم الناس فى مجموعات متناسبة ، من حيث الميول والاتجاهات ، والاستعدادات العامة والخاصة** ، بحيث لو جمع بين عدد منهم يحدث التوافق والانسجام بين جميع الأفراد . وذلك يتطلب ما يلى :

* القدرة على التعمق فى فهم الناس ،
* والقدرة على معرفة الميول والاتجاهات ، بل الاستعدادات وتصنيف أصحابها .
* والقدرة على الربط بين كل عدد من الأفراد متشابهى الميول والاستعدادات بكل وسائل الربط المعروفة .

ى ــ **القدرة على توظيف الناس ، فيما يصلحون له ، من عمل** ، بحيث يترتب على هذا التوظيف استثمار جيد للجهود والوقت ، وذلك يتطلب ما يلى :

* القدرة على تحديد الأهداف والوسائل فى عمل من الأعمال ،
* والقدرة على تحديد عمل بعينه ، تكون المصلحة فى إنجازه ،
* والقدرة على اختيار الأفراد ، الملائمين للقيام بهذا العمل على أحسن وجه .

ك ــ **القدرة على الاحتفاظ بولاء الناس للإسلام ، وللعمل من أجله** ، حتى لا تضيع الفائدة من جذب الناس نحو الدعوة وتنظيمهم وتوظيفهم ، لأن الانفكاك عن العمل للإسلام ، والانتماء إليه ، يجعل كل المراحل التى سبقته هباء ، تعصف به عدم الرغبة فى الاستمرار فى العمل ، وهذا يتطلب قدرات بعينها تتمثل فيما يلى :

* القدرة على ربط الناس بالعقيدة والمبدأ ، لا الشخص أو القائد .

* والقدرة على تفقيه الناس بجوهر العمل للإسلام ، وهو تحكيم كتاب الله فى عباده ، وما يقتضيه هذا من ضرورة الاستمرار فى العمل دون توقف ، حتى يتحقق هذا الهدف .
* والقدرة على إزالة أسباب الانصراف عن العمل ، كالخوف والكسل والفتور .

ل ــ **القدرة على استخدام الخبرات السابقة ، لمواجهة مواقف مشابهة** ، والتغلب على سلبياتها ، وصولا بها إلى تحقيق الأهداف العامة والمرحلية من كل عمل أو كل موقف . وهذا يتطلب ما يلى :

* القدرة على التذكر الجيد ، لكل المواقف التى مر بها الداعية فى مجال العمل الإسلامى ، واتخذ فيها موقفا أو تصرفا ، أدى إلى تحقيق الهدف من العمل ، سواء أكان هذا الهدف عاما أم مرحليا ،
* والقدرة على استيعاب المواقف الجديدة ، بكل مالها وما عليها ، دون أحكام مسبقة عليها ، ودون إحجام عن التعامل معها ،
* والقدرة على تحديد الأهداف العامة لكل عمل أو موقف ، وتحديد الأهداف الخاصة له كذلك ، لأن تحديد هذه الأهداف مع استصحاب وتذكر المواقف السابقة ، هو الذى يقرب النجاح والتوفيق فى مواجهة المواقف الجديدة .

وعند التأمل فى هذه القدرات الاثنتى عشرة ، نجد أنها جميعا تعتمد على الذكاء ، وتقوم عليه ، وهو كما سبق أن أوضحنا ، منحة من الله ، يهبها من يشاء من عباده .

ومن لم تكن لديه من الدعاة إلى الله هذه القدرات ، فليس أهلا لأن يقوم بأعباء الدعوة إلى الله على وجهها الصحيح الفاعل المؤثر ، وبالتالى فإنه كمن يحرث فى البحر ، أو يقيم نفسه مقام معوق من معوقات المضى فى طريق الدعوة إلى الله .

إن الدعاة إلى الله ــ كما سبق أو أوضحنا [1] ــ هم صفوة العاملين فى الحقل الإسلامى ، وهم قادة هذا العمل المدافعون عنه القادرون على دفعه إلى الأمام .

وإن من كانت هذه مهمتهم ، فإن شرط الذكاء ضرورى فيهم ، بل متقدم على كل شرط ، بل هو الشرط الأساسى الذى تقوم سائر شروط الأهلية عليه .

ــ تحدثنا عن ذلك فى أهلية الدعاة إلى الله فى كل مرحلة من مراحل الدعوة ، التعريف والتكوين والتنفيذ والتمكين .

إن هؤلاء القادة للعمل الإسلامى ، مطلوب منهم دائما أن يشقوا طريقهم مع من يدعونهم من الناس فى أمن وثقة ، ومعرفة دقيقة للخطوة التالية لكل خطوة تسبقها ، مستبصرين جيدا لكل ما يحتمل أن يعترى الناس من عقبات ، قادرين على العمل على إزالة هذه العقبات ، يقيمون عملهم مع الناس على الأسس العلمية المدروسة ، من خطة وتنظيم وإدارة وتوظيف ، وكل ذلك محتاج إلى ذكاء وألمعية .

إن الدعاة إلى الله يقومون بمهمة جليلة ، مهمة الصفوة والقادة ، فما أحوجهم إلى كل صفة من هذه الصفات التى يفطر الله الناس عليها ويهيئهم لها .

وإلى الحديث عن الصفات المكتسبة فى الدعاة إلى الله ، سائلين الله التوفيق .

ثانيا : الصفات المكتسبة فى الداعية إلى الله

وهى صفات ليس مرجعها الفطرة والغريزة ، ولكن مرجعها الرغبة فى تحصيلها واكتسابها ، والبحث عنها فى مظانها .

إنها صفات تتعلم ، ويستطيع كل من حرم منها ، أن يحصلها ، وأن يتفوق فيها ، إذا صح منه العزم ، وصدقت النية .

إن هذه الصفات ـــ التى سوف نحددها ـــ لازمة للداعية إلى الله ، بحيث لا يستطيع أن يمارس عمله فى الدعوة إذا فقدها ، فهى أساسية فى تكوين الدعاة ، وهى صفات تأكد وجودها وبروزها فى السابقين الموفقين من الدعاة ، أولئك الذين تميزوا بأنهم قد حققوا فى الدعوة إلى الله نجاحا مرموقا وحظا موفورا .

إن المجددين لأمر هذا الدين فى كل عصر ـــ وعلى رأس كل مائة عام ـــ عند التأمل فى سيرهم ، والتعرف الدقيق على مايتمتعون به من صفات ، وعلى أبرز هذه الصفات وأهمها فى مجال الدعوة إلى الله ، تلك الصفات التى كانت عونا لهم ـــ بعد عون الله سبحانه ـــ على بلوغ أهدافهم فى الدعوة ، وعلى استمرارهم فيها ، حتى وصلت إلينا سيرهم وأخبارهم ، وما حققوا من نجاح وفلاح ، عبر تلك الأجيال التى تفصل بيننا وبينهم ، والتى استطاعت شهرتهم ومكانتهم أن تتخطى إلينا حواجز الزمان والمكان ، فملأت سيرهم أسماعنا بكل رائع ومفيد من القول والعمل ، وبكل جميل حسن محبوب من الصفات .

وإن على رأس هؤلاء المصلحين فى مختلف العصور والقرون سيد الخلق محمد ﷺ ، ثم صحابته رضى الله عنهم ، المهتدون بهديه ، وفى مقدمتهم العشرة المبشرون بالجنة ، ثم أهل بدر ، وأهل البيعات ، ثم سائر الصحابة رضى الله عنهم .

وإن التابعين رضوان الله عليهم ، قفوا أثر الصحابة عليهم رضوان الله ، فى مجال الدعوة إلى الله ، وتحلوا بصفات الرسول ﷺ وصفات صحابته .

ثم تابعو التابعين رضى الله عنهم وأرضاهم .

ثم توالت القرون ، وقد أراد الله الخير لهذا الدين ، فبعث لمسلمين على رأس كل قرن من الزمان من يجدد للناس أمر دينهم ، ومن يحفظ عليهم الدين غضا ، ومن يزيل عنه الشبهات والأباطيل ، فكانوا مصابيح هدى ، وقاموا بعبء الدعوة إلى الله خير قيام ، وكانت

لهم من صفات الداعية الأول عليه الصلاة والسلام ، وصحابته وتابعوهم ، حظوظ وافرة .

ولولا أن تسمية هؤلاء المصلحين المجددين فى كل قرن من الزمان ، تدخل بنا فى باب الإسهاب والتطويل ، والخروج عن سمت الكتاب لفعلنا ، فإنها سير عطرة جديرة بالتسجيل .

وإن كتب التاريخ قد فاضت بسيرهم ، وبجلائل أعمالهم ، وحفلت بالحديث عما لاقوه فى سبيل الله والدعوة إليه من متاعب ومشقات ، لم يكن أهونها السجن والتشريد ، والمصادرة للمال والعمل ، وإنما وصلت ببعضهم إلى حد الشهادة فى سبيل الله ، أقول هذا ، لعل الدعاة إلى الله اليوم لا يستكثرون ما يواجهونه من عنت وإرهاق فى سبيل الدعوة إلى الله ، وليذكروا دائما حياة شهيد الدعوة إلى الله ، فى عصرنا هذا ، الإمام « حسن البنا » الذى اغتالته القوى المعادية للإسلام والحق ، فى عرض الطريق ، وليذكروا أعواد المشانق التى نصبت لخيرة الدعاة إلى الله ، ففازوا بدرجة الشهادة ، وهى أعلى درجات التشريف فى الدنيا والآخرة ، ليذكروا ذلك ، وليكن لهم فيه عظة ومواساة .

إن أبرز صفات هؤلاء الدعاة المجددين المصلحين ، كما بدت لى من خلال التعرف عليهم ، وعلى سيرهم خمس صفات رئيسية ، ربما اندرج تحت كل منها عدد من الصفات .

هذه الصفات هى :

١ ـــ العلم بكل معنى من معانيه ،

٢ ـــ والفقه فى الدين وفى الحياة ،

٣ ـــ والنشاط والحركة الدائبة ،

٤ ـــ والمرونة ورحابة الصدر ،

٥ ـــ والأمل فى الله سبحانه .

وليس معنى هذا الحصر ، أنها صفاتهم وحدها ، دون سواها ، ولكن معناه ، أنها أهم الصفات التى لا يستغنى عنها الدعاة إلى الله ، فى كل عصر من العصور ، وإن كانت هناك صفات أخرى تعد ضرورية لكل داعية إلى الله مثل :

١ ـــ القوة ،

٢ ـــ والصبر ،

٣ ـــ والثبات ،

٤ ـــ والقدرة على الأخذ بالأسباب .

وعشرات غيرها مما لا يتسع له المجال ، إنها إمكانات البحث ، واتساع مدى الحديث الذى يفرض علينا هذا الاختيار ، ثم هذا الترجيح لصفات على غيرها ، ونسأل الله أن يكون مافاتنا تسجيله ، وما تعمدنا عدم ذكره من صفاتهم ، أقل أهمية من هذه الصفات الخمسة التى سجلناها .

والله من وراء القصد وهو الهادى إلى سواء السبيل .

١ ـــ العلم

للعلم معان عديدة ، نود أن نذكر منها ، ما يوضح للدعاة إلى الله ماذا يجب عليهم أن يحصلوه منه ، وما يجب أن يملكوا ناصيته ويتبحروا فيه ، ماوجدوا إلى ذلك الحول والحيلة .

* **فالعلم :** إدراك الشيء بحقيقته ، وهو بهذا المعنى نوعان :
  أحدهما : إدراك ذات الشيء .
  والثانى : الحكم على الشيء بوجود صفة له ، أو نفيها عنه .
* **والعلم :** هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع ،
  أو هو حصول صورة الشيء فى العقل ،
  أو هو زوال الخفاء من المعلوم ،
  أو هو وصول النفس إلى معنى الشيء .
* **والعلم .** نظرى وعملى :
  فالنظرى هو : ما إذا عرف فقد كمل كالعلم بموجودات هذا العالم .
  والعملى هو : ما لا يكمل إلا بالممارسة كالعبادات على سبيل المثال .
* **والعلم :** سمعى وعقلى :
  فالسمعى هو : ما وردت به نصوص الدين .
  والعقلى: مااستطاع الإنسان أن يهتدى إليه بعقله .
* **والعلم :** ظاهر وخفى .
  فالظاهر هو : ما نستطيع أن نشاهده ونتعلمه .
  والخفى هو : مااختص به علم الله سواء مكن منه أحدا من خلقه ، أو لم

يمكن منه أحدا .

* **والعلم :** قد قسمه بعض العلماء إلى الأقسام التالية :

أ ــ علم عقلى وهو : ما لا يؤخذ من الغير ،

ب ــ وعلم انفعالى وهو : ما أخذ عن الغير ،

جـ ــ وعلم إلهى وهو : ما يخص علم الله سبحانه وتعالى .

د ــ وعلم حصولى وهو : حصول العلم بالشيء ، بعد حصول صورته فى الذهن .

هـ ــ وعلم حضورى وهو : حصول العلم بالشيء ، دون حصول صورته فى الذهن ، كعلم الإنسان بنفسه .

كل تلك التعريفات للعلم ، وردت على ألسنة علماء مسلمين فى مختلف العلوم ، كالمفسرين وعلماء الكلام والفلاسفة ، وكلها تعريفات نابعة من ثقافتنا الإسلامية وتراثنا الحضارى .

وأغلب ما ذكرناه من تعريفات للعلم قد استقيناه من كتب تراثنا الإسلامى وبخاصة كتابان هما :

المفردات فى غريب القرآن : للأصفهانى .

والتعريفات : للجرجانى .

وفى علم الاجتماع ، تعريف للعلم ذكره العلامة الرائد فى علم الاجتماع ، الفقيه القاضى المؤرخ ، الشيخ عبد الرحمن بن خلدون ، فى مقدمته للتاريخ قال فيه : « الإنسان قد شاركته جميع الحيوانات فى حيوانيته ، من الحس والحركة والغذاء والسكن ، وغير ذلك ، وإنما تميز عنها ؛ بالفكر الذى يهتدى به ، لتحصيل معاشه ، والتعاون عليه بأبناء جنسه ، والاجتماع المهيىء لذلك التعاون ، وقبول ماجاءت به الأنبياء عن الله تعالى ، والعمل به ، واتباع صلاح أخراه ، فهو مفكر فى ذلك كله دائما ، لا يفتر عن الفكر فيه طرفة عين ، بل اختلاج الفكر أسرع من لمح البصر ، وعن هذا الفكر تنشأ العلوم .. » (١) .

والعلم عند الغربيين **Science** هو : « مجموعة من المعانى المتكاملة المبادىء والكليات

---

(١) ابن خلدون : المقدمة ٣٦ ط الأزهرية ــ القاهرة ١٣٤٨ هـ ــ ١٩٣٠ م .

العامة ، المُتَعَلِّقة بحقيقة ظاهرة معينة .

ويقوم العلم على أساس الملاحظة والتجربة ، ولا يستند إلى الميول الفردية أو الآراء الشخصية ....

ويمهد العلم السبيل إلى العمل ، كما يساعد الإنسان على تأمين حاجاته بصورة أفضل ، وعلى اتقاء المخاطر التى تتهدده » (1) .

إن الداعية إلى الله بحاجة إلى العلم بكل معنى من معانيه التى سردنا آنفا ، وبحاجة كذلك إلى أنواع من العلم تعد من ضرورات عمله فى مجال الدعوة إلى الله ، وسوف يتضح ذلك عند عرضنا لمفهوم العلم عند أسلافنا ، رضوان الله عليهم فيما يلى :

علماء المسلمين وفقهاؤهم ، يرون أن العلم لا يسمى علما بالمعنى الصحيح للعلم ، إلا إذا دعا إلى العمل ، وهو حينئذ العلم الشرعى الذى مدحه الله سبحانه ، ومدح أهله . كما مدحه الرسول ﷺ .

فهو العلم الباعث على العمل ، وما لم يكن كذلك ، فلا تجد فى الشريعة ما يدل على استحسانه ، أو الدعوة إليه ، فإذا كان باعثا على العمل ، فهو العلم النافع للإنسان فى دينه ودنياه .

فقد روى العلماء عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : « إنما أخاف أن يقال لي يوم القيامة : أعلمت أو جهلت ؟ فأقول : علمت . فلا تبقى آية من كتاب الله آمرة أو زاجرة ، إلا جاءتنى تسألنى فريضتها ، فتسألنى الآمرة ، هل ائتمرت ؟ والزاجرة ، هل ازدجرت ؟ فأعوذ بالله من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعاء لا يسمع » (2) .

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه ـــ أيضا ـــ أنه قال : « إنما أخشى على نفسى أن يقال لى على رءوس الخلائق : ياعويمر هل علمت ؟ فأقول : نعم ، فيقال : ماذا عملت فيما علمت ؟ » (3) .

---

(1) أحمد زكى بدوى : معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية . ٣٦٨ ط بيروت دون تاريخ .

(2) أبو نعيم : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء : ١ / ٢١٣ ط دار الكتب العلمية بيروت دون تاريخ ـــ وهى مصورة .

(3) السابق : ١ / ٢١٤ .

وروى عن أنس بن مالك أنه قال : حدثنى عشرة من أصحاب رسول الله ﷺ ، قالوا : كنا نتدارس العلم فى مسجد قباء ، إذ خرج علينا رسول الله ﷺ ، فقال : « تعلموا ماشئتم ، فلن يأجركم الله ، حتى تعملوا » [1] .

ونعود مرة ثانية إلى ابن خلدون ، فله تفصيلات فى العلم ، ماأحب أن يفوت الدعاة إلى الله الاطلاع عليها ، والتأمل فيها .

يقول ابن خلدون :

« اعلم أن العلوم التى يخوض فيها البشر ويتداولونها فى الأمصار تحصيلا وتعليما ، هى على صنفين :

صنف طبيعى للإنسان يهتدى إليه بفكره ،

وصنف نقلى يأخذه عمن وضعه .

والأول هو : العلوم الحكمية الفلسفية وهى التى يمكن أن يقف عليها الإنسان بطبيعة فكره ، ويهتدى بمداركه البشرية إلى موضوعاتها ، ومسائلها ، وأنحاء براهينها ، ووجوه تعليمها ، حتى يوقفه نظره وبحثه ، على الصواب من الخطأ فيها ، من حيث هو إنسان ذو فكر .

والثانى هو : العلوم النقلية الوضعية ، وهى كلها مستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعى ، ولا مجال فيها للعقل إلا بإلحاق الفروع من مسائلها بالأصول ، لأن الجزئيات الحادثة المتعاقبة لا تندرج تحت النقل الكلى بمجرد وضعه ، فتحتاج إلى الإلحاق بوجه قياسى ، إلا أن هذا القياس ، يتفرع عن الخبر بثبوت الحكم فى الأصل ، وهو نقلى ، فرجع هذا القياس إلى النقل لتفرعه عنه .

وأصل هذه العلوم النقلية كلها ، هى الشرعيات ، من :

الكتاب ،

والسنة التى هى مشروعة لنا من الله ورسوله .

---

(١) الشاطبى : الموافقات : ١ / ٦٤ ط مصورة غير مبين فيها اسم المطبعة بشرح الشيخ عبد الله دراز وضبط الشيخ محمد عبد الله دراز .

وما يتعلق بذلك من العلوم التى تهيؤها للإفادة ،

ثم يستتبع ذلك علوم اللسان العربى الذى هو لسان الملة ، وبه نزل القرآن .

وأصناف هذه العلوم النقلية كثيرة ؛ لأن المكلف يجب عليه أن يعرف أحكام الله تعالى المفروضة عليه ، وعلى أبناء جنسه ، وهى مأخوذة من الكتاب والسنة بالنص ، أو بالإجماع ، أو بالإلحاق[1] ، فلابد من النظر فى الكتاب ببيان ألفاظه أولاً ، وهذا علم التفسير .

ثم بإسناد نقله وروايته إلى النبى ﷺ ، الذى جاء به من عند الله ، واختلاف روايات القراء فى قراءاته ، وهذا هو علم القراءات .

ثم بإسناد السنة إلى أصحابها ، والكلام فى الرواة الناقلين لها ، ومعرفة أحوالهم وعدالتهم ، ليقع الوثوق بأخبارهم ، بعلم ما يجب العمل بمقتضاه من ذلك ، وهذه هى علوم الحديث .

ثم لابد فى استنباط هذه الأحكام من أصولها ، من وجه قانونى يُقَيِّد العلم بكيفية هذا الاستنباط ، وهذا هو علم أصول الفقه .

وبعد هذا تحصيل الثمرة ، بمعرفة أحكام الله تعالى فى أفعال المكلفين وهذا هو : الفقه .

ثم إن التكاليف ، منها بدنى ، ومنها قلبى ، وهو المختص بالإيمان ، وما يجب أن يعتقد ، مما لا يعتقد ، وهذه هى : العقائد الإيمانية فى الذات ، والصفات ، وأمور الحشر ، والنعيم ، والعذاب ، والقدر .

والحجاج عن هذه بالأدلة العقلية هو علم الكلام .

ثم النظر فى القرآن والحديث ، لابد أن تتقدمه العلوم اللسانية لأنه متوقف عليها ، وهى أصناف فمنها :

علم اللغة ،

وعلم النحو ،

---

(١) الإلحاق : هو القياس .

وعلم البيان ،

وعلم الأدب ، حسبما نتكلم عليها كلها .... » [1] .

وبعد : فإن الدعاة إلى الله ، بحاجة إلى هذا العلم الداعى إلى العمل ، وهم بحاجة إلى صنوف العلم النقلية الشرعية كلها ، فذلك من صميم اختصاصهم ، وهى كما قدمنا فى كلام ابن خلدون :

القرآن والتفسير وعلم القراءات ،

والسنة وعلوم الحديث ،

وعلم أصول الفقه والفقه نفسه ،

وعلم الكلام ،

والعلوم اللسانية كلها ؛ وذلك أن طبيعة عمله تتطلب كل هذه العلوم .

ثم هم بحاجة إلى أن يعرفوا من العلوم الطبيعية ، ما يجعلهم قادرين على مواكبة ركب العلوم التقنية والمخترعات ، وما لم يحصل الداعية قدراً من هذا العلم الطبيعى ــ المنطق ، والحساب ، والهندسة ، وعلم الحركة ، وعلم الميكانيكا ، والعلوم الطبيعية ، والفلك ، والجيولوجيا ، والكيمياء ، والبيلوجيا ، وعلم النفس ، وعلم الاجتماع ــ فسوف يجد نفسه منعزلا عن الناس ، وعاجزا عن أن يصل إلى مواطن اهتمامهم ، ويخطو نحو محظور وافد علينا من الغرب ، وهو تقسيم الناس إلى رجال دين ورجال دنيا ، فالأصل عندنا أن المسلمين جميعا رجال الدين الإسلامى ، ورجال الدنيا ، أما المتخصصون فى علوم الشريعة الإسلامية فنسميهم علماء الشريعة .

والعلم بكل هذه المعانى التى أشرنا إليها ، وبكل تلك الأصناف والأقسام التى ذكرنا ، من الصفات المكتسبة التى يستطيع الداعية أن يحصلها ، إذا لم تكن موجودة لديه ، بل يستطيع أن يتفوق فيها ، ويحقق منها أعلى مستوياتها .

والخلاصة : أن الداعية إلى الله ، لكى يقوم بمهام الدعوة خير قيام ، فإن عليه أن يحصل من علوم الدين وعلوم العقل ، ما تتطلبه أعمال الدعوة إلى الله .

---

(١) ابن خلدون : المقدمة : ٣٦٥ نفس الطبعة التى تحدثت عنها آنفا .

٢ ـــ الفقه

سبق لنا فى بداية هذا الباب أن قلنا : إن الفقه هو : التوصل إلى علم غائب ، بعلم شاهد ، فهو أخص من العلم ؛ فكل فقيه عالم ، وليس كل عالم فقيها .

والمعنى اللغوى للفقه هو : الفهم والفطنة ، وفى الحديث الشريف : « من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين » .

والمعنى الاصطلاحى له فى الشريعة هو : العلم الباحث عن الأحكام الشرعية الفرعية العملية ، من حيث استنباطها من الأدلة التفصيلية[١] .

ويفصل ابن خلدون فى تعريف الفقه فيقول :

« الفقه معرفة أحكام الله تعالى ، فى أفْعَال المكلفين بالوجوب والحظر والندب والكراهة والإباحة ..وهى متلقاة من الكتاب والسنة ، وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة ، فإذا استخرجنا الأحكام من تلك الأدلة ، قيل لها : (فقه) .

وكان السلف يستخرجونها من تلك الأدلة على اختلاف فيما بينهم ، ولابد من وقوعه[٢] ، ضرورة أن الأدلة غالبها من النصوص وهى بلغة العرب ، وفى اقتضاءات ألفاظها لكثير من معانيها اختلاف بينهم معروف .

وأيضا : فالسنة مختلفة الطرق فى الثبوت ، وتتعارض فى الأكثر أحكامها ، فتحتاج إلى الترجيح ، وهو مختلف أيضا ، فالأدلة من غير النصوص مختلف فيها .

وأيضا : فالوقائع متجددة لا توفى بها النصوص ، وما كان فيها غير ظاهر فى المنصوص ، فيحمل على المنصوص لمشابهة بينهما .

فهذه كلها إشارات للخلاف ضرورية الوقوع ، ومن هنا وقع الخلاف بين السلف والأئمة من بعدهم .

ثم إن الصحابة كلهم لم يكونوا أهل فتيا ، ولا كان الدين يؤخذ عن جميعهم ، وإنما كان ذلك مختصا بالحاملين للقرآن ، العارفين بناسخه ومنسوخه ، ومتشابهه ومحكمه ،

(١) طاش كبرى زاده : مفتاح دار السعادة ٢ / ٩٤ . وحاجى خليفة : كشف الظنون ٢ / ١٢٨٠ .
(٢) أى الاختلاف .

وسائر دلالته ، بما تلقوه عن النبى ﷺ ، أو ممن سمعه منهم من عليتهم ــ وكانوا يسمون لذلك القراء ، أى الذين يقرءون الكتاب ، لأن العرب كانوا أمة أمية فاختص من كان منهم قارئا للكتاب بهذا الاسم لغرابته يومئذ ، وبقى الأمر كذلك صدر الملة ، ثم عظمت أمصار الإسلام وذهبت الأمية من العرب بممارسة الكتاب ، وتمكن الاستنباط ، وكمل الفقه ، وأصبح صناعة وعلما ، فبدلوا باسم الفقهاء والعلماء من القراء .

وانقسم الفقه فيهم إلى طريقتين :

طريقة أهل الرأى والقياس وهم أهل العراق .

وطريقة أهل الحديث وهم أهل الحجاز .

وكان الحديث قليلا فى أهل العراق لما قدمناه[1] ، فاستكثروا من القياس ، ومهروا فيه ، فلذلك قيل :(أهل الرأى) ومقدم جماعتهم ، الذى استقر المذهب فيه وفى أصحابه : أبو حنيفة .

وإمام أهل الحجاز ، مالك بن أنس ، والشافعى من بعده .

ثم أنكر القياس طائفة من العلماء ، أنكروا العمل به ، وهم الظاهرية ، وجعلوا المدارك كلها منحصرة فى النصوص والإجماع ، وردوا القياس الجلى ، والعلة المنصوصة إلى النص ، لأن النص على العلة ، نص على الحكم فى جميع محالها ، وكان إمام هذا المذهب داود بن على وابنه وأصحابهما .

وكانت هذه المذاهب الثلاثة ، هى مذاهب الجمهور ، المشتهرة بين الأمة .

وشذ أهل البيت ، بمذاهب ابتدعوها ، وفقه انفردوا به ، وبنوه على مذهبهم فى :

تناول بعض الصحابة بالقدح .

وعلى قولهم بعصمة الأئمة ورفع الخلاف عن أقوالهم .

وهى كلها أصول واهية .

وشذ بمثل ذلك الخوارج ، ولم يحتفل الجمهور بمذاهبهم بل أوسعوها جانب الإنكار والقدح ، فلا نعرف شيئا من مذاهبهم ، ولا نروى كتبهم ولا أثر لشىء منها إلا فى مواطنهم .

---

(١) ذكر ذلك فى الفصل السادس من كتاب العلوم وأصنافها ــ فى المقدمة .

فكتب الشيعة فى بلادهم ، وحيث كانت دولتهم قائمة فى المغرب والمشرق واليمن — وكذلك الخوارج .

ثم درس مذهب أهل الظاهر اليوم ، بدروس أئمته ، وإنكار الجمهور على منتحله ، ولم يبق إلا فى الكتب المجلدة ، وربما يعكف كثير من الطالبين ممن تكلف انتحال مذهبهم على تلك الكتب يروم أخذ فقههم منها ومذهبهم ، فلا يخلو بطائل ويصير إلى مخالفة الجمهور وإنكارهم عليه ، وربما عد بهذه النحلة من أهل البدع ، بنقله العلم من الكتب من غير مفتاح المعلمين .

وقد فعل ذلك ابن حزم بالأندلس ، على علو رتبته فى حفظ الحديث ، وصار إلى مذهب أهل الظاهر ، ومهر فيه باجتهاد زعمه فى أقوالهم ، وخالف إمامهم داود ، وتعرض لكثير من أئمة المسلمين ، فنقم الناس عليه ، وأوسعوا مذهبه استهجانا وإنكارا ، وتلقوا كتبه بالإغفال والترك ، حتى إنها ليحظر بيعها بالأسواق ، وربما تُمزق فى بعض الأحيان .

ولم يبق إلا مذهب أهل الرأى من العراق ، وأهل الحديث من الحجاز ، فأما أهل العراق ، فإمامهم الذى استقرت عنده مذاهبهم (أبو حنيفة) النعمان بن ثابت ، ومقامه فى الفقه لا يلحق ، شهد له بذلك أهل جلدته ، وخصوصا (مالك والشافعى).

وأما أهل الحجاز ، فكان إمامهم (مالك بن أنس الأصبحى) إمام دار الهجرة رحمه الله ، واختص بزيادة مدرك آخر للأحكام غير المدارك المعتبرة عند غيره ، وهو : (عمل أهل المدينة) لأنه رأى أنهم فيما ينفسون عليه من فعل وترك متابعون لمن قبلهم ضرورة ؛ لدينهم واقتدائهم وهكذا إلى الجيل المباشر ، لفعل النبى ﷺ ، الآخذين ذلك عنه .

وصار ذلك عنده من أصول الأدلة الشرعية .

وظن كثير أن ذلك من مسائل الإجماع ، فأنكره ، لأن دليل الإجماع لا يخص أهل المدينة من سواهم ، بل هو شامل للأمة .

واعلم أن الإجماع إنما هو الاتفاق على الأمر الدينى عن اجتهاد .

ومالك رحمه الله تعالى لم يعتبر عمل أهل المدينة من هذا المعنى ، وإنما اعتبره من حيث اتباع الجيل بالمشاهدة للجيل ، إلى أن ينتهى إلى الشارع ، صلوات الله عليه وسلامه ، وضرورة اقتدائهم بعين ذلك يعم الملة .....

ثم كان بعد مالك بن أنس ، محمد بن إدريس المطلبى الشافعى رحمهما الله تعالى : رحل إلى العراق ، من بعد مالك ، ولقى أصحاب أبى حنيفة ، وأخذ عنهم ، ومزج طريقة أهل الحجاز ، بطريقة أهل العراق ، واختص بمذهب ، وخالف مالكا رحمه الله تعالى فى كثير من مذهبه .

وجاء من بعدهما (أحمد بن حنبل) ، رحمه الله ، وكان من عِلْية المحدثين ، وقرأ أصحابه على أصحاب أبى حنيفة ، مع وفور بضاعتهم فى الحديث فاختصوا بمذهب آخر .

ووقف التقليد فى الأمصار عند هؤلاء الأربعة ، ودرس المقلدون لمن سواهم ، وسد الناس باب الخلاف وطرقه ، لَمَّا كثر تشعب الاصطلاحات فى العلوم ، ولما عاق عن الوصول إلى رتبة الاجتهاد ، ولما خشى من إسناد ذلك إلى غير أهله ، ومن لا يوثق برأيه ، ولا بدينه ، فصرحوا بالعجز والإعواز ، وردوا الناس إلى تقليد هؤلاء »(1) .

وبعد : فإن الدعاة إلى الله ، ما يجوز أن يفوتهم الاطلاع ، على ما قاله ابن خلدون فى الفقه ، على هذا النحو الذى ذكرنا ، وإن فيه لفائدة عظيمة لهم ، وتشويقا إلى معرفة المزيد ، ولهذا نقلناه كاملا على الرغم من طوله .

إن الداعية إلى الله لابد أن يكون موصوفا بالفقه ، لا يوصف بذلك عن جدارة إلا إذا عرف الفقه تاريخه ورجاله ، ومارسه وتدرب عليه .

ويستطيع الداعية أن يكتسب صفة الفقه بكل معنى من معانيه ، إذا درس كتب الفقه وعاين اجتهادات الفقهاء ، وكان له مع ذلك زاد يتزود به فى طريق الانطلاق نحو أن يصبح فقيها .

ومما هو لازم للداعية إلى الله مع الفقه ، أن يكون عارفا ودارسا لعلم أصول الفقه ، فهو من أعظم علوم الشريعة وأجلها نفعا ، لمن كان يشتغل بالفقه ، والدعاة إلى الله أولى الناس بهذا العلم ، وما يتصل به من علوم ومعارف .

وأصول الفقه علم يعنى بالنظر فى الأدلة الشرعية ، من حيث ما تؤخذ منها الأحكام والتكاليف .

---

(1) ابن خلدون : المقدمة : ٣٧٣ ـــ ٣٧٥ نفس الطبعة التى نقلنا عنها سابقاً

وفى تعريف جامع لعلم أصول الفقه ، يقول حاجى خليفة :

« هو علم بالقواعد التى يتوصل بها إلى استنباط المسائل الفقهية ، والأحكام الشرعية الفرعية ، عن أدلتها الإجمالية .

وموضوعه : الأدلة الشرعية الكلية ، من حيث كيفية استنباط الأحكام الشرعية عنها .

ومبادئه : مأخوذة من العربية ، وبعض العلوم الشرعية كأصول الكلام ، والتفسير ، والحديث ، وبعض العلوم العقلية .

والغرض منه : تحصيل ملكة استنباط الأحكام الشرعية الفرعية من أدلتها الأربعة أعنى : الكتاب والسنة والإجماع والقياس .

وفائدته : استنباط تلك الأحكام على وجه الصحة »[1] .

وهكذا ينبغى أن يكون الداعية إلى الله ، عارفا بعلم الفقه ، وعلم أصول الفقه ، وموصوفا بهذا العلم ، لأن ذلك يمكنه من أداء وظائف الدعوة إلى الله خير أداء .

٣ ــ النشاط

ربما كانت هذه الصفة ــ من حيث هى استعداد فى البدن ــ من الصفات الفطرية التى يهبها الله لمن يشاء من عباده ، ولكنها تدخل فى الصفات المكتسبة ، لأن الإنسان الذى لا يوصف بالنشاط ، يستطيع أن يحصل هذه الصفة ، بتركه للكسل والخمول ، وإقباله على العمل بصدر منشرح ، وقلب محب راغب .

والنشيط كما عرفته كتب اللغة هو : الطيب النفس للعمل ، الذى يخفُّ للعمل ، ويَجِدُّ فيه طيبة نفسه .

والنشاط الذى نقصده هنا هو : كل عملية عقلية ، أو حركية ، أو سلوكية ، يقوم بها الداعى إلى الله ، ويبذل فيها من طاقته ووقته ، مايجعلها تحقق أهدافها ، فى أقصر وقت ممكن .

وهدف الداعية إلى الله ، هو جذب الناس إلى الحق ، وإقبالهم على الله وعلى الدين ،

(١) حاجى خليفة : كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ١ / ١١٠ تصوير لطبعة المثنى ببغداد .

وعلى التمسك بأخلاقه وآدابه .

والداعية إلى الله — من أجل الوصول إلى هذا الهدف النبيل — مطالب بأن يكون له ألوان من النشاط التى تساعد على الوصول إلى هذا الهدف ، وهذه الأنواع من النشاط ، هى فى تصورنا التى تجعله أقرب إلى تحقيق هدفه أو أهدافه ، وأقرب إلى إرضاء ربه سبحانه وتعالى ، وهى :

أولا : نشاط ذاتى مع نفسه :

وهذا النشاط ، يتناول القيام بكل عمل من شأنه أن يساعد الداعية على تحقيق أهداف الدعوة إلى الله ، وهو على نحو مفصل يتناول مايلى :

أ — **النشاط الثقافى ،** بحيث يقرأ ويحصل من ألوان الثقافة ، قدرا كبيرا متنوعا ، يمكنه من الإلمام بما يحيط به من تيارات ثقافية موالية أو معادية ، ثقافة تمكنه من التعرف الدقيق على طبائع الناس ، ما يحبون وما يكرهون ، والتعرف على أهم مفاتيح العقول والقلوب لديهم .

والثقافة — كما سبق أن أوضحنا — مادية : تشمل الأشياء المادية التى يصنعها الإنسان ، كالمسكن ، والأثاث ، والأدوات والملابس ، وكل مظاهر الحياة ، وكل ما يتصل بالإنتاج والتقنية والاختراعات ، وغير مادية : كالمهارات والمعايير والمعرفة والمعتقدات والاتجاهات واللغة والفكر بعامة .

ب — **والنشاط العلمى ،** الذى يحصل به من فنون العلم ، ما يجب أن يتسلح به ، فى مواجهة المواقف ، التى يمر بها ، والناس الذين يدعوهم ، والعديد من القضايا المطروحة على الساحة ، التى يمارس فيها الدعوة إلى الله .

نشاط علمى متخصص فى علوم الإسلام ومتطلبات الدعوة ، ونشاط علمى على مستوى ما يسود المجتمع الذى يمارس الدعوة فيه ، بحيث لا يجوز له — على النحو الذى أوضحنا آنفا — أن يتجاهل شيئا من العلوم والمعارف التى تحيط به ، ولكى يكسر الحاجز الذى صنعه فينا أعداء الإسلام ، إذ عزلوا — على فترات طويلة — بين الدعاة إلى الله والعلوم والمعارف غير الدينية ، يوم كانوا يسيطرون على التعليم فى كثير من بلاد المسلمين .

جـ ــ **والنشاط الحركي** ، الذى يجعله يخالط الناس ، ويدنو منهم ، ومن مشكلاتهم ، ويعمل جاهدا نشطا على تقديم العون لهم ، ولن يكون ذا تأثير فيهم ، إلا إذا أحبهم وعمل على إسداء الخدمات لهم .

وإن على الداعية أن يحب الناس ، وأن يحب الخير لهم ، حتى يضحي محبوبا عندهم ، فإذا وصل إلى هذه الدرجة من حبهم له ، سهل عليه أن يقنعهم بما يريد ، وأن يستميلهم إلى الحق الذى يدعو إليه ، وأن يغرس فى نفوسهم حب الدين ، وحب الخير ، وحب غيرهم من الناس ، بل حب الوطن الذى يعيشون فيه ، وحب العمل ، وحب الإنتاج .

هذا هو النشاط الحركي للداعية إلى الله لا يستطيع أن يمارس عمله فى الدعوة ، إلا أن يكون مَسْروراً به ، مشحونا بالقدر الملائم للعمل من حب الخير للناس الذى يقوم به فى مجال الدعوة إلى الله .

ثانيا : نشاط اجتماعي عام :

وهذا النوع من النشاط ، هو الأصل فى نشاط الداعية إلى الله ، لأن الداعية دائما مشغول بهموم المجتمع وقضاياه ، إذ هى موضوع عمله المتواصل ، تفكرا وتدبرا ، وبحثا عن أحسن الحلول ، وأنسب الأساليب لكل مشكلة ، أو قضية منها .

وهذا النشاط الاجتماعي للداعية ، يجب أن يتشعب ليشمل المجالات التالية :

أ ــ حضور الجماعات فى المساجد التى توجد فى منطقة عمله ، يدعو فيها إلى الله ، مع المحافظة على هذا الحضور ، واستثماره فى التعرف على المصلين ، والتودد إليهم ، وتفقد من يغيب منهم ، وعيادة من يمرض ، وتهنئة من واتته ظروف التهنئة ، وإجابة دعوة من يدعوه منهم ، واستضافة بعضهم فى بيته ، فإن ذلك كله من أوليات النشاط الاجتماعي ، الذى لا يستطيع الداعية أن يتحرك بدونه .

ب ــ إعطاء بعض الدروس للناس فى المساجد مثل :

* دروس فى تعليم قراءة القرآن الكريم وتجويده .

* دروس فى السنة النبوية ، وشرح بعض الأحاديث الشريفة ، شرحا يلائم مستوى السامعين .

* دروس فى السيرة النبوية المطهرة .

* دروس فى الفقه وبخاصة فقه العبادات .

* دروس فى التاريخ الإسلامى .

* دروس فى خدمة البيئة التى يعيش فيها المدعوون .

جـ ـــ القيام بزيارات لوجهاء الحى ، والصالحين منهم بالذات ، وعقد الروابط والصلات بهم ، وتشجيعهم بالموعظة الحسنة ، على ارتياد المساجد ، والإسهام فى الخدمات العامة فى الحى ، بالجهد أو الوقت ، أو بالنصيحة ـــ مع تجنب جمع المال من أحد ، لأن ذلك يسقط هيبة الداعية ويثير حول كلامه وعمله الشكوك والأوهام . فإن كان لابد لخدمة البيئة من جمع تبرعات أو نحوها ، فتشكل لذلك لجنة وتستوفى كل الشروط ، التى تخول لها جمع المال ، وينأى الداعية ، بنفسه عن أن يكون جامعا ، أو أمينا للصندوق ، وإنما ذلك لسواه من صالحى المسلمين .

د ـــ القيام بزيارة أثرياء الحى ، وذوى اليسار منهم ، لكى يشجعهم على إعمار المساجد ، والتبرع لها بالكتب والأثاث والفراش ، ومصابيح الإضاءة ، بدلا من أن يظل المسجد منتظرا الأيام والشهور ، حتى يأتيه مدد من المسئولين الرسميين ، إذ ليس من العدل ، أن يكون كل شىء ، وكل إصلاح واجبا على الحكومة وحدها ، بل يجب أن يكون مجال التعاون بين المسلمين قادرا على تغطية احتياجات بيوت الله ، مع تجنب جمع المال لذلك ـــ كما أوضحنا .

هـ ـــ إرتياد الأندية الثقافية والرياضية والتعرف عليها وعلى من فيها من قرب ، والعمل على التأثير فى روادها تأثيرا حسنا ، يجذبهم نحو الحق ، ونحو التدين والخوف من الله والإقبال عليه ، ويغرس فى نفوسهم حب الواجب ، والإحساس بالتبعة والمسئولية . واتخاذ هذه الأندية وسيلة لإسماع هذه الطائفة من الناس ، صوت الإسلام وكلمة الحق .

ولقد يتصور بعض الدعاة ، أن هذه الأندية شر ورجس ، وأن روادها لا أمل فيهم ، ولا خير للدين يرتجى منهم ، وهذا تصور خاطىء ، أدخل فى الوهم منه فى الحقيقة ، فكل تجمع بشرى فيه الصالح والطالح .

وعلى فرض صحة هذا الوهم ـــ وما أراه صحيحا ـــ فمن يواجه هذا الشر ،

ويعمل على تقليص هذا الرجس ؟ أليسوا هم الدعاة إلى الله ؟

إن انعزال الدعاة عن تلك الأندية بمثل هذه الحجج الواهية ، تسليم بالعجز . واعتراف بالقصور ، وترك للشر — إن وجد — ليستشرى ، ويزيد خطره وهو فى الوقت نفسه ، تخل عن عمل ضرورى فى الدعوة إلى الله .

كما أن الدعاة فى هذه الأندية ، لابد لهم من أسلوب يقوم على الحكمة والموعظة الحسنة ، والحكمة هنا تعنى : أن يفرق الداعية بين جمهور المسجد ، وجمهور النادى ، فيما يقدمه إلى هؤلاء وأولئك .

إن التدقيق فى معنى الحكمة هنا أمر ضرورى ، وإن التحبب إلى جمهور النادى كسب كبير للداعية ، يستطيع أن يستثمره فى صالح الدين والدعوة .

كما أن من الحكمة أن لا يذوب بعض الدعاة ، أو يذيب جهده فى الأندية ، تاركا المجالات الأخرى ، فضلا عن ضرورة التحصن ضد أى عمل يراه فى النادى ، من الأعمال التى لايقرها الإسلام .

وإن المشاركة من الداعية فى أنشطة النوادى ، يمكن أن تشمل مايلى :

* إلقاء محاضرات علمية أو أدبية أولا ، ثم دينية بعد ذلك .
* المشاركة فى الندوات العلمية ، أو الأدبية ، أو الاجتماعية ، أو السياسية ، أو غيرها .
* إلقاء الدروس المبسطة الخفيفة الجاذبة ، التى تتناول عددا من اهتمامات رواد النادى .
* إلقاء الخطب فى المناسبات الخاصة ، أو فى يوم الجمعة أو العيد .
* تنظيم المسابقات العلمية ، أو الأدبية ، أو فى خدمة البيئة .
* الإشراف أو المشاركة فى دراسات اجتماعية ، للتعرف على احتياجات البيئة التى أقيم فيها النادى ، لتدريب رواد النادى على الاهتمام بالمجتمع ، الذى يعيشون فيه .

و — ارتياد المقاهى ، والتحدث إلى من فيها من الناس حديثا ملائما لهم ولظروفهم ، وبحيث تراعى فيه مقتضيات الحكمة كذلك ، فهؤلاء ليسوا كجمهور المسجد ، ولا كجمهور النادى ، فالأصل أن يكون لهم من أساليب الدعوة ، ووسائلها ما

يناسبهم .

إن رواد المقاهي — في كثير من بلاد المسلمين ، وهي بلاد فقيرة في الغالب — يهربون من ضيق مساكنهم وازدحامها ، وسوء إعدادها ، فيهربون إلى المقهى ، بحثا عن الراحة والتسلية ، وإزجاء الفراغ .

وإن الداعية الناجح ، هو الذي يستطيع أن يجتذب هذا العدد الكبير من الناس ، إلى الأندية أو المساجد أو الزيارات المنزلية في المنازل الملائمة .

وقد يستغرب بعض الدعاة من أن النشاط الاجتماعي لهم ، يتطلب ارتياد المقاهي .... غير أنني أذكرهم ، بأن كبار المصلحين من الدعاة الموفقين مارسوا هذا العمل ، وفي مقدمة هؤلاء عالمان جليلان هما :

الشيخ جمال الدين الأفغاني .

والإمام الشهيد حسن البنا .

ومادام المجتمع فيه أماكن لتجمع الناس ، فليذهب الدعاة إلى تلك الأماكن ، وليمارسوا فيها الدعوة إلى الله ؛ لأن المدعوين يُذهب إليهم ، ولا ينتظر منهم هم أن يحضروا إلى الدعاة في أماكنهم ، ذلك واجب الدعاة نحو المدعوين ، كما سنوضح ذلك في الباب الأخير من هذا الكتاب « باب فقه المدعوين » .

ولقد رأيت في بعض بلدان إفريقيا بعض الدعاة ، ينزلون أفخم الفنادق ، وينتظرون أن يحضر إليهم الناس ليستفتوهم — مع العلم بأن هذه الفنادق الفخمة في بعض بلدان إفريقيا ، يحظر على الأفارقة أن يقربوا منها ، فضلا عن أن يدخلوها ويجلسوا فيها مع الدعاة . ولقد كانت تلك غفلة من هؤلاء الدعاة ، وقصور في النظر وإيثار للراحة والدعة — هدانا الله وإياهم ، وأصلح أحوالنا .

ماأجدر الدعاة إلى الله إلى أن يتدبروا في تنقل الرسول ﷺ بين القبائل في موسم الحج وعرض دعوته ونفسه على تلك القبائل ، والذهاب إليهم حيث يوجدون !!!

ثالثا : نشاط فى مجال الدعاة أنفسهم :

وهو نشاط مطلوب ، ومكمل لثقافة الداعية ، ومنضج لشخصيته ومعمق لرؤيته للقضايا ، والمسائل التى تهم الدعاة إلى الله ، وتهم العالم الإسلامى كله .

وهذا النشاط أشبه ما يكون بالدورات غير المنتظمة التى تعقد للدعاة ما بين آن وآخر ، لأن التقاء الدعاة إلى الله بعضهم مع بعض ، ومدارستهم للمشكلات التى تعترض عمل كل واحد منهم ، مع التفكير فى البحث لكل مشكلة عن حل ، ولكل قضية عن علاج ، هو من صميم الصفات التى يجب أن تتوفر فى الداعية إلى الله .

ويمكن لنا هنا أن نقترح أنواعاً لهذا النشاط ، تتمثل فيما يلى :

أ ــ عقد ندوات حول موضوع بعينه من موضوعات العمل الإسلامى ، ليناقشه ويدلى برأيه فيه عدد من الدعاة ، فيزداد بذلك الدعاة خبرة وثقافة .

ب ــ عقد دورات تثقيفية للدعاة ، يقوم بالتدريس والتدريب فيها كبار الدعاة ، وكبار العلماء فى تخصصاتهم المتعددة ، وبخاصة فى المجالات التى لايهتم الدعاة بالقراءة فيها ، أو الاهتمام بها فى الغالب .

جـ ــ عقد مؤتمرات عامة للدعاة فى قطر بعينه من أقطار العالم الإسلامى ، لمدارسة ظروف الدعوة فيه .

د ــ عقد مؤتمرات عامة ، لعدد من الدعاة من كل قطر من أقطار العالم الإسلامى ، لتبادل الرأى والخبرة فى موضوعات بعينها تلزم الدعاة .

هـ ــ عقد مسابقات بين الدعاة فى موضوعات بعينها تطرح للكتابة فيها ــ على أن تختار هذه الموضوعات بدقة ــ ثم يتبارى فيها الدعاة إلى الله ، بإعداد البحوث والدراسات العلمية الهادفة ، ولا بأس أن يكون لتلك المسابقات جوائز مادية أو أدبية .

كل هذه ألوان من النشاط نقترحها ، ليمارسها الدعاة فيما بينهم ، وليستعينوا بها فى شق طريقهم فى الدعوة إلى الله .

٤ ـــ المرونة

المرونة : اللين فى صلابة .

والمرونة : التعود والمهارة .

والمرونة : الدربة .

والمرونة : أن يعتاد الإنسان الأمر ويمرن عليه .

بكل هذه المعانى للكلمة تحدثت معاجم اللغة .

والمرونة فى علم الاجتماع تعنى : العلاقة بين متغيرين ، فالمتغيران طرفان ، والمرونة بينهما تعنى : المدى الذى يصل إلى التغيير فى طرف منهما تجاوبا مع التغيير فى الطرف الآخر .

والذى نعنيه فى مرونة الداعية إلى الله أمور كثيرة أهمها فى تصورنا ثلاثة ، هى عندنا ألزم له من سواها ، وهى :

أ ـــ اللين والرفق فى التعامل مع المدعوين :

وهذا اللين والرفق ، إنما هو أسوة بالمعصوم ﷺ ، فى مواقف معينة وكلمات عديدة منها :

قوله : « اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون » .

وقوله : « دعهم لعل الله يخرج من أصلابهم مؤمنين » .

وقوله : « إن الرفق لايكون فى شىء إلا زانه ولا ينزع من شىء إلا شانه » .

وقوله : « من يحرم الرفق يحرم الخير »[١] .

وقوله : « يا عائشة ، إن الله رفيق يحب الرفق ، ويعطى على الرفق مالا يعطى على العنف ، وما لايعطى على ما سواه »[٢] .

ولقد نبه الله سبحانه وتعالى نبيه الكريم إلى ضرورة أن يكون لينا مع الناس ، رفيقا بهم ، فقال تعالى : ﴿ **فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك** ﴾[٣] .

---

(١) الإمام مسلم : صحيحه .

(٢) الإمام مسلم : صحيحه .

(٣) سورة آل عمران : ١٥٩ .

فمرونة الداعية تعنى : أن يرفق بمن يدعوهم ، ويأخذ بأيديهم نحو الحق والخير والهدى .

ب ـــ الدربة والمهارة فى الدعوة إلى الله :

بحيث يكون الداعية إلى الله ، صاحب قدرات فى هذه المجالات ، يعرف كيف يتأتى إلى الموقف وإلى المدعو ، من حيث ينجح فى التعامل معه ، لكثرة مادرب فى ذلك ، ولكثرة ما مهر فيه من أساليب الدعوة ووسائلها .

الداعية الذى يملك هذه الأدوات ، هو القادر على أن يصل إلى أهدافه من أقصر طريق ، وبأقل قدر من التضحيات ، ولن تتأتى هذه الأدوات للداعية ، إلا أن يعايش مراحل الدعوة وأساليبها ووسائلها ومتطلباتها ، وإلا إذا خالط الدعاة إلى الله ، وأفاد من ذلك ، وقرأ عن كبار الدعاة ، واستوعب الدروس ، وتأسى بالمعصوم ﷺ ، وتأمل مواقفه وكلماته ، وتدبر فيها ، ليعرف كيف كان ﷺ يتعامل مع المواقف والمدعوين .

إنه بذلك يدنو من النجاح والتوفيق .

جـ ـــ القدرة على مواكبة المتغيرات ، ومواجهتها بالأسلوب الإسلامى الملائم :

وتلك أوسع مجالات المرونة وأولاها بالاهتمام ، وذلك أن المتغيرات مستمرة فى حياة الإنسان ، بل هذا الكون كله ـــ سنة الله فى خلقه ـــ والمطلوب من الداعية ألا يقف من المتغيرات ، موقف الرفض والجمود ، ولا موقف القبول المطلق ، وإنما عليه أن يقوم إزاء هذه المتغيرات بعملين بالغى الأهمية ، هما :

الأول : مواكبة المتغير ، الذى يتفق مع أخلاق الإسلام وآدابه ومنهجه ونظامه ؛ أى تقبله مادام يحقق مصلحة للمسلمين .

والثانى : مواجهة المتغير الذى يختلف مع أخلاق الإسلام وآدابه ومنهجه ونظامه ، مواجهة تعدل ما فيه من زيغ أو انحراف عن مسار القيم الإسلامية ، فإن أمكن ذلك قبله ، وإلا رفضه وحال بينه وبين الانتشار .

ومابين مواكبة المتغيرات ، ومواجهتها ، يحار كثير من الدعاة ، إذ تختلط عليهم الأمور ، وتغيم الرؤية ، فينقسم بعض الدعاة الذين لا تتوفر فيهم المرونة إلى قسمين :

قسم : يرى فى كل متغير شراً وضرراً وخروجاً على أصول رسمها هو فى نفسه للحياة ، وما يجب أن يسودها من عادات ، فيقف من هذا المتغير ، موقف المعاند الرافض له ، جملة

وتفصيلا ، لأنه متغير يصطدم مارسمه فى نفسه ، لما يجب أن تكون عليه حياة الناس ، بل بعضهم يسرف فى حرب هذا المتغير والداعين إليه ، كأنه رجس من عمل الشيطان .

وهؤلاء الدعاة أدنى إلى الوقوع فى صراعات مع المتغيرات نفسها ؛ إذ يحرمون أنفسهم من الاستفادة منها ــ وقد تكون مفيدة ــ أو فى صراع مع دعاة هذا التغيير ــ وهم فى الغالب تساندهم المؤسسات الحكومية ، وجمهور غفير من الناس ، الذين يرحبون بكل جديد ، ويضيقون بكل قديم .

وهذه الصراعات ما كانت لتكون ، لو أن هذا القسم من الدعاة ، كان متمتعا بالمرونة ، التى نتحدث عنها ، لا على حساب شىء مما جاء به الإسلام .

وتكون النتيجة تعويق العمل الإسلامى ، بشغل العاملين فى هذه الصراعات ، وإعطاء الفرصة لأعداء العمل الإسلامى ، أن يتهموا الإسلاميين بالرجعة والعودة بالناس إلى الوراء ، وبالجمود ورفض كل جديد ، ثم ينقلون هذه التهم من الدعاة المسلمين ، إلى الإسلام نفسه .

وتاريخنا الحديث حافل بمئات الشواهد على ذلك هنا وهناك ، بل إن بعض الحكومات العلمانية الرافضة للشريعة الإسلامية لا توجه ضرباتها الشرسة للإسلاميين ، إلا وتسبق ذلك بحملة إعلامية تشوه بها هذا القسم من الدعاة ، وتشوه كل من يستجيب لهم ، التهيىء بذلك الرأى العام لتقبل أى ضربات توجهها إلى الإسلاميين .

وما أكثر ما حدث هذا فى كثير من بلدان المسلمين !!!

ثم إن أعداء الإسلام الأصلاء من غير المسلمين من شرق وغرب ، يخوضون فى هذه الصراعات مسهمين فيها بالتقارير السرية ، ووجهات النظر الخبيثة ، التى تخوف بعض الحكام من الإسلاميين ، بزعم أنهم سوف يطيحون بأنظمة الحكم ، نافذين إلى قلوب الحكام وعقولهم بمقولة ، إن هؤلاء الإسلاميين جامدون معادون لكل متغير ، ولكل جديد بل لكل مفيد .

ولو تعامل هذا القسم من الدعاة ، مع المتغيرات بموضوعية ونظر إسلامى صحيح إلى هذه المتغيرات ، لقبلوا منها مالا يتعارض مع الإسلام ، ورفضوا ما يتعارض ، فربحوا الاستفادة من هذه المتغيرات ــ إن كان فيها فائدة ــ ولجنبوا أنفسهم والعمل الإسلامى

كله عناء هذه الصراعات ، ومغبة تعويق العمل الإسلامي .

ومن يقل بغير ذلك من هذا القسم من الدعاة ، فعليه أن يعيد القراءة والتدبر في نصوص الدين الذي يدعو إليه ، كما أن عليه أن يراجع التاريخ ويعيد قراءته ، فإنه سوف يجد نفسه ، بل سوف يجد العمل الإسلامي كله بحاجة إلى هذا القدر من المرونة الذي ألمحنا إليه ، حتى يجنب نفسه ومن معه ، ضرر تعويق العمل الإسلامي من جانب ، وتشويه الإسلام والمسلمين من جانب آخر .

وقسم : لديه من المرونة أكثر مما يجب ، بل لديه منها قدراً قد يدخل به في حد التمييع والذوبان في كل متغير أو كل جديد ، والتخلي عن الأصالة ، حين يقبل كل جديد ، دون تمييز بين هذه المتغيرات .

إن هذا القسم يسيء إلى العمل الإسلامي ، بل يضليله بهذا الموقف غير المدروس ، ويسيء إلى الإسلام نفسه ، إذ يمزج بين قيم الإسلام وأخلاقه ومنهجه ، والقيم والأخلاق والمناهج التي تعارض ما جاء به الإسلام .

إن بعض هؤلاء يبررون لبعض المسلمين بحجة الحداثة ، ومواكبة المتغيرات ما لا يجوز تبريره ، من مثل :

أ — قبولهم لأن تكشف المرأة شعرها وبعض ذراعيها ، مما أمر الله بستره بحجة أنها تعيش في مجتمعات تفعل فيها النساء ذلك ، أو بحجج أخرى ، بل بغير حجج أحيانا .

ب — قبول التعامل بالربويات ،

جـ — قبول زواج المسلمة من غير مسلم ،

د — قبولهم ببعض النظريات والمذاهب السياسية ، التي تخالف كثيرا من مبادئ الإسلام .

هـ — قبولهم ما يردده بعض الحاقدين على الإسلام ، من التشكيك في السنة النبوية ، بتشكيكهم في رواتها وروايتها الشفهية — وهي شنشنة نعرفها من أخزم — فهي تتردد على ألسنة أعداء الإسلام في كل حين ، وعلى فترات تكاد تكون منتظمة ، وينعق بها بعض المسلمين دون وعي ، أو بسوء نية ، من غير تدقيق

فى أبعادها وأهدافها ، ولتلك قصة فى تاريخنا الحديث يطول شرحها . فكم بلى المسلمون ، على فترات عديدة من تاريخهم ، بهذه الأباطيل .

إن هذا القسم من الدعاة مجانب للصواب ، مثل القسم الأول ، سواء بسواء ، بل إن خطر هذا القسم على المدى البعيد ، أشد إضرارا بالإسلام والمسلمين من القسم الأول ، وذلك أن القسم الأول ، بموقفه الرافض دون وعى ، يدخل فى تلك الصراعات ، ويعوق مسيرة العمل الإسلامى فحسب ، أما هذا القسم ، فإنه يسهم فى تذويب الشخصية الإسلامية ، وتمييع المعالم البارزة لمنهج الإسلام وقيمه وأخلاقه وهذا ــ بغير شك ــ أخطر وأشد ضررا من ذاك .

وكما قلنا هناك ، نقول هنا : إن هذا القسم من الدعاة ، ما ينبغى أن يقبل على كل متغير لمجرد أنه جديد ، وإنما عليه أن ينظر فى هذا المتغير ، ليقبل منه ما لا يتعارض مع منهج الإسلام ، وقيمه وأخلاقه ، ويرفض ما سواه .

تلك هى المرونة التى نعدها من أهم صفات الدعاة إلى الله ، وندعو كل داعية إلى أن يتحلى بها فى هذا الإطار من الموضوعية .

٥ ــ الأمل فى الله

الأمل هو : الرجاء ،

أو الرجاء فيما يستبعد حصوله .

والداعية إلى الله ، لابد أن يملأ نفسه الأمل فى الله ، وفى نصره وتأييده ، وإظهار دينه ، وإعلاء الحق ، وألا يخالجه أدنى شك ، فى أن الله سبحانه ، سوف ينصر المؤمنين ، ويعزهم بالدين ، ويعز الدين بهم ، فقد وعد الله سبحانه وتعالى بذلك فى محكم كتابه فقال تعالى :

﴿ هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا ﴾ [1] .

---

(١) سورة الفتح : ٢٨ .

وقال جل شأنه : ﴿ **وكان حقا علينا نصر المؤمنين** ﴾[1] .

وقال سبحانه : ﴿ **إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد** ﴾[2] .

وقال جل وعلا : ﴿ **يأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** ﴾[3] .

وقال سبحانه : ﴿ **كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز** ﴾[4] .

كل هذه الآيات الكريمة ، وغيرها فى القرآن الكريم ، يجب أن تبعث الأمل فى نفس الداعية إلى الله فى مستقبل العمل الإسلامى ، ليقبل على عمله وعنده هذا الأمل العظيم .

إن الداعية إلى الله ، وهو يحدوه هذا الأمل العظيم ، لابد أن يدرك بدقة ، أنه لا أمل بلا عمل أو بغير ثقة فى الله ، أو بغير صبر على المكاره ، أو بغير رضا بقضاء الله وقدره .

وهذا الإدراك يتطلب من الداعية مايلى :

أ ـــ المبادرة إلى العمل ، والتجويد فيه ، وقصد وجه الله به ، فإنه لا أمل بلا عمل ، ولا عمل بلا نية وإخلاص لله .

وإذا كان الداعية آملا بغير عمل ، فإنه أبعد ما يكون عن الكياسة والفطنة ، وما يليق هذا بالدعاة إلى الله ، فالمؤمن كيس فطن ، و « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعدالموت » [5] هذا شأن الداعية فى العمل .

ب ـــ الثقة بالله ، وحسن الظن به سبحانه ، فقد روى الإمام مسلم بسنده ، عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى » [6] .

وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : بقول الله عز وجل : أنا عند ظن عبدى بى ... » [7] .

---

(1) سورة الروم : ٤ .
(2) سورة غافر : ٥١ .
(3) سورة محمد : ٧ .
(4) سورة المجادلة : ٢١ .
(5) الترمذى : صحيحه : باب القيامة .
(6) الإمام مسلم : صحيحه : باب حسن الظن .
(7) البخارى : صحيحه : باب التوحيد ، والإمام مسلم : باب التوبة .

أخباركم ﴾[1] .

وقد كثرت فى السنة النبوية ، الأحاديث التى تثنى على الصبر على قضاء الله وقدره ، ونذكر منها :

ما رواه الشيخان بسندهما ، عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ... وما أعطى أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر »[2] .

وروى مسلم بسنده ، عن صهيب بن سنان رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « عجبا لأمر المؤمن ، إن أمره كله له خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن : إن أصابته سراء شكر ، فكان خيرا له ، وإن أصابته ضراء صبر ، فكان خيرا له »[3] .

وروى الشيخان بسندهما ، عن أبى سعيد ، وأبى هريرة رضى الله عنهما ، عن النبى ﷺ قال : « ما يصيب المسلم من نصب ، ولا وصب ، ولا هم ، ولا حزن ، ولا أذى ، ولا غم ، حتى الشوكة يشاكها ، إلا كفر الله بها من خطاياه »[4] .

وعندما يستعظم أحد الدعاة إلى الله ما يصيبه فى سبيل الله فليتذكر وليتدبر ما رواه أبو داود بسنده ، عن خباب بن الأرت رضى الله عنه قال : شكونا إلى رسول الله ﷺ ، وهو متوسد بردة له فى ظل الكعبة فقلنا : ألا تستنصر لنا ، ألا تدعو لنا ؟ فقال : « قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل ، فيحفر له فى الأرض ، فيجعل فيها ، ثم يؤتى بالمنشار ، فيوضع على رأسه ، فيجعل نصفين ، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ، ما يصده ذلك عن دينه ، والله ليتمن الله هذا الأمر ، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ، لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون »[5] .

ليتذكر الداعية إلى الله ذلك ، وليتدبره ليجد فى نفسه بردا وسلاما ، وليجد الرضى بقضاء الله وقدره الذى نتحدث عنه هنا ، على أنه صفة أساسية من

. : ٣١ .
(٢) البخارى : صحيحه : باب الرقائق ، ومسلم : باب الزكاة .
: صحيحه : باب الزهد .
(٤) البخاري : صحيحه : باب المرض ، ومسلم : باب البر .
سننه : باب الجهاد .

صفات الدعاة إلى الله ، يواجه بها كل مكروه يصيبه فى سبيل الدعوة إلى الله .

وإن من الكلمات الرائعة الصائبة القادرة على التعرف على أهداف أعداء الدعوة ، وما يكيدون به للدعاة إلى الله ، ما قاله الإمام المؤسس لجماعة الإخوان المسلمين ـــ موجها ذلك الكلام إلى إخوانه ، الذين يشقون معه الطريق فى الدعوة إلى الله ، يرسم لهم فيه معالم طريق رجال الدعوات ، وما ينتظرهم على هذه الطريق من متاعب ومشقات ، قال ذلك ودعوة الإخوان المسلمين لم يمض على تأسيسها سوى عقد من السنين أو يزيد قليلا ، فقد أسست الجماعة عام ١٣٤٧ هـ ـــ ١٩٢٨ م ، وجاء ذلك فى رسالة : بين الأمس واليوم ـــ تحت عنوان « عقبات فى طريقنا » ـــ قال : « أحب أن أصارحكم أن دعوتكم لا زالت مجهولة عند كثير من الناس ، ويوم يعرفونها ويدركون مراميها وأهدافها ، ستلقى منهم خصومة شديدة ، وعداوة قاسية ، وستجدون أمامكم كثيرا من المشقات ، وسيعترضكم كثير من العقبات .

وفى هذا الوقت وحده ، تكونون قد بدأتم تسلكون سبيل أصحاب الدعوات .

أما الآن ، فلا زلتم مجهولين ، ولا زلتم تمهدون للدعوة ، وتستعدون لما تتطلبه من كفاح وجهاد .

سيقف جهل الشعب بحقيقة الإسلام عقبة فى طريقكم ، وستجدون من أهل التدين ، ومن العلماء الرسميين من يستغرب فهمكم للإسلام ، وينكر عليكم جهادكم فى سبيله .

وسيحقد عليكم الرؤساء والزعماء وذوو الجاه والسلطان ، وستقف فى وجهكم كل الحكومات على السواء .

وستحاول كل حكومة أن تحد من نشاطكم ، وأن تضع العراقيل فى طريقكم .

وسيتذرع الغاصبون (١) بكل طريق لمناهضتكم ، وإطفاء نور دعوتكم ، وسيستعينون فى ذلك بالحكومات الضعيفة ، والأخلاق الضعيفة ، والأيدى الممتدة

(١) يقصد من احتلوا أرض مصر وهم الإنجليز فى ذلك الوقت .

ظاهرين ﴾ (١) .

فهل أنتم مصرون على أن تكونوا أنصار الله » (٢) .

وبعـد : فتلك صورة مجملة للصفات التى يجب أن تتوفر فى الداعية إلى الله ، فى مجال الصفات المكتسبة التى يستطيع أن يتعلمها ويكتسبها ، إذا كان محروما منها ، ويستطيع أن ينميها ويزكيها ، إذا كانت موجودة لديه .

وعلى وجه الإجمال : فإن كل ما تحدثنا عنه من أهلية فى مراحل الدعوة ، التى اشتمل عليها الباب الثانى من هذا الكتاب ، ينبغى أن تتضاعف شروطها ، وأن تتعدد إلى غير ما حد متطلباتها عندما نكون بصدد الحديث عن الدعاة إلى الله ، فالدعاة إلى الله هم قادة العمل الإسلامى ، فى كل مستوى من مستوياته ، وفى كل مراحل الدعوة .

وإذا كنا ندقق كثيرا فى الشروط والصفات التى تؤهل الداعية إلى الله لممارسة الدعوة ، فإنه من الواجب علينا أن نتحدث ــ إكمالا لمنهجية البحث ــ عن كيفية إعداد هؤلاء الدعاة ، لأنهم لا يولدون دعاة ، وإنما يعدون وفق خطة وبرنامج ، ولهذا البرنامج أصول وفروع .

نرجو الله أن يوفقنا فى إلقاء ضوء ، أو بصيص ضوء على ذلك ، فنحن ــ وتلك بضاعتنا المزجاة ــ لا نملك غير بصيص الضوء ، ولعل غيرنا من الراسخين فى العلم ، يرون فى عملنا هذا ما يحفز هممهم على إكماله .

والله ولى التوفيق .

---

(١) سورة الصف : ١٠ ــ ١٤ .

(٢) رسالة بين الأمس واليوم .

الفصل الثالث

إعداد الداعي إلى الله

ويتناول :

تمهيداً وعدداً من النقاط :

أولا : الإعداد النفسيّ والخلقي .

ثانيا : الإعداد الثقافي النظري والعملي .

ثالثا : الإعداد الفني .

رابعا : الإعداد العملي التدريبي .

الدعاة يلامون مع هذه الحكومات ، على كل انحراف عن آداب الإسلام وأخلاقياته ومنهجه ونظامه ، لأنهم ـــ كما أوضحنا ـــ قد أصبحوا مع هذه الحكومات فى كفة واحدة .

ومادام الأمر كذلك ، فإن الداعية الرسمى ، مهما أوتى من قوة فى أدائه لعمله ، ومهما توفر فيه من قدرة على الإمتاع والإقناع بما يقول ، فإنه لن يبلغ من نفوس سامعيه ، مبلغ الثقة فيما يقول ، حتى تتولد عن كلماته الاستجابة لما يدعو إليه ، بل أكثر من ذلك يحدث فى هذا الموقف ، قد يحدث نفور من هذا الداعية ، لشعور الناس نحوه أنه مشارك فى كل انحراف عن آداب الإسلام وأخلاقه ومنهجه ، الأمر الذى يجعل بعض الناس يتهمونه بالنفاق ـــ والعياذ بالله ـــ وما هو بذلك ولكنها مطالب الوظيفة . فهل يعذره الناس ؟

وطالما سمعنا عن مشاهير الدعاة ، الذين كانوا موضع إعجاب وتقدير من سامعيهم ، أنهم فقدوا هذه المشاعر لدى الناس ، لأنهم تحولوا إلى موظفين فى حكومات معينة ، لا تطبق الشريعة الإسلامية فى نظام حكمها ، فعدهم الناس مشاركين فى هذه السياسة ، أو راضين عنها .

وقد يكون بعض هؤلاء الدعاة مظلومين فى الحكم عليهم على هذا النحو ، لما يخضعون له من إكراه مادى أو أدبى ـــ وهذا الإكراه غير مستبعد على حكومة لا تطبق شرع الله فى نظامها ـــ وجزاء هؤلاء الدعاة على الله وحده .

وقد يكون بعضهم تابعا حقيقيا للسلطة التى يعمل فى وظائفها ، ينفذ لها ما تملى عليه عن اقتناع منه بسياستها ، ولا عجب فى هذا ، فإن أسلوب إعداد الدعاة ووسائل هذا الإعداد ، قد تؤدى عند بعضهم إلى اضطراب المعايير ، وقتامة تحول بينه وبين الرؤية الصحيحة .

كثيرا مارأينا هذا وذاك ، فهش الناس لمن وجدوا فى كلامه ودعوته لهجة الصدق ، ولمسوا فيه قلة الحول والحيلة مع هذه الحكومات ، ونفر الناس تماما ممن وجدوه منساقا وراء ما تطالبه السلطة أن يذيعه فى الناس ، حتى أصبح كأنما هو أداة حكومية موجَّهة وموجِّهة كوسائل الإعلام فى معظم بلدان العالم الإسلامى .

ولهذا يخسر بعض الدعاة إلى الله مواقف ومواقع ومكانة ومكانا إذ ينعزلون عن مشاعر الناس ويكونون موضع الريبة والاتهام ، وحسبهم بذلك خسارة .

فما المخرج من هذا المأزق ــ مأزق إشراف الحكومات على إعداد الدعاة ، ومأزق توظيف الدعاة فى وظائف حكومية ؟

إنه مأزق حقيقى ، لأنه أدى إلى هذه الخسارة فى الوقت الذى يأمل فيه كل مسلم أن يكون الدعاة إلى الله هم كلمة الحق نفسها .

كيف يخرج الدعاة من هذا المأزق ؟ وهو مأزق مزدوج .

ثم كيف الخروج من مأزق ثالث ، هو تبعية هؤلاء الدعاة فى كثير من بلدان العالم الإسلامى ، لوزارات تدعى وزارات الأوقاف ؟ وهذه الوزارات ، بهذه التسمية ، فقدت محتوى هذه التسمية فى كثير من بلدان العالم الإسلامى ، وتلك التبعية من الدعاة لها ، مثار استخفاف من بعض الناس .

إنها مآزق ثلاثة نتصور أن الخروج منها ضرورى لصالح الدعوة والدعاة ، ونتصور الخروج ــ من وجهة نظرنا ــ على النحو التالى :

المأزق الأول : إعداد الحكومات للدعاة :

إن تكوين جمعيات ، أو جماعات إسلامية خيرية ، من بعض المسلمين الراغبين فى عمل الخير ، ومن القادرين على دعم هذه الجمعيات ، أو الجماعات ، ماديا وأدبيا ، وربما علميا ، أمر ضرورى ، حيث يعهد لهذه الجمعيات ، بتولى إعداد الدعاة ــ بعيدا عن سيطرة الحكومات ، بأن تنشىء هذه الجمعيات معاهد خاصة ، لإعداد الدعاة مع مَدِّ هذه المعاهد ، بكل أسباب النجاح ، ماديا وعلميا وفنيا وأدبيا .

إن هذه الجمعيات أو الجماعات ، تستطيع فى هذا المجال ، أن تفعل الكثير ، وإن لنا فى تاريخنا معشر المسلمين لشواهد وشواهد ، على إمكان ذلك وفائدته .

إن بعض أسلافنا ــ رحمهم الله ــ لما أرادوا للتعليم الإسلامى بالذات ، أن يكون بعيدا عن سيطرة بعض الحكومات ، وبعيدا عن الضوائق المالية التى قد تقع فيها الحكومات ، وقفوا الأوقاف وأجروا الجرايات على طلاب العلم ، حسبة لوجه الله تعالى ، وابتغاء مرضاته ، وتحريرا للعلم والعلماء من ربقة التبعية لحكومة بعينها ، فتحرر العلم ، وتحرر الدعاة ، من القيود التى قد تفرضها هذه الحكومات .

وظل هذا النظام معمولا به فترات طويلة ، حتى ظهرت الحكومات المستبدة الخائفة ،

التى ترغب فى أن تسيطر على كل شىء ، حتى العلم والمتعلمين ، فافتتحت هى المدارس — وإن كان ذلك واجبا — وأنفقت عليها ، وانفردت من أجل ذلك بوضع الخطة والمنهج ، وإعداد من يقوم بالتعليم ، وتوظيفهم بعد تخرجهم ، فتحولوا إلى أتباع لها ، منفذين لسياستها .

ثم جاءت حكومات ، أكثر ظلما وافتياتا على حقوق الناس فى تعلم حر ، فمنعت عن التعليم — وخصوصا الإسلامى منه ، الذى وقفت له الأوقاف — تلك الموارد التى تأتى من الوقف والجرايات ، فألغت الأوقاف مفتاتة على نيات الواقفين فى توجيه أموالهم ، وحولت هذه الأوقاف والجرايات عن مقاصدها ، وجعلتها جميعا تئول إلى خزانة الدولة ، لتنفق منها الدولة على ما هو حلال ، وما هو حرام .

وكان هذا خلطا ليس كمثله خلط ، وجهلا بالدين أو تجاهلا له ، ليس كمثله جهل ، ثم عجزت هذه الحكومات عن الإنفاق على التعليم ، كعجزها عن الإنفاق على غيره ، لأنها حكومات ظلم واستبداد ، ونال الدعاة وإعدادهم ما نال سواهم من المتعلمين ، وأصبحت هذه الحكومات تنفق على تعليم أى تعليم ، ففسدت الخطة ، وفسد المنهج ، وضعف المعلم ، وساء المبنى ، فكان على مثال ذلك الفساد المتخرج من هذا التعليم .

وترتب على ذلك أن توقف محبو الخير عن الوقف لله تعالى من أموالهم على العلم والتعليم ، وكفوا أيديهم — ومنهم عدد كبير قادر — عن تقديم أى عون لهذه الحكومات ، إذ كيف يمدونها ، وهم ضحايا نظمها وقوانينها وسياستها ، فغرقت هذه الحكومات فى مشكلات التعليم ، ولم تستطع أن تقدم تعليما جيدا ، وأحست بهذا الفشل — وكان ذلك على مستوى العالم الإسلامى معظمه — فهمس لها الأعداء ، الذين يلبسون ثوب الأصدقاء ، وزينوا لها أن سد هذا الخلل ، إنما يكون ببعث أعداد من الطلاب يتعلمون فى الغرب ، ففعلت ، فوقعت بذلك فى مشكلة وطنية وخيمة العواقب ، إذ عاد الطلاب إلى بلادهم ، وهم يحملون الولاء لمن علموهم ، كما عادوا وقد فقد كثير منهم قيمه وأخلاقه وآداب دينه ، ولأن تلك البلاد الأوربية ، كانت مسيطرة آنذاك ، على أغلب بلدان العالم الإسلامى ، فإنها عمدت — بالتفاهم مع بعض حكومات المسلمين — إلى توسيد هؤلاء الذى خرجتهم أوربا فى معاهدها السلطات فى مختلف مرافق البلاد ، ومنها أو على رأسها التعليم .

فكان ما كان من أخذٍ من حضارة الغرب فى الفكر والثقافة والأخلاق والآداب ، وكان أن أصبح نظام الحكم كله ، غَرْبيا غَرِيبا عن الإسلام والمسلمين « الدستور الذى يحكم بلاد المسلمين مستورَد » وبالتالى فإن النظم كلها لابد أن تكون غريبة عن الإسلام ، وقد كان ، وما أطول الزمن الذى تقطعه هذه الحكومات ، حتى تعود إلى انتمائها الصحيح لدينها ، وولائها الحقيقى لوطنها .

وأما معاهد أو كليات إعداد الدعاة ، فلو كان فى الغرب معاهد تعد الدعاة الإسلاميين ، لبعثت تلك الحكومات إليها بالدعاة !!! فبقيت هذه الجامعات أو المعاهد العليا ، التى تعد الدعاة ، تمارس عملها فى ظل حكومات لا تطبق شرع الله ، فخرجت دعاة يعانون عجزا وقصورا ، ويتحدثون لغة الحكام ، ويعبرون عن سياستهم ، فكان ما كان من عجز الدعاة الرسميين ، عن أن ينفذوا إلى عقول الناس وقلوبهم ، فحدث هذا الانعزال ، وذاك النفور ، الذى تحدثنا عنه ، وتلك قضية على جانب كبير من الخطر .

هذه مقترحاتنا فى الخروج من المأزق الأول ، وهو رأى قابل للتعديل بالحذف والإضافة ، ولكنه وليد رؤية نظرية عملية لمشكلة إعداد الدعاة إلى الله ، فى معظم بلدان العالم الإسلامى ، التى رأيت .

إن هذه الجمعيات ، التى اقترحت لإعداد الدعاة إلى الله ، هى الحل ، وإن كل وطن مسلم ، لن يعدم أن يجد من بين أبنائه من الغيورين على دينهم القادرين على البذل والتضحية ، ومن العلماء من يسدون هذا الفراغ ، ويخرجون الدعاة من هذا المأزق .

المأزق الثانى : توظيف الحكومات للدعاة :

وأما المأزق الثانى ، فهو توظيف هذه الحكومات للدعاة ، وتحويلهم بهذه الوظائف إلى منفذين لسياسة هذه الحكومات ، ضاربين بسيفها أحيانا ــ على حد المثل القائل بذلك .

إن التخلص من هذا المأزق يكون ــ فى تصورنا ــ بإلحاق هؤلاء الدعاة بتلك الجمعيات الإسلامية ، فيكون عملهم من خلالها ، ورواتبهم منها ، وهى مأمونة ــ بحكم تكوينها ــ من أن تسيطر على الدعاة وتحولهم عن كلمة الحق إلى سواها .

أو يكون عمل الداعية إلى الله ، عملا يتبرع به الداعية ، حسبة لوجه الله تعالى ، وله مجال رزق آخر يقتات منه ، وتاريخنا الإسلامى يعطينا على إمكان ذلك أقوى الأدلة والبراهين .

إن أسلافنا من العلماء والمصلحين والمجددين لأمر هذا الدين بل أصحاب المذاهب أنفسهم رضى الله عنهم جميعا ، كانوا أصحاب حرف يقتاتون منها ، ومع ذلك فقد أعطوا الدعوة إلى الله من الجهد والوقت ما جعلهم فى تاريخنا مصابيح هدى ورموز إخلاص لهذا الدين .

وليس معنى ذلك ــ كما قد يتبادر إلى بعض الأذهان ــ أن هؤلاء الدعاة الذين لا يخضعون لسلطان الحكومات ، سوف يكونون حربا على تلك الحكومات ، لأن الدعوة إلى الله لها أهدافها ، ولها أساليبها ووسائلها ، هى دائما تسعى فى مسالك الحكمة والموعظة الحسنة ، والجدال بالتى أحسن ، فكل ما كان من هذه الوسائل ، فهو مشروع ، وهو أدب الإسلام فى الدعوة إلى الله .

وإن توجيه النصح إلى بعض الحكام فى بعض الأحيان ، لا يسىء إلى حاكم أبدا ، وإنما الذي يسىء إليه حقيقة هو منعه الناصحين من نصحه ، واستبداده برأيه ، وتصوره أنه وحده الذى على الصواب .

ويا حبذا لو كان لكل جمعية من هذه الجمعيات أو للجمعيات كلها على مستوى العالم الإسلامى ، دستور مهنى ، يلتزم كل الدعاة به ، بحيث يكون نابعا من الإسلام ، ومترسما خطى الدعاة إلى الله من الأنبياء والرسل .

ويا حبذا لو كان لهذه الجمعيات فى العالم الإسلامى كله ، مؤتمر سنوى ، يعقد كل عام فى بلد من بلدان المسلمين ، يحضره قادة هذه الجمعيات والمشرفون عليها ــ ليتدارسوا شئون الدعوة والدعاة ، والمشكلات والعقبات التى تعترض طريقهم فى العمل .

لو تم هذا لجنينا من ورائه خيرا كثيرا .

المأزق الثالث : تبعية الدعاة لوزارات الأوقاف :

وأما تبعية دعاة اليوم فى كثير من بلدان العالم الإسلام لوزارة ، تدعى وزارة الأوقاف ، فإن ذلك مما يثير السخرية بالدعاة وبالمهمة الجليلة التى يقومون بها ، وإن ذلك ليحتاج إلى تعديل .

لماذا لا تنشأ فى كل بلد مسلم ، وزارة تسمى وزارة « الدعوة الإسلامية » ؟ إذا كانت هذه الحكومات التى تشرف على إعداد الدعاة إلى الله ، تريد أن تقدم مصداقية لإشرافها على هذا الإعداد ؟

ومع تحفظنا على قيامها بإعداد الدعاة ، فإن قيامها بإنشاء هذه الوزارة ، يكون من أضعف الإيمان ، بل ربما يكون بداية للتفكير الجاد ، فى أمر الدعوة والدعاة ، وإعطائها الأهمية التى تلائم وتوائم .

ألا توحى تبعية الدعاة إلى وزارات الأوقاف بأنهم جمدوا وتحولوا إلى تاريخ وتراث ، كتلك الأوقاف التى تشرف عليها الوزارة ؟ أليست وزارة الدعوة الإسلامية أجدر بعمل الدعاة وأليق ؟

ثم هناك شيء هام ، هو أن هذه الوزارات المسماة بوزارات الأوقاف فى بعض البلدان الإسلامية ، لماذا تصر على صرف أموال هذه الأوقاف فى غير وجهها وتحويلها عن مقصدها ؟ أتتحمل عبء هذا ووزره أمام الله ، إنه وزر الافتيات على نية الواقف وإرادته ، وقد أفضى إلى ربه ، من يقدر على تحمل هذا الوزر ، كلما أنفق شيء من هذا المال ، فى غير وجهه الذى أراده الواقف ؟

وإذا كان فى الأوقاف ، ماأوقف على الإنفاق على بعض المرافق فيها ، وهذا لا يحتاج إلى وزارة ، وإنما تكفيه إدارة مالية ، تتبع وزارة الخزانة مثلا ، أو الجهة التى تدير أملاك الدولة وأموالها .

ولابد لى من ذكر أنموذج ناجح ، لإحدى الجمعيات التى نجحت تماما ، فى إعداد الدعاة بعيدا عن سيطرة الحكومات وكلياتها ومعاهدها التقليدية ، هذه الجماعة هى : « جماعة الإخوان المسلمين » التى أسسها الإمام البنا بمصر عام ١٣٤٧ هـ ــ ١٩٢٨ م وامتدت من مصر إلى معظم بلاد العالم .

هذه الجماعة كان من بين أنشطتها تكوين مدرسة سميت « مدرسة الدعاة » على مستوى المركز العام للجماعة حينا ، وعلى مستوى المناطق التابعة للجماعة أحيانا ــ كما تحدثت بذلك الوثائق ، والدراسات والأوراق التاريخية للجماعة .

وكانت هذه المدارس بعيدة تماما عن سيطرة الحكام والحكومات ، وبعيدة تماما عن الخضوع للجامعات ، أو المعاهد التى تقوم بإعداد الدعاة .

وكان طلاب هذه المدارس من مختلف الثقافات ، ولم يكونوا من طلاب الأزهر أو خريجيه وحدهم ، وكانت الرغبة فى الدعوة إلى الله ، وممارستها فى الناس ، مع الاستعداد الملائم ، هى كل شروط الالتحاق بهذه المدرسة ، ولم تكن الأعمار للطلاب ، معيارا فى

ذنوب الجيش أخوف عليه من عدوه ، كما ورد ذلك على لسان عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه .

٢ ــ تزكية النفس بالطاعات :

فالأصل أن يكون للداعية برنامج طاعات ، يلزم نفسه به ، طاعات غير الفرائض ، أى نفل من جنس مافرض الله عليه ، وما لم يفعل ، فلا يتوقع له نجاح فى دعوته ؛ لأن تقوى الله وطاعته مفتاح كل خير وتوفيق ﴿ **اتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم** ﴾ (١) .

فكيف يدعو إلى الله ، ويقوم بعمل الرسول ﷺ ، من لم يكن له برنامج فى قيام الليل ، أو أداء النوافل من صلوات النهار ، وكيف يصلح لهذا العمل ، من لم يكن له صيام يتقرب به إلى ربه ، ثلاثة أيام من كل شهر على الأقل ، أو من لم تكن له أوراد ، يذكر فيها الله قائما وقاعدا وعلى جنبه ، أو من لم يكن له مع الصدقة ممارسة ، ليطهر نفسه وماله ، من أدران الشح والبخل ؟

إن هذه الطاعات ، هى التى تصقل النفس وتَجْلوها وتنقيها ، وتعدها إعدادا صادقاً ، للقيام بأعباء الدعوة إلى الله ، بل هى التى تضمن له بإذن الله ، التوفيق والفلاح .

٣ ــ ترقية هذه النفس بالورع :

وقد سبق أن تحدثت عن الورع أكثر من مرة ، فيما سبق من الكتاب ، وحسبى هنا أن أذكر ، بأن الداعية إلى الله ، يجب أن يلزم نفسه ، بترك مالا بأس به ، حذرا مما به بأس ، أو بترك كل شبهة ، خشية الوقوع فى الحرام .

إن الداعية ما ينبغى له أن يضع نفسه فى موضع تساء به الظنون فيه ، وله فى المعصوم ﷺ خير أسوة ، يوم زارته صفية زوجه رضى الله عنها فى المسجد ، فلما خرجت ، وخرج يودعها ، لقيه فى الطريق صحابيان جليلان ، فلما رأياه ﷺ أسرعا الخطو ، فقال لهما ﷺ : « على رسلكما ، إنها صفية بنت حيي » ، وماكان أغناه عن ذلك وهو المعصوم ﷺ ، بل هو المثل الأعلى فى نظر أصحابه ، ولكنه يريد أن ينفى عن نفسه أمام صحابته ، أدنى شبهة يهمز بها الشيطان فى نفس أحد ، إنه يعلمنا كيف نتقى الشبهات لأمر ديننا ، ونحافظ ماوسعنا على أن يسود بين المسلمين حسن الظن .

---

(١) سورة البقرة : ٢٨٢ .

إن ذلك لهو من الورع الأكيد .

٤ ــ توطين النفس على احتمال المشاق :

إذ من المعلوم ، أن طريق الدعوة إلى الله محفوف بالمكاره والمتاعب ، لأنه فى الحقيقة هو الطريق إلى الجنة ، وقد حفت الجنة بالمكاره كما حفت النار بالشهوات .

إن الدعوة إلى الله دعوة إلى الحق ، والحق له أعداؤه فى كل زمان ومكان ، وأعداء الحق مخلصون أشد الإخلاص فى الكيد لدعاته وأوليائه ، يلحقون بهم مااستطاعوا كل أذى مادى أو معنوى فى دينهم ودنياهم ، بقصد القضاء عليهم ، ليموت معهم الحق ، وتلك سنة الله فى الصراع بين أهل الحق وأعدائه .

إن الداعية إلى الله ، مايجوز له أن يتصور أن الدعوة إلى الله طريقها معبدة أو ميسورة ، أو قليلة العقبات والعراقيل ، أو يتصورها قصيرة ، لها حد مرحلى تنتهى إليه ، قبل أن يفضى هذا الداعية إلى ربه ، بما قدم من جهد فيها وجهاد .

كما أن الداعية ، ما يجوز له أن يتصور أنه سيكون بمنجى من أذى أعداء الحق ، وكيد شانئيه . .

إن عليه أن يعرف طبيعة الدعوة ، وأن يعرف حقيقة دوره ، وأن يظل صابرا محتسبا عاملا مجاهدا مادامت فيه حياة ، فإن حقق نجاحا فبفضل من الله ورحمة ، وإن قضى نحبه على أيدى أعداء الحق ، فهو شهيد ، وإجمالا فإن تصديه للدعوة إلى الله ، جهاد ينال فيه بإذن الله إحدى الحسنيين .

وإن لم يحقق نجاحا ، ولم يختره الله للشهادة ، فليمض فى طريقه ، حتى يلقى الله غير قاعد ، ولا ناكص ، والله متقبل منه عمله فى سبيله ماأخلص فيه ، ونذكر هنا ، بما ذكرناه آنفا من قول ابن مسعود ، رضى الله عنه : كأنى أنظر إلى رسول الله ﷺ ، يحكى نبيا من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول : « اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون »[١] .

---

(١) رواه الشيخان وفى البخارى جاء فى باب الأنبياء .

وروى مسلم بسنده ، عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ قال : « إن الله رفيق يحب الرفق ، ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف ، وما لا يعطى على ما سواه »[1].

وروى مسلم بسنده ، عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ قال : « إن الرفق لايكون فى شىء ، إلا زانه ، ولا ينزع من شىء ، إلا شانه »[2] .

وروى مسلم أيضا بسنده ، عن جرير بن عبد الله رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من يحرم الرفق ، يحرم الخير كله »[3] .

وهذا هو شأن الدعاة إلى الله أسوة بالمعصوم ﷺ ، لا يغضبون إلا لله ، ويتعاملون بالرفق مع الناس جميعا .

٢ ــ تزكية الخلق بالالتزام بآداب الإسلام :

إن الخلق الذى دعا إليه الإسلام ، هو أكمل أنواع الخلق ، التي عرفتها البشرية ، على مر تاريخها كله ، وذلك أن الأخلاق التى اختلفت فيها المدارس والمذاهب ــ على أنحاء متباعدة الغايات ــ من طبيعيين واجتماعيين ومثاليين وواقعيين ، بحيث كان لكل مدرسة أو مذهب منهم رؤية خاصة للأخلاق ، إن هذه الأخلاق ، قد جاء فيها الإسلام بالقول الفصل ، فلم يدع لمذهب أو مدرسة فكرية أو فلسفية ، أن تجتهد فى تعريف الأخلاق ، أو تعانى البشرية ، من بعد هذه المدارس ، فى تحديد أهداف الأخلاق ، وإنما رسم الأبعاد ، وأوضح السمات ، وحدد الخصائص ، فأصبحت الأخلاق فيه تعنى : « مجموعة المبادىء والقيم التى تنظم سلوك الإنسان ، والتى حددها الوحى ، لينظم بها حياة الإنسان ، ويضع لها من الضوابط ، مايمكنها من أن تحقق الغاية من وجود الإنسان على هذه الأرض ، وهى عبادة الله سبحانه ، المؤدية إلى سعادة الإنسان فى الدنيا والآخرة »[4] .

وعلى ضوء هذا التعريف ، الذى استقى من النصوص الإسلامية ، نستطيع أن نقول : إن الصورة المتكاملة للأخلاق الإسلامية تتمثل فى الكلمات النبوية التالية :

روى الإمام مالك بسنده ، عن ركانة رضى الله عنه ، يرفعه إلى رسول الله ﷺ قال :

---

(١) الإمام مسلم : صحيحه : باب البر .

(٢) السابق : باب البر .

(٣) السابق : باب البر .

(٤) للمؤلف : مع العقيدة والحركة والمنهج ٩١ ط جامعة الإمام محمد سعود الإسلامية ١٣٩٥ هـ .

قال رسول الله ﷺ : « لكل دين خلق ، وخلق الإسلام الحياء »[1] .

وروى الإمام أحمد بسنده ، عن يزيد بن بابنوس رضى الله عنه قال : دخلت على عائشة رضى الله عنها ، فقلت لها : ما كان خلق رسول الله ﷺ ؟ قالت : كان خلقه القرآن . ثم قالت : ألا تقرءون سورة « المؤمنون » ؟ قلنا : نعم . قالت : اقرأ . فقرأت : ﴿ **قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون . والذين هم عن اللغو معرضون . والذين هم للزكاة فاعلون . والذين هم لفروجهم حافظون** ... ﴾ فقالت : هكذا كان خلق رسول الله ﷺ[2] .

وهذا الخلق الإسلامى ، هو أدب الإسلام ، ولا يزكيه شىء مثل عبادة الله ، والتنفل له ، والتزام كل أدب ، أدَّبَ به الإسلام الناس :

إن الدعاة إلى الله ، إذا ألزموا أنفسهم ، أدب الإسلام فى كل أمور حياتهم ، إنما يزكون بذلك أخلاقهم ، ويرضون ربهم ، ويبلغون فى دعوتهم إلى الله ، أعلى درجات النجاح والتوفيق .

وما بالنا بداعية ، لايزكى خلقه بالالتزام بأدب الإسلام ؟ أيرضى أن يكون آمرا بالبر ناسيا نفسه ؟

أيرضى أن يُحمد بما لا يفعل ؟

إن الداعية غير الملتزم بأدب الإسلام فى خلقه ، دسيسة على الدعاة إلى الله ، وضع نفسه فى غير موضعه ، فأساء إلى الدين والدعوة إليه .

٣ ـ ترقية الخلق بالتأسى بالمعصوم ﷺ :

القدوة برسول الله ﷺ ، وترسم خطاه ، واتباع هديه فى كل أمر ، هى أقوى الوسائل فى ترقية الأخلاق الإنسانية ، والارتفاع بها إلى مقام يحاكى مقام النبوة .

إن الداعية إلى الله فى عمل مجهد ، وفى تعرض مستمر لأنواع من المدعوين ، قد يسببون له من الضيق مايسببون ، وإن عليه فى هذا المجال ، أن يتأسى بخلق رسول الله ﷺ أولا : فى الصبر ، على هذه الأنواع من المدعوين الذين يتعرضون له بالأذى ، واحتساب

(١) الإمام مالك : الموطأ : ٢ / ٢١٢ .

(٢) الإمام أحمد : مسنده : ٦ / ١٨٨ والأصبهانى : أخلاق النبى ٢٩ .

يصرف وجهه عنه ، حتى يكون هو الذى يصرف ، ولم ير مقدما ركبته ، بين يدى جليس له قط »[1] .

وروى كذلك بسنده ، عن أنس رضى الله عنه أيضا أن النبى ﷺ أدركه أعرابى فأخذ بردائه فجبذه جبذة شديدة ، فنظرت إلى عنق رسول الله ﷺ ، وقد أثرت فيه حاشية الرداء ، من شدة جبذته ، ثم قال : يا محمد ، مُرْ لى من مال الله الذى عندك ، فالتفت إليه رسول الله ﷺ ، فضحك ، وأمر له بعطاء [2] .

وروى الأصبهانى كذلك بسنده ، عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : قاتل رسول الله ﷺ محارب خصفة — وتسمى غزوة محارب خصفة ، وغزوة ذات الرقاع — فرأوا من المسلمين غرة ، فجاء رجل — اسمه غورث بن الحارث — حتى قام على رسول الله ﷺ بالسيف . فقال : من يمنعك منى ؟ قال : « الله » ، فسقط السيف من يده ، فأخذ رسول الله ﷺ السيفَ ، فقال : « من يمنعك منى ؟ » قال : كن خير آخذ قَدَر . قال : « أتشهد أن لا إله إلا الله ، وأنى رسول الله ؟ » قال : لا . غير أنى لا أقاتلك ، ولا أكون معك ولا أكون مع قوم يقاتلونك . فخلى سبيله ، فجاء — الرجل — أصحابه ، فقال — لهم — : جئتكم من عند خير الناس [3] .

وروى الأصبهانى كذلك بسنده ، عن أنس رضى الله عنه ، أن يهودية أتت النبى ﷺ بشاة مسمومة ، ليأكل منها فجيء بها إلى النبى ﷺ ، فسألها عن ذلك ، فقالت : أردت قتلك ، فقال ﷺ : « ماكان الله ليسلطك على ذلك » ، أو قال : « على كل مسلم » . قالوا — أى الصحابة — : أفلا نقتلها ؟ قال : « لا » [4] .

وروى الأصبهانى أيضا بسنده ، عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن أعرابيا جاء إلى النبى ﷺ يستعينه فى شيء ، فأعطاه شيئا ، ثم قال : « أحسنتُ إليك ؟ » فقال الأعرابى : لا ولا أجملت . قال : فغضب المسلمون ، وقاموا إليه ، فأشار إليهم أن كفوا . قال عكرمة : قال أبو هريرة : ثم قام النبى ﷺ ، فدخل منزله ، ثم أرسل إلى الأعرابى ، فدعاه إلى البيت ، فقال : « إنك جئتنا ، فسألتنا ، فأعطيناك ، فقلت ماقلت » ، فزاده رسول الله ﷺ شيئا ، ثم قال : « أحسنت إليك ؟ » قال الأعرابى : نعم فجزاك الله من أهل

---

(١) السابق : ٣٨ .
(٢) السابق : ٣٩ .
(٣) السابق : ٤٣ .
(٤) السابق : ٤٦ .

وعشيرة خيرا ، فقال النبى ﷺ : « إنك كنت جئتنا ، فسألتنا ، فأعطيناك وقلت ماقلت ، وفى أنفس أصحابى شىء من ذلك ، فإن أحببت ، فقل بين أيديهم ماقلت بين يدى ، حتى تذهب من صدورهم مافيها عليك » . قال : نعم . قال عكرمة : قال أبو هريرة : فلما كان الغد أو العشى ، جاء فقال رسول الله ﷺ : « إن صاحبكم هذا كان جاء فسألنا ،فأعطيناه ، وقال ماقال ، وإنا دعوناه إلى البيت فأعطيناه ، فزعم أنه رضى أكذلك ؟ » قال الأعرابى : نعم ، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا . قال أبو هريرة : فقال النبى ﷺ : « ألا إن مثلى ، ومثل هذا الأعرابى ، كمثل رجل كانت له ناقة ، فشردت عليه ، فاتبعها الناس ، فلم يزيدوها إلا نفورا ، فناداهم صاحب الناقة : خلو بينى وبين ناقتى ، فأنا أرفق بها وأعلم ، فتوجه لها صاحب الناقة بين يديها ، وأخذ لها من قمام الأرض ، فردها هَوْناً هَوْناً ، حتى جاءت ، واستناخت ، وشد عليها ، وإنى لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال ، فقتلتموه دخل النار »[1] .

هكذا ينبغى أن يكون الدعاة إلى الله ، فى تعويد أخلاقهم على التسامح والصبر ، ولهم فى رسول الله أسوة حسنة .

٥ ــ الثبات على أخلاق الإسلام فى كل حال :

وذلك أن التحلى بأخلاق الإسلام واجب شرعى ، فلا يجوز التخلى عنها بحال ، بل تكون ملازمة لصاحبها من المسلمين عموما ، لا يحيد عنها ولا يريم ، وإذا كان ذلك واجب كل مسلم من عامة المسلمين ، فما بالنا بداعية إلى الله ؟

وإن أخلاق الإسلام هى الحق ، والثبات على الحق دين ، والداعية يثبت على أخلاق الإسلام ، ويتحمل من أجل هذا الثبات ما يتحمل ، غير ضيق بما يتعرض له وما يعرض عليـه ، إنه فى موقف يوجب عليه أن يكون كمن وصفهم الله تعالى ، فأثنى عليهم بقوله سبحانه :
﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ومابدلوا تبديلا ﴾[2] .

إن التنازل عن أى خلق من أخلاق الإسلام ، تحت ضغط الظروف خسارة كبيرة لهذا الذى تنازل ، خسارة فى الدنيا ، حيث يفقد بين الناس احترامه ، وتقديره وهيبته ، وخسارة

---

(١) السابق : ٨١ .

(٢) سورة الأحزاب : ٢٣ .

للدعوة التى يمثلها ، وينصب من نفسه وخلقه أنموذجاً لها ، وخسارة له فى دينه يوم القيامة ، والعياذ بالله ؛ إذ وضع نفسه فى موضع المخالف لأمر الله .

إن الله تبارك وتعالى عندما شرع للمسلمين هذه الأخلاق ، واختارها لخير أمة أخرجت للناس ، وأنزل فيها قرآنا ، وأوحى بمفرداتها لخاتم أنبيائه ، وأدبه على تلك الأخلاق ، إنه سبحانه فرض التحلى بهذه الأخلاق ، فرضا لا محيد عنه .

إن التمسك بهذه الأخلاق ، هو الذى يجعل من المسلمين ، خير أمة أخرجت للناس ، لأن هذه الخيرية فى أمة الإسلام ، ليست نتيجة لعرقية ، أو إقليمية ، وإنما هى نتيجة للتمسك بهذه الأخلاق ، كما وضحها ، سبحانه وتعالى ، فى قوله : ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** ﴾[1] .

إن المسلمين ما أُتوا فى دينهم من شيء ، بمثل ما أُتوا من تخلى بعضهم عن أخلاق الإسلام ، فى بعض الأحيان . .

وإذا كان خلق الرسول ﷺ هو القرآن ، كما قالت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها ، وكانت أخلاق المسلمين على نمط خلق الرسول ﷺ ، فإن تخلى بعض المسلمين عن خلق القرآن ، هو تخل عن القرآن الكريم ، والعياذ من ذلك بالله سبحانه وتعالى .

وبعد : فهذا هو الإعداد النفسى ، والخلقى للداعية إلى الله ، ليتأهل به لحمل أعباء الدعوة إلى الله .

(١) سورة آل عمران : ١١٠ .

ثانيا : الإعداد الثقافى النظرى والعملى للداعية

الثقافة هى : أسلوب الحياة السائد فى مجتمع بشرى ما . والاستخدام العلمى للكلمة لا يتضمن التهذيب ، أو تقدم المعرفة .

والثقافة هى أهم ما يميز المجتمع الإنسانى ، عن التجمعات الحيوانية ، فعادات الجماعة وأفكارها واتجاهاتها ، تستمد من التاريخ وتنتقل تراثا اجتماعيا إلى الأجيال المتعاقبة .

واللغة من أهم العوامل فى نقل الثقافة ، وإن كانت بعض أنماط السلوك والاتجاهات تكتسب بوسائل أخرى غير اللغة .

وفى علم الاجتماع ، تعرف الثقافة بأنها : البيئة التى صنعها الإنسان ، بما فيها المنتجات المادية وغير المادية ، التى تنتقل من جيل إلى جيل آخر ، فهى بذلك تتضمن الأنماط الظاهرة والباطنة للسلوك المكتسب عن طريق الرموز ، ذاك السلوك الذى يتكون فى مجتمع معين ، من علوم ومعتقدات وفنون وقيم وقوانين وعادات وغير ذلك .

وتنقسم الثقافة إلى قسمين :

الأول : ثقافة مادية وهى : كل الأشياء المادية ، التى يصنعها الإنسان ، كالمسكن والأثاث والأدوات والملابس ... وغيرها من مظاهر الحياة ، وكل مايتصل بالإنتاج والتقنية والاختراعات ، التى تحدث مثل هذه الأشياء .

ويرى « الماركسيون » أن المظاهر المادية للثقافة ، هى صاحبة الكلمة الفاصلة فى النظام الاجتماعى بأسره .

والثانى : ثقافة غير مادية وهى : كافة السمات الثقافية غير الملموسة ، كالمهارات والمعايير والمعرفة والمعتقدات والاتجاهات واللغة ، التى تنتقل من جيل إلى جيل آخر .

ويرى مجمع اللغة العربية بمصر أن الثقافة هى العلوم والمعارف والفنون التى يُطلب الحذق فيها .

الثقافة النظرية والثقافة العملية

والداعية إلى الله بحاجة فى تصورنا ، إلى نوعين من الثقافة ، يستعين بهما على أداء عمله ، على الوجه الأفضل ، وهما :

الأول : الثقافة النظرية ، أى العلوم والمعارف اللازمة له فى عمله ،

والثانى : الثقافة العملية ، أى الأعمال والفنون التى يطلب منه الحذق فيها لأهميتها فى عمله .

ومن أجل أن يُعد الداعية إلى الله ، إعدادا جيدا ، لابد له من هذين النوعين من الثقافة ؛ لأن كلا منهما يكمل الآخر ، ويتعاونان معا فى انضاج شخصية الداعية ، وهنا نحب أن ننبه إلى أن الداعية إلى الله ، ما لم تتكامل شخصيته ، من خلال جانبى الثقافة النظرى والعملى ، فإن أداءه لعمله لايكون على النحو المرجو ، وإن نتائج عمله سوف تكون كذلك .

ولنتحدث الآن فى تفصيل هذين النوعين من الثقافة اللازمين للداعية ، من حيث فروع كل منهما ، أو مفرداته .

الأول : فى فروع الثقافة النظرية : فنذكر منها مايلى :

وهى علوم كثيرة سنشير إليها ـــ ونحن نتحدث عن البرنامج المقترح لإعداد الدعاة فى الفصل التالى ، وهو الفصل الرابع من هذا الباب ـــ غير أننا نكتفى هنا ، بأن نلقى ضوءا على هذه العلوم ، فنقول :

إن علوم الدين الإسلامى أصول وفروع .

أما الأصول فهى :

أ ـــ القرآن الكريم وعلومه ، وعلومه أكثر من سبعين علما ، كما عدها السيوطى(١) .

ب ـــ والسنة النبوية وعلومها ،

جـ ـــ والسيرة النبوية ، على أن تدرس على أنها السنة العملية ،

د ـــ واللغة العربية وعلومها ـــ وإنما اعتبرناها من أصول علوم الدين ، لأنها وعاء القرآن والسنة ، ولا سبيل لفهمهما إلا بها ـــ فهى لغة الدين الإسلامى ، وهى بذلك أهم من أن تكون لغة العرب ، لأن العربية اللسان ، ولسان العربية محصور فى الناطقين

---

(١) انظر : السيوطى : الإتقان فى علوم القرآن .

بها ، **أما الإسلام** فهو الدين العالمى ، الذى جاء لكل البشرية ، ولا صلاة لأحد المسلمين ، إلا بالعربية ومن هنا كانت لغة الدين .

وأما الفروع فكثيرة ومن أهمها :

أ ــ الفقه ، عبادات ومعاملات ، وأصوله ومذاهبه ،

ب ــ والأخلاق والسلوك ،

جـ ــ وتاريخ الإسلام ،

د ــ وتاريخ الصحابة ،

هـ ــ وتاريخ التابعين ،

و ــ وتاريخ المصلحين المجددين وفى مقدمتهم أئمة الحديث النبوى وأئمة الفقه الإسلامى وأئمة علم الكلام ،

ز ــ وتاريخ الحركات الإسلامية الإصلاحية على مر العصور ،

ح ــ وتاريخ الحركات والمذاهب المناهضة للإسلام ،

ط ــ وتاريخ الحروب الإسلامية ،

ى ــ وتاريخ الفتوح الإسلامية ،

ك ــ وكل العلوم والمعارف الدنيوية أو علوم الحياة ، وضابطها أنها العلوم التى تمكن الإنسان من التعامل مع الحياة ومافيها ، تعاملا ييسر له ما ينفعه مما أحل الله ، ويدرأ عنه ما يضره ، وهى أكثر من أن تحصى .

وقد أحصاها القدماء فى سبعة علوم هى :

* علم النحو ،
* وعلم الكلام ،
* وعلم البيان ،
* وعلم الهندسة ،
* وعلم الحساب ،
* وعلم الفلك ،
* وعلم الموسيقى ،

وكان الناس يسمونها الفنون التحررية السبعة .

وبلغة العصر الذى نعيشه أصبحت عشرات ، بل مئات من العلوم والفنون ، نذكر منها ــ ليكون الدعاة على علم بها ــ مايلى :

علوم البيئة : كالمناخ والماء والحرارة والرطوبة والضوء ، والرياح ، والتربة ومافيها من ماء وأملاح ومعادن وهواء ورمال وعناصر كيميائية .

والنباتات ، والحيوانات ، وكائنات التربة المجهرية ، وديدان الأرض ، والطفيليات ، وحيوانات الرعى ، والقوارض والحشرات ، والغابات .

ومن علوم البيئة : مايتعلق بموقع المكان نفسه بالنسبة لخطوط الطول والعرض ، والارتفاع عن سطح البحر ، والانحدار والتعرض للشمس .

ومنها : علم البيئة بالنسبة للمجتمعات الإنسانية ، الذى نما وتطور فى هذا القرن الذى نعيشه ــ القرن العشرين الميلادى ــ بشكل سريع ملحوظ . ثم :

* علم الأحياء ،
* وعلم الزلازل ،
* وعلم الصخور ،
* وعلم البحار ،
* وعلم الجغرافيا ،
* وعلم قياس الوقت ،
* وعلم القذائف ،
* وعلم المعادن ،
* وعلم الأحافير ،
* وعلم الحيوان ،
* وعلم الأنسجة ،
* وعلم الأمراض ،
* وعلم الجمال ،
* وعلم النفس ،
* وعلم الوراثة ،
* وعلم وظائف الأعضاء ،

* وكل علوم الاجتماع ،
* وكل مايتفتق عنه عقل الإنسان ، من علوم ومعارف .

كل تلك العلوم ، وغيرها كثير ، تعد من فروع علوم الدين الإسلامى ، لأنها من علوم الحياة الدنيا التى تلزم الإنسان فى معاشه ، والإسلام دين المعاش ، كما أنه دين المعاد .

ومخطىء من يتوهم غير ذلك ، أو يحصر علوم الدين الإسلامى فى علوم الشريعة وحدها .

إن الدعاة إلى الله ، لابد لهم أن يتثقفوا ثقافة عامة فى كل هذه الفروع ، بأن يعرفوا شيئا عن كل منها ، وأن يتخصص بعضهم ليعرف كل شىء عن واحد منها .

إن هذه الثقافة العامة فى هذه الفروع ، يجب أن توازى ثقافة الدعاة الخاصة المتعمقة فى علوم أصول الدين الإسلامى .

وإن انفصال الداعية عن علوم الحياة الدنيا ، يجعله غير قادر حقيقة ، على توعية الناس ، وتربيتهم وتوجيههم نحو ما يصلحهم ، فى دينهم ودنياهم .

ولقد حاول أعداء الإسلام أن يكرسوا هذا الانفصال فى الدعاة إلى الله ، يوم كانوا مسيطرين على شئون التعليم ، فعزلوا الدعاة عن التعليم العام ، وحصروهم فى إطار العلوم الإسلامية الخاصة بالشريعة التى تدرس فى الأزهر — الشريف بمحافظته على الشريعة والعقيدة ولغة القرآن .

ولقد كان ذلك من نكد الدنيا على المسلمين عموما ، وعلى الدعاة خصوصا ، إذ حدث هذا الانعزال ، الذى خطط له أعداء الدين ، بين الدعاة وبين الناس ، انعزال ثقافى ، أدى إلى انعزال فكرى ونفسى ، وانكماش فى تقبل الناس لما يقوله الدعاة إلى الله — والعدو ينظر وملء قلبه الفرح والسرور — وما ضاقت هذه الفجوة ، ولا قل هذا الانعزال إلا أخيرا ، والفضل لله فيه ، وإلى حركة الوعى الإسلامى ، وإلى جماعة الإخوان المسلمين ، التى مزجت بفكرها وثقافتها الدعاة إلى الله فى المجتمع ، وكان لها من رؤاها الفكرية والسياسية والاجتماعية ، ما أَمَدّ الدعاة بكثير من الخبرة الميدانية ، والقرب من عقول الناس وقلوبهم — وتلك كلمة إنصاف للتاريخ ، لا لشىء ولا لشخص ، ولا للجماعة نفسها ، فإن الجماعة فى غنى عن تسجيل ذلك بقلم واحد من أبنائها الذين عايشوها ، منذ نهاية

عقدها الثانى ، من تاريخ إنشائها ، لأن أوراقها ووثائقها ، وما كتبه عنها أولياؤها وأعداؤها ، خير شاهد على ذلك ، وأقوى برهان ، وإنما أسجله إبراء للذمة أمام الله تعالى .

والأصل أن الناس جميعا يتعلمون من أمور دينهم ، مالابد لهم أن يتعلموه ، ويثقفون الثقافة الإسلامية ، التى تيسر لهم فهم دينهم ، والتعبد لربهم ، والتعامل فيما بينهم ، وذلك فى المرحلة الأساسية من مراحل التعليم ، أيا كان عدد سنيها .

ثم ليتخصص بعد ذلك ، من أراد فى علوم الدين الأصلية ، التى ذكرنا آنفا ، أو فى بعض العلوم التى تعد فروعا لعلوم الدين الإسلامى ، على النحو الذى أشرنا إليه آنفا — كذلك .

إن هذا هو الإعداد الثقافى ، الذى نراه صحيحا ، بالنسبة إلى الدعاة إلى الله ، وكل انحسار أو انحصار عن هذا القدر من الثقافة ، فإنما هو من القصور والنقص ، الذى يجب أن يعمل المخلصون من علماء المسلمين على تلافيه .

هذا أو نتوقع أن يعود الضرر من هذا القصور والنقص على الدعاة أنفسهم ، وعلى المدعوين كذلك ، ثم يزداد انفصال الدعاة عن المدعوين نفسيا وثقافيا ، وهو أمر يعد من أكبر معوقات العمل الإسلامى .

٢ — علوم الدعوة إلى الله :

وهى مجموعة غير قليلة ، من العلوم اللازمة لكل داعية إلى الله نذكر منها :

أ — حفظ القرآن الكريم ،

ب — ومعرفة تجويده وتفسيره وكل مايتصل به من علوم ،

جـ — وحفظ قدر كبير من الأحاديث النبوية ،

د — ودراسة جيدة لعلوم السنة ،

هـ — وحفظ الأحاديث القدسية ،

و — ودراسة مستوعبة للسيرة النبوية ،

ز — ودراسة جيدة لسير الصحابة ، رضوان الله عليهم ،

ح — ودراسة جيدة لتاريخ التابعين والأئمة ،

ط ــ ودراسة جيدة للتاريخ الإسلامى ،

ى ــ وإحاطة بعلم النحو وعلوم اللغة العربية ،

ك ــ وإحاطة بعلوم بلاغة اللغة العربية ،

ل ــ ودراسة لعلم الكلام ،

م ــ ودراسة لعلم أدب البحث والمناظرة ،

ن ــ ودراسة لعلم المنطق ،

س ــ ومعرفة جيدة بالفلسفة ،

ع ــ ودراسة على درجة عالية لفن الخطابة بالذات ،

ف ــ ودراسة لفنون القول الأخرى ،

ص ــ ودراسة لكل علم له علاقة بأداء الداعية لعمله المتنوع من خطابة ومحاضرة ومناظرة ودرس وبحث ، على النحو الذى فصلناه فى الفصل الرابع من الباب الأول من هذا الكتاب .

٣ ــ علم الفقه وأصوله :

وإنما أفردنا علم الفقه وأصوله وحده ، وإن كان من صميم علوم الدين الإسلامى ، ومن صميم علوم الدعوة إلى الله ، لننبه إلى بالغ أهميته بالنسبة للداعية إلى الله ، حتى إن الداعية إلى الله مالم يكن عالما بالفقه وأصوله ــ أى فقيها ــ فإن صلاحيته للدعوة وممارستها أمر مشكوك فيه شكا كبيرا .

فإذا فقد الداعية إلى الله علمه بالفقه وأصوله ، فماذا بقى له من القدرة على إفتاء الناس ، مع أن طلب الفتيا من الداعية إلى الله ، يتكرر كثيرا من المستجيبين لما يدعو إليه ومن غير المستجيبين ، وإن على الداعية أن يفتى الناس فى أمور دينهم ، عن علم ودراية ، وليس هذا بممكن إلا بدراسة عميقة للفقه وأصوله .

وهناك أمور قلما لا يسأل فيها الناس ويستفتون ، كالقضايا والمسائل التى تتعلق بالميراث ، والوصايا والربويات .

إن على الداعية إلى الله أن يسد احتياجات الناس ، فيما يسألون عنه ، ويستفتون فيه ،

وإن العلم بعلوم أصول الدين وفروعه ، دون التعمق بعلم الفقه وأصوله ، لن يمكن الداعية من أن يكون على مستوى القدرة على الإفتاء .

هذا عن الثقافة النظرية وفروعها التى تلزم الداعية ، ويبقى الحديث عن الجانب الثانى من الثقافة ، وهو الجانب العملى منها .

الثانى : فى فروع الثقافة العملية التى تلزم الداعية إلى الله :

أما الثقافة العملية التى تلزم الداعى إلى الله ، فهى مكملة لثقافته ، وإنه مهما يتوسع فى الثقافة النظرية ، دون أن تساندها الثقافة العملية ، فلن يستطيع الداعية الذى تتكامل شخصيته فى مجال عمله أن يجيد أداءه .

ومادام عمل الداعية ، هو دعوة الناس إلى الله ، وإلى الحق والهدى ، فإن الثقافة العملية اللازمة له ، سوف تكون ذات شقين :

شق يخص الدعوة ذاتها ،

وآخر يخص المدعوين .

الأول : ما يخص الدعوة من الثقافة العملية : فهو فى تصورنا ما يلى :

أ ــ زيارات ميدانية لكبار الدعاة ، والتعرف عليهم من قرب ، مع الاستفادة منهم فى أمور الدعوة مثل :

- أسباب نجاح الداعية إلى الله .
- أهم صفاته التى تجذب الناس إليه .
- أهم العقبات فى طريق الدعوة .
- أهم الموضوعات الجديرة بالإعداد والمدارسة .

ب ــ زيارات ميدانية لكبار الدعاة ، بمعنى أن تكون هذه الزيارة لهم ، أثناء ممارستهم للدعوة إلى الله ، والاستماع إليهم ، والتأمل فيما يقولون ، والتعرف على أثره فى الناس .

ويمكن أن تفيد هذه الزيارات الميدانية فيما يلى :

- التعرف بالمشاهدة على تهيؤ الداعية للدعوة .
- الاستفادة من موقفه ، وهو يدعو ، وكيف يبدأ كلامه ، وكيف يرتبه ، وكيف

يقنع به ، وكيف يمتع ، وكيف يختم كلامه وينهيه .

* الاستفادة من كيفية الإجابة على أسئلة الناس ، عقب الانتهاء من الدعوة : خطبة أو محاضرة أو دروساً ... إلخ .
* التعرف على أسلوب الداعية فى تعرفه على الناس ، وعقد الصلات بهم .

جـ ـــ حضور عدد من الدورات أو الندوات ، أو كلاهما حول الدعـــوة إلى الله ؛ بحيث تتناول هذه الدورات أو الندوات ما يلى :

* وسائل الدعوة إلى الله .
* أساليب الدعوة إلى الله .
* تاريخ الدعوة إلى الله .
* أركان الدعوة إلى الله .
* أهداف الدعوة إلى الله .
* متطلبات الدعوة إلى الله .
* أهلية الدعاة إلى الله .
* دراسة لحياة عدد من الشخصيات التى عملت بالدعوة إلى الله .
* طبائع المدعوين .
* ثقافة الداعية إلى الله .

د ـــ تدريب عملى على الدعوة إلى الله فى مجالاتها المتعددة مثل :

* الخطبة ،
* والمحاضرة ،
* والدرس ،
* والمناظرة ،
* والندوة ،
* وكتابة المقال والرسالة ،

بحيث يتم هذا الأداء من الداعية ، فى حضور عدد من الدعاة ، وبعد الأداء تتم مناقشة تستهدف ما يلى :

* الموضوع الذى تحدث فيه وأهميته .
* طريقة تناول الموضوع وعرضه .

* اللغة المستعملة فيه .
* وسائل الإقناع .
* القدرة البيانية .
* مدى الاستجابة عند السامعين .
* التعرف على أى إضافات تركها الداعية .

ومن المسلم به — ونحن بصدد الحديث عن إعداد الداعية الثقافى النظرى والعملى — أن داعية من الدعاة ، ليس له أن يمارس الدعوة عملياً ، إلا إذا أتم برنامج الإعداد الثقافى بشقيه النظرى والعملى ، وإلا كان بعيداً عن النجاح فى دعوته .

والثانى : ما يخص المدعوين من الثقافة العملية : فهو فى تصورنا ما يلى :

أ — دراسة جيدة لعلم الاجتماع من وجهة نظر إسلامية ، نظرياً وعملياً ، باختيار قطاعات من المجتمع ، طلاب أو عمال أو فلاحين أو مثقفين ، لدراسة ظاهرة اجتماعية ، فى أى قطاع من هذه القطاعات ، دراسة عملية ، تخضع لمنهج عملى فى إجرائها وتحليلها ، واستنتاج ما يمكن استنتاجه منها .

ب — دراسة جيدة لعلم النفس نظرياً وعملياً من وجهة نظر إسلامية — أيضاً — باختيار قطاعات معينة من المجتمع ، ودراسة ظاهرة ما ، من الظواهر النفسية والقيام فيها بالخضوع لمنهج علمى على النحو السابق .

جـ — دراسة علمية عملية لفن المناظرة فى قطاع من قطاعات المجتمع ، وتحليل الموقف بالنسبة للمدعوين ، وفق منهج عملى ، للتعرف على مدى تأثير المناظرة فى المدعوين ، ومدى قدرتها على تغيير بعض ما لديهم من أفكار ، حول موضوع المناظرة .

د — دراسة جيدة عملية لمجموعة بعينها من المدعوين ، تختار خصيصاً ، لمعرفة مدى تقبلها للدعوة حول موضوع ما ، وفق زمن معين وبرنامج معين ، لمعرفة أمور كثيرة ، على جانب كبير من الأهمية فى المدعوين ، مثل :

* أى وسائل الدعوة أنسب لهذه العينة ؟
* أى أساليب الدعوة أنسب لها ؟
* تقديم الوعاء الزمنى الذى وجهت فيه الدعوة إليهم .
* أى الموضوعات أنسب لهذه المجموعة ؟

* أى الأوقات أنسب لجمع هذه المجموعة ؟
* ما العدد الأكثر مناسبة للمدعوين ؟

وهذه الدراسات الخاصة بالمدعوين فى جانبها العملى هذا ، ما ينبغى للداعية أن يتجاهلها ، ولا أن يمارس الدعوة قبل أن يتعلمها .

وبعد : فهذه صورة تقريبية ، لإعداد الدعاة من الناحية الثقافية نظرياً وعملياً ، أرجو أن تكون مفتاحاً ، لمن أراد التوسع فى الحديث عن إعداد الدعاة من العلماء والمفكرين .

ثالثاً : الإعداد الفنى للدعاة

المقصود بالإعداد الفنى ، هو الإعداد الذى يقوم على الفن ـــ والفن هو التطبيق العملى للنظريات العلمية ، بالوسائل التى تحققها ـــ وهذا الفن يكتسب بالدراسة والمرانة .

والمقصود بالفن فى مجال الدعوة إلى الله ، جملة القواعد الخاصة بحرفة الدعوة إلى الله ، وجملة الوسائل الموصلة لأهداف الدعوة إلى الله .

وحرفة الدعوة إلى الله ـــ ولنا أن نسميها هذه التسمية ، لما يحيط بها من قواعد وأصول ، تشبه قواعد الحرف وأصولها ـــ تتنوع أنواعاً عديدة .

وعلى الداعية أن يحصل القواعد والأصول لكل نوع من هذه الأنواع ، بل عليه أن يعرف الوسائل التى تمكنه من الإحاطة بهذه الحرفة ، والبلوغ بها ـــ حسب أصولها وقواعدها ـــ إلى أهدافها .

وقد سبق لنا حديث عن هذه الفنون الحرفية التى تلزم الداعية إلى الله ، ونحن نتكلم عن الجهاد باللسان أو الكلمة ، فى الفصل الرابع من الباب الأول من الكتاب .

وهناك حصرنا فيما يلى ـــ مما نحب أن نذكر به إجمالاً على النحو التالى :

١ ـــ الخطبة وأنواعها وخصائصها فى الإسلام .

٢ ـــ والمحاضرة وأجزاؤها وأهدافها ، وعدة المحاضر وأدواته ،

٣ ـــ والدرس وموضوعه وجمهوره وأهدافه ومعده ،

٤ ـــ والمناظرة أهدافها وموضوعها والمناظرون من هم ؟

٥ ـــ والرسالة أهميتها وتاريخها ونماذج منها ،

٦ ـــ والمقالة ومكانتها وأبرز الكتاب فيها من الإسلاميين ، وجهود جماعة الإخوان المسلمين فيها ، وتعرضنا فيها للحديث عن الصحافة الإسلامية خارج مصر .

٧ ـــ والكتاب وأهميته واحتياجاته ومتطلبات العصر فى الكتاب ، ومصادر تمويله ونشره وتوزيعه ، وإسهام العلماء فى الكتاب الإسلامى ، والأمل المعقود على الكتاب الإسلامى .

ونضيف هنا ما يلى :

٨ ـــ والعمل فى المسرح والسينما .

٩ ـــ والعمل فى الإذاعة المسموعة والمرئية .

١٠ ـــ والعمل فى شرائط « الفديو » .

كل تلك حرف فنية ، يجب أن يعد لها الدعاة أنفسهم إعداداً جيداً ، كل منهم فيما يقدر عليه .

وقد لا يستطيع واحد من الدعاة أن يتأهل لكل هذه الحرف ، وذلك مسلم به ، ولكن غير المتسلم به أن تترك حرفة من هذه الحرف ، دون أن يكون لها من الدعاة من أهلوا لها . ومعنى ذلك ضرورة تخصيص عدد من الدعاة ، لإجادة كل حرفة من الحرف ، بالأخذ بكل وسيلة مشروعة ، تؤدى إلى تلك الإجادة ، ذلك ضرورى تحتمه الدعوة ، حتى لا يتخلف الدعاة إلى الله عن الركب ، فى تلبية حاجة المدعوين ومنافسة الباطل بالحق ، والضلال بالهدى ، والحداثة الغافلة بالأصالة الواعية ، فليست القضية طرح الحديث لحداثته وكفى ، كما أنها ليست الإقبال على الأصيل القديم وكفى ، ولكنها قضية الموازنات الموضوعية والبحث عن النافع المفيد للناس فى دينهم ودنياهم .

ولابد من التسليم بأن هذه الحرف التى أضفناها ، من مسرح وسينما وغيرها ، ليست شراً فى ذاتها ـــ كما يرى بعض المنغلقين على أنفسهم من الناس ، كما أنها ليست خيراً فى ذاتها كما يرى بعض دعاة الحداثة المنفتحين على كل جديد لأنه جديد وكفى ، ولكنها قد تحمل إلى الناس الخير ، وقد تحمل إليهم الشر ، وذلك حسب الذى يقدم فيها من أعمال ، وما تدعو إليه وتوجه نحوه .

والدعاة إلى الله أولى الناس ، بأن يحصلوا العلم بهذه الحرف ، وأن يتمكنوا منها ، كما يتمكنون من وسائل الدعوة الأخرى ، كالخطابة والمحاضرة وغيرهما ، فكلها يجمعها أنها حرف للدعوة إلى الله ، ووسائل إليها ، تحقق أهدافها .

وكل العلوم التى تمكن الدعاة من الإحاطة بهذه الحرف ، يعتبر تعلمها من فروض الكفاية .

وعلى الدعاة أن يقسموا أنفسهم جماعات ، تتقن كل جماعة منهم متطلبات حرفة من الحرف الجديدة اللازمة للدعوة إلى الله ، وبخاصة إذا تذكرنا أن الدعاة إلى الله موصوفون دائماً بقدرتهم على مواكبة المتغيرات ، ومواجهتها بالأسلوب الإسلامى الراشد الذى لا يحرم

الناس من خيرها ويجنبهم شرها .

ولكل حرفة من هذه الحرف المستحدثة متطلبات عديدة ، تلتمس فى مظانها ومراجعها ، والدعاة ملزمون بأن يكونوا من أهل هذه الحرف ، لأهميتها فى حياة الناس من جانب ، ولاقتحامها عليهم حياتهم من جانب آخر .

ولا يجوز للدعاة أن يتركوا هذه الحرف ـــ وهذا تأثيرها ـــ فى أيدى غير المشغولين بدعوة الناس إلى الحق والهدى ، فلو تركوها ـــ كما هو الواقع الراهن اليوم إلا قليلا ـــ لذهب القائمون عليها من غير الدعاة بالناس مذاهب تبعدهم عن الله وعن الحق والهدى ، بل عن كثير مما يصلح لهم دينهم ودنياهم ، وهذا مشاهد اليوم فى كثير من بلدان العالم الإسلامى ، حيث تبدد هذه الحرف ـــ بما تقدمه للناس من سوء ـــ كل ما يبنيه البيت وتبنيه المدرسة وتُبح فيه أصوات الدعاة إلى الله ؛ لأن هذه الحرف ـــ كما أسلفت ـــ أشد تأثيراً ، وأكثر جذباً للناس ، وتشويقاً لهم من الوسائل الأخرى فى الدعوة إلى الله .

ومطالبة الناس بأن ينصرفوا عن هذه الحرف أو الأدوات غير جديرة بالقبول ، لأنهم مفطورون على حب الترويح والتسلية والترفيه ـــ وكل ذلك جائز ،مادام لم يصرف عن أداء واجب ، ولم يشغل عن ذكر الله ـــ فإذا كان هذا المقدم إلى الناس قد صفى فى راووق[1] إسلامى فزال عنه زبده وبقى ما ينفع الناس فإن ذلك من الخير الذى يجمع للناس بين الواجب والترويح ، والجدية والتسلية وقد كان رسول الله ﷺ يمزح ولا يقول إلا حقا .

إن هذه الأدوات : المسرح والسينما ، والإذاعة بنوعيها مسموعة ومرئية ، وإعداد شرائط « الفديو » ، صناعة لها قواعدها وأصولها وعلومها ـــ كما قلنا آنفاً ـــ وإن تجاهلها جمود ، ومحاربتها نكوص عن العمل المفيد ، فى مجال الدعوة إلى الله .

إنها أفْعَل الأدوات والوسائل فى التأثير فى الناس ، وإن جمهور الناس المتعاملين معها أضعاف أضعاف المتعاملين مع الحرف الأخرى ، فى مجال الدعوة ، كالخطابة والمحاضرة والدرس والمناظرة ، بل الرسالة والمقالة والكتاب والصحافة فى عمومها .

ويكفى هذه الأدوات قدرة على التأثير فى الناس ، أنها دخلت عليهم بيوتهم ، وأنهم أقبلوا عليها كل هذا الإقبال ، صغاراً وكباراً ، نساءً ورجالاً .

---

(١) الراووق : المصفاة .

أيمكن مع هذه الأهمية أن تهمل هذه الأدوات ؟

أيمكن مع هذا التأثير والتقبل من الناس ، أن تتجاهل كوسائل على جانب كبير من الأهمية فى مجال الدعوة إلى الله ؟

اللهم : لا ... ولا ... ولا .

إن الدعاة إلى الله مطالبون بأن يجيدوا هذه الحرف أو الصناعات ، وأن يوظفوها فى خدمة الدعوة إلى الله ، وفى خدمة دين الإسلام ، وأن يدخلوا بها قلوب الناس وعقولهم .

إن الدعاة الإسلاميين بخاصة ، والعاملين من أجل الإسلام بعامة ، عاجزون عن التأثير فى الناس بعمق وفعالية ، ما لم يملكوا ناصية هذه الصناعات أو الحرف .

إن عدداً من الأعمال السينمائية والمسرحية والتلفزيونية ، قد استقى مادته وموضوعاته من تاريخ الإسلام ، فحقق بذلك بعض النجاح — على ما كان فيه من عيوب أخرى — فلماذا لا تتسع هذه الدائرة وتتعدد هذه الأعمال .

إن الدعاة إلى الله — بحكم ما هم عليه من علم ومعرفة — لأحسن من يختارون موضوعات من تاريخ الإسلام الاجتماعى والسياسى ، لتصاغ الصياغة الفنية الملائمة ، ثم تعرض فى المسرح أو السينما أو غيرهما .

وإن هؤلاء الدعاة لأقدر الناس — بحكم تخصصهم — على عرض قيم الإسلام وآدابه ، من خلال هذه الفنون بعد استيفاء كل القواعد والأصول الفنية ، التى تجعل منها عملاً فنياً متكاملاً .

إن الدعاة إلى الله مطالبون دائماً ، أن تتوفر فيهم طائفة على الإحاطة بهذه الحرف والإجادة لهذه الصناعات على أعلى مستوياتها العالمية لا المحلية ...

ابتداء من فن الاختيار للموضوعات ، ثم فن التأليف ، ثم فن العرض — الملائم مسرحياً أو سينمائياً أو تلفزيونياً — ولغة العرض ، إلى الإخراج ، إلى الإنتاج ، والتوزيع ... إلى كل ما تتطلبه هذه الصناعات .

إنهم إذا فعلوا ذلك بإيمان بقيمة هذه الوسائل ، ملكوا ناصية التأثير فى الناس ، وحققوا أهداف الدعوة إلى الله بكل الوسائل الممكنة ، وبخاصة تلك الوسائل التى دخلت

على الناس بيوتهم .

هذا مجال من جوانب إعداد الدعاة إلى الله من الناحية الفنية ، حيث يؤهلهم ذلك لأداء وظيفتهم فى الدعوة إلى الله ، على وجهها الأمثل والأرضى لله سبحانه وتعالى .

رابعاً : الإعداد العملى التدريبى

إن مجال عمل الدعاة إلى الله ، متعدد الجوانب مترامى الأبعاد ، وإن الأعمال المنوطة بهم كثيرة ومتنوعة ، وقد رأينا آنفاً ، كثرة الحرف والصناعات التى يجب أن يلموا بها ، ويجيدوها ، ليمسكوا بزمام كل وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله .

ومن أجل هذا كان الإعداد العملى التدريبى للدعاة ، ضرورة من ضرورات العمل الإسلامى ، فى مجال الدعوة إلى الله .

وسوف أحاول فى هذه الصفحات أن أرصد عدداً من المجالات ، التى يجب أن يتلقى فيها الدعاة إعداداً عملياً تدريبياً .

وهذه المجالات فى تصورى ما يلى :

١ ـــ مجال الخطابة : دينية واجتماعية وسياسية .

٢ ـــ ومجال المحاضرة : علمية وأدبية .

٣ ـــ ومجال الدروس فى المساجد والنوادى وأماكن تجمع الناس : دينية كانت هذه الدروس أو فنية أو غير ذلك .

٤ ـــ ومجال المناظرة : أيا كان الموضوع المطروح فيها لأخذ وجهات النظر فيه ، مادام ذا صلة بحاجات الناس ، أو اهتماماتهم المتعددة .

٥ ـــ ومجال كتابة الرسائل : شخصية أو عامة ، علمية أو أدبية .

٦ ـــ ومجال كتابة المقالات : سياسية كانت أو اجتماعية ، أو علمية أو أدبية .

٧ ـــ ومجال تأليف الكتاب ، أيا كان موضوعه .

٨ ـــ ومجال التحليلات السياسية للأحداث .

٩ ـــ ومجال القيام بعمل الدراسات الاجتماعية أو الاقتصادية أو العلمية فى الحقول التالية :

أ ـــ حقل التربية والتعليم .

ب ـــ وحقل الإعلام ووسائله .

جـ ـــ وحقل الثقافة والتثقيف .

د ـــ وحقل تربية الأطفال .

هـ ـــ وحقل قضايا المرأة .

و — وحقل القانون .

ز — وحقل الاقتصاد .

ح — وحقل السياسة والأحزاب السياسية .

ط — وحقل الدعوة إلى الله .

ى — وحقل الخدمات الاجتماعية العامة .

ك — وحقل الإسكان .

ل — وحقل وسائل النقل .

م — وحقل الاتصالات .

ن — وحقل توفير المياه .

س — وحقل إيقاف التصحر .

ع — وحقل تخضير الصحراء .

ف — وحقل تنمية الثروات : الزراعية والسمكية .

ص — وحقل الصناعات .

ق — وحقل الطاقة ، مصادرها وبدائلها .

ر — وحقل البترول .

ش — وحقل المصارف « البنوك » .

ت — وحقل عقود التأمين .

ث — وحقل العمل والعمال .

خ — وحقل النقابات المهنية .

ذ — وحقل الإنتاج .

ض — وحقل ترشيد الاستهلاك .

ظ — ودراسات الجدوى .

غ — وحقل إدارة الأعمال .

١٠ — ومجال كتابة البحوث العلمية المنهجية ، فى أى موضوع له صلة بحياة الإنسان ، وتحقيق مصالحه ، أو رفع الضرر عنه .

١١ — ومجال الدعوة الفردية ، والدعوة الجماعية ، ومتطلبات كل منهما .

١٢ — ومجال العمل الحركى فى الدعوة إلى الله .

١٣ ــ ومجال العمل التنظيمى فى مجال الدعوة إلى الله .

١٤ ــ ومجال التنقل والزيارات ، لعديد من البلدان الإسلامية ، وتحقيقا لأهداف كثيرة منها :

أ ــ التعرف على المسلمين فى تلك البلاد بعامة ، وعلى الدعاة منهم بوجه خاص .

ب ــ والتعرف على مشكلات تلك البلاد العامة .

جـ ــ والتعرف على معوقات العمل الإسلامى فى تلك البلاد .

د ــ والتعرف على التيارات الموالية والمعادية لهم فى بلادهم .

هـ ــ وتبادل وجهات النظر ، فى التفكير فى حلول المشكلات ، وإزالة المعوقات .

١٥ ــ ومجال العمل الجمعى التعاونى ، فى مختلف الحقول التى تحدثنا عنها آنفا .

كل تلك المجالات ، وغيرها كثير ، مما لم نذكر ، لأن هدفنا ليس الاستيعاب والإحصاء ، كل تلك المجالات ، يحتاج الداعية فيها ، إلى أن يعد إعدادا جيدا ، إعدادا عمليا تدريبيا ، فلابد إذن من الإعداد العملى ولابد من التدريب .

ولسنا بحاجة إلى أن نؤكد أن الداعية إلى الله لا يكون داعية جيدا مؤهلا للدعوة إلا إذا أعد عمليًّا ، ودرب تدريبا على تلك المجالات وغيرها ، مما تتطلبه الدعوة إلى الله ، بل مما يتطلبه العمل الإسلامى بعامة .

أما أن يترك الداعية بغير إعداد عملى ، أو بغير تدريب فذلك تقصير ليس كمثله ، تقصير ، تقصير يبلغ حد التهاون والإهمال .

ولا يشفع لمقصر فى هذا المجال ، أو متهاون أو مهمل أن يقال : إن الداعية الموهوب ، ليس فى حاجة إلى هذا الإعداد ، وأن الدعاة لا يقبلون على الدعوة إلى الله ، إلا إذا شعر كل منهم بما وهبه الله من قدرة واستعداد فطرى لممارسة الدعوة .

إن هذه المقولة لو صحت ــ وماهى بصحيحة إلا فى أضيق الحدود ــ فلا تعفى من ضرورة الإعداد العملى والتدريب ، لأن كل موهبة تحتاج إلى صقل وجلاء ، ولا يصقلها ولا يجلوها مثل الإعداد العملى والتدريب .

ولقد سبق لنا حديث عن البرنامج ــ أى برنامج ــ لإعداد العاملين فى حقل الدعوة

الإسلامية ، فى أى مجال من مجالات العمل فيها ، فقلنا : إن عناصر البرنامج الجيد الهادف :

توجيه ،

وتثقيف نظرى وعملى ،

وتدريب ،

وتقديم ومتابعة(١) .

فالتدريب إذن عنصر من عناصر أى برنامج للإعداد ، بدونه لا يتم العمل على وجهه المرضى ، ولايغنى عن التدريب موهبة أو استعداد .

وأضيف ـــ هنا ـــ أن التدريب أسلوب دعا إليه الإسلام فى كثير من المواقف المتصلة بالإعداد والتعليم والتربية .

فقد أمرنا رسول الله ﷺ أن نأمر أولادنا بالصلاة ، وهم أبناء سبع سنين ، وأن نضربهم على تركها إذا بلغوا عشرا : « مروهم بالصلاة لسبع ، واضربوهم عليها لعشر ، وعلموا الصبى الصلاة لسبع ... » .

والأولاد فى هذه السن ، لم يبلغوا بعد درجة التكليف ، فلماذا أمرنا الإسلام ، بأمرهم بأداء شيء غير مكلفين به ساعة أمرهم به ؟ ماذاك إلا إقرار نبوى لمبدأ التدريب ، ليحدث من ورائه اعتياد وإجادة .

وأمرنا الإسلام ـــ نحن الكبار ـــ بأداء الصلاة والصيام والزكاة والحج لمن استطاع السبيل إليه ، وهذه الفرائض فى جانب من جوانب الحكمة فيها تدريب ، بل تدريب جيد على مايعوده للإنسان أداؤه لهذه الفرائض ، ولنذكر هنا بعض الأمثلة على مايدرب عليه القيام بأداء هذه الفرائض ، فعلى سبيل المثال :

الصلاة : تُدرب على الطاعة والامتثال والنظام والانضباط فى التوقيت وفى الصفوف وفى النظر ، كما تدرب على اعتياد الوقوف بين يدى الله خمس مرات فى اليوم والليلة على الأقل ، وفى هذا ما فيه من مراقبته وخوفه ، ثم حبه والرضا بقضائه .

---

(١) انظر للمؤلف : وسائل التربية عند الإخوان المسلمين ص ١٧٠ وما بعدها ط دار الوفاء ١٤٠٩ هـ ـــ ١٩٨٩ م .

والصوم : يُدرب على الصبر ، ومقاومة أقوى شهوات الجسم البشرى ، شهوتى البطن والفرج ، ويرقق الشعور ، ويولد العطف على الجائعين .. إلخ .

والزكاة : تُدرب على الجود بأغلى ما يعتز به الإنسان ، وهو المال وعلى مقاومة الشح والبخل ، وتدرب على أداء الواجبات الاجتماعية نحو السائل والمحروم ، ونحو جميع أصحاب الحق فى الزكاة

والحج : يُدرب على الإجابة والطاعة ، والسياحة فى سبيل الله ، وتحمل المشاق من ثج وعج وتفث ، وجهد بدنى ليس قليلا فى الطواف والسعى والمبيت بمنى والمزدلفة ...

وهكذا كل ما جاء به الإسلام ، مما فرضه أو ندب إليه ، يعد فى جانب من جوانب حكمه ، تدريبا للمسلم على ممارسة فضيلة من الفضائل ، أو مقاومة رذيلة من الرذائل .

وإذا كان الأمر كذلك ، فإن الدعاة إلى الله ، يجب أن يعدوا لعملهم عن طريق العمل والتدريب ، حتى يتكامل لديهم التأهيل ويوفقوا بفضل الله ، لتحقيق ما يصبون إليه من أهداف .



الفصل الرابع

برنامج مقترح لإعداد الدعاة إلى الله

ويتناول :

التمهيد ، وعدداً من النقاط هى :

أولا : الجانب الثقافى من البرنامج .

ثانيا : الجانب الفنى من البرنامج .

ثالثا : الجانب العملى التدريبى من البرنامج .

رابعا : الجانب التقويمى للبرنامج .

برنامج مقترح لإعداد الدعاة إلى الله

التمهيد:

هذا البرنامج الذى نقدمه مقترحا ، هو مجرد تصور لا أطالب أحدا بالأخذ به ، فضلا عن أن يتصوره أحد القراء برنامجا ملزما فى إعداد الدعاة .

لماذا ؟

لأن الأصل فى برنامج إعداد الدعاة ، أن يكون نابعا من حصيلة تفكير كبار الدعاة ، والدعاة أنفسهم فى كل قطر من أقطار العالم الإسلامى ، ليكون مناسبا للدعاة فى هذا القطر بالذات .

وذلك أن لكل قطر أو إقليم من بلاد المسلمين ، طبيعته التى تخصه ، ومتطلباته التى قد لا يتطلبها سواه ، وظروفه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، التى قد لاتوجد فى غيره بنفس المستوى ، والأصل أن يؤهل الدعاة فى كل إقليم ، تأهيلا يلائم متطلبات الإقليم ، ومن هنا يختلف تأهيل الدعاة وإعدادهم ، من مكان إلى مكان .

وإن عوامل التغاير بين بلدان العالم الإسلامى لكثيرة ، وإنها على كثرتها ، لتتطلب أن يكون لكل فرع منها البرنامج الملائم ، لإعداد الدعاة فيه .

ولابد لنا أن نذكر أنماطا من هذا التغاير ، تصديقا لدعوانا ، فى ضرورة إعداد الدعاة فى كل إقليم حسب متطلبات هذا الإقليم ، فمن ألوان التغاير مايلى :

أ ــ نمط الثقافة السائد فى الإقليم .

ب ــ نوع اللغة المستعملة فيه ،

جـ ــ حظ أبناء هذا الإقليم من اللغة العربية ، لغة القرآن والإسلام ،

د ــ مايسود هذا الإقليم من عادات وأعراف ،

هـ ــ مايخضع له هذا الإقليم من نظم تعليمية ،

و ــ مايسوده من نظم سياسية واقتصادية ،
ز ــ طبيعة التركيبة الاجتماعية فيه ،
ح ــ مستوى معيشة السكان فيه ،
ط ــ ما يحظى به هذا الإقليم من قدرات وطاقات :
مادية ،
وبشرية ،
وعلمية .
ى ــ تاريخ هذا الإقليم وجغرافيته ،
ك ــ أهم المشكلات التى يعانى منها الإقليم ،
ل ــ علاقات هذا الإقليم بجيرانه .
م ــ التيارات المعادية للإسلام فيه ،
ن ــ التيارات الموالية للإسلام فيه ،
س ــ عدد المسلمين بالنسبة لعدد سكانه ،
ع ــ مدى تمسك المسلمين فيه بإسلامهم ،
ف ــ تاريخ الدعوة الإسلامية فيه ،
ص ــ أبرز الشخصيات الإصلاحية الإسلامية فيه ،
ق ــ حظ هذا الإقليم من العلم والتقنية .

إلى غير ذلك من ألوان التغاير ، وهى كثيرة ، ذكرنا أمثلة لها فقط ، وكل هذه التغايرات بين الأقاليم ، يجب أن توضع فى الاعتبار ، عند وضع برنامج لإعداد الدعاة فى إقليم بعينه .

ومخطىء من يتصور غير هذا .

فلماذا إذن ــ والأمر كذلك ــ أقدم هذا الاقتراح ؟ إنما أقدمه للأسباب التالية :

١ ــ ليفيد منه أبناء الإقليم الذى نشأت فيه وتلقيت فيه تعليمى كله ، وقضيت معظم سنى عمرى ومارست فيه الدعوة إلى الله داعيا إليه عددا غير قليل من السنين ، وأفَدْتُ فيه من برامج إعداد الدعاة فى جماعة « الإخوان المسلمين » داعيا ، ثم معلما فى هذه المدرسة فترة غير قصيرة .

٢ ــ ليثير هذا الاقتراح رغبة العاملين للإسلام المخلصين فى الدعوة إليه ، فلعلهم يلتقون على تصور برنامج أحسن .

٣ ــ ليتداعى أبناء كل إقليم إسلامى من الدعاة ، فيضعون برنامجا لإعداد الدعاة عندهم .

٤ ــ لأعين به كل من تحدثه نفسه ، فى التفكير فى برنامج لإعداد الدعاة .

ولا ينبغى لأحد أن ينخدع بمقولة : « إن البرنامج مادام للدعاة الإسلاميين ، فإنه صالح لهم فى كل قطر فقد وحّد بينهم الإسلام » .

لأن هذه المقولة تتجاهل هذه التغايرات ، ولم تصدر عن دراسة مستأنية ، ولا علم بمنهج ، وإنما هى من عفويات العقول والألسنة ، يجب أن ترد على قائليها مهما كانوا حسنى النية وليواجهوا بهذه التغايرات .

وأخيرا فما أصدق المثل القائل : « أهل مكة أدرى بشعابها » .

وإلى حديثنا عن جوانب البرنامج المقترح لإعداد الدعاة إلى الله ، والله المستعان .

أولا : الجانب الثقافى من البرنامج المقترح

يقوم البرنامج فى هذا الجانب على الدرس والتحصيل والاستيعاب ، فى المجالات الأربعة التالية :

المجال الأول : أصول الدين الإسلامى : وتتناول :

١ ــ القرآن الكريم ، ويتطلب مايلى :

أ ــ حفظه كله أو معظمه .

ب ــ ومعرفة أحكام التجويد وآداب التلاوة .

جـ ــ ومعرفة التفسير أصوله ومذاهبه .

٢ ــ والسنة النبوية المطهرة ، وتتطلب مايلى :

أ ــ حفظ أكبر قدر ممكن من الأحاديث النبوية .

ب ــ وحفظ الأحاديث القدسية كلها .

جـ ــ ومعرفة تفسير الحديث وشرحه .

د ــ ومعرفة أصول الحديث .

٣ ــ والسيرة النبوية ، وتتطلب مايلى :

أ ــ قراءتها فى كتاب معتمد موثق .

ب ــ واستيعاب أحداثها وأجزائها بدقة .

جـ ــ والتعرف على مواقف الدرس والتأمل فيها .

٤ ــ والفقه الإسلامى ، ويتطلب مايلى :

أ ــ دراسته فى كتاب معتمد .

ب ــ وتعرف جيد على المذاهب الفقهية .

جـ ــ ودراسة لعلم أصول الفقه .

٥ ــ ونظام الحكم فى الإسلام ، ويتطلب مايلى :

أ ــ دراسة جيدة لموضوع الخلافة .

ب ــ ودراسة جيدة لموضوع الحسبة « الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » .

جـ ــ ودراسة للنظم الحكومية فى الإسلام .

المجال الثانى : تاريخ الأديان السابقة على الإسلام : ويتناول :

١ ـــ دراسة الديانة اليهودية دراسة تتناول مايلى :

أ ـــ فكرة عن التوراة والتلمود .

ب ـــ وفكرة عن الصهيونية .

جـ ـــ وفكرة عن إسرائيل اليوم .

٢ ـــ دراسة الديانة النصرانية دراسة تتناول مايلى :

أ ـــ فكرة عن الإنجيل وشروحه .

ب ـــ وفكرة عن الحروب الصليبية .

جـ ـــ وفكرة عن التنصير « التبشير » .

د ـــ وفكرة عن الاستشراق .

هـ ـــ وفكرة عن الكنائس وماتقوم به من أعمال .

٣ ـــ ودراسة للملل والنحل قديما .

٤ ـــ ودراسة لبعض النحل المعاصرة مثل :

القاديانية ،

والبهائية ،

والدرزية ،

والنصيرية .

٥ ـــ ودراسة جيدة محايدة للشيعة تتناول :

أ ـــ تفكيرهم فى كبريات القضايا .

ب ـــ وفقههم .

جـ ـــ وسياستهم الحديثة .

المجال الثالث : الثقافة الإسلامية : وتتناول :

١ ـــ تاريخ الصحابة رضوان الله عليهم .

٢ ـــ وتاريخ التابعين .

٣ ـــ والتاريخ الإسلامى .

٤ ـــ وتاريخ حياة أئمة المذاهب الفقهية .

٥ ـــ وتاريخ الفتوح الإسلامية .

٦ ــ ودراسة حاضر العالم الإسلامى ودراسة تاريخ الدول الإسلامية مثل :

الأموية والعباسية والفاطمية والأيوبية والنورية والعثمانية ، مع التركيز على دراسة أسباب ضعفها .

المجال الرابع : الثقافة العامة : وتتناول :

١ ــ التيارات الموالية للإسلام مثل :

أ ــ الجماعات الإسلامية المعتدلة .

ب ــ والمصلحين والمجددين فى الإسلام .

جـ ــ والطرق الصوفية .

٢ ــ والتيارات المعادية للإسلام مثل :

أ ــ اليهودية أو الصهيونية .

ب ــ والمسيحية أو الصليبية .

جـ ــ الإلحادية أو الشيوعية .

د ــ والاستشراق والمستشرقون .

هـ ــ والتنصير .

و ــ والاستعمار بأنواعه العسكرى والاقتصادى والاجتماعى .

ز ــ والغزو الفكرى .

٣ ــ والفلسفات والمذاهب الهدامة مثل :

أ ــ الوجودية .

ب ــ والفوضوية .

جـ ــ والفلسفة الطبيعية .

د ــ والفلسفة المثالية .

هـ ــ ومذاهب العرى والإباحة .

ثانيا : الجانب الفنى من البرنامج

ويقوم البرنامج فى هذا الجانب ـــ كذلك ـــ على الدرس والتحصيل فى المجالات الأربعة التالية :

الأول : دراسة نحو اللغة العربية وفقهها : وتتناول مايلى :

أ ـــ علم النحو .

ب ـــ وعلم الصرف ،

جـ ـــ وعلم فقه اللغة .

والثانى : دراسة علوم بلاغــة اللغة العربية : وتتناول مايلى :

أ ـــ علم المعانى ،

ب ـــ وعلم البيان ،

جـ ـــ وعلم البديع ،

د ـــ وعلم النقد الأدبى .

والثالث : دراسة فنون القول فى العربية : وتتناول مايلى :

أ ـــ الشعر ومذاهبه وفنونه .

ب ـــ والقصة وأنواعها .

جـ ـــ والمسرحية وأنواعها .

د ـــ والمقالة وأنواعها .

هـ ـــ وفن الخطابة ويتوسع فيه ليشمل مايلى :

* تاريخها ،
* وأنواعها ،
* وخصائصها ،

وحفظ نماذج منها وبخاصة خطب النبى ﷺ .

والرابع : فن أدب البحث والمناظرة : ويتناول مايلى :

أ ـــ كيفية إيراد الكلام بين المتناظرين .

ب ـــ وبيان الأدلة وأنواعها .

جـ ـــ والحياد والموضوعية والانصياع للحق وإلا كان مكابرا .

ثالثا : الجانب العملى التدريبى من البرنامج

ويقوم البرنامج فى هذا الجانب على الممارسة والتدريب ، ويتناول المجالات الثلاثة التالية :

الأول : التدرب على الاستماع والمشاهدة فيما يلى :

أ ـ الخطباء والمحاضرين ومعدى الدروس .

ب ـ والتحليل والدراسة لعدد من المقالات .

جـ ـ والتعرف الدقيق على مناهج تأليف الكتب .

والثانى : التدرب على ممارسة الوسائل التالية :

أ ـ إلقاء خطبة أو محاضرة أو درس أعدت من قبل .

ب ـ وإعداد بحث علمى أو تحليل سياسى أو اقتصادى .

جـ ـ وإعداد مقالة أو رسالة .

ـ د ـ ووضع خطة لتأليف كتاب .

والثالث : التدرب على ممارسة الارتجال فيما يلى :

أ ـ الخطبة .

ب ـ والدرس .

جـ ـ والتفسير والتحليل لنص من النصوص الإسلامية .

كل ذلك يرتجله الداعية دون أن يكون مُعَدًّا من قبل ، وفى كل مرة يرتجل ، سوف يكون أحسن من المرة السابقة وهكذا .

رابعا : الجانب التقويمى للبرنامج

ويقوم البرنامج فى هذا الجانب على التقويم والمتابعة لكل الجوانب السابقة الثقافية والفنية والتدريبية ، ويجب أن يتناول التقويم المجالات الثلاثة التالية :

الأول : الفترة الزمنية التى اختيرت للإعداد : وتشمل :

أ ـــ نوعيات الدارسين ومستوياتهم .

ب ـــ الزمن المتاح لإعدادهم ومدى ملاءمته .

جـ ـــ نوعية الإعداد ومدى أهميته لهم .

والثانى : قياس التحصيل : ويتناول مايلى :

أ ـــ اختبارات تحريرية .

ب ـــ واختبارات شفهية .

جـ ـــ واختبارات عملية .

والثالث : المكان الذى تم فيه الإعداد : ويتناول مايلى :

أ ـــ ملاءمة المكان للدارسين ، من حيث بعده أو قربه عن أماكن إقامة الدارسين .

ب ـــ وملاءمة المكان من حيث إعداده ، مقاعد ووسائل إيضاح وأدوات وآلات تسجيل .

جـ ـــ وملاءمته من حيث الإشراف والإدارة .

وبعد : فأكرر ما أقوله عقب كل باب من أبواب الكتاب ، وهو أنى قدمت صورة مجملة لمحتوى الباب كله ، ولمحتوى برنامج إعداد الداعية هنا .

وهى محاولة تشبه القطرة من الضوء ، تلقى فى الطريق المظلم الذى لم يطرق ولم يعبد ، لعلها تكشف الغموض ، وتنير المسالك ، وتثير الرغبة فى التفكير والعمل .

والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم

الباب الرابع

فقه المدعوين إلى الله

ويتناول :

التقديم وعددا من الموضوعات هى :

الفصل الأول : المدعوون إلى الله هم الناس جميعا .

الفصل الثانى : سمات خاصة فى فئات من المدعوين .

الفصل الثالث : واجبات الدعاة نحو المدعوين .

الفصل الرابع : واجبات المدعوين .

فقه المدعوين إلى الله

التقديم :

كما أوضحنا فيما مضى من الكتاب ، أن للدعوة فقهاً ، وأن للدعاة فقهاً ، نقول هنا : إن للمدعوين فقهاً ، هو ما نحن بصدد توضيحه الآن .

بينا فى الباب الأول أن فقه الدعوة يعنى تعمق فهم تاريخها وتاريخ دعاتها ، وأسبابها وأركانها وأساليبها ووسائلها ونتائجها .

وبينا فى الباب الثانى ، أن فقه مراحل الدعوة ، يعنى معرفة مراحلها معرفة دقيقة ؛ تستوعب تعريف المرحلة ، وتحديد أبعادها ، وطبيعتها ، ومتطلباتها ، وأهدافها ، ووسائلها ، والحكم الشرعى فى ممارسة العمل فيها ، والمدى الزمنى لها ، وأولويات العمل فيها ، وبرنامجها ، أسسه ومحتواه .

وبينا فى الباب الثالث أن فقه الداعى إلى الله ، يعنى تحديد وظيفة الداعى إلى الله ، أو وظائفه جميعا ، وأهلية الداعى إلى الله ، وإعداده النفسى والخلقى والثقافى النظرى والعملى ، وإعداده الفنى ، واقترحنا برنامجا لإعداده .

وفى هذا الباب الرابع والأخير من الكتاب ، يتكفل الحديث بإذن الله تعالى ببيان فقه المدعوين إلى الله تعالى ، وتلك تكملة منطقية ، لأن أطراف الكتاب ، التى أردنا أن نجمع بينها فيه هى : الدعوة والدعاة والمدعوون .

فماذا نعنى بفقه المدعوين ؟

إننا نعنى بإيجاز تعمق الفهم كذلك فى القضايا التالية :

١ ـــ أصناف المدعوين ،

٢ ـــ والسمات الخاصة بكل صنف منهم ،

٣ ـــ وتعمق فهم واجبات الدعاة نحو المدعوين ،

٤ ـــ والتعرف على واجبات المدعوين ، نحو أنفسهم ، ونحو الدعاة ، ونحو الدعوة وتلك هى فصول هذا الباب .

وذلك أن ممارسة الدعوة إلى الله ، دون التعمق فى فقه المدعوين ، عمل لايقوم على منهج علمى ، إذ يفقد بذلك طرفا من أطرافه ومكونا رئيسا من مكوناته ، بل يفقد التعرف على ميدان العمل نفسه ، وكل عمل لايقوم على منهج ، فإنه يكون بعيدا جدا عن النجاح والتوفيق .

وقد يتصور بعض الناس ، أن المدعوين لا نحتاج معهم فى مجال الدعوة إلى فقه أو تفقه ، لأنهم بمثابة أجهزة الاستقبال فى الرسالة الإعلامية ، وجهاز الاستقبال من شأنه أن يستقبل أو يتقبل ما يلقى إليه وكفى .

ولكن هذا التصور فيه قصور وعجز عن الإدراك الحقيقى لهذا البعد الثالث من أبعاد الدعوة إلى الله ـــ وهو : « المدعوون » ، وذلك أن المدعوين ، ليسوا سواء فى التلقى ، لا فى القدرة على التلقى ، وبكل تأكيد لن يكونوا سواء ، فى اتخاذ مواقف بعينها من الدعوة ومن الدعاة .

ومن خلال هذه الظروف ، فلا يجوز لنا أن نتجاهل هذه الفروق بين طوائف المدعوين ، وإلا ضاع عمل الدعاة إلى الله هباء ، لا يجد ما يستقر عليه أو فيه ، وكان الدعاة كمن يحاول أن يسمع الصم ، أو يهدى العمى ، أو يثير الفكر والخواطر عند المجانين ، أو كانوا كمن يحرث فى البحر ، أو يغرس فى الهواء .

فمنذ أقدم الدعوات ـــ وأقدم الدعاة ، من أولى العزم من الرسل نوح عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ـــ صنف الدعاة إلى الله المدعوين أصنافاً ، وعرفوا لكل صنف منهم سمات وخصائص ، واختاروا لكل صنف ما يناسبه من الأساليب والوسائل .

لقد كان من قوم نوح عليه السلام ، معاندون تحدوا الحق الذى دعا إليه ، وتحدوا نوحاً نفسه ، وسخروا منه ومن دعوته ، وكادوا له ، وكانت لهم فى كل تلك المواقف سمات وخصائص ، ظهرت فى تلك المواقف .

فقد كذبوا ، وللمكذبين سمات ، وعاندوا وطالبوا بطرد الفقراء من صفوف المؤمنين ، وجادلوا حتى ملوا الجدال ، وكان لكل منهم ما يناسبه من أساليب الدعوة ووسائلها ، لأن تلك هى الحكمة التى أمرنا الله بها فى الدعوة إليه .

وكذلك كان الشأن فى المدعوين مع كل رسول من الرسل عليهم الصلاة والسلام ، كانوا أصنافاً لكل صنف خصائصه ، وواجههم الدعاة بالأساليب والوسائل المناسبة لهم .

إن الدعاة إلى الله ملزمون بأن يقدموا للناس من الدعوة على قدر ما يفهمون ويستوعبون . وعلى قدر ما يستطيعون ، وإلا تخلوا فى عملهم عن الحكمة .

إن هؤلاء المدعوين إلى الله ، عند عرض الدعوة عليهم ، يستجيب منهم من يستجيب ، ويُعرض من يُعرض ، وفى فقه المدعوين لابد أن نوضح لهؤلاء وأولئك أموراً ، من أهمها :

ماذا يكون موقف المستجيبين بعد انضمامهم إلى ركب الدعوة ؟
وما واجبهم نحو الدعوة ؟
وما واجبهم نحو مدعوين آخرين ، عليهم هم أن يدعوهم ؟
وماذا يكون موقف الدعاة إلى الله من المعرضين ؟
وما واجبهم نحوهم ؟
أيسكتون عنهم وييأسون من استجابتهم ؟
أم يغيرون أساليب الدعوة ووسائلها معهم ؟
أم يسكتون عنهم إلى حين ؟
أم يصنفونهم فى صنف الأعداء ؟

إن فقه المدعوين ، يعنى الإجابة على كل تلك الأسئلة ، وعلى كثير غيرها ، مما يتسبب الموقف فى إثارته .

إن تلك الإجابة هى فقه المدعوين ، وهى موضوع هذا الباب من الكتاب .

إن فقه المدعوين ، يعنى الإجابة على كل سؤال ناشىء عن موقف ، يتخذه صنف من المدعوين إجابة شافية ، مدعومة بما يؤيدها من نصوص الدين ، وما يساندها من شواهد وبراهين ، تميز الحق عن الباطل بإذن الله تعالى .

إن المدعوين لا يقلون أهمية عن الدعاة أنفسهم ، فهم الضلع الثالث فى مثلث الدعوة إلى الله ، ولن يكون المثلث مثلثاً إلا بثلاثة أضلاع ، وما لم يكونوا فى دائرة الاهتمام والبحث والدراسة ، فإن الدعوة إلى الله تفقد جمهورها العريض أو تفقد من توجه إليه ، وإن الدعاة إلى الله يفقدون ميدانهم الذى يعملون فيه ، وإن العمل الإسلامى كله يصاب بالعجز

والضمور .

إن فقه المدعوين إلى الله ، يوازى فقه الدعوة ، وفقه الدعاة ، وهذا ما سوف يؤكده هذا الباب من الكتاب بإذن الله تبارك وتعالى .

الفصل الأول

المدعوون إلى الله هم الناس جميعا وهم أصناف

ويتناول :

تمهيدا وعدداً من النقاط هى :

١ ـ من لا دين لهم من الناس .

٢ ـ أهل الأديان الأخرى غير الإسلام .

٣ ـ عصاة المسلمين .

٤ ـ عامة المسلمين ـ وقد قسمهم الإمام البنا إلى أربعة أقسام :

أ ـ مؤمن .

ب ـ ومتردد .

جـ ـ ونفعى .

د ـ ومتحامل.

المدعوون إلى الله هم الناس جميعاً وهم أصناف

التمهيد :

سبق أن أكدنا ، أن الدعوة إلى الله ، هى الدعوة إلى عبادته وحده لا شريك له ، والدعوة إلى عبادة الله وحده موجهة إلى الإنس والجن ، ومعنى ذلك أن المدعوين إلى الله ، هم الناس جميعاً فى كل زمان ومكان .

وإن الخطاب القرآنى موجه إلى الناس جميعاً ، ليدخلوا فى عبادة الله وطاعته .

وإن الآيات القرآنية ، التى توجه الخطاب إلى الناس عموماً ، وإلى الإنسان جنسه كله لكثيرة .

وإن الآيات القرآنية ، التى تتحدث بصيغ العموم ، فتوجه الخطاب إلى أولى الألباب ، أو إلى العباد ، أو إلى العالمين ، أو إلى بنى آدم ، أو إلى البشر لكثيرة كذلك .

وحسبنا هنا الشاهد والمثال ، تاركين علاج قضية عالمية الدعوة إلى الله للكتب المتخصصة فى ذلك[١] .

قال الله تعالى : ﴿ **وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾[٢] .

وقال سبحانه : ﴿ **قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا** ﴾[٣] .

وقال جل شأنه : ﴿ **أيحسب الإنسان أن يترك سدى** ﴾[٤] .

وقال سبحانه : ﴿ **قتل الإنسان ما أكفره** ﴾[٥] .

وقال عز وجل : ﴿ **ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا** ﴾[٦] .

وقال سبحانه : ﴿ **إن تكفروا فإن الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر** ﴾[٧] .

وقال جل شأنه : ﴿ **فإن حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعن وقل للذين**

---

(١) انظر للمؤلف : عالمية الدعوة الإسلامية جزءان ط ثالثة دار عكاظ الرياض ـــ السعودية ١٤٠٤ هـ ـــ ١٩٨٤ م .
(٢) سورة سبأ : ٢٨ . (٣) سورة الأعراف : ١٥٨ . (٤) سورة القيامة : ٣٦ .
(٥) سورة عبس : ١٧ . (٦) سورة فاطر : ٣٢ . (٧) سورة الزمر : ٧ .

أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد ﴾[1] . والبشرية كلها إما أهل كتاب أو أميون .

وقال سبحانه : ﴿ يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ﴾[2] .

وقال سبحانه : ﴿ يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ﴾[3] .

وقال عز وجل : ﴿ يا بنى آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾[4] .

وقال سبحانه : ﴿ ألم أعهد إليكم يا بنى آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم ﴾[5] .

وقال عز من قائل : ﴿ تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ﴾[6] .

وقال سبحانه : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾[7] .

وقال : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾[8] .

وقال سبحانه : ﴿ إن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا . لقد أحصاهم وعدهم عدا . وكلهم آتيه يوم القيامة فردا ﴾[9] .

إن هذه الآيات القرآنية الكريمة ، وغيرها كثير ، لدليل قاطع على أن الدعوة إلى الله موجهة لجميع الناس فى كل زمان ومكان .

وكذلك ورد عدد كبير من أحاديث النبي ﷺ ، تؤكد هذه الحقيقة ، ولولا الاستطراد لذكرنا جانباً كبيراً من هذه الأحاديث النبوية ، ولكننا نكتفى بالشاهد والمثال فنقول :

---

(1) سورة آل عمران : ٢٠ .
(2) سورة الأعراف : ٣١ .
(3) سورة الأعراف : ٢٧ .
(4) سورة الأعراف : ٣٥ .
(5) سورة يس : ٦٠ .
(6) سورة الفرقان : ١ .
(7) سورة الأنبياء : ١٠٧ .
(8) سورة الذاريات : ٥٦ .
(9) سورة مريم : ٩٣ — ٩٥ .

روى الإمام أحمد بسنده ، عن ابن عباس رضى الله عنهما ــ مرفوعاً ــ أن رسول الله ﷺ قال : « أعطيت خمساً ، لم يعطهن نبى قبلى ــ ولا أقوله فخراً ــ : بعثت إلى الناس كافة الأحمر والأسود ..... » الحديث[1] .

وروى البخارى ومسلم وأصحاب السنن أن رسول الله ﷺ قال : « كان النبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة ... »[2] .

وروى الأصبهانى بسنده ، عن كرز بن علقمة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أيما أهل بيت من العرب ، أو العجم ، أراد الله عز وجل بهم خيرا أدخل عليهم الإسلام »[3] .

هذه النصوص الدينية دليل ، أى دليل ، على أن الدعوة إلى الله موجهة إلى البشرية كلها فى كل زمان ومكان .

ومعنى ذلك أن كل واحد من الناس ، مدعو إلى أن يعبد الله وحده لا شريك له ، وأن يؤمن به وبملائكته وكتبه ورسله ، وأن يدخل فى هذا الدين الذى جاء به محمد ﷺ ، وإن لم يفعل فهو من الآثمين .

ومهما كانت الظروف والأحوال بالنسبة لأى إنسان ، فإنه غير مقبول منه أن يعبد غير الله ، ومطلوب منه ألا يقطع رحلة حياته الدنيا ، إلا وفق منهج الله الذى جاء به الدين الإسلامى كاملاً تاماً مفصلا..

الإنسان كل الإنسان مطالب بذلك ، الإنسان المتحضر ، والآخر الذى يعيش بداوة وتخلفاً ، مادام قد وصلته دعوة الله ، وبلغته شريعة الإسلام .

أما من لم تبلغه الدعوة فى هذا العصر ، الذى قربت فيه المسافات على بعدها ، وطويت فيه الأرجاء على ترامبها ، بوسائط النقل والاتصال المتعددة ، إن هذا الإنسان الذى لم تبلغه الدعوة ــ إن وجد ــ فإنما إثمه على الدعاة إلى الله ، وعلى المسلمين جميعاً ، فهم مسئولون بين يدى الله عنه ، لماذا لم يبلغوه مادام إبلاغه فى استطاعتهم .

وإنى أميل ــ بعد تجوال كبير فى كثير من أنحاء العالم ــ إلى أن أحداً من الناس ، لم تبلغه دعوة الإسلام اليوم ، وفى هذا العصر بالذات ، عصر طى المسافات وتقارب الأرجاء .

---

(١) الإمام أحمد مسنده . (٢) كل أصحاب السنن . (٣) الأصبهانى : أخلاق النبى .

هؤلاء المدعوون إلى الله أصناف عديدة ، حاولنا هنا أن نختار تصنيفاً لهم ، من بين عديد من التصنيفات التى اطلعنا عليها ، لما له من صلة بالدعوة والدعاة والمدعوين ، لنوضح موقف هذا الصنف من الدعوة على النحو الذى تبينه النقاط التالية من هذا الفصل .

والله يوفق ويعين .

١ ــ مَنْ لا دين لهم من الناس

من دواعى الأسف أن المجتمع الإنسانى اليوم فى عصر العلم والتقدم والوصول إلى الكواكب البعيدة عن الأرض ، لا يزال فيه عدد من الناس لا يدينون بدين ــ على الرغم من أنهم فى الغالب قد سمعوا عن دين من الأديان ، وهؤلاء ليسوا قلة يستهان بها ، وحتى لو كانوا قلة ، فإن الأصل ألا يستهان بهم ، وقد كرمهم الله سبحانه بأن جعلهم من بنى آدم عليه السلام .

وليس بمستغرب أن يوجد اليوم من لا دين لهم من الناس ، فإنه ليسْ أقل غرابة من ذلك وجود من يعبدون الأصنام اليوم فى عدد من البلاد ، فلا تزال فى العالم اليوم شعوب بدائية تعبد أوثاناً أو طواطم[١] .

إن أهل استراليا الأصليين ، وبعض سكان شمالى أمريكا ، ومعظم سكان « ميلا تيزيا » يعبدون طوطما ، ويعتبرون أكل لحمه حراماً على أفراد عباده الذين يعتنقون تلك العقيدة ، ويعتبرون أنفسهم قد انحدروا عنه ، بل إن بعضهم يحمل اسمه مثل عشيرة القنغر ، ويوجبون على أنفسهم القيام نحو هذه الطواطم بشعائر وطقوس خاصة فى مواسم معينة ، ويحرمون على أنفسهم قيام العلاقات الجنسية ، ممن انحدروا من طوطم واحدة !!

وبعضهم يتخذ طوطماً من النبات ، أو من الكائنات الحية المادية ، أو من الظواهر الطبيعية .

وهو نظام محير للباحثين المحدثين من علماء الاجتماع ، فلا يستطيع أحد حتى اليوم أن يتصور نظرية واحدة مقبولة عن أصل هذه العبادة الوثنية[٢] .

---

(١) الطوطم حيوان أو نبات أو جسم محسوس ، ينظر إليه الرجل البدائى فى احترام وخشوع ، دون أن يكون هناك سبب معقول ، يدفعه لذلك . ويعتقد الناس فى القبائل الطوطمية ، أنهم ينحدرون عن ذلك الطوطم ، كما تسمى القبيلة باسمه ، أى أن الطوطم عندهم رمز للأب أو الجد ، وبديل عنه . معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ــ أحمد زكى بدوى .

(٢) وهذا شائع فى الأماكن التى ذكرنا آنفا [illegible] ميلاتيزيا . وميلاتيزيا : إحدى مجموعات الجزر الثلاث الرئيسية بالمحيط الهادى وتقع جنوبى خط الاستواء إلى الجنوب الجنوبى الغربى من هذا المحيط وتشمل : سولومون إيلاندز ، ونيُو هبريدز ، ونيوكاليدونيا . وأرخبيل بسمارك ، وأومرالتى ، وفيجى ، ومعظم هؤلاء من أصل زنجى ، ولغتهم مالاوية بولينيزية .

وفى أفريقيا الوسطى اليوم يعتنق أغلب سكانها الوثنية حتى اليوم ، على الرغم من انتشار الإسلام فى شماليها بالقرب من تشاد ، وهى عضو فى هيئة الأمم المتحدة ، منذ استقلت عن فرنسا عام ١٩٥٨ م .

وكذلك — فإن من أفريقيا قبائل عديدة ، لا تزال تعبد الأصنام ، وتعبد الأشخاص ، وتعبد الأشجار .

وفى الهند معبودات فوق الحصر ، إذ السائر لدى الناس ، أن الهندوس يعبدون البقرة ، ويتصورون أن هذا وحده هو الشائع الذائع هناك .

والحق أن الهند حافلة بمعبودات وثنية عديدة ، تفوق حصر الحاصرين ، نذكر منها ما يلى كدليل وبرهان :

فمن المعبودات المعروفة هناك :

١ — « قارونا » أى السماء .

٢ — و « أجنى » أى النار .

٣ — و « سوريا » أى الشمس .

٤ — و « لاكشمى » أى آلهة الحظ والأعاصير والنور .

وهناك آلهة يظهرون فى صور إنسانية مثل :

١ — « شيفا » أى الواقى ،

٢ — و « فيشنو » أى الهادم ،

٣ — و « براهما » وهو إلـٰه سامٍ لا يقترب منه الإنسان ، وهو عندهم إلـٰه خلق العالم واتحد به .

والثالوث المكون من : « شيفا وفيشنو وبراهما » هو محور الديانة الهندوكية الآن .

و « شيفا » يعبد ويصنع على هيئة بظر .

و « فيشنو » نزل إلى الأرض فى تسعة تقمصات أشهرها صورة « كريشنا » الشهوانية .

وفى الهند آلهة أخرى مثل :

الأفاعى ،
وكثير من الحيوانات .

وفى اليابان من يعبدون الشمس حتى الآن ، بل منهم من يعبد الإمبراطور ، ويدعى أنه مقدس .

هؤلاء الناس جميعاً يُعدّون كمن لا دين لهم ، لأن الأديان من عند الله ، ولا يمكن أن يكون هذا دينا جاء من عند الله .

إنهم يعبدون الكواكب والأحجار والأشجار والحيوانات ...

وهؤلاء جميعاً مدعوون إلى الله ، ليدخلوا فى دين الإسلام ، ويذروا ما هم عليه من باطل ووهم .

وهؤلاء أولى أن يدخلوا فى عبادة الله وحده وفق شريعة الإسلام ومنهجه ونظامه ، وذلك عمل الدعاة إلى الله .

٢ ــ أهل الأديان الأخرى غير الإسلام

وهؤلاء كثيرون ، وأهمهم فى نظرنا أصحاب الأديان السماوية الذين يطلق عليهم فى الإسلام « أهل الكتاب » وهم :

اليهود ،

والنصارى .

وهم وإن كانوا أهل دينين سماويين ، إلا أنهم مطالبون بأن يدخلوا فى الإسلام عند ظهوره ، كما حدثتهم بذلك أديانهم ، ولأن الله تعالى نسخ بدين الإسلام جميع الأديان التى سبقته فى التاريخ .

وسوف نسوق على ضرورة دخولهم فى الإسلام أدلة من القرآن الكريم ، لإقناع المسلمين ، كما سنسوق أدلة من كتبهم لإقناعهم هم بذلك ، أو إقناع غير المسلمين جميعاً .

أما الأدلة من القرآن الكريم فقوله تعالى : ﴿ **الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون . قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً الذى له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون** ﴾[1] .

وفى الآيتين الكريمتين دلالات كثيرة على أنهم مطالبون بالدخول فى دين الإسلام ، منها :

١ ــ أنّ النبى محمداً ﷺ وأخباره وكتابه معروف عند اليهود فى التوراة ، ومعروف عند النصارى فى الإنجيل .

٢ ــ أنهم مكلفون بالاستجابة له فى أمره إياهم بالمعروف ، ونهيهم عن المنكر ، وتحليل الطيبات ، وتحريم الخبائث .

---

(١) سورة الأعراف : ١٥٧ ــ ١٥٨ .

٣ ــ أن النبى الخاتم ، سوف يكون بإذن الله مكلفاً ، بأن يضع عمن آمنوا به من بنى إسرائيل الأثقال والأغلال التى علم الله أنها ستفرض عليهم ، بسبب معصيتهم ، فيرفعها عنهم النبى الأمى ، حين يؤمنون به ﴿ **ويضع عنهم إصرهم** ..... ﴾

٤ ــ أنه لا فلاح لأهل الكتاب ، إلا بالإيمان بدين الإسلام ، واتباع ما جاء به محمد ﷺ ﴿ **فالذين آمنوا به** ﴾ إلى قوله ﴿ **أولئك هم المفلحون** ﴾ .

وقال سبحانه : ﴿ **وقل للذين أوتوا الكتابَ والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد** ﴾[1] .

قال ابن كثير بعد هذه الآيات : (فذكر تعالى بعثته إلى الأميين وأهل الكتاب ، وسائر الخلق من عربهم وعجمهم ، فكل من بلغه القرآن فهو نذير له ، قال رسول الله ﷺ : « والذى نفسى بيده لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ولا يؤمن بى إلا دخل النار »)[2] رواه مسلم . وهذا هو لفظه .

وروى الإمام أحمد بسنده نحوه ولفظه : « من سمع بى من أمتى من يهودى أو نصرانى فلم يؤمن بى لم يدخل الجنة » .

وروى الحافظ أبو يعلى بسنده قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تسألوا أهل الكتاب عن شىء ، فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا ، وإنكم إما أن تصدقوا بباطل ، وإما أن تكذبوا بحق ، وإنه والله لو كان موسى حيّا بين أظهركم ، ما حل له إلا أن يتبعنى » وفى بعض الروايات : « لو كان موسى وعيسى حيّين لما وسعهما إلا اتباعى »[3] .

وأما الأدلة التى تقنع أهل الكتاب ، وتقنع غير المسلمين من الناس ممن ليسوا أهل كتاب فكثيرة كذلك ، نكتفى بأن نذكر منها ما يقوم حجة وبرهاناً على أهل الكتاب من يهود ونصارى .

وسوف نستشهد ببعض ما جاء فى كتبهم التى بين أيديهم حتى اليوم ، فهى على الرغم مما دخلها من تحريف ، لا يزال فيها ما يثبت وجوب اتباعه ﷺ ، والدخول فى دينه ، وترك ما عداه من أديان .

---

(١) سورة آل عمران : ٢٠ .
(٢) ابن كثير : البداية والنهاية : ٦ / ١٣٣ .
(٣) من أراد التوسع فى هذه الأدلة فليرجع إلى كتابنا : عالمية الدعوة الإسلامية .

وسوف نجعل الاستشهاد من التوراة والإنجيل ، ومن سائر الكتب المعروفة لديهم ، التى يجمعها اليوم ما يسمونه بالعهدين القديم والجديد ، مفردين كل شاهد فى أحد هذه الكتب ، عن أى شاهد فى كتاب آخر منها .

ففى التوراة :

١ ـــ فى السفر الرابع فى قصة موسى : « إن الله أوحى إلى موسى عليه السلام ، أن قل لبنى إسرائيل : سأقيم لهم نبياً من أقاربهم ، مثلك يا موسى ، وأجعل وحيي بفيه ، وإياه يسمعون » .

٢ ـــ وفى السفر الخامس ـــ سفر الميعاد ـــ أن موسى عليه السلام خطب بنى إسرائيل فى آخر عمره ـــ وذلك فى السنة التاسعة والثلاثين من سنى التيه ـــ وذكرهم بأيام الله ، وأياديه عليهم ، وإحسانه إليهم ، وقال لهم فيما قال : « واعلموا أن الله سيبعث لكم نبياً من أقاربكم ، مثل ما أرسلنى إليكم ، يأمركم بالمعروف ، وينهاكم عن المنكر ، ويحل لكم الطيبات ، ويحرم عليكم الخبائث ، فمن عصاه فله الخزى فى الدنيا والعذاب فى الآخرة » .

وفى الإنجيل : إنجيل يوحنا :

أ ـــ الإصحاح الرابع عشر :

يقول عيسى عليه السلام لأتباعه : « إنى مرتق إلى صفات العلى ، ومرسل إليكم الفارقليط ، روح الحق يعلمكم كل شىء » .

والمراد بالفارقليط محمد ﷺ ، وهذا مصداق لما جاء فى القرآن الكريم على لسان عيسى بن مريم عليه السلام : ﴿ **ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد** ﴾[1] .

ب ـــ وفى الإصحاح الرابع عشر أيضاً :

يقول المسيح عليه السلام : « إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى ، وأنا أطلب من الأب أن يعطيكم مُعزِّيا آخر ، ليمكث معكم إلى الأبد روح الحق .... أما المعزى الروح القدس الذى سيرسله الأب باسمى ، فهو

---

(١) سورة الصف : ٦ .

يعلمكم كل شيء ، ويذكركم بكل ما قلته لكم » .

جـ ـــ وفى الإصحاح السادس عشر :

جاء قول المسيح : « لكى أقول لكم الحق ، إنه خير لكم أن أنطلق ، لأنه إذا لم أنطلق لا يأتيكم المعزِّى ، ولكن إن ذهبت أرسله إليكم » .

د ـــ وفى الإصحاح السادس عشر أيضاً :

قال المسيح : « ... إن لى أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم . ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن ، وأمَّا متى جاء ذلك روح الحق ، فهو يرشدكم إلى جميع الحق ، لأنه لا يتكلم من نفسه ، بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية » .

وبعد : فهذه الكلمات من التوراة والإنجيل ، دليل على أن اليهود والنصارى مطالبون بأن يؤمنوا بمحمد ﷺ ، إن هم أدركوه ، ولا أدل على صدق تلك الكلمات من أن هذه الكتب ـــ التوراة والإنجيل ـــ دخلها ما دخلها من التحريف ، ومع ذلك بقيت فيها هذه الدلالات .

والخلاصة التى أريد أن أنتهى إليها هى : أن اليهود والنصارى مدعوون إلى الدخول فى الإسلام ، بنص كتبهم وكتابنا ، وهم ـــ كما قال أسلافنا ـــ أمة دعوة ، ومن آمن منهم دخل فى أمة الإجابة ، وهداه الله إلى خاتم الأديان .

إن اليهود والنصارى مدعوون إلى الدخول فى الإسلام ، ليس كرهاً ، وإنما اختياراً ، طاعة لله ولرسلهم الذين أرسل الله إليهم .

وإن على الدعاة إلى الله واجباً كبيراً ، نحو دعوة أهل الكتاب إلى الدخول فى الإسلام ، فهم مطالبون بدعوتهم إلى ذلك ، بالحكمة والموعظة الحسنة ، والجدال بالتى هى أحسن .

ومطالبون كذلك باختيار أنسب الأساليب والوسائل للتعامل بها معهم ـــ فهم أقرب إلى المسلمين ـــ بحكم أنهم أهل كتاب ـــ من المشركين والكفار ومن ليسوا على دين .

وللإسلام أحكام فى التعامل معهم داخل دولة المسلمين ، فصلنا الحديث فيها فى كتاب لنا هو : مع العقيدة والحركة والمنهج فى خير أمة أخرجت للناس .

ونلتمس هذه الأحكام بتوسع ، فى كتب الفقه الإسلامى ، وفى كتب الأحكام السلطانية والحسبة .

٣ ــ عصاة المسلمين

المقصود بهؤلاء العصاة ، طائفة ممن آمنت قلوبهم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره ، وشهدوا أن لا إلٰه إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ولكن الشيطان والهوى غلب عليهم ، فخالفوا بعض ما أمر الله به وأتوا بعض ما نهى عنه ، وهؤلاء ليسوا كفاراً ، وإنما هم مؤمنون عصاة .

غير أن هؤلاء العصاة درجات ، يتفاوتون فيما بينهم ، فى كم المعاصى التى يرتكبون والعياذ بالله ، وما ينبغى أن يتهم العاصى بالكفر أو الشرك ، والعياذ بالله ، مادام يؤمن بالله ، ويشهد أن لا إلٰه إلا الله ، وأن محمداً رسول الله .

والمعصية واردة على كل أحد من المسلمين ، فقد روى الترمذى بسنده ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه ، عن النبى ﷺ : « كل ابن آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون »[١] .

والحديث النبوى الشريف ، يعترف بأن الناس جميعاً ، معرضون لأن يخطئوا ، ولكن خير هؤلاء الذين أخطأوا ، هم الذين يتوبون إلى الله ، نادمين عازمين على ألا يعودوا .

وهناك دوافع على المعصية كثيرة نذكر منها ما يلى :

١ ــ تزيين الشيطان ــ وتلك مهمته ــ للمعصية ، فهو يأمر بالسوء والفحشاء ، والغافل من المسلمين ، هو الذى يستجيب لهمزات الشياطين ، وكل عاص من المسلمين ، فهو جاهل حين عمل المعصية ، روى ابن كثير فى تفسيره ، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « من جهالته عمل السوء »[٢] قال تعالى : ﴿ **إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولـٰئك يتوب الله عليهم وكان الله عليماً حكيما** ﴾[٣] .

٢ ــ ضعف النفس البشرية أمام شهواتها وأمام زهرة الحياة الدنيا ، وأمام عاجل اللذة ، والنفس الإنسانية فى عمومها أمّارة بالسوء ، إلا من رحم ربى .

---

(١) الترمذى : سننه : ٤ / ٧٠ ط الكتبى القاهرة .

(٢) ابن كثير : تفسير سورة النساء .

(٣) سورة النساء : ١٧ .

ومن هنا فإن العاصى منساق إلى شهواته ولذاته ، غافل جاهل ، ليس أمامه إلا التوبة النصوح ، أو عقاب الله ، والعياذ بالله .

٣ ـــ نسيان الله ، ونسيان ما أمر الله به وما نهى عنه ، نسيان بمعنى التناسى ، فلا شك أنه يذكر الحلال والحرام ، ولكنه يتناسى فيخسر كثيراً ، والعياذ بالله ، ومادام الإيمان يزيد وينقص ، فإن المعصية تنقص الإيمان ، ومن نقص إيمانه استمرأ المعصية ، والعياذ بالله ، إلا أن يتوب ويئوب قبل أن لا تنفع توبة ، ولا يقبل رجوع ، لأن حياة الإنسان على هذه الدنيا هامة اليوم أو الغد ، وقد تفلت فى لحظة من لحظات الليل أو النهار .

إن عصاة المسلمين توجه إليهم الدعوة إلى الله ، فيدعون إلى الطاعة ، واتقاء محارم الله ، والتزام أوامره ، وهؤلاء العصاة أقرب إلى أن يقلعوا عن المعصية ، من أولئك الذين لم يدخلوا فى الإيمان أبدا .

وإن أسباب المعصية فى المجتمعات التى لا تحكم بكتاب الله ، ولا وفق منهجه كثيرة ، وإن دواعيها مما أوشك أن يصبح كالعادة فى بعض هذه المجتمعات .

إن كثيراً من العادات والتقاليد والأعراف اليوم ، تشجع على المعصية ، وإن كثيراً من الأماكن لكذلك .

إن البيت والمدرسة والشارع والنادى ، وكثيراً من وسائل الإعلام لتشجع الناس على معصية الله ، وإن كثيراً ممن يمتهنون الكتابة حرفة وارتزاقاً ، ليكتبون من القصص والروايات والمسرحيات ، ما يشجع على المعصية بشكل مباشر حيناً ، وغير مباشر حيناً آخر ، وإن هؤلاء المشجعين على المعاصى أعلى صوتاً ، وأكثر إمكانيات من المشجعين على الطاعات .

ولا حول ولا قوة إلا بالله .

إن الدعاة إلى الله ، لهم مع أولئك العصاة واجب ، أى واجب ، فهم أهل حرص على أن ينقذوا هذا العاصى من شيطانه ، وهواه ، ونفسه التى بين جنبيه .

وهم أكثر شفقة ورحمة به من نفسه .

وإن للدعاة إلى الله مع العصاة أساليب حكيمة ، تبغّض فى المعصية وترغب فى الطاعة ، وإن احتواء العصاة والإشفاق عليهم لهو السبيل الملائم لهم .

وإن من أفدح أنواع الخطأ إسلامياً وتربوياً ، أن يعير العاصى بمعصيته ، أو يشهر بها ،

فإن هذا وذاك مما نهى عنه الإسلام ، ومما لا يتفق مع أساليب الدعوة ، ولا مع العلاج .

إن الرفق والستر ، والتشجيع على هجر المعصية ، والإقبال على الطاعة ، هو الأصل .

٤ ــ عامة المسلمين أو عموم المسلمين

أى أهل الطاعات ، وأهل المعاصى على السواء ، أو أولئك الذين خلطوا عملا صالحاً ، وآخر سيئاً ، وكثير ما هم .

إن هؤلاء جميعاً نوجه إليهم الدعوة إلى الله ، وهم من المدعوين إليها ، ليفيدوا منها ، على النحو التالى :

أما الطائعون فلتثبيتهم على الطاعة ، وتشجيعهم على المضى فى ممارستها .

وأما العصاة ، فلكى يقلعوا عن معصيته ، كما قدمنا آنفا .

وأما الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً ، فلكى يزيد عملهم الصالح على عملهم السيىء .

وللإمام البنا ، رحمه الله ، تقسيم جيد للناس أمام الدعوة إلى الله ، نحب أن نذكره كاملاً لعظيم نفعه ، وفائدته ، وعمق نظرته إلى طبائع الناس مع الدعوة .

يقول رحمه الله : تحت عنوان « أصناف أربعة » :

وكل الذى نريده من الناس ، أن يكونوا أمامنا واحداً من أربعة :

مؤمن :

إما شخص آمن بدعوتنا ، وصدق بقولنا ، وأعجب بمبادئنا ، ورأى فيها خيراً ، اطمأنت إليه نفسه ، وسكن له فؤاده ، فهذا ندعوه أن يبادر بالانضمام إلينا ، والعمل معنا ، حتى يكثر به عدد المجاهدين ، ويعلو بصوته صوت الداعين ، ولا معنى لإيمان لا يتبعه عمل ، ولا فائدة فى عقيدة ، لا تدفع صاحبها إلى تحقيقها ، والتضحية فى سبيلها ، وكذلك كان السابقون الأولون ، ممن شرح الله صدورهم لهدايته ، فاتبعوا أنبياءه ، وآمنوا برسالاته ، وجاهدوا فيه حق جهاده .

ولهؤلاء من الله أجزل الأجر ، وأن يكون لهم مثل ثواب من اتبعوهم ، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا .

أو متردد :

وإما شخص لم يستبن له وجه الحق ، ولم يتعرف فى قولنا معنى الإخلاص والفائدة ،

فهو متوقف متردد ، فهذا نتركه لتردده ، ونوصيه بأن يتصل بنا عن كثب ، ويقرأ عنا من بعيد أو من قريب ، ويطالع كتاباتنا ، ويزور أنديتنا ، ويتعرف إلى إخواننا ، فسيطمئن بعد ذلك لنا إن شاء الله .

وكذلك كان الشأن مع المترددين من أتباع الرسل من قبل .

أو نفعى :

وإما شخص لا يريد أن يبذل معونته ، إلا إذا عرف ما يعود عليه من فائدة ، وما يجره هذا البذل له من مغنم ، فنقول له :

حنانيك ليس عندنا من جزاء ، إلا ثواب الله إن أخلصت ، والجنة إن علم فيك خيراً .

أما نحن فمغمورون جاهاً ، فقراء مالاً ، شأننا التضحية بما معنا وبذل ما فى أيدينا ، ورجاؤنا رضوان الله ، وهو نعم المولى ونعم النصير .

فإن كشف الله الغشاوة عن قلبه ، وأزاح كابوس الطمع عن فؤاده ، فسيعلم أن ما عند الله خير وأبقى ، وسينضم إلى كتيبة الله ، ليجود بما معه من عرض هذه الحياة الدنيا ، لينال ثواب الله فى العقبى ، وما عندكم ينفد وما عند الله باق .

وإن كانت الأخرى ، فالله غنى عمن لا يرى لله الحق الأول فى نفسه وماله ودنياه وآخرته وموته وحياته .

وكذلك كان شأن قوم من أشباهه ، حين أبوا مبايعة رسول الله ﷺ ، إلا أن يجعل لهم الأمر من بعده ، فما كان جوابه ﷺ ، إلا أن أعلمهم أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين .

أو متحامل :

وإما شخص ساء فينا ظنه ، وأحاطت بنا شكوكه وريبه ، فهو لا يرانا إلا بالمنظار الأسود القاتم ، ولا يتحدث عنا إلا بلسان المتحرج المتشكك ، ويأبى إلا أن يلج فى غروره ، ويسدر فى شكوكه ، ويظل مع أوهامه .

فهذا ندعو الله لنا وله ، أن يرينا الحق حقاً ، ويرزقنا اتباعه ، والباطل باطلا ، ويرزقنا

اجتنابه ، وأن يلهمنا وإياه الرشد ، ندعوه إن قبل الدعاء ، ونناديه إن أجاب النداء ، وندعو الله فيه ، وهو سبحانه أهل الرجاء .

ولقد أنزل الله على نبيه الكريم فى صنف من الناس ﴿ **إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء** ﴾[1] .

وهكذا سنظل نحبه ، ونرجو فيئه إلينا ، واقتناعه بدعوتنا ، وإنما شعارنا معه ما أرشدنا إليه المصطفى ﷺ من قبل : « اللهم اغفر لقومى ، فإنهم لا يعلمون » .

نحب أن يكون الناس معنا واحداً من هؤلاء ، وقد حان الوقت الذى يجب فيه على المسلم أن يدرك غايته ، ويحدد وجهته ، ويعمل إلى هذه الوجهة ، حتى يصل إلى الغاية .

وأما تلك الغفلة السادرة ، والخطرات اللاهية والقلوب الساهية ، والانصياع الأعمى ، واتباع كل ناعق ، فما هو من سبيل المؤمنين في شيء .

ونحب أن يعلم قومنا إلى جانب هذا ، أن هذه الدعوة لا يصلح لها ، إلا من حاطها من كل جوانبها ، ووهب لها ما تكلفه إياه من نفسه وماله ووقته وصحته ﴿ **قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين** ﴾[2] .

فهى دعوة لا تقبل الشركة إذ أن طبيعتها الوحدة ، فمن استعد لذلك ، فقد عاش بها وعاشت به ، ومن ضعف عن هذا العبء ، فسيحرم ثواب المجاهدين ، ويكون مع المخلفين ، ويقعد مع القاعدين ، ويستبدل الله لدعوته به قوماً آخرين ﴿ **أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء** ﴾[3] .

نحن ندعو الناس إلى « مبدأ » واضح محدود ، مسلم به منهم جميعاً ، هم جميعاً يعرفونه ، ويؤمنون به ، ويدينون بأحقيته ، ويعلمون أن فيه خلاصهم وإسعادهم وراحتهم .

---

(١) سورة القصص : ٥٦ .

(٢) سورة التوبة : ٢٤ .

(٣) سورة المائدة : ٥٤ .

مبدأ أثبتت التجربة ، وحكم التاريخ صلاجيته للخلود وأهليته لإصلاح الوجود »[1] .

إن على الدعاة إلى الله ، أن يتعاملوا مع كل صنف من هذه الأصناف ، بالأسلوب الملائم ، والوسيلة الحكيمة التى تضمن للداعية أنه قدم للناس ما ينفعهم ، وينفع بهم فى الدين والدنيا .

وليس للداعية بحال ، أن يمل الطَّرق على القلوب ، بكلام الله سبحانه وبكلمات الرسول ﷺ ، ولا أن يحرم أسماع الناس من الاستمتاع بهذه الأصوات المعلمة الهادية ، ولا أن يحرم القلوب من الالتفات إلى هدى الله ورسوله ، بكثرة ما يعرض عليهم من هذا الهدى القويم .

وإن أصناف الناس جميعاً أمام الداعية إلى الله ، مؤمنين ومترددين ونفعين ومتحاملين ــ كما قسمهم الإمام البنا ــ سواء ، من حيث رغبته فى هدايتهم جميعاً .

إن أخلاق الداعية ، يجب أن تتسع للمتحامل والنفعى ، كما تتسع للمتردد والمؤمن ، لأن تلك مهمته ووظيفته ، بل هى من صميم عمله .

إن الداعية إلى الله مطالب بأن يستجيب لأى رغبة مشروعة يبديها المدعو ، مادام يرى فى ذلك تقريبه إلى الحق والهدى ، وعلى سبيل المثال :

فإن المتردد إذا كان تردده يزول بالمجاملة جامله ، وإن كان يزول بالقراءة والاطلاع ، ساعده على ذلك ، وقدم له الكتب والدراسات .

وإذا كان تردده ، لا يزول إلا بالصداقة والمودة الحميمة ، صادقه وارتبط معه ، فى مودة حميمة ، واعتبر ذلك من صميم عمله .

وأما النفعى ، فإن كان ما يريد أن ينتفع به ، مما شرع الله ، ومما لا يتصور معه أنه باع ولاءه لله أو لدينه . بثمن ، أى ثمن ، فإن الداعية عليه أن يقدم ذلك له ، لا على أنه ثمن ، بل على أنه مجاملة أخوة بين الداعية والمدعو ــ وما فى ذلك بأس شرعى بإذن الله تعالى .

ولنضرب على تلك المنافع بعض الأمثلة :

لا بأس أن تقدم له خدمة أدبية من أى نوع ،

---

(١) الإمام البنا : رسالة دعوتنا .

ولا بأس أن تقدم له خدمة مادية ، بحيث لا تعد رشوة له على استجابته ، وهو أمر يقدره الداعية حق قدره .

ولا بأس أن تقدم له خدمة مالية ، إن كان من أهل الاستحقاق ، وبحيث لا تكون ثمناً لاستجابته ، وهذا أيضاً متروك لحسن تقدير الداعية إلى الله .

وأما المتحامل ، فليس للداعية أن يعامله بغلظة أو خشونة فى مقابل تحامله على الدعوة وعلى الحق ، لأن الداعية إلى الله لا يجوز له بحال أن يكون فظاً غليظ القلب ـــ كما أوضحنا ذلك فيما مضى من حديثنا عن صفات الداعية وأهليته للقيام بأعباء الدعوة إلى الله .

وأخيراً ، فإن الداعية إلى الله ليس له بحال أن ييأس من متحامل ، فضلاً عن متردد ، لأن اليأس صفة قادحة فى الداعية لا يليق به أن يتصف بها ـــ كما أوضحنا ذلك فيما مضى من الكتاب أيضاً ـــ فلو فتح الداعية إلى الله باب اليأس أمام قلبه ، فإنه وشيكاً ما يترك الدعوة إلى الله ، لأنه فى كل يوم وفى كل موقف ، يفقد أحد المدعوين .

إن الأمل فى الله ، وفى استجابة المدعوين هو الصفة التى يجب أن يتحلى بها الداعية على الدوام ، وألا يتخلى عنها تحت ضغط أى ظرف من الظروف ، والله يهدى من يشاء ، والداعية لن يهدى أحداً إلا بإذن الله .

الفصل الثانى

سمات خاصة فى المدعوين

ويشمل :

تمهيداً وعدداً من النقاط :

١ ـ سمات الرؤساء والكبراء .

٢ ـ سمات المنافقين .

٣ ـ سمات المعاندين .

٤ ـ سمات النفعيين .

٥ ـ سمات العصاة .

٦ ـ سمات عامة الناس .

سمات خاصة فى المدعوين

التمهيـــــد :

سنحاول فى هذا الفصل من الكتاب ، أن نعرف بالسمات الخاصة ، التى تميز كل صنف ، أو فئة من فئات المدعوين ، ليكون الدعاة إلى الله على علم بها وبصر بأسبابها وبواعثها ، فيعينهم ذلك بإذن الله على أداء عملهم خير أداء .

إن المدعوين إلى الله ـــ كما رأينا آنفاً أصناف عديدة ـــ وإن لكل صنف منهم لغة تناسبه وأسلوبا يؤثر فيه ووسيلة تعين الداعية على الوصول ، إلى قلبه وعقله ، ولن تكون هذه اللغة ، ولا تلك الأساليب والوسائل مجدية ، إلا إذا عرف الدعاة إلى الله السمات المميزة لكل صنف من المدعوين ، وهذا ما يتكفل به هذا الفصل بعون الله تعالى .

ومن المسلم به لدى العاملين فى حقل الدعوة إلى الله ، أنه ليس أضر على الداعية ولا على عمله من أن يجهل طبائع من يدعوهم وخصائصهم وما يميزهم عن غيرهم من الناس ، إن أبسط الأضرار أن يفقد معهم التعامل بالحكمة ، فضلاً عن أسلوب بعينه من أساليب الدعوة يكون أكثر مناسبة له .

إن معرفة الداعى للمدعو ، لبنة أولى فى التخطيط لدعوته ،

وإن صفات المدعو وخصائصه ، هى الدرجة الأولى من سلم معرفته ، وإلا فكيف يدعو الداعى مدعوا يجهله ويجهل صفاته ؟

وما من شك فى أن كل فئة من الناس لها انتماء أخلاقى وسلوكى خاص فى هذا المجال الذى نتحدث فيه ، سوف تكون لها سمات خاصة تقربها من هذا الانتماء ، وإن هذا الانتماء يكاد يكون ضرورة نفسية واجتماعية ، عند كل الناس ، سواء أكان انتماء عقيدياً ، أم أخلاقياً ، أم إقليمياً ، أم مهنياً ، لأن الإنسان يشعر به ، وكأنما هو غطاء له حيناً ، وسند وأساس يرتكز عليه حيناً آخر .

ونحن عندما قسمنا فى هذا الفصل فئات المدعوين وصنفناهم ، إنما راعينا هذه الانتماءات ، ولا ندعى أن تقسيمنا للمدعوين على هذا النحو ، هو تقسيم عقلى منطقى ، لا يقبل التعديل بالزيادة عليه ، والنقص منه ، كما تنقسم الأمور العقلية المنطقية ، وإنما نقول : إنه اجتهاد ، ولجأنا إليه لما رأينا فى كل قسم من الأقسام من سمات مشتركة ، وخصائص مميزة لأفراد كل قسم .

وهذه الفئات أو الأقسام هى :

١ ــ فئة الرؤساء والكبراء .

٢ ــ وفئة المنافقين .

٣ ــ وفئة المعاندين .

٤ ــ وفئة النفعيين .

٥ ــ وفئة العصاة .

٦ ــ وفئة عموم الناس .

وسنجد لكل فئة منهم سمات خاصة بها ، تميزها عما عداها ، ومن هنا يتيسر للداعية علم بهم ، وبسماتهم وخصائصهم ، وهو أمر مطلوب ، بل لازم فى مجال الدعوة إلى الله .

وسوف نتحدث فيما يلى عن سمات كل فئة ، من هذه الفئات سائلين الله التوفيق والسداد .

١ ـــ سمات الرؤساء والكبراء

الرؤساء هم : رءوس القوم أو القبائل أو الدول .

والكبراء هم : أصحاب المنزلة والرفعة فى نظر الناس .

وقد يسمى الرؤساء والكبراء « بالملأ » .

والملأ لفظ قرآنى يعنى : الجماعة يجتمعون على رأى ، فيملئون العين رواء ومنظرا ، والنفوس بهاءً وجمالا ، من قولهم : فلان ملء العيون ، أى مُعَظَّم عند من رآه ، كأنه ملأ عينه من رؤيته .

وهؤلاء الرؤساء والكبراء ، أو الملأ كثيراً ما غلب عليهم موقف العداء للدعوة إلى الله ، وإلى الحق ، وكثيراً ما يغلب عليهم ذلك ، فى ظروف متعددة .

يحدثنا القرآن الكريم بذلك منذ الماضى البعيد فى تاريخ الدعوة إلى الله ، وإلى نبوة خاتم الأنبياء والمرسلين عليه الصلاة والسلام .

وذلك أن هؤلاء الرؤساء والكبراء ، يتصورون أن الدعوة إلى الله ، إلى الحق ، سوف تقلص نفوذهم ، وتذهب رواءهم ، وربما قضت نهائياً على مكانتهم ، وهو تصور لا يكون صحيحاً ، إلا إذا كان من الظالمين ، الذين يعيشون على غمط الحقوق ، ويبنون حياتهم على هدم حياة الآخرين .

أما إذا كانوا أهل حق وعدل ومساواة ، فإن الدعوة إلى الله تكون أكبر حصن لهم ، وأحسن أمان .

ولقد شاءت إرادة الله سبحانه ، أن يجعل فى كل قرية ـــ أو مدينة ـــ أكابر لها ورؤساء ، يغلب عليهم تحدى الحق وأهله ، والتصدى لكل دعوة إلى العدل والإنصاف ، والاحتكام إلى منهج الله ، شاء سبحانه ذلك ، ليكون صراع بين الحق والباطل ، ولتمييز أنصار كل فريق ، وليختبر الله كلا منهم على هذه الحياة الدنيا ، ليجزيهم فى الأخرى على ما قدموا ومن جنس ما قدموا .

قال تعالى : ﴿ **وكذلك جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون . وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله**

الله أعلم حيث يجعل رسالته سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون ﴾(١) .

والآية الكريمة ميسرة المعنى والهدف لمن قرأها ، وتدبر معانيها ، ونحاول أن نذكر أهم السمات التى تميز هذه الفئة من المدعوين على النحو التالى :

أ ـــ المكر وتدبير الشر :

وهو صفة واضحة فيهم ، بل فى كل واحد منهم ، وهم يلجأون إلى المكر والحيلة ، لتدبير الشر نحو من يتصورون أنهم أعداء لهم ـــ والمكر هو صرف الغير عما يقصده ، بتحرى الفعل القبيح وصولاً إلى هدفه ، وقد ذمه الله تعالى ، وسماه سيئاً ، وقال عنه : ﴿ **ولا يحيق المكر السيىء إلا بأهله** ﴾(٢) وعندما يفشل مكرهم ، يلجأون إلى البطش والتنكيل بأعدائهم ، لكن قل منهم من بدأ بالبطش والقوة ، إذ لابد من استنفاد وسائل المكر والحيلة .

ب ـــ الحسد :

وهو تمنى زوال نعمة الغير ، والمحسود هنا هو الحق ودعاته ، فكثيراً ما يحسد الرؤساء والكبراء الدعاة والمصلحين ، على ما أنعم الله به عليهم من العلم والهدى ،والتمسك بالحق ، ومحبة الناس لهم .

فإذا مارس الدعاة إلى الله عملهم تصدى لهم هؤلاء بالحسد على مانالوا فى نفوس المستجيبين لهم من مكانة واحترام ، متصورين أن المكانة والاحترام ، وقف عليهم وحدهم ، كما تحدثت بذلك الآية الكريمة ﴿ ... **لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله** ... ﴾ ولكن حسدهم لن يوصلهم إلى شىء ، إلا شيئاً أراده الله ، والله أعلم حيث يجعل رسالته ، وحيث يجعل هداه على ألسنة الصالحين من عباده .

جـ ـــ التشبث بالرياسة والجاه :

وهذه من أبرز صفاتهم ، ولذلك يزيد تحديهم لدعوة الحق ، لتصورهم أنها تزيلهم عن مناصبهم وجاههم وأموالهم ، وما يتمتعون به من مكانة ونفوذ .

---

(١) سورة الأنعام : ١٢٣ ـــ ١٢٤ . (٢) سورة فاطر : ٤٣ .

ولقد حكى القرآن الكريم عن هؤلاء الرؤساء والكبراء ما يؤكد أن تحديهم للدعوة ، إنما نشأ عن هذه الصفة فيهم ، كان ذلك من لدن نوح عليه السلام ، إلى خاتم الأنبياء محمد ﷺ .

ففى دعوة نوح عليه السلام ، تصدى له الملأ من قومه أى الرؤساء والكبراء : **﴿ فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشراً مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادى الرأى وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين ﴾**[1] .

وفى دعوة هود عليه السلام : **﴿ قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك فى سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين ﴾**[2] .

وفى دعوة صالح عليه السلام : **﴿ قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربه .. ﴾**[3] .

وفى دعوة شعيب عليه السلام : **﴿ قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن فى ملتنا ... ﴾**[4] .

وفى دعوة موسى عليه السلام : **﴿ وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الأرض ويذرك وآلهتك ... ﴾**[5] .

وفى دعوة محمد ﷺ : **﴿ وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشىء يراد . ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق . أأنزل عليه الذكر من بيننا ... ﴾**[6] .

د ـــ الكبر والتعالى والغرور :

فهم يرون أنفسهم أكبر وأعظم ، من أن يوجه غيرهم إليهم دعوة إلى أى شىء ، فضلاً عن توجيه دعوة إلى عبادة الله ، والتزام الحق والعدل ، وبخاصة عندما تأتى الدعوة من رجل ليس من الكبراء والرؤساء والعظماء ـــ كما يتصورون ـــ فهم لا يطيقون أن يفارقوا عمل الآمر إلى منزلة من يوجه إلى الحق والخير ، ولقد طفح كيل الكبر والغرور عند فرعون ، إذ

---

(١) سورة هود : ٢٧ .
(٢) سورة الأعراف : ٦٦ .
(٣) سورة الأعراف : ٧٥ .
(٤) سورة الأعراف : ٨٨ .
(٥) سورة الأعراف : ١٢٧ .
(٦) سورة ص : ٦ ـــ ٨ .

قال لموسى عليه السلام : ﴿ **لئن اتخذت إلهاً غيرى لأجعلنك من المسجونين** ﴾[1] .

ولقد كشف القرآن الكريم عن صفتهم تلك ، عندما تعرض عليهم الدعوة ، فيجادلون فيها بغير علم أو سلطان ، فقال تعالى : ﴿ **إن الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم إن فى صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله إنه هو السميع البصير** ﴾[2] .

هـ ــ التشبث بما هم فيه من رفاهية :

فهؤلاء الرؤساء والكبراء ، يعيشون حياة الترف ، وأغلب ما تقوم حياة الترف على الظلم والتجاوز ، وقلما يكون ترف ورفاهية للرؤساء والكبراء ، إلا ويكون فقر وحاجة فى عامة الناس ، وكلما اتسعت رفاهية الرؤساء والكبراء ، اتسعت دائرة الفقراء والمحتاجين . وكلما ضاقت ، ضاقت ... هكذا علمنا التاريخ .

وهم يحسبون أن الدعاة إلى الله سوف يحرمونهم بدعوتهم تلك ، مما هم فيه من ترف ونعيم ، فيعادون الدعوة والدعاة تشبثاً منهم بهذا الترف ، وخوفاً عليه من الضياع . حكى ذلك القرآن الكريم فقال تعالى : ﴿ **وما أرسلنا فى قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون** ﴾[3] .

والمترفون فى هذه الآية ، هم الرؤساء والكبراء ، ومن يسمون أنفسهم ملوكاً ، وتلك مقولاتهم جميعاً ، يحركها فى نفوسهم تشبثهم بحياة الترف والرفاهية .

وهم دائماً فى صراع مع الحق وأهله ، وقليل منهم من خالف هذه القاعدة .

---

(١) سورة الشعراء : ٢٩ .	(٢) سورة غافر : ٥٦ .

(٣) سورة سبأ : ٣٤ .

٢ ــ سمات المنافقين

وإنما أتينا بالحديث عنهم ، قبل الحديث عن المعاندين ، لأنهم أشد خطراً على الدعوة من المعاندين ، إذ المعاند عدو ظاهر ، يمكن أخذ الحذر منه ، لكن المنافق عدو مستتر يصعب الحذر منه .

والنفاق هو : الدخول فى الشرع من باب ، والخروج عنه من باب ، وهذا المعنى يفهم من وصف الله لهم بالفسق ــ والفسق هو الخروج ــ قال تعالى : ﴿ **إن المنافقين هم الفاسقون** ﴾[1] أى الخارجون عن الشرع والمنهج .

والمنافق عند الله شر من الكافر قال تعالى : ﴿ **إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار** ﴾[2] .

وهؤلاء المنافقون لهم سمات ، يختصون بها وإن كانت تخفى فى الغالب على كثير من الناس ، ومن أهم هذه السمات ما يلى :

أ ــ الخداع والرياء :

وهو أبرز صفاتهم ، وألصق بتسميتهم ، وأدل على أعمالهم ، وما يدبرون ، وهم يخادعون الله ، ويخدعون الناس ، بل تقوم على صفة الخداع فيهم حياتهم كلها ، فهم يتوهمون بذلك أنهم قد حققوا أغراضهم ، وهم فى الواقع أبعد ما يكونون عن ذلك .

ومما يتمم الخداع الرياء ، لأن كليهما إظهار وإخفاء ، إظهار الخير ، وإخفاء الشر ، أو إظهار الحسن ، وإخفاء القبح .

ومن غفلتهم أنهم يحسبون أنفسهم قادرين على مخادعة الله سبحانه ، بمخادعة رسوله والمؤمنين ، والدعاة إلى الله ، قال الله تعالى يكشف غفلتهم هذه : ﴿ **إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا** ﴾[3] .

---

(١) سورة التوبة : ٦٧ .

(٢) سورة النساء : ١٤٥ .

(٣) سورة النساء : ١٤٢ .

ومعنى أن الله خادعهم أى مبطل أثر مخادعتهم لأوليائه كقوله سبحانه : ﴿ **ومكروا ومكر الله** ﴾ فإن مكر الله هو إبطال مكرهم .

ب ــ الكذب والحلف والفجور والغدر :

وإنما جمعنا هذه الصفات فى خلق واحد ؛ لأن رسول الله ﷺ جمعها فى حديث نبوى شريف . روى الترمذى بسنده ، عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما ، أن النبى ﷺ قال : « أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، وإن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق ، حتى يدعها : من إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا خاصم فجر ، وإذا عاهد غدر »[1] .

جـ ــ تزويق الكلام ، ولدد الخصومة والإفساد ، والاعتزاز بالإثم :

وإنما جمعتها ــ كذلك ــ لأنها جمعت فى آية قرآنية كريمة ، لتكشف عن أبرز عيوب المنافقين ، فيحذرها المسلمون ، وتنبه إلى صفاتهم التى تغلب عليهم فلا تكاد تفارقهم .

قال الله تعالى : ﴿ **ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على مافى قلبه وهو ألد الخصام . وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لايحب الفساد . وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد** ﴾[2] .

والآية الكريمة توضح فى المنافقين الصفات التالية :

١ ــ اختلاف ما تضمره قلوبهم عما تنطق به ألسنتهم .

٢ ــ القدرة على صوغ الكلام المعسول .

٣ ــ القدرة على جلب مصالحهم الدنيوية بكلامهم الحلو .

٤ ــ افتياتهم على الحق ، فى زعمهم أن الله يعلم صدق قلوبهم ، فيما تقوله ألسنتهم .

٥ ــ شدة خصومتهم للحق ، وقسوتهم على أصحابه .

٦ ــ الإفساد والإخلال فيما يتولون من ولاية .

٧ ــ عدم الاستجابة للنصيحة وإنما تأخذه العزة بالإثم .

---

(١) الترمذى : سننه : ٤ / ١٣٠ .

(٢) سورة البقرة : ٢٠٤ ــ ٢٠٦ .

د ـــ الأمر بالمنكر والنهى عن المعروف :

وهى من أهم صفاتهم ، وهى صفة مزدوجة ، يأمرون بالمنكر ويزينونه للناس ويفعلونه ، ويتركون المعروف والحق ، وينهون الناس عن إتيانه ، ويبخلون بالإنفاق فى سبيل الخير ، وهم فى تلك الصفات ، متشابهون كأنهم أجزاء لشىء واحد بعضهم من بعض ، قال الله تعالى : ﴿ **المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون** ﴾[1] .

هـ ـــ موالاة الكفار والتربص بالمسلمين :

فالمنافق يجيد هاتين العمليتين وهو فيهما ماهر ، وله معهما تاريخ طويل ، فالمنافق فى حقيقته موال ومظاهر ومساند للكفار يشعرهم بأنه معهم ، وهو فى الحقيقة معهم بمشاعره ورغباته الخبيثة ، لأنه فى الحق ينتظر بفارغ الصبر أن يحدث للمسلمين ضرر أو شر ، أو أن تزول دولتهم تماماً ، فإن انتصر المسلمون فى معركة سعوا مسرعين يقولون : لقد كنا معكم ، وإن كان النصر للكفار ، أسرعوا إليهم قائلين ألم نكن معكم .

حكى القرآن ذلك عنهم ، فى قوله تعالى : ﴿ **بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما . الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين . أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا . وقد نزل عليكم فى الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره إنكم إذا مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا . الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين** ... ﴾[2]

وسمات المنافقين كثيرة وإن القرآن الكريم أحصاها كلها فقد ذكر من صفاتهم :

ـــ مرض القلب ،

ـــ والجبن ،

ـــ والقدرة على التسلل ،

ـــ ورمى المؤمنين بالسفه ـــ أى الجهل والضعف ـــ ،

---

(١) سورة التوبة : ٦٧ .

(١) سورة النساء : ١٣٨ ـــ ١٤١ .

- والتكاسل عن أداء العبادات ،
- والصدود عن التحاكم إلى الله ،
- والإفساد والإيقاع بين المؤمنين ،
- والإكثار من العيب فى أهل الحق ،
- وعدم الرضا بنصيبهم ،
- والسخرية من المؤمنين ومن الحق وأهله .

٣ ــ سمات المعاندين

والمعاندون هم الذين يتحاملون على الدعوة والدعاة ، ويتهمونهم ويسيئون بهم الظن ، ويتصدون لهم ، ولما يدعون إليه من حق .

والعنيد هو : المعجب بما عنده ،

والمعاند هو : المباهى بما عنده ،

والعنيد : من عدل عن الطريق .

وهذا الصنف من الناس ، له صفات تخصه ، أهمها ما يلى :

أ ــ سوء الظن بالدعاة :

وذلك أن المعاند ، غالباً ما يغلق قلبه عن الخير ، وعقله عن الحق ، فيرى فى هؤلاء الدعاة الذين يحملون الخير إليه فى دنياه وآخرته ، ويحملون إليه الحق الذى لا حق سواه .

يرى فى هؤلاء الدعاة أعداء ، يسىء الظن بنواياهم ، وما يهدفون إليه ، ويوجه إليهم عداوته ، ويشنع عليهم ، ويلصق بهم التهم ، لأن كل ما يأتيه هؤلاء الدعاة من عمل ، وما يحملونه من فكر ، وما ينشرونه من خير ، يراه المعاندون موجهاً بالشر إليهم ، ولهذا يسىء بهم الظنون .

ب ــ تحدى الدعاة بالباطل :

وإنما كان هذا التحدى بالباطل ضرورة ، لأن الدعاة إلى الله لا يعرفون طريقاً غير طريق الحق ، ولا يحملون إلى الناس غير دعوة الحق ، ولا يتحدى الحق إلا بالباطل والضلال ، وصدق الله ﴿ **فماذا بعد الحق إلا الضلال** ﴾[1] والله هو الحق .

ومن أجل هذا التحدى ، فإن المعاندين يذهبون مذاهب عجيبة ، فى تزيين الباطل الذى يواجهون به الحق ، ويداومون على التهوين من شأن الحق وأهله .

وقد يحملهم هذا التحدى للحق بالباطل ، على أن يشوهوا الحق ، والدعاة إليه ، فتلك صنعتهم ، وهذا هدفهم .

أما تشويه الدعاة عندهم فميسور ، فما أبسط أن يطلقوا حولهم الإشاعات ، وأن

---

(١) سورة يونس : ٣٢ .

يتهموا بما ليس فيهم ، وتلك سنة فى تاريخ المعاندين لأهل الحق ، وبخاصة إذا كان المعاندون أصحاب نفوذ ، فإنهم يستطيعون تسخير الأدوات ، ووسائل الإعلام ، لتشويه دعاة الحق ، والتاريخ ملىء بالشواهد على ذلك .

وأما تشويه الحق ، فيظل دائماً دعاوى زائفة لا تنطلى إلا على الغافلين والسذج من الناس ، أو أصحاب الجهل منهم ، وما أكثر ما مارس المعاندون تشويه الحق ، والإساءة إليه ، وما أكثر ما كشفت الأيام عن تضليلهم وافتياتهم على الحق ، ولكن الناس يستعجلون كشف تضليلهم ، فإن تطاولت بهم مدة الانتظار ، فربما انطلى عليهم الباطل ، وفقدوا الثقة بالحق ، وهذا من ضعف الإيمان .

جـ ـــ محاولة الإيقاع بالدعاة :

وتلك دائماً سنة الجبناء الذين لايواجهون ، والمعاندون ماداموا مع الباطل ، ضد الحق ، فهم جبناء ، لأن تقبل الحق شجاعة ، والاستمرار معه ، والبقاء عليه ، شجاعة أكبر وأجل .

الجبناء هم الذين يوجهون الضربات المستترة التى توقع بأعدائهم ، دون أن يظهروا هم ، أو يتحملوا أعباء صراع وكفاح .

وكثيراً ما لجأ المعاندون ، إلى إغراء أعداء الدعاة بهم ، وتزيين البطش بهم ، وما أكثر ما حدثنا التاريخ القديم والوسيط ، والحديث المعاصر ، عن معارك من هذا النوع الخسيس ، لأنها معارك الجبناء من المعاندين ، الذين يعجزون عن المواجهة .

ولا يحسبن أحد أن الدعاة وهم يوقع بهم المعاندون . قد خسروا شيئاً ذا بال ... إنهم ربحوا وايم الله ؛ ربحوا رضا الله سبحانه عنهم ، بما أصروا على دعوة الحق ، وصبروا على لأوائها ، وربما خسروا ـــ فى منطق قصار النظر ـــ تضييقا فى الرزق أو حداً من الحرية ، أو أذى بدنياً أو نفسياً ، ولكنهم فى الواقع ما خسروا شيئاً ، وإن ما جرى عليهم كان قدراً مقدوراً لهم ، لا يستطيعون أن يفلتوا منه بحال .

لو تأمل الناس وتدبروا فى الإيمان بالقضاء والقدر ، ما حزن واحد منهم على شىء ضاع منه ، ولا على ضر أصابه ، فكل ذلك كان مكتوباً عليهم فى علم الله تعالى .

د ـــ مقاومة الدعاة مقاومة مباشرة :

وهذا نمط من المعاندين الذين يغترون بقوة مادية أو جاه وسلطان ، فتزين لهم القوة

والجاه والسلطان ، أن يبطشوا بالدعاة إلى الله ، ليحولوا بينهم وبين المضى فى الدعوة إليه .

وقد غفل هؤلاء المعاندون عن أن الله يدافع عن الذين آمنوا ، ولا يجرى عليهم إلا ما كتبه لهم .

وكم فرح المعاندون فى انتصارهم على الدعاة فى جولة أو جولات ، ظانين بالله ظن السوء ، متصورين أن نصرهم فى تلك الجولة أو الجولات هو النصر ، ذاهلين عن ناموس الله الذى لا يتخلف أبداً ، والذى فيه وعد بنصر المؤمنين ﴿ **وكان حقاً علينا نصر المؤمنين** ﴾[1] .

وللبطش صور عديدة تبدأ بالمضايقات ، وتنتهى بالقتل أحياناً ، وما يخسر من بُطش به من الدعاة شيئاً ، وإنما يربح كل شىء ، ويربح الشهادة فى سبيل الله ، ولو علم المعاندون بما ينتظر من بطشوا بهم عند الله ، ما قدموا إليهم هذه النعمة الكبرى .

---

(١) سورة الروم : ٤٧ .

٤ ــ سمات النفعيين

هؤلاء النفعيون هم طلاب المنافع فى مقابل أى عمل يؤدونه لله أو للناس ، فهم لا تعرف قلوبهم ولا عقولهم أن يؤدوا عملاً يحتسبونه عند الله تعالى ، يبتغون به مرضاته .

وهم يقفون من الدعوة إلى الله هذا الموقف ، لا يستجيبون لها ، ولا للحق والخير والهدى التى تدعو إليها ، إلا بثمن مادى فى الغالب ، وأدبى فى بعض الأحيان .

وهم ظاهرة لها وجودها الحقيقى فى كل مجتمع ، ولا يحركهم إلى ذلك مجرد الضن بالمجهود ، ولا البخل ولا الكزازة ولا المادية فحسب ، ولكن تضاف إليها عوامل عديدة ، ورواسب من ظروف نفسية واجتماعية وأخلاقية جديرة بالتأمل والملاحظة ، لأن من النفعية جانباً مقبولاً فى بعض الأحيان ، ولكن ما يتشبثون به منها يفوق حدود المعقول .

ولهؤلاء النفعيين تاريخ مع الدعوات التى سبقت الإسلام ، ومع النبى ﷺ كان لهم ظهور ، فمنهم أولئك الذين سألوه أن يدخلوا فى الإسلام ، شريطة أن يئول إليهم الأمر من بعده ، وقد رفض ذلك رسول الله ﷺ ، قائلاً لهم : إن الأمر من بعده لله ، ومنهم من كان يطلب ما هو دون ذلك .

ولهؤلاء الناس سمات تخصهم ، نتحدث عن أظهرها فيهم على النحو التالى :

أ ــ سوء فهم العمل لله ولدعوته :

فهم قد لَبَّس عليهم الشيطان أمرهم ، فأوقع فى روعهم أن جزاء كل عمل ، يجب أن يكون جزاء عاجلاً ومقبوضاً ، فغفلوا بذلك عن أن الجزاء الحقيقى ، بل الجزاء الأوفى على العمل الصالح إنما هو عند الله ، بل الجزاء على العمل كله صالح وغير صالح أمام الله سبحانه يوم لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً .

وهذا سوء فهم خطير للعمل والجزاء ، إذ هناك أعمال دنيوية تتصل بالمعاش ، والسعى على الرزق ، هى التى ينتظر فيها الإنسان أجره ممن أدى له هذا العمل ، ولكن الأعمال الأخروية التى يقوم بها الصالحون من الناس ، لا ينتظر جزاؤها من غير الله ، ولو أجل هذا الجزاء إلى يوم القيامة ، لكان أحسن وأفضل .

إن هؤلاء النفعيين ، طلاب الأجور والمنافع على الاستجابة لله ولدعوته ، غافلون عن عدد من الحقائق الكبيرة الهامة ، وتلك الغفلة توقعهم فى عدد من الأخطاء ، منها :

انتظارهم الجزاء من غير الله ،

وتعجلهم هذا الجزاء فى الدنيا ،

وحرمان أنفسهم من احترام الناس .

بل حرمانهم من أن يقوموا بعمل لصالح الإسلام والمسلمين .

ب ـــ البخل بالجهد والوقت والمال :

وذلك طبع فيهم ، أورثته لهم تلك العوامل والظروف التى تحدثنا عنها آنفاً ، فلا عطاء لشيء عندهم ، إلا فى مقابل مادى أو معنوى ، بل فى مقابل مجز يزيد غالباً عن قدر ما بذلوا .

والدعوة إلى الله ، والاستجابة للحق ، تقاس عندهم بنفس المقياس ، وبالتالى فهم لا يقدمون لله جهداً ولا وقتاً ولا مالاً ، لأن الدعاة لا يملكون أن يجزوهم عن ذلك ، أو يأجروهم عليه .

وهنا يرد سؤال هو :

هل يجوز للدعاة أن يقدموا نفعا لهؤلاء الناس ، فى مقابل استجابتهم للدعوة ، وانخراطهم فى موكب الحق ؟

والجواب : أن ذلك جائز ، إذا قدر الدعاة عليه ، وإذا كان لفترة معينة ، حتى يهدى الله قلوبهم ، ويفتح بصائرهم على الحقائق ، وهم بعد تلك الهداية ، سوف يقدمون للدعوة وللعمل الإسلامى أضعاف ما أخذوا بإذن الله .

لكن القضية الحاسمة فى الموقف هى : هل يستطيع ذلك الدعاة ؟ إن استطاعوا فليفعلوا ، ولكن بهذين الشرطين اللذين ذكرتهما آنفاً .

جـ ـــ عدم الاستقرار على مبدأ :

هؤلاء النفعيون لا يستقرون على مبدأ ، ولا يثبتون على أداء عمل صالح ، لأنهم دائماً يبحثون عن الفائدة العاجلة من أناس أمثالهم ، ولن يجدوا هذا دائماً ، وبالتالى فإنهم قد ينخلعون منه ، ولا يثبتون عليه ، مادام الثبات عليه لا يحقق لهم الفائدة العاجلة ، التى يسعون إليها .

وهم لذلك يتنقلون من مبدأ إلى آخر ، أو من نفع إلى آخر ، فيصبحون بهذا التنقل كمن يتجرون فى الاستجابة لدعوة الله ، وتلك نقيصة يحاسبون عليها .

فإذا وضع الدعاة فى اعتبارهم أن النفعى إذا استجاب للدعوة إلى الله ، فإنه قد ينخلع من تلك الاستجابة سريعاً ، فإنهم بذلك الاعتبار يجنبون العمل الإسلامى مخاطر ومحاذير ، ومعنى ذلك ألا يعهد الدعاة إليهم بعمل بعينه يحتاج إلى الاستقرار والثبات ، حتى لا يفسد هذا العمل أو يعوق .

د ـــ الأنانيّة :

وهى حالة مرضية ، تعنى أن صاحبها يعطى لنفسه من الاهتمام ومن الحقوق ، أكثر مما لها ، وقد تصل هذه الحالة المرضية بصاحبها إلى حد الجنون بالذات ، فلا يرى أحداً ولا شيئاً ، إلا من خلال ذاته ، وكثيراً ما يتردد على لسان الواحد منهم : أنا كذا وأنا كذا ، كأن العالم ليس فيه سواه ، لكثرة حديثه عن نفسه ، وفى الغالب يكون هذا الأنانى ممن يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا ، وهم مرضى بيقين ، وقاصروا التفكير بكل تأكيد .

إن هؤلاء الأنانيين يستجيبون لدوافعهم ورغباتهم الذاتية ، دون النظر إلى رغبات الآخرين ومصالحهم ، ومن ثم فإنهم دائماً غير متجاوبين مع الروح الاجتماعية التى يجب أن تسود الناس ، فهم فى المجتمع عناصر سلبية ، تعوق العمل ، وتحرم المجتمع من التقدم والرقى .

وإن على الدعاة نحوهم لواجباً هاماً ، هو اعتبارهم مرضى ، يحتاجون إلى علاج أكثر منهم عناصر سلبية ، تستحق العقاب أو المقاطعة أو الإهمال .

إن هؤلاء الأنانيين أطفال كبار ، أطفال بأفكارهم وما يفعلون وإن بدوا كباراً بأجسامهم وتقدم السن بهم ، إن الطفل يمضى فترة من عمره ، يتوهم لقصور عقله أنه وحده صاحب الحق فى كل شىء ، وأنه المهم والأهم إلى آخر هذه المنظومة الأنانية المعروفة ، وإن الأبوين مطالبان بأن يفطماه من هذه الأنانية سريعاً ، حتى لا يشب بها أو عليها ، فيتحول إلى ذلك الأنانى الذى اتهمناه بأنه طفل كبير .

٥ ــ سمات العصاة

إن العصاة ــ كما أوضحنا آنفاً ــ مؤمنون يقعون فى إثم المخالفة لما أمر الله ، إذ يعصونه فيما أمر به وفيما نهى عنه ، وهم ضعفاء أمام شياطينهم وشهواتهم ومغريات الحياة الدنيا ، ويخرجون بذلك أنفسهم من طاعة الله ورسوله .

وهؤلاء العصاة لهم سمات تخصهم نود أن نوضحها فيما يلى :

أ ــ الجهل والغفلة :

فلو كان العصاة على علم أدنى علمٍ بالدين ما بارزوا الله بعصيانهم ، وقد تكون عندهم معلومات أو معارف عن الدين ، ولكن ليس عندهم علم بالتأكيد ، لأن العلم ــ كما أسلفنا ــ يتبعه العمل .

وهم بيقين غافلون لأن أبسط ما يتصور بالنسبة لهم ، أن يدركوا أن الحلال بين والحرام بين ، ولكن غفلتهم ــ والغفلة سهوة تعترى الإنسان ، من قلة التحفظ والتيقظ ــ وربما تغافلهم ، يجعلهم يستجيبون لشياطينهم ، ويتجاهلون ما ينادى به الدعاة إلى الله من طاعة ؛ لأنه يصادم شهواتهم وأهواءهم ، وذاك متولد فى جانب آخر منه عن الغفلة عن الحق وعن الهدى ، أو التغافل عن ذلك .

وإذا كانت تلك من سماتهم ، فإنهم يعدون دائماً من العناصر التى ينبغى أن تحجم ، وأن يضيق عليها ، حتى لا تشيع المعصية بكثرتهم ، أو بتركهم يمارسون المعصية ، فإن الشر يعدى ، كما يعدى الجرب .

إن الدعاة إلى الله عليهم فى هذا المجال واجب ضخم وشاق ، هو تحويل العصاة إلى طائعين .

ب ــ العمل على إشاعة الفساد فى الناس :

وتلك من أهم صفاتهم ، فالعاصى لكى يأمن على ممارسته للمعصية ، يحب أن يشيعها فى الناس ، وأن يكثر عدد العصاة ، ليتهيأ له جو ملائم لممارسة المعصية ، دون أن يعده الناس شاذاً ، إذا قل عدد العصاة ، أو قلت المعصية نفسها .

إن العصاة هم شياطين الإنس بما يعصون ، حتى ولو لم يشيعوا المعصية والفساد فى الناس ، ولم يحببوهم فيهما ، فما بالنا لو كان للعصاة نشاط فى إشاعة الفساد ؟ ما بالنا لو

كانوا دعاة إلى الشر والمعصية ؟

إنهم بهذا يروجون المعصية فى المجتمع ، والعجيب أن المستجيبين للمعصية والشياطين ، شياطين الإنس أو شياطين الجن ، أكثر من المستجيبين لصوت الحق وعمل الخير ، ولكن ذلك ما ينبغى أن يوئس الدعاة إلى الله ، ولا أن يفقدهم الأمل فى تحويل العصاة إلى الطاعة ، فإن فطرة المسلم فى أصلها سليمة ، والمعصية عالقة بها على أنها من الشوائب ، التى سريعاً ما تزول ، إذا أدى الدعاة واجبهم ، وتعاونوا مع أهل الخير فى حصار العصاة والتضييق على المعصية .

جـ ـــ تأييد العصاة من أمثالهم وعقد الصلات بهم :

وتلك طبيعة فيهم بل وفى أهل كل عمل متشابه ، وهو لون من ألوان الدفاع عن النفس بالحصول على تأييد الآخرين وتعضيدهم ، وكثيراً ما يخرج العصاة عن مجرد الحصول على التأييد ، إلى دائرة تكوين الجماعات أو العصابات ، التى تبرر لنفسها المعصية ، وتنظم ممارستها ، والحفاظ عليها ، وتوقى وقوعها تحت طائلة الحساب .

وإن هذه الصفة لهى أخطر الصفات التى تواجه الدعاة إلى الله والدعوة نفسها ، لأن تحزب العاصى إلى عاصٍ مثله أو أكثر ، يصعب مهمة الداعية ، إذ يواجه حينئذٍ مجموعة عصاة ، وعداد من المعاصى ، ومن الصعب التأثير فى جماعة ، أو هى أصعب من التأثير فى واحد .

إن العاصى الواحد قد يأتى عليه وقت يمل المعصية ، أو لا يأنس إليها ، أو يخاف مغبة المضى فى طريقها ، فإن تجمع معه أكثر من واحد ، زينوا له الاستمرار فى المعصية ، والأنس بها ، والمضى فى طريقها ، فكما أن التجمع على الخير ، مشجع على المضى فى طريقه ، فإن التجمع على الشر كذلك .

وعمل الداعية فى هذا المجال ، يجب أن يتجه إلى فك هذه التجمعات ، ما وسعه الحول والحيلة ، ليسهل عليه إقناع العاصى بالعدول عن ذل المعصية ، والعودة إلى عز الطاعة .

نعم : إن العاصى ذليل ، وإن الطائع عزيز .

د ــ التهجم على الطاعة ودعاتها :

وتلك من سماتهم أيضاً ، لابد أن يتهجموا على الطاعة والطائعين ، ودعاة الطاعة ، تهجماً ساخراً لاذعاً حيناً ، وغليظاً سيئاً حيناً آخر ، وهذا نوع من الدفاع عن النفس كذلك ، وكثيراً ما يتعضد العصاة فى هذا التهجم ، ببعض المتشدقين المتفيهقين من الناس الذين يطلقون شعار الحرية الشخصية فى الممارسة لأى عمل ، أولئك الجهلة الذين يطلقون شعار أن التدين مسألة شخصية بين العبد وربه ، وأن أحداً من الناس ليس له أن يتدخل بين العبد وربه !!!

إن هؤلاء يتعامون عن أن الله أرسل الرسل ، وأنزل الكتب ، ليقف بين العاصى والمعصية برسوله وكتابه ، والدعاة إلى الله امتداد بعملهم لأعمال الرسل عليهم الصلاة والسلام .

وقد يعانى الدعاة من هذا التهجم على الطاعة وعلى الدعاة ، لأنه يعوق العمل الإسلامى بعامة ، ويعوق بعض الناس عن اللحاق بركب الطاعة ، الراكض إلى سعادة الدنيا والآخرة .

وعلى الرغم من ذلك ، فإن الداعية إلى الله ، ليس له أن يقابل هذا التهجم بمثله ؛ لأنه مقيد دائماً ، بأن يكون مع الحكمة والموعظة الحسنة ، والجدال بالتى هى أحسن ، فإن أصبحت الحكمة فى موقف من المواقف أن يقابل التهجم على الطاعة بالتهجم على المعصية ، فإن ذلك من حقه بل من واجبه .

أما التهجم على الدعاة ، فذاك أمر يألفه الدعاة إلى الله دائماً ، بل يعرفون أنه كائن ، وأنه طبيعى فى كثير من العصاة ، وهم لا يلقون له بالاً ، ولا يجوز لهم أن يغضبوا له ولا لأنفسهم ، وإنما يغضبون فقط ، عندما تنتهك حرمة من حرمات الله ، ولا عليهم من هذا التهجم ، فإنهم ماضون فى طريقهم ، يؤيدهم الله وينصرهم ، ويعزز على طريق الحق خطاهم ، على قدر ما يخلصون فى عملهم .

هؤلاء هم الدعاة فى كل زمان ومكان مع العصاة وتهجمهم على الطاعة والمطيعين ودعاة الطاعة ، ولن يتغير موقفهم هذا أبداً ، لأنه موقف رجال الدعوات .

٦ ــ سمات عامة الناس

والمقصود بهم عموم المسلمين ممن قلنا عنهم آنفاً : إنهم الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً ، فعسى الله أن يتوب عليهم .

ولقد كان ومايزال من فضل الله على الناس ، وعلى الدعوة والدعاة ، أن عامة الناس ــ من غير الرؤساء والكبراء والمنافقين والمعاندين والنفعيين والعصاة ــ سليمو الفطرة ، أنقياء السريرة إلى حد كبير .

إن تلك نعمة من الله على الدعوة والدعاة ، تهون عليهم مشقات الطريق وتبعث فى نفوسهم عظيم الأمل فى مستقبل الدعوة إلى الله .

وإن لعموم المسلمين لسمات خاصة نذكر منها مايلى :

أ ــ سلامة الفطرة :

فقد فطر الله الناس جميعاً على الخير ، وما داخلهم الشر إلا مع وسوسات الشياطين وهمزاتهم ، وما يزينون به الباطل ، ويبهرجون به المعصية ويستخفون الطاعة .

إن الإنسان إذا ترك لنفسه من غير عناد ولانفاق ولا معصية ، فإنه يسلك السلوك القويم ، الذى تمليه عليه فطرته السليمة ، القابلة لأن تكون مع الخير ، بل من دعاته عندما يفتح الله لها باباً من أبواب رحمته وهداه .

والله سبحانه وتعالى حين طلب من الناس أن يوحدوه ، وأن يتبعوا الدين الذى أرسل به إليهم خاتم أنبيائه ورسله محمد ﷺ ، قال لهم : ﴿ **فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ...** ﴾[1] .

فالآية الكريمة أوضحت أن الفطرة السوية تهدى صاحبها إلى التوحيد ، والتوحيد رأس الإيمان ولبه وجوهره ، وعنه تتفرع كل أنواع العبادات والمعاملات والطاعات .

إن على الدعاة إلى الله أن يستغلوا هذا الرصيد الجيد ، من سلامة الفطرة عند عموم المسلمين .

---

(١) سورة الروم : ٣٠ .

ب ـــ سرعة الاستجابة للحق :

وهى سرعة نسبية بالضرورة ، لأن معوقات الاستجابة عند هؤلاء الناس ، ليست موجودة تقريبا ، وهذه المعوقات هى : الكبرياء والعناد والنفاق والمعصية وغيرها .

وإنما كانت سرعة نسبية ، على الرغم من عدم وجود موانع الاستجابة ، لأن الطائعين أسرع منهم استجابة ، وإن كانوا هم أسرع من غيرهم من الأصناف الأخرى .

وإن سرعة الاستجابة للدعوة إلى الله ، لتمثل رصيدا هائلا من الخير عندهم ، يجب أن يحمدوا الله عليه ، وإن سرعة الاستجابة هذه ، لتمثل فاعلية وتجاوبا ، دائما مايكون العمل الإسلامى بحاجة ملحة إليهما ؛ ليسد بهما ثغرة هنا ، أو ثغرة هناك .

وإن على الدعاة إلى الله أن يفيدوا من هذه السمة فيهم ، فيسارعوا هم كذلك بترشيد هذه الاستجابة ، وتوظيفها لصالح العمل الإسلامى ، وتوجيهها التوجيه الصحيح .

إن لباقة الداعية إلى الله ، وبعد نظره ، ومأأوتيه من كياسة ، وقدرة على العمل والحركة ، إن كل ذلك ليعطيه أحسن الفرص لملء الفراغات الموجودة فى مجالات العمل ، بهؤلاء المتسجيبين فى سرعة تحمد لهم .

جـ ـــ الاستعداد للبذل والتضحية :

إن عموم المسلمين بحكم مافطرهم الله عليه من فطرة سليمة ، لم تلوثها أغراض ولا منافع ، ولا أصابها من أمراض القلب ما يصرفها عن الحق ، إن هؤلاء يكونون على استعداد فطرى كذلك للبذل والتضحية فى سبيل ما يؤمنون به ويرون أنه الحق .

فالقضية إذن قضية كيف يؤمنون بالعمل فى سبيل الإسلام ، وكيف يشعرون بضرورة هذا العمل لدينهم ، وللحق الذى دخلوا فيه ؟

وتلك مهمة الدعاة إلى الله ، يوجهونهم إلى الإيمان بالعمل الإسلامى أولا ، وبالعمل له فى جماعة ثانيا ، وبأن هذا العمل حق لابد منه ثالثا .... .

وعندئذ يكون بذل ، وتكون تضحية وعطاء ، والدعوة إلى الله دائما ، فى حاجة إلى البذل والتضحية بالوقت والجهد ، ومايستطيع المسلم من مال ؛ لأنها لن تؤدى عملها إلا بهذه العناصر الرئيسة لإنجاح كل عمل : الوقت والجهد والمال .

إن الدعاة يعون هذه الحقيقة جيدا ، بحكم مالهم من خبرة وممارسة ، وطول باع فى الدعوة إلى الله ومتطلباتها ، من الراغبين فى العمل فى صفوفها .

وإن هؤلاء الناس ، لا يحول بينهم وبين البذل والتضحية حائل ، من تكبر أو عناد أو بخل أو أنانية أو إصرار على المعصية ، لسلامة فطرتهم ، التى تزين لهم أن يقدموا فى الدنيا من أجل هذا الدين ، ما يجدونه عند الله يوم القيامة خيرا وأعظم أجرا .

د ـــ الترحيب بالانتماء :

إن هؤلاء الناس ـــ بسلامة فطرتهم أيضا ـــ يرحبون بكل عمل ، يشعرهم بالانتماء إلى الإسلام ، لأنهم ـــ فى الواقع وبحكم أنهم من عموم المسلمين ـــ يعيشون بغير انتماء ، والانتماء ضرورة نفسية اجتماعية للإنسان .

وإذا كان الرؤساء والكبراء ، ينتمون إلى السلطان والجاه ، ويحسون به وشيجة فيما بينهم ، وإذا كان المنافقون ينتمون إلى الخداع والجبن ، وتصيد الفرص ، والمعاندون ينتمون إلى القوة ، وتحدى الحق ، والإصرار على مقاومة دعاة الله ، والعصاة ينتمون إلى شياطينهم ، من الجن والإنس ، وإلى شهواتهم وأهوائهم ، وما يحيكون للطائعين من مكائد ، فإن عموم المسلمين بحاجة إلى انتماء ، لأنهم فى الحق لاينتمون .

وإن أفضل ما ينتمى إليه هؤلاء ، هو العمل من أجل هذا الدين .

إن لهذا الانتماء فى قلوبهم فرحة ، لاتعدلها فرحة ، لأنهم ينتقلون به من الضياع إلى العزوة والانتساب إلى الفئة المؤمنة ، التى تجاهد فى سبيل الله ، لتكون كلمة الله هى العليا .

وإذا حدثت واحدا من الناس نفسه بأن الانتماء إلى فئة العاملين من أجل الإسلام المجاهدين فى سبيله ، تجر على المنتمى من المتاعب والمشاق والتحدى مالا يحتمله ـــ وبخاصة فى عصور الظلم والقهر والإرهاب ضد المسلمين ـــ أو تجر عليه ما ليس هو بحاجة إليه ....

إذا حدثت واحدا نفسه بذلك ، فإنها نفثة شيطان ؛ لأنها نفس تتجاهل الإيمان بقضاء الله وقدره ، وما كتب على كل إنسان أن يراه ويعاينه فى هذه الحياة .

ومالنا لا نقول ما يجب أن يقال فى هذا المجال ؟

إن مايجب أن يقال هو قول الله تعالى :

﴿ يأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون . وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير ﴾ (1) .

إن هذا الذى وجب أن يقال ، هو كلام أصدق القائلين سبحانه وتعالى ، وهو دستور العمل من أجل هذا الدين .

وإن هذه الآيات ، لتطالب بأمور ، لو أخذ بها المسلمون ، لتبدل الأمر غير الأمر ، ولأصبحت كلمة الله هى العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ، ولفرح المسلمون ، بنصر الله ، ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم .

إنها تطالب بأسباب النجاح والفلاح ، والفوز فى الدنيا والآخرة ، وتلك الأسباب هى :

١ ـــ إقام الصلاة ،

٢ ـــ وعبادة الله بكل شيء يقوم به الإنسان ،

٣ ـــ وفعل الخير على عمومه ،

٤ ـــ والجهاد فى سبيل الله ،

٥ ـــ واعتقاد أن الله ورسوله شاهدان على ذلك ،

٦ ـــ وضرورة الشهادة على الناس بأداء هذه الأسباب ،

٧ ـــ والاعتصام بالله ، بكتابه وسنة نبيه ﷺ .

وتؤكد للمسلمين جميعاً حقائق ثلاثة :

الأولى : أن الله سبحانه قد اجتبى المسلمين ، واختارهم لهذا الدين ، والقيام بتلك الأعمال

---

(١) سورة الحج : ٧٧ ـــ ٧٨ .

﴿ **ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا** ﴾[1] ، قال فيها رسول الله ، ﷺ : « هى أمتى ورب الكعبة ، هى أمتى ورب الكعبة ، هى أمتى ورب الكعبة » .

والثانية :أن الأخذ بهذا الدين ، والانتماء إليه ، والعمل وفق منهجه ونظامه ، لا يكلف الناس من أمرهم شططا ، ولا يرهقهم من أمرهم عسرا ، لأنه سبحانه قطع فى هذه الآية بأنه ماعلى المسلمين فى دينهم من حرج .

والثالثة :أن الله سبحانه لهؤلاء المؤمنين العاملين بكتابه ، وسنة نبيه ﷺ هو الولى ، وهو النصير ، إن صدقوا إيمانهم ، وصدقوه بأعمالهم ، فإنه لهم : نعم المولى ونعم النصير .

---

(١) سورة فاطر : ٣٢ .

الفصل الثالث

واجبات الدعاة نحو المدعوين

ويشتمل على :

تمهيد وعدد من النقاط :

١ ـ توجيه الدعوة إليهم حيث يكونون .

٢ ـ اختيار أنسب الأساليب والوسائل لهم .

٣ ـ الشفقة بهم والحرص عليهم .

واجبات الدعاة نحو المدعوين

التمهيد :

هذا الفصل فى واجبات الدعوة نحو المدعوين ، ويكاد حديثنا فى مراحل الدعوة الأربعة ، التى ذكرنا فى الباب الثانى من الكتاب ، يكون موفيا على الغاية ، فى التعرف على واجبات الداعية إلى الله ، نحو من يدعوهم ، لكنه كان حديثاً مفرقا بين ثنايا المراحل الأربعة ربما يتعب من يحاول ، جمع أطرافه ، ولمّ متفرقاته ، وقد أوجب ذاك التفريق لواجب الدعاة ، أنا خصصنا كل مرحلة بحديث ، فكان الخضوع للمنهج ، أن نبقى هذه الواجبات ، حيث هى من المراحل ، مرموزا إليها بأهلية الدعاة .

غير أننا فى هذا الباب الثالث من الكتاب ـــ باب فقه الدعاة ـــ أولينا أهمية خاصة لإعداد الدعاة ، كيف يكون ؟ وكان ذلك فى الفصل الثالث من ذاك الباب .

ولقد أوحى فصل إعداد الدعاة بواجباتهم إيحاء واضحا ، ولم نستطع فيه أن نتحدث عن واجبات الدعاة نحو المدعوين ، خضوعا كذلك لمنهجية البحث التى التزمنا بها .

ولقد جاء الآن دور التصريح بواجب الدعاة نحو المدعوين ، فى فصل خاص من الباب الأخير من الكتاب ، وهو هذا الفصل ، بل دور تفصيل هذا الواجب على قدر المستطاع .

ولقد بدا لنا أن نقسم هذه الواجبات إلى ثلاثة أقسام ، هى :

١ ـــ توجيه الدعوة إلى المدعوين حيث يكونون ،

٢ ـــ واختيار أنسب الوسائل والأساليب الملائمة لهم ،

٣ ـــ والشفقة بهم والحرص على هدايتهم .

وإثباتا للمنهجية التى توخيناها ، فإنه ما كان للدعاة أن يقوموا بواجبهم ما لم يُعدوا له الإعداد الجيد المتنوع ، الذى فصلنا فيه الكلام ، فى الفصل الثالث ، من الباب الثالث .

وما كان لهم أن يعدوا هذا الإعداد ، ثم لا يؤدوا واجب الدعوة نحو من يدعونهم على

أمثل وجه وأكمله .

وهذا ماسوف يتكفل به هذا الفصل الثالث ، من الباب الرابع ، الذى نحن بصدد شرحه ، وتوضيح ما يشتمل عليه .

فإلى تفصيل هذه الواجبات ومن الله العون والتوفيق .

١ ـــ توجيه الدعوة إلى المدعوين حيث يكونون

وهذا أول واجبات الدعاة إلى الله ، وأهم أعبائهم ، وإنما عددناه عبئا ، لأن الداعية إلى الله يبذل جهدا ، فى البحث عن الأرض الطيبة ، التى يضع فيها البذرة الصالحة ـــ وهى الدعوة إلى الله ـــ ويتعهدها بكل أسباب النماء ، وإنه فى سبيل البحث عن تلك الأرض الطيبة ، ليجوب قفارا ، ويقطع طريق المخاطر والأهوال .

وهو مع هذا كله ، قد يجد أرضا ، لا تمسك ماء ، ولا تنبت عشبا ، فضلا عن شجرة وارفة مثمرة ، وقد يجد أرضا تمسك الماء ، ولكنها لا تعطى شيئا ، وقد يجد ... وقد يجد ولا يزال يعانى ، حتى يجد الأرض الطيبة ، الصالحة لإلقاء البذرة فيها ، والقادرة على أن تعطى هذه البذرة من أسباب النماء ، ما يجعلها بعد قليل شجرة مثمرة .

وإن رحلة البحث عن الأرض الطيبة قد تطول ، وإن غايتها قد تبعد ، وكل ذلك يحتاج من الداعية ، زادا ، وراحلة ، وصبرا ، ومعاناة ، وحركة دائبة ، وجهادا متواصلا .

وإن الدعاة إلى الله ليتفاوتون فيما بينهم فى بذل الجهد والوقت فى البحث عن هذه الأرض الطيبة « المدعو » .

فمنهم من يجدها بين يديه ،

ومنهم من يعانى فى الوصول إليها ،

ومنهم من يرحل إليها ، ويبعد فى الرحلة ، ولكنه لا يجدها أبدا ، ولكنهم جميعا مطالبون بالعمل ، ومواصلة العمل ، دون يأس أو ملل ؛ لأن تلك حظوظ ، قسمها رب العالمين بين عباده .

واجبات الدعاة

هذا الداعية إلى الله همه الأكبر أن يبلغ دعوة الله لكل أحد ، وأن يواصل عمله ، فى كل وقت وفى كل مكان ، هذا همه كما هو واجبه الذى لا يجوز له التخلى عنه أبدا ، إنها بالتحديد ـــ فى تصورنا ـــ هموم كثيرة أهمها ثلاثة :

مواصلة العمل للدعوة واستمراريتها ،
والحركة بالدعوة فى كل أبعاد الزمان ،

والحركة بالدعوة فى كل أرجاء المكان .

وإن توجيه الدعوة إلى المدعوين ، حيث يكونون ، واجب أصيل لدى الدعاة إلى الله ، وهو يتطلب العمل فى هذه الأبعاد الثلاثة التى ذكرنا ، ولو توقف العمل فى بعد منها ، لحرم المدعوون من أن توجه إليهم دعوة الله .

أما المدعوون فهم العالم كله ، أو الناس جميعا ، أو أمة الدعوة ، أى الأمة التى يجب أن توجه إليها الدعوة إلى الله ، وهذه الأمة هى الناس جميعا ، من مسلم عاص ، وكافر ، ومنافق ومشرك ومن لادين له ، كل هؤلاء توجه إليهم الدعوة إلى الله على سبيل الوجوب ، فمن لم تبلغه الدعوة منهم فوزره على نفسه إن كان قادرا على السؤال عنها وقد سمع بها ، وإن لم يكن قادرا على ذلك ، أولم يسمع بها أصلا فوزره على المسلمين جميعا القادرين على توصيلها إليه .

ولنفصل القول فى كل واجب من هذه الواجبات الثلاثة على الدعاة نحو المدعوين على النحو التالى :

أولا : واجب مواصلة الدعوة والاستمرار فيها :

سبق أن ذكرنا أن الدعوة إلى الله ، واجب كل مسلم ، يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وهو بها على بصيرة ، واجبه وسبيله التى لا سبيل له سواها ﴿ **قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى** ﴾[1] .

أكدنا ذلك فى الباب الأول من الكتاب ، ونؤكد هنا واجبية الاستمرار فى هذه الدعوة إلى الله ومواصلة العمل فيها ، حتى يلقى الداعية ربه ، الاستمرار فيها حتى بعد قيام الحكومة الإسلامية ، لأن الدعوة إلى الله ، أى إلى عبادته ، أكبر أهداف الدين الإسلامى ، ولن يخلو زمان أو مكان إلى يوم القيامة من وجود أناس يحتاجون إلى أن يُدعوا إلى الله ليدخلوا فى دين الإسلام أو ليكفوا عما يرتكبون من معاصى وآثام .

ولو كانت الدعوة إلى الله تتوقف عندما يصل المسلمون إلى تكوين حكومة إسلامية ، لتوقف عنها رسول الله ﷺ ، بعد أن أقام حكومته فى المدينة المنورة ، أو بعد أن دخل الناس فى دين الله أفواجا ، ووفدت عليه وفود العرب ، تعلن إسلامها ، ولكنه ظل يدعو إلى

---

(١) سورة يوسف : ١٠٨ .

الله ، ويراسل الملوك والرؤساء ، ويجاهد فى سبيل الله ، لتكون كلمة الله هى العليا ، حتى آخر أيامه .

بل إنه فى أخريات أيامه جهز جيشا كبيرا لقتال الروم ، ثم لحق بربه ، قبل أن يتحرك الجيش إلى هدفه .

فلو كانت الدعوة إلى الله غير مستمرة أبداً ، ما جهز رسول الله ﷺ هذا الجيش ، بل ماأجمع الصحابة بعد موته ﷺ على إنفاذ جيشه إلى حيث أراد .

إن الدعوة إلى الله عمل دائب ، وحركة مستمرة ، طالما كانت على الأرض حياة ، ولو كانت مرحلة ، ثم تنتهى أو تتوقف ، لاستحال علينا أن نفهم معانى الآيات القرآنية الكريمة التالية :

﴿ **فذكر إنما أنت مذكر** ﴾[1] .

﴿ **فذكر بالقرآن من يخاف وعيد** ﴾[2] .

﴿ **فذكر إن نفعت الذكرى** ﴾[3] .

﴿ **واعبد ربك حتى يأتيك اليقين** ﴾[4] .

﴿ **هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون** ﴾[5] .

﴿ **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير . وإن تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير** ﴾[6] .

كل هذه الآيات القرآنية الكريمة ، تدل على أن الدعوة إلى الله ، على كافة مستوياتها ، من الكلمة والتذكير ، إلى الجهاد فى سبيل الله ليظهر الإسلام على الدين كله ، يجب أن تستمر وأن تتواصل حلقاتها إلى أن تقوم الساعة أو إلى أن يلقى الداعية ربه .

---

(١) سورة الغاشية : ٢١ . (٢) سورة ق : ٤٥ . (٣) سورة الأعلى : ٩ .
(٤) سورة الحجر : ٩٩ . (٥) سورة التوبة : ٣٣ . (٦) سورة الأنفال : ٣٩ — ٤٠ .

ثانيا : واجب التحرك بالدعوة فى كل أبعاد الزمان :

وهذه الأبعاد : ماض وحاضر وآت .

أما الماضى ، فقد أفضى الدعاة فيه بما قدموا إلى الله ، ولا يسأل عن هذا ، داعية يعيش بعده ، إلا بقدر ما يجب عليه أن يستفيد به .

وأما الحاضر ، فواجب الدعاة إلى الله الأساسى ، الذى لا يستطيعون أن يتخلوا عنه بحال ، ولا أن يقصروا فى أدائه ، فضلا عن أن يتوقفوا عنه .

وأما المستقبل أو الآتى ، فهو واجب نسبى ، إذ عليهم أن يخططوا له ، وألا يَدَعوا مجالا يقصرون فيه ، وأن يعملوا من أجله ، ما وجدوا إلى ذلك السبيل .

ولن تبرأ ذمة الدعاة إلى الله ، من إثم التقصير ، إلا إذا عمل كل واحد منهم لهذه الدعوة ، حاضرها ومستقبلها ، حتى يلقى الله .

وإن هناك إشارات نبوية كريمة ، توضح لنا هذا الامتداد بالدعوة فى الزمان ، إلى يوم القيامة ، مثل قوله ﷺ ، فيما روى الإمام أحمد بسنده ، : « إذا قامت القيامة على أحدكم ، وفى يده فسيلة ، فليغرسها »[1] .

وقوله ﷺ : « واعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا » .

وروى البخارى ومسلم بسنديهما ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « وأحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل » أو « أحب الدين إليه ، ماداوم صاحبه عليه » متفق عليه .

إن تلك النصوص لتدل على أن عمل الدعاة إلى الله ، غير موقوت بزمن بعينه ، وإنما هو منداح فى كل الأزمان .

وكيف يخلو زمان من الحق ، والدعوة إليه ؟

وكيف يخلو زمان من الإيمان ومن عبادة الله وحده لا شريك له ، وفق ماشرع أن يعبد ؟

كيف يخلو من ذلك حاضر أو آت ؟

---

(١) الإمام أحمد : مسنده : ٣ / ١٨٣ .

ومن الذين يقومون بهذا العمل الجليل ، فيملئون الزمان بدعوة : لا إله إلا الله محمد رسول الله ؟

من الذين ينشرون فى الناس الدين القيم ، ويعملون على تطبيق الشريعة الكاملة ، التى تكفل للبشرية كلها سعادة الدنيا والآخرة ؟

من الذين يقومون بهذه الأعمال الجليلة ، مالم يكونوا الدعاة إلى الله ؟ .

ثالثا : واجب التحرك بالدعوة فى كل مكان :

إن كل مكان على وجه الأرض ، يجب أن تصل إليه الدعوة إلى الله ، مادام فيه أحد من عباد الله ، ذاك واجب شرعى على كل المسلمين وعلى الدعاة منهم على وجه الخصوص ، ماداموا جميعا قادرين على تبليغ دعوة الله إلى عباد الله .

إن ذلك الواجبَ واجبٌ على مستوى العالم كله ، وهو واجب على مستوى العالم الإسلامى كله كذلك ، كما هو واجب على مستوى كل إقليم من أقاليم العالم الإسلامى .

تلك حقائق ثابتة لا تحتاج إلى جدل أو مماراة ، وحديثنا هنا سوف يركز على أبناء كل إقليم من أقاليم العالم الإسلامى ، لنؤكد فيه أن واجب الدعاة إلى الله ، يفرض عليهم أن يذهبوا إلى المدعوين ، حيث يكونون ، لا أن ينتظروا حتى يأتى إليهم المدعوون يطلبون الدعوة ، أو يطلبون الاستفسار أو السؤال ، وهذا هو ما عقدنا هذا الفصل من أجله .

إن الدعاة إلى الله ، عليهم أن يتوجهوا بالدعوة إلى المدعوين فى أماكن عملهم وإقامتهم ، وما يشهدونه من مجامع أو محافل ، إن عليهم أن يتتبعوا هذه الأماكن ، وأن يوصلوا صوت الدعوة إليها .

ونستطيع هنا أن نحدد أماكن تجمع الناس ، وأن ننادى على الدعاة بأن يَغْشَوا هذه الأماكن ، ويكون لهم فيها حضور ودعوة وتأثير .

إن هذه الأماكن ـــ فى تصورنا ـــ هى :

١ ـــ المساجد وعمّارها ،

٢ ـــ والنوادى والمحافل وروادها ،

٣ ـــ ومقار الأحزاب السياسية ومن فيها ،

٤ ـــ والعمال فى أماكن عملهم ،

٥ ـــ والفلاحون فى حقولهم وقراهم ،
٦ ـــ والطلاب فى مدارسهم وجامعاتهم ،
٧ ـــ والموظفون فى أماكن عملهم ،
٨ ـــ والمدرسون فى مدارسهم ،
٩ ـــ وأساتذة الجامعات فى جامعاتهم وأنديتهم ،
١٠ ـــ وعلماء الأزهر العاملون فى حقل الدعوة ،
١١ ـــ وعلماء الأزهر بعامة ،
١٢ ـــ والنقابات المهنية .

والدعاة إلى الله يجب أن يكون لهم فى كل مكان من هذه الأمكنة مع من يترددون عليها حضور ، وصوت مسموع ، وتعامل بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجدال بالتى هى أحسن مع كل هؤلاء الناس .

ذلك واجب مقدس على كل داعية إلى الله ، وما لم يقم به على وجهه ، تحول هذا الداعية بالتدرج إلى داعية حكومى أو رسمى ، من أولئك الدعاة الذين يبقون فى أماكنهم ـــ لأنهم قيدوا إليها ـــ وعلى الناس أن يذهبوا إليهم أو لا يذهبوا .

إن هؤلاء الدعاة الرسميين أو الحكوميين ، لا يسىء إليهم شىء مثل مايسىء إليهم عدم حركتهم إلى الناس ، والبحث عنهم حيث يكونون ، إن بعض هؤلاء الدعاة يتصورون ـــ مخطئين ـــ أن العلماء والدعاة يُقصدون ولا يقصدون ، وهذا التصور مع المدعوين خطأ فادح لكنه مع الحكام والمسئولين جيد ومقبول .

إن هذا التقيد بمكان من هؤلاء الدعاة ، والقعود عن غشيان مجالس الناس ، وأماكن تجمعهم ، من أسباب نفور الناس ، عن بعض هؤلاء الدعاة ، ومن أسباب انصراف بعض الناس عن الدعوة إلى الله ، لأن الناس معظمهم يكسلون عن هذا الجهد الذى يطلب منهم ، عندما يجدون أنفسهم مطالبين بالذهاب إلى الدعاة فى مقارهم .

وإن رسول الله ﷺ ، وهو سيد الدعاة وإمامهم ، كان يمشى إلى المدعوين ، حيث يكونون ، ويَغْشى مجالسهم ونواديهم ومحافلهم وأماكنهم وأماكن تجمعهم ، وهو القدوة ﷺ .

ولنتحدث عن هذه الأماكن التى يجب أن يغشاها الدعاة إلى الله ، رغبة فى توصيل

دعوة الحق إلى الناس .

١ ـــ المسجد :

وعمار المساجد هم بفضل من الله ورحمة ، خيرة المسلمين ، وأحرصهم على إرضاء الله سبحانه ، وارتيادهم لبيوت الله دليل خير وصلاح ، والله تعالى يقول : ﴿ **إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين** ﴾[1] .

فهؤلاء صفوة المسلمين ، فماذا يجب على الدعاة نحوهم ؟ يجب أن يذهب إليهم الدعاة فى بيوت الله ، وأن يخالطوهم ويصادقوهم ، ويتحببوا إليهم ، ويشجعوهم على الاستزادة من هذا الخير .

وللدعاة مع عمار المساجد جهود وأعمال ، تتنوع إلى مايلى :

أ ـــ إلقاء دروس عليهم فى تجويد القرآن ، وأدب تلاوته وتفسيره .

ب ـــ إلقاء دروس عليهم فى السنة النبوية ، وتحفيظهم ما أمكن من الأحاديث ، وشرحها لهم .

جـ ـــ إعطاؤهم دروسا فى السيرة النبوية المطهرة ، وفى تاريخ الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم ، وفى تاريخ الإسلام .

د ـــ إعطاؤهم دروسا وتوعية فى خدمة البيئة التى تحيط بالمسجد .

هـ ـــ معاونتهم وتشجيعهم على تكوين مكتبة للمسجد ، أو تزويد مكتبته ـــ إن كانت فيه مكتبة ـــ بالكتب النافعة .

و ـــ عقد محاضرات وندوات على فترات مناسبة .

ز ـــ الإسهام فى إحياء المناسبات الإسلامية .

ح ـــ عقد صلات طيبة بهم وزيارتهم فى بيوتهم وتفقد أحوالهم ، وتوثيق صلاتهم بعضهم ببعض .

ط ـــ اصطحابهم إلى زيارات العلماء والصالحين من سكان الحى الذى فيه المسجد .

ى ـــ تعويدهم على تفقد أحوال المسجد ، وتعاونهم فى أن يكون المسجد دائما على أحسن صورة من حيث نظافته ونظامه وأثاثه وإنارته ومكتبته ومرافقه ، كل ذلك

---

(١) سورة التوبة : ١٨ .

يتعاون رواد المسجد على القيام به حسبة لوجه الله تعالى وتقربا إليه ، وكل ذلك داخل فى إعمار المسجد وتعهده ، وهو واجب كل مسلم يتردد عليه .

ومالم يوجه الدعاة إلى الله المسلمين إلى ذلك فمن يقوم به ؟ إن ترك ذلك للحكومة ، أيا كانت الحكومة ، سلبية من رواد المسجد ، يُسألون عنها بين يدى الله سبحانه .

٢ ـــ النوادى والمحافل :

وهى أماكن يتجمع فيها الناس بعضوية ، أو لمناسبات بعينها ، ومادامت أماكن تجمع للناس فإن على الدعاة أن يغشوها ، وأن يكون لهم حضور فيها ، وتأثير فى جمهورها ، نحو الإسلام وقيمه وآدابه ، وسلوكياته الراشدة الهادفة دائما .

ولسنا بصدد مناقشة : كيف يصل الدعاة إلى هذه النوادى والمحافل ، لأن أنظمة النوادى أيا كان اتجاهها ، فلن تعجز الداعية المتفتح عن الوصول إليها ، بما أوتيه من لباقة وشخصية وقدرة على تخطى العقبات ، وبما له من خبرة فى كيفية الوصول إلى تجمعات الناس ، بعضوية فى النادى أو بدونها .

ولست فى موقف يسمح لى بأن أوصى الداعية فى هذا المجال ، بماذا يقول ، أو ماذا يفعل ، أو بماذا يوجهه إلى رواد هذه الأندية .

وإنما أكتفى بأن أرسم خطين رئيسين فى هذا المجال :

أولهمـــا : ألا يتصادم مع أنظمة النادى ، ولا مع رواده ، وإنما يتعرف بهدوء ، على مالا يتفق مع الإسلام فى النادى ورواده ، ويحاول بنفس الهدوء تغييره بالحكمة والموعظة الحسنة .

وثانيهمـــا : ألا يتقبل كل مافى النادى من سلوكيات ، إذا كانت تخالف الإسلام ، بحجة عدم رغبته فى التصادم ، لأن هذا يعد استسلاما لواقع ، يجب تغييره بالحكمة والموعظة الحسنة .

وإن كان لابد من الفتح على الداعية ، باقتراح بعض الأعمال التى يقوم بها ، مع المدعوين فى النوادى والمحافل ، فأنا أشير عليه بما يلى :

أ ـــ المحاضرة الجيدة المعدة إعدادا يتناسب مع رواد النادى أو رواد المحافل .

ب ـــ الدروس الأخلاقية المعدة إعدادا جيدا كذلك .

جـ ـــ المشاركة فى بعض أنشطة النادى الرياضية ، التى تلائم الداعية ، وتحفظ عليه ، احترامه وهيبته .

د ـــ المشاركة فى الرحلات التى يعدها النادى ، ليكون على مقربة من كل نشاط يمارسه النادى ، فإذا وَجَّه أو نصح انطلق فى توجيهه ونصحه ، من موقف العلم والمشاهدة .

هـ ـــ توثيق الصلات ببعض أعضاء النادى الذين يتمتعون بتأثير فى أعضاء النادى ، أو تأثير فى الرأى العام ، لاستثمار هذه الصلة فى صالح الدعوة إلى الله .

و ـــ تشجيع رواد النادى على ارتياد مسجد النادى ، فإن لم يكن فى النادى مسجد ـــ وهذا نادر ـــ عمل الداعية بالحكمة على تحديد مكان مناسب لإقامة الصلاة على أوقاتها ، ريثما يتم بناء المسجد .

أما كيف يتعلق رواد النادى بالمسجد ؟ فتلك مهمة الداعية إلى الله ، ومحك نجاحه وتوفيقه فى عمله .

ز ـــ وفى المحافل ـــ وأغلب ماتقام هذه المحافل فى المناسبات الدينية والأفراح والعزاء ـــ ويستطيع الداعية إلى الله أن يسهم فيها بعلمه وعمله ، وكلمات تقال فتهدى وتعلم .

٣ ـــ مقار الأحزاب السياسية :

فى البلاد الإسلامية التى فيها أحزاب سياسية ، يستطيع الداعية أن يكون له حضور ، بل تأثير فى هذه المقار الخاصة بالأحزاب ، سواء بالعضوية فيه إذا لم يكن فى برنامج عمل الحزب شيء يخالف الإسلام ، على الرغم من إيماننا ، بأن الداعية إلى الله ، ما ينبغى أن يكون له انتماء ، إلا إلى دينه ودعوته ، ولكنها ضرورة عمل للدعوة ، فلتمارس فى حدود وإلى حين ، إلا أن يكون الحزب ذا برنامج إسلامى ، فحينئذٍ تكون العضوية فيه محمودة ، وبشرط ألا تخدش انتماءه لدعوته ، وتجسده لها ، فهو انتماء موقوت ، لهدف بعينه .

والداعية إلى الله قد أعد إعداداً سياسياً واجتماعياً وثقافياً جيداً ، كما أوضحنا ذلك فى إعداده ـــ فى الفصل الثالث من الباب الثالث من هذا الكتاب ـــ وليس ما يدور فى مقار الأحزاب السياسية من أفكار ، ولا ما يطرح فيها للمناقشة ببعيد عن ثقافة الداعية ، ولا هو ببعيد عن أساليب الأحزاب ، ووسائلها فى العمل ، إنه يعرف كل ذلك ، ويستطيع أن

يواكبه ، أو أن يغير فيه ما يستطيع .

ويستطيع الداعية فى هذه المجالات ، أن يشارك بالكثير مما نقترحه عليه هنا مثل :

أ ـــ إلقاء بعض المحاضرات الجيدة الملائمة .

ب ـــ تقديم المقترحات ، التى تتضمن خدمات قومية أو وطنية ، فضلاً عن المقترحات التى تخدم الإسلام والمسلمين .

جـ ـــ المشاركة فى الندوات المفتوحة التى يعقدها الحزب .

د ـــ المشاركة فى أى أنشطة يعقدها الحزب ، ليكون الداعية على مقربة من هذه الأنشطة ، ومايدور فيها ، وليتمكن من التوجيه والتوعية ، من خلال مشاهدته للواقع ومعاينة ما يدور فيه .

هـ ـــ إعداد البحوث والدراسات التى تخدم العمل السياسى بعامة فى الإقليم الذى يعيش فيه الداعية .

٤ ـــ أماكن تجمع العمال : وهذه الأماكن مجالان :

• مجال العمل من المصانع و « الورش » ،

• ومقار النقابات العامة والفرعية .

وعلى الداعية ، أن يغشى هذه الأماكن ، بالوسيلة التى يراها أنسب فى غشيان هذه الأماكن ؛ كالتعرف على أصحاب العمل ، أو على بعض العمال ، والتعرف على النقابات والقائمين بالعمل فيها من المسئولين وغيرهم من العمال ، وعقد الصلات الطيبة بهم ، حتى يجد الفرصة المواتية ، لممارسة عمله والتعبير عن دعوته ، وتوجيه الناس ، وكسب ودهم واحترامهم .

وهناك حقيقة هامة فى هذا المجال هى : أن القاعدة العريضة من أفراد الشعوب فى العالم الإسلامى ، عمال وأصحاب حرف ، وهم من الكثرة ، بحيث يؤثرون فى كل نظام ، وفى كل قرار ، فإذا أعطى هؤلاء العمال حظهم من العناية والرعاية والتوجيه الإسلامى ، فإنهم مكسب كبير للإسلام ، ورصيد هائل للعمل الإسلامى ، ما ينبغى للدعاة أن يفرطوا فيه بحال .

ويستطيع الدعاة إلى الله أن يقوموا بجهود طيبة مع العمال ، نشير إلى بعضها فيما يلى :

أ ـــ تحبيبهم فى الدين والتدين .

ب ـــ تفقيههم فى الدين ، وإرشادهم إلى قيم الإسلام وأخلاقه وآدابه ، عن طريق المحاضرات والندوات وغيرهما .

جـ ـــ تعريفهم بحقوقهم وواجباتهم من وجهة نظر إسلامية .

د ـــ تبصيرهم بواجبهم نحو وطنهم ، ونحو العالم الإسلامى كله ، والمتمثل فى ضرورة إتقان العمل ، ووفرة الإنتاج ، واعتبار أن أداء العمل بإتقان ورغبة فى زيادة الإنتاج هو أفضل الوسائل للخروج من الأزمات السياسية والاقتصادية التى تعيشها معظم بلدان العالم الإسلامى .

هـ ـــ إقناعهم بأن النجاح الحقيقى للعمل وللعمال فى بلدان العالم الإسلامى كلها له خطان رئيسان :

الأول : تحقيق الاكتفاء الذاتى من الإنتاج على كل مستوى من مستوياته ، وكل نوع من أنواعه ، وذلك أن العالم الإسلامى يمتلك من المقدرات والموارد ما يغطى مختلف الاحتياجات ، بحيث يصبح باب استيراد أى منتج مغلقاً تماماً ، إلا فى الضرورات القصوى .

والثانى : تحقيق القدرة على أن يزيد الإنتاج ، إلى حد أن يكون هناك فائض للتصدير والمنافسة ، وبخاصة بالنسبة للدول التى تغزونا اقتصادياً ، كأوربا وأمريكا ، وبعض بلدان الشرق الأقصى حالياً ، كاليابان والصين وغيرهما .

وطريق ذلك ، أن يكون هناك سوق إسلامية مشتركة ، تسبقها مجالس تعاونية اقتصادية ، سوق إسلامية مشتركة بكل ما تحمله هذه الكلمة من دلالات ورموز ، وما يجب أن تخضع له من شروط وآداب والتزامات .

لابد أن يعى العمال أن هذا هو مستقبل الصناعة فى البلاد الإسلامية .

ولن يتأتى ذلك إلا بجهد الدعاة ، وحرصهم الشديد على الاقتراب من العمال فى أماكن عملهم وتجمعهم ، ولا نوصى الدعاة فى هذا المجال ، بأن يختاروا للعمل فى هذا المجال العمالى ، دعاةً مستوعبين لقضايا العمل والعمال .

٥ ـــ الفلاحون فى حقولهم وقراهم :

وهؤلاء الفلاحون ، هم الفئة الثانية التى يقوم عليها عصب الإنتاج فى معظم البلدان الإسلامية ، وعلى الفلاحين عبء تحقيق الاكتفاء فى الإنتاج الزراعى ، من محاصيل وفواكه وأخشاب وكل ما يزرع ، والفلاحون عمال أصحاب حرفة ، لا يقلون أهمية بالنسبة للإنتاج عن العمال فى مجال الصناعة .

وهؤلاء الفلاحون يتجمعون فى حقولهم أثناء العمل نهاراً ، أو فى قراهم أثناء الراحة بعد الغروب ، بل إن العمل فى الحقول غير مستمر ، بحيث يشغل كل ساعات النهار ، ولا كل أيام السنة ، فإن الزراعة ومواسمها تحتم على العاملين فى الفلاحة ، بذل جهد أكبر فى أوقات معينة من أيام الزراعة ، وتتيح لهم فرصة استرواح ، فى الأيام غير المزدحمة بالعمل .

ومعنى ذلك أن العمال فى الحقول فى فسحة من أوقات عملهم ، تسمح لهم ، وتسمح للدعاة بزيارتهم ، والتحدث إليهم هناك ، وعلى الداعية أن يحسن اختيار أوقات الزيارة .

وإذا كانوا فى القرية فإن المساجد ـــ وهذا من فضل الله عليهم ـــ تضم أعداداً لا بأس بها منهم فى صلاتى العشاءين .

وإن من الحقائق الهامة أن كثيرا من بلدان العالم الإسلامى تستورد المحاصيل الرئيسة فى احتياجات الناس ، كالقمح والسكر ، مع أن معظم هذه البلدان حقول جيدة لهذه المحاصيل ، ولا ينقصها صلاحية التربة ولا مجارى المياه العذبة .

وإنما ينقصها تطوير الزراعة علمياً بحيث تأخذ الرقعة المنزرعة فى الاتساع ، وتأخذ النوعية المزروعة فى الجودة ، والقدرة على المنافسة العالمية ، ولا يتم ذلك إلا بقيام صناعات زراعية ، وعكوف لفيف من علماء الزراعة على البحث العلمى ، الذى يؤدى إلى التوسع فى الزراعة ، كمًّا وكيفاً وإنتاجاً .

إن هؤلاء الفلاحين الذين لا يحسن أكثرهم استغلال الوقت لصالحه ، وإنما يبددونه فيما لا يعود عليهم ، ولا على بلادهم بالفائدة .

ولو رُشِّد تعاملهم مع الوقت ، لجاء الإنتاج الزراعى على صورة أحسن بكثير مما هى عليه ، فى كثير من بلدان العالم الإسلامى ، ولو تحسن الإنتاج كماً ونوعاً ، لحدثت القدرة على الاكتفاء الذاتى ، بل على المنافسة العالمية ، وذلك يستدعى ـــ كذلك ـــ سوقاً إسلامية مشتركة كما ذكرنا آنفاً .

وإن واجب الدعاة إلى الله مع الفلاحين ، لا يختلف عن واجبهم مع العمال : كل ما في الأمر مما تجب ملاحظته أن الدعاة الذين يتعاملون مع الفلاحين ، يجب أن يكونوا أكثر ملاءمة لهم ، وأكثر إلماماً بقضاياهم ، وتلك مهمة القائمين على أمر توجيه الدعاة ، وتصنيفهم ، وتوظيفهم فى مجال الدعوة الإسلامية .

٦ ــ الطلاب فى مدارسهم وجامعاتهم :

وهذا القطاع من الناس من أهم قطاعات المجتمع ، وذلك أنهم :

أولاً : هم مثقفو الأمة وعقلها الناضج ،

وثانياً : هم مستقبل الأمة وعناصر القيادة والتوجيه فيها ،

وثالثاً : هم نبض الأمة ووعيها وقدرتها على التطور .

ولو ربى هؤلاء الشباب ، وعلموا على المستوى ، الذى يلائم طموح كل بلد إسلامى ، لقفزت هذه البلدان خطوات واسعة فى ركب التقدم والعلم ، تجعلها قادرة على مواكبة المتغيرات المستمرة فى حياة البشر ، المتجهة دائماً إلى أن يستريح الإنسان بالآلة ، وأن يحقق أكبر قدر من الربح ، بأقل قدر من الجهد ، فى أقل وقت من الزمن ، وبأدنى قدر من التكاليف .

إن العلم يتجه بالناس هذا الاتجاه ، منذ ما سمى بعصر النهضة ، ولا يزال يوالى بلوغ هذه الأهداف .

ولن يستطيع العالم الإسلامى مواكبة ركب التقدم العلمى بهذه الصورة السريعة ، إلا إذا عنى بتربية الطلاب فى مدارسهم وجامعاتهم العناية التى تجعل منهم علماء ومكتشفين ، لا مجرد متلقين ، يحشون أذهانهم بمعلومات ومعارف ، لا تفتق ذهناً ، ولا تدعو عقلاً إلى التفكير والابتكار .

وإن ذلك ليقتضى إعادة النظر بصدق وإخلاص ، فى كل ما يتصل بالتعليم على كافة مستوياته وأنواعه ، ابتداء من ضرورة إعداد المعلم إعداداً جيداً على كل مستوى من مستويات عمله ، ومروراً بتوفير التمويل اللازم للتعليم ، وإعطاء هذا التمويل أولوية على كل شيء فى المجتمع ــ لأنه الاستثمار الحقيقى ــ وتوفير الأمكنة الملائمة ، والارتفاع بالمستوى الكيفى للتعليم ، مع العمل الدائب على محو الأمية محواً كاملاً ، وإعادة النظر بناء على ذلك

فى المناهج التعليمية بالمعنى الواسع للمنهج ، الذى يتناول كل ما له صلة بعملية التعليم والتعلم .

وإن إعادة النظر هذه ، تتطلب وضوح السياسة التعليمية التى يتم وفق أهدافها كل هذا التغيير .

وإن أهم أهداف السياسة التعليمية فى العالم الإسلامى ، يمكن أن نجملها فى الآتى :

أولاً : اعتبار العالم الإسلامى وحدة واحدة ، يجب أن تسودها ثقافة إسلامية معينة ، وما يترتب على هذا الاعتبار .

ثانيا : بناء الشخصية الإسلامية ، القادرة على التفاعل مع قضايا المجتمع ، الذى تعيش فيه ، وقضايا العالم الإسلامى كله ، وعلى مواجهة كل المتغيرات .

ثالثاً : العمل على إقامة المجتمعات الإسلامية الملتزمة بخلق الإسلام وأدبه ومنهجه ونظامه .

رابعاً : العمل على بناء المجتمعات الواعية المنتجة المسهمة فى التنمية الشاملة .

خامساً : العمل على تكوين أجيال من العلماء .

إن التعليم يجب أن يتم وفق هذه السياسة .

وإن هؤلاء الطلاب هم عصب الأمة الإسلامية ، عصب فكرها وعصب عملها ، وعماد نهضتها ، ومؤشرات مستقبلها ، وإن أى مجهود يبذل فى مجال إعداد الطلاب ، سواء أكان ذلك من الدول ، أم من الدعاة ، لهو المجهود الطيب الذى يحقق أفضل النتائج ، على مستوى العالم الإسلامى كله .

ومن هنا كان على الدعاة أن يعتنوا بالطلاب كل العناية وأن يكونوا دائماً على مقربة منهم ، يذهبون إليهم فى مدارسهم وجامعاتهم ، ولا يدعون فرصة يتجمع فيها الطلاب ، إلا ويكون لهم فيها حضور ، بل رعاية وتوجيه .

فكيف يستطيع الدعاة أن يصلوا إلى أماكن تجمع الطلاب ؟

إن زيارتهم للمدارس بالتفاهم مع مديريها ، إحدى فرص هذا الاتصال ،

وإن كون أحد الدعاة ولياً لأمر طالب فى المدرسة ، فرصة ثانية .

وإن عمل أحد الدعاة بالتدريس فى المدرسة أو الجامعة ، فرصة ثالثة .

وإن توثيق الصلة ببعض المدرسين والعاملين فى المدرسة ، فرصة رابعة .

وإن هناك فرصاً عديدة ، يعرفها الدعاة ، وتكون أنسب لظروف المدرسة ، وظروف الجامعة ، وظروف البيئة المحيطة بهما .

وإن عمل الدعاة مع الطلاب ، يجب أن يكون على النحو التالى أو ما هو قريب من هذا النحو :

* التوعية العامة بالإسلام أخلاقه وآدابه ومنهجه .
* التوجيه إلى ضرورة الاهتمام بالعلم والتفوق فيه .
* الإرشاد إلى تحسين الصلة بالأساتذة ، وبالطلاب وبكل العاملين فى المدرسة .
* التأكيد على ضرورة حب القراءة والاطلاع والثقافة العامة ، والإلمام بقضايا الوطن ، وقضايا العالم الإسلامى والعالم كله ، اجتماعية وسياسية واقتصادية .
* التشجيع على ارتياد المكتبة فى المدرسة ، أو الكلية ، أو المكتبات العامة .
* الاهتمام بالقضايا الفكرية والثقافية ، على مستوى العالم العربى والعالم الإسلامى .
* التشجيع على أن يهتم الطلاب بالأحياء التى يقيمون فيها ، أو المدينة الجامعية من حيث ضرورة الاهتمام بالنظام والنظافة ، وبخاصة المساجد ، وما يجب أن تلقاه من رعاية وعناية ، لأن تلك هى التى تجعل الطالب إيجابياً نحو نفسه وزملائه وبيئته ووطنه ، وعالمه الإسلامى كله .

٧ ــ الموظفون فى أماكن عملهم :

وهم ــ كأولئك ــ قطاع كبير فى بلادنا الإسلامية ، وهؤلاء هم الذين تكون بأيديهم مصالح الناس ، وما يحتاجونه من الدوائر الحكومية ، وغيرها ، وهى احتياجات كثيرة ، ما لم تجد قلباً مؤمناً عامراً بحب الخير ، وأذناً صاغية تستمع إلى شكاوى الناس ، فلن تؤدى ، فيضيع على أصحاب الحقوق والحاجات مزيد مما لايجب أن يضيع .

والموظفون ــ فى الغالب ــ وبخاصة من تأخذهم أبهة الوظيفة ، وما يملكون فيها من سلطة وقدرة على إنجاز الأعمال أو تعطيلها ، فينسون واجبهم الدينى ، وأحياناً واجبهم الإنسانى ، فيعوقون مصالح الناس ، عمداً ، أو إهمالاً ، وتقصيراً ، أو ضيقاً بالعمل

نفسه ، لظروف نفسية ، أو اقتصادية ، أو غيرها ، مما لا ينبغى أن يكون على حساب مصالح الناس ، وربما كان هذا راسباً من رواسب فترات الاستعمار يوم كان الأجانب بيدهم السلطة والكلمة فى البلاد التى اغتصبوها ، فكانوا يعوّقون مصالح الناس ويذلون كبرياءهم ... ربما كان هذا أو ذاك أو ذلك ، ولسنا هنا بصدد هذه المشكلة ، إنما الذى نقرره أن الموظفين فى الغالب ، هذه صفاتهم ، إلا قليلاً ممن عصم الله .

فماذا يستطيع الدعاة أن يفعلوا مع هؤلاء الموظفين ؟ وكيف يستطيعون التوصل إليهم حيث يكونون ؟

إن الوصول إليهم يكون إما فى مقار أعمالهم مجتمعين فى صلاة ، أو متفرقين كل منهم فى مكتبه ، أو فى نواديهم الخاصة بهم ، أو فى الحفلات والمناسبات ، أو بالعلاقات الشخصية .

وإذا وصل الدعاة إليهم ، بوسيلة أو بأخرى ، فإن ما ينبغى أن يقوموا به معهم ، هو ــ فى تصورنا ــ ما يلى :

أ ــ التوعية بالإسلام وأخلاقه وآدابه ، وما يوجبه على كل مسئول عن عمل من واجبات ، وما يكون مسئولاً عنه بين يدى الله ، من تقصير فى هذه الواجبات أو إهمال .

ب ــ الحث والتشجيع والتبصير ، بأن أداء الواجب بإخلاص ، إنما ينتظر أجره من الله ، لا من الوظيفة ولا من الناس .

جـ ــ التحليل والتعليل العلمى الموضوعى لمشكلة « الروتين » أسبابه وبواعثه ونتائجه ، وكيفية إزالة أسبابه ، والخسائر التى تنجم عنه على مستوى الأفراد والوطن والمصالح العامة الاقتصادية والاجتماعية .

د ــ التبصير بأهم مشكلات الموظفين وقضاياهم ، وتشخيصها بعناية ، والتفكير الجاد ، فى حلول لها ، بالتفاهم مع الجهات المسئولة عن ذلك .

هـ ــ ضرب الأمثلة ببعض المسئولين من « الموظفين بلغتنا اليوم » فى تاريخ الإسلام ، وكيف كانوا يؤدون أعمالهم بجد وإخلاص ، وكيف كانوا يكافئون عند التفانى فى العمل ، ويحاسبون أو يعاقبون عند التقصير أو الإهمال ، وكيف كان حسابهم على ما يربحونه بسبب وظائفهم .

وتاريخنا الإسلامى حافل بأمثلة رائعة فى هذه المجالات ، وهى أمثلة

معلمة ، وموجهة ، وحافزة على فعل الخير ، بإذن الله تعالى .

وللداعية بعد ذلك ، أن يختار من الموضوعات ، ما يراه ملائماً ، أو لازماً لهم ، وللظروف التى تحيط بهم .

٨ ـــ المدرسون فى مدارسهم :

ولهؤلاء أهمية قصوى ، تزيد على أهمية أى فئة من الفئات ، التى تحدثنا عنها آنفاً ، فهم الذين يتولون تربية الأجيال وصياغة الأطفال واليافعين والشباب ، صياغة تجعلهم صالحين لممارسة الحياة الاجتماعية السليمة ، وصالحين لمواصلة طلب العلم والتفوق فيه ، وصالحين لأداء واجبهم فى الحياة على نحو جيد ، يحقق أمل الوطن ، والأمة الإسلامية كلها .

إن على هؤلاء المدرسين عبئاً ضخماً ، وعملا جليلا ، فى بناء هذه الأجيال ، بناء صحيحاً ، لا للمواطنة الصالحة فحسب ، ولكن بناء الإنسان الصالح للتعامل مع وطنه ، وعالمه الإسلامى كله .

وإن هذا البناء لعمل عظيم متشابك ، متعدد الأبعاد ، يبدأ ببناء العقيدة الإيمانية الصحيحة ، ثم الأخلاق الإسلامية المستقيمة على جادة الحق دائماً ، ثم بناء العقول القادرة على الفهم والتعمق فيه ، والبحث والعلم ، ثم بناء الأبدان الصحيحة ، التى تستطيع أداء الواجب الشخصى والاجتماعى والإسلامى والعالمى ، ثم بناء النفسية السوية التى تتجاوب مع أداء الواجب ، وتقبل عليه بسعادة ورضا ، وتخلو من الأمراض النفسية وما يسمى « بالعقد » ، إنه بناء الإنسان المسلم وكفى .

إن المدرسين إذا كانوا قادرين على هذا العطاء ، فإنهم يسهمون بقدر ضخم ، فى بناء الإنسان المسلم ، والوطن المسلم ، والأمة المسلمة ، وإذا عجزوا عن ذلك ، ضيعوا على الأمة الإسلامية خيراً كثيراً ، بل عوقوها عن الوصول إلى أهدافها ، وحالوا بينها وبين التقدم والرقى ، وأخذ المكان اللائق بالمسلمين فى الحياة .

ومن نافلة القول التنبيه على أن المدرسات ، وهن كثرة كاثرة ، فى مجتمعاتنا الإسلامية ، عليهن نفس العبء ، ولهن نفس الأهمية والمكانة ، وما ينبغى أن يكون هذا محل جدل أو نقاش .

وإن العناية بالمدرسات ، تستلزم أن يكون للحركة الإسلامية عدد ملائم من الداعيات إلى الله ، يسد فراغ الاحتياج إلى العمل مع المرأة فى مجالات عملها المتعددة .

إن المدرسين إذا صلحوا بإحسان إعدادهم ، وبحسن أدائهم ، تخلص المجتمع المسلم ، من كثير من سلبياته ، بل من كل سلبياته .

وإن الدعاة إلى الله بما منحهم الله من ثقافة وعلم ، وحسن تأتٍّ للأمور ، عليهم واجب ضخم مع المدرسين ، لا يقل أهمية عن واجبهم نحو الطلاب ، ويزيد عليه هنا فوق ما ذكرناه نحو الطلاب ما يلي :

أ ــ التوعية بواجب المدرسين ، من حيث ما أمرهم به الله ، نحو أبنائهم الطلاب ، ونحو عملهم الجليل الذى هو التربية .

ب ــ توعيتهم بقضايا المجتمع ، وقضايا العالم الإسلامى الذى يهيئون له الأبناء .

جـ ــ توعيتهم بقضاياهم الفنية مثل :

* المشكلات المدرسية ، من حيث بناء المدرسة ، وكثافة الفصول .
* المشكلات المتعلقة بالمناهج ، والمقررات الدراسية .
* المشكلات المتعلقة بوسائل الإيضاح .
* المشكلات المتعلقة بالنشاط المدرسى .
* المشكلات المتعلقة بمجالس الآباء .

د ــ توعيتهم بقضاياهم المهنية مثل :

* كليات إعداد المعلمين والمعلمات ، ونظم القبول فيها ، ونظم التعليم بها .
* العبء الدراسى الملقى عليهم ، وهل هو مناسب ، أو أكثر ، أو أقل مما ينبغى .

أعبائهم الاجتماعية ، وكيف يواجهونها أثناء قيامهم بالعمل ، وبعد تركهم له لبلوغهم سن التقاعد .

* أوضاع النقابة الخاصة بهم ما لها وما عليها .

هـ ــ تزويدهم بحصيلة إسلامية ثقافية ، يواجهون بها حياتهم فى المدرسة ، وفى خارجها ، من حيث هم أفراد مسلمون ، عليهم كثير من واجبات الدين .

و ــ توجيه عدد منهم من أهل الاستعداد ، إلى الانخراط فى سلك العمل الإسلامى ، حيث يمرون بمراحل الدعوة إلى الله ، من تعريف وتكوين وتنفيذ إلى تمكين .

ز ــ اختيار العناصر الأكثر استعداداً وصلاحاً ، لترشيحهم لعمل أكبر فى مجال الدعوة إلى الله .

ح ــ توجيههم إلى التأثير فى أبنائهم إسلامياً ، من خلال ما يقومون بتدريسه من مقررات .

٩ ــ أساتذة الجامعات :

وهؤلاء هم صفوة أهل الفكر فى المجتمع كله ، وعلى أيديهم تتم عملية التوجيه لقيم المجتمع ومعنوياته ، وببحوثهم ودراساتهم ، يتم تطوير ماديات المجتمع ومقدراته .

وإن اندماج أساتذة الجامعات فى مشكلات المجتمع وقضاياه كلها ، وتصديهم لدراستها وتشخيصها ، ووضع الخطط لحلولها ، لهو الوضع الأنسب لقادة الفكر والعلم فى أى مجتمع ، بل هو النظرة الدقيقة للأشياء ، ووضعها فى موضعها الملائم .

إن المجتمعات المتقدمة ــ الآن ــ يشارك فيها أساتذة الجامعة ، مشاركة نظرية عملية فى تطوير كل قطاع من قطاعاتها ، زراعة أو صناعة أو خدمات أو استثمار أو مصارف ، أو كل ما له علاقة بحياة الناس ، بل إن هذه المجتمعات ، ما تقدمت إلى هذا الحد الذى نرى ، إلا باستعانتها بهؤلاء العلماء .

غير أن بلدان العالم الإسلامى حتى اليوم ، لم تستطع أن تستثمر أساتذة الجامعات فى مشكلاتها وقضاياها وكل ما يتصل بالتنمية والتطوير لمرافقها ، لم تستطع ذلك ، لأسباب لا مجال للحديث عنها هنا .

ولن تستطيع هذه البلدان ، أن تخطو فى سبيل التنمية والتقدم ، إلا إذا استعانت بأبنائها ــ لا بالأجانب ــ من العلماء .

إن كثيراً من الشركات والمصانع والمؤسسات فى بلدان أوربا وأمريكا ، لا تخطط لتطوير عملها وتحسينه ، إلا بمساعدة أساتذة الجامعات ، ولهذا تتقدم هذه البلدان ، وتستمر فى التقدم الذى نسمع عنه ونشاهده ، ونتساءل فى حيرة : ولماذا لا تتقدم البلدان الإسلامية ؟

والإجابة على هذا السؤال معروفة ، إن بلداننا تستشير الأجانب عنها الذين لا يخلصون لها النصح ، وتدفع لهم ما لو دفعت بعضه إلى العلماء من أبنائها ، لحصلت على العلم وعلى الإخلاص .

كأنما هى خطة معادية لمستقبل العالم الإسلامى ، أن يُعْزَل علماؤه ، عن التفكير فى حل مشكلاته !!!

إن تنسيقاً ضرورياً يجب أن يتم بين المؤسسات والشركات والمصانع ، بل الحكومات وأساتذة الجامعات ، يفضى إلى تعاون يحقق صالح المجتمعات الإسلامية .

إن هذه المؤسسات لابد أن ترصد فى موازنتها مبالغ لتطوير إنتاجها نحو الأحسن ، وإن هذه المبالغ ينبغى أن توجه إلى الجامعات ، أو إلى أقسام علمية بعينها فيها ، لتتم الدراسات والبحوث فى هذا المجال الحيوى من قطاعات المجتمع .

إن رجال الجامعات بحكم عملهم ، ينتمون إلى العلم والفكر والبحث على أعلى المستويات ، وإن للدعاة إلى الله معهم لعملاً جليل القدر ، عظيم النفع ، يتمثل فيما يلى :

أ ـــ إقناعهم بضرورة الانتماء إلى الإسلام ، لا الاكتفاء بانتمائهم للعلم وحده ، فإذا كان أساتذة الجامعات مؤمنين بدين ومبدأ ، وينتمون إلى هذا الدين ، وذاك المبدأ ، فإن إخلاصهم للعلم والعمل سيكون أكبر وأحسن ، وإن تفانيهم فى خدمة دينهم ، عن طريق العلم وفى خدمة أوطانهم وأمتهم الإسلامية كلها ، ستكون أكثر إثراءً للعمل وللإنتاج ، وسوف يسهمون بذلك ، فى تقدم ونهضة ملحوظين .

ب ـــ تنبيههم إلى أن أسلافنا من العلماء الأفذاذ ، هم الذين أقاموا صرح علم وحضارة ، لم تكن البشرية قد وصلت إلى مستواه ، إلا على أيديهم ، وأن هذا العلم ، وتلك الحضارة ، هى التى بنت عليها أوربا نهضتها الحديثة فى مجال العلم والتقنية .

جـ ـــ عقد الصلات الطيبة بهم ، والاقتراب الشديد منهم ، ومن أنشطتهم المتعددة العلمية وغير العلمية ، التى يمارسونها فى جامعاتهم ، وفى أنديتهم وملتقياتهم ورحلاتهم .

د ـــ المشاركة بالمحاضرات والندوات فى مختلف الأنشطة الثقافية ، التى يمارسها أساتذة الجامعات فى مختلف المناسبات .

١٠ ـــ علماء الأزهر العاملون فى حقل الدعوة :

وهؤلاء العلماء دعاة متخصصون ، يجيدون عملهم ، ويحسنون أداءه ـــ فيما نحسب

ولا نزكى على الله أحداً ـــ وهؤلاء ليسوا بحاجة إلى تفقه فى الدين ، ولا تزود فى علوم الدعوة ، ولا فى أساليبها ووسائلها ، فتلك حرفتهم ، ونحسبهم لا يحتاجون فيها إلى مزيد .

إن علماء الأزهر الذين يعملون فى حقل الدعوة أصلاء فى هذا المجال ، ربما لا يساويهم فيه سواهم من الدعاة ، ولكنهم على هذا القدر من الإجادة فى مادة الدعوة ، وربما نقصهم الكثير فى مادة الحركة والتنظيم ، وبما أن الدعوة إلى الله تستلزم الحركة والتنظيم ، فإن هؤلاء العلماء يظلون بحاجة إلى استكمال وسائل الدعوة إلى الله فى مجالى الحركة والتنظيم ، وتلك مهمة الدعاة الذين أعدوا ذاك الإعداد ، الذى تحدثنا عنه ، فى الفصل الثالث ، من الباب الثالث ، من هذا الكتاب .

هؤلاء الدعاة من علماء الأزهر كثرة كاثرة ، لهم نفوذهم ومكانتهم فى المساجد ، فى جميع أقطار العالم الإسلامى ، ولهم مكان لا شك فيه فى نفوس كثير من المسلمين ، ممن درسوا فى الأزهر أو فى الكليات المشابهة له .

غير أن هؤلاء الدعاة ، بحكم وظائفهم وانتمائهم إلى الحكومات التى يعملون معها ـــ وبما أن بعض هذه الحكومات لا تلتزم بمنهج الإسلام فى حياتها ـــ فإن عدداً لا بأس به من المسلمين ، يجدون نحو هؤلاء الدعاة فى نفوسهم حذراً وجفولا ، بل توجسا إذ هم يمثلون فى نظر هؤلاء المسلمين تلك الحكومات التى لا تلتزم بمنهج الإسلام ، ويعبرون عن آرائها وما تدين به من مناهج ونظم ، ليست نابعة من الإسلام ـــ كما أوضحنا ذلك فيما سلف من هذا الكتاب[1] ـــ والنتيجة لكل ذلك ، أن ما يقوله هؤلاء الدعاة ليس دائماً محل ثقة عند هذا العدد من المسلمين ، الذين يصنفون هؤلاء الدعاة مع الحكام .

وتلك واحدة مما يحسب على هؤلاء الدعاة من علماء الأزهر ، وإن كان بعضهم مظلوماً فى ذلك .

والثانية : أن بعض هؤلاء الدعاة يخلصون حقاً فيما يرددونه من آراء الحكومات التى يتبعونها ، ولاء للوظيفة ، أو خوفاً من بطش بعض الحكومات ، فيعملون على تأكيد ما تنادى به هذه الحكومات من آراء ، وما تروج له من نظم ومبادئ ، قد لا تكون ـــ وهذا هو الغالب ـــ ملائمة لمنهج الإسلام ومبادئه ومفردات شريعته ، وما تستهدفه هذه المفردات

---

(١) انظر الفصل الثالث من الباب الثالث .

من ضرورة صبغ المجتمع كله بصبغة إسلامية فى كل مرافق الحياة الإنسانية ، ومن هنا يجد هؤلاء الدعاة أنفسهم معزولين عن الناس ، مصنفين مع الحكومات التى لا تطبق منهج الإسلام ومفردات شريعته فى كل أمرها .

والثالثة : التى تؤخذ على هؤلاء الدعاة أن عدداً منهم يحصر نفسه فى إطار ضيق ، فى فكره وثقافته ، وما يقوله للناس ، وكأن الدعوة إلى الله فى نظره ، ما ينبغى أن تتجاوز حدود شرح العبادات وبعض المعاملات ، ولا يمد فكره وبصره إلى آفاق العالم الإسلامى وما يشغله من قضايا ومشكلات ، وبالتالى فهم بمنأى من إدراك ما يحيط بالعالم الإسلامى من تيارات معادية ، يجب عليهم أن يواجهوها ، وأن يلفتوا الأنظار إليها ، وأن يعينوا الناس على التفكير ، والعمل من أجل مناهضتها ، وإبطال أثرها فى العالم الإسلامى .

هؤلاء الدعاة من علماء الأزهر — الشريف ، بحرصه على إحياء علوم الشريعة ولغة القرآن — وعليهم هذه المآخذ ، يحتاجون من الدعاة غير الرسميين ، أو الدعاة الحركيين المنظمين إلى جهد كبير ، لإزالة هذه المعوقات أو السلبيات .

وعلى سبيل المثال فهم فى حاجة إلى ما يلى :

أ — حوار جيد حول قضايا العالم الإسلامى ومشكلاته بحيث يستهدف هذا الحوار :
- اهتمام هؤلاء الدعاة بتلك القضايا والمشكلات .
- واستيعاب أبعاد هذه القضايا والمشكلات .
- والتفكير فى الحلول لها .

ب — وحوار هادف حول تحرير أهداف الدعوة إلى الله — حتى لا تظل منحصرة فى فقه العبادات — ورصد هذه الأهداف ، واحداً واحداً ، أمام هؤلاء الدعاة من علماء الأزهر[1] ، ليكونوا على ذكر منها ، وهم يمارسون الدعوة إلى الله ، وليعملوا على تحقيقها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا .

جـ — وحوار بناء حول موقفهم من السلطة ، وكيف يخرجون من دائرة سيطرتها الفكرية عليهم ، بمزيد من الوعى والمرونة ، ومواصلة الدعوة إلى الله دون تحدى السلطة ، أو التخلى عن وظائفهم الرسمية ، وهذا ممكن جداً ، لو تضافرت الجهود ، وعملت العقول النيرة ، فهو مأزق ليس من المستحيل الخروج منه .

---

(١) انظر أهداف الدعوة إلى الله الفصل الخامس من الباب الأول من هذا الكتاب .

د ـــ وحوار جاد بناء حول موضوع : أساسيات العمل الإسلامى ومنطلقاته [1] ، والتعرف على ما يجب أن يقوم به الدعاة من جهود ، ليعرفوا الناس بهذه الأساسيات ، ويوضحوا لكل منهم عمله فى الدعوة إلى الله .

هـ ـــ حوار جاد حول التيارات المعادية للإسلام ، مرتكزاتها ومنطلقاتها ، أهدافها ووسائلها ، وكيفية مواجهتها ، وتوجيه جهود الناس وطاقاتهم ، لإجهاض هذه المخططات المضادة ، والرد عليها ، بما يفقدها القدرة على تحقيق أهدافها .

كل ذلك يحتاج إلى لباقة الداعية إلى الله ، وما أوتيه من القدرة على التعامل بالحكمة والموعظة الحسنة ، والجدال بالتى هى أحسن ، واتباع كافة الأساليب والوسائل المشروعة ، لمواجهة هذه التيارات المعادية .

١١ ـــ علماء الأزهر بعامة :

وهؤلاء العلماء يتولون أعمالاً عديدة ، مثل التدريس وتقلد بعض الوظائف الحكومية ، وممارسة الدعوة وغيرها .

وهم أيضاً من الكثرة ، بحيث لا يجوز التقليل من شأنهم فى المجتمعات الإسلامية ، فمن المعروف أن عدداً من الجامعات أو الكليات فى العالم الإسلامى ، تنحو نحو الأزهر فى مناهجها ودراستها ، بل ومقرراتها الدراسية ، ولذلك نعتبرهم جميعاً كأنهم تخرجوا فى الأزهر .

هؤلاء لهم تأثير لا بأس به فى الناس ، بحكم ثقافتهم الإسلامية المتخصصة التى يحتاج إليها كل مسلم ، وبحكم ما منحهم الله من استعداد لحفظ كتابه الكريم ، وسنة رسوله ﷺ .

إن علماء الإسلام مصادر أمن وأمان لقلوب المؤمنين ، يُستفتون فيفتون ويسألون عن الدين فيجيبون ، ويقودون الناس إلى ربهم ، وعظيم رحمته ورضاه ، إذا هم تمسكوا بكتابه وسنة رسوله ﷺ .

إن هؤلاء العلماء ، إذا استجابوا لأن يكونوا جميعاً دعاة إلى الله فى مواقع أعمالهم ، فإن ذلك لكسب كبير للدعوة الإسلامية بالتحديد ، وللعمل الإسلامى بعامة ، بل للعالم

---

(١) انظر للتوسع الباب الأول من هذا الكتاب .

الإسلامى كله ؛ وذلك أن كل داعية إلى الله من علماء الأزهر ، قد قطع نصف الطريق فى الاستعداد لتحمل أعباء الدعوة إلى الله ، بل ربما أكثر من نصفه ، بما درس من علوم الإسلام ، وعلوم اللغة العربية لغة القرآن ، وما بقى عليه ليكمل استعداده على خير وجه ، إلا أن يهتم بقضايا العالم الإسلامى ومشكلاته ، والتيارات المعادية له ، وأن يفقه كيف يكون حركياً فى دعوته إلى الله ، ينتقل بها إلى كل مكان ، ويخوض بها أمداء الزمان ، ويستهدف بها أن يجاهد الطاغوت فى الدنيا كلها ، كى لا تكون فتنة ، ويكون الدين كله لله ، وأن يجاهد نفسه ، إن دعته إلى الراحة والإخلاد إلى الكسل ، والتنصل من التبعة ، وإن فقه هذه الحركية لا يأتى من مجرد الإحساس بضرورته ، ولا من مجرد القراءة فى هذا الموضوع ، وإنما يتوقف على الانضمام إلى صفوف العاملين للإسلام ، المؤثرين للتعب على الراحة ، الذين يجاهدون فى سبيل الله ، ولا يخافون فى ذلك لومة لائم .

إن الإيمان فى حد ذاته ، يستلزم العمل والجهاد ، وإلا ما كان إيماناً ، والعمل والجهاد هو الحركية ، التى يجب أن يتمسك بها كل داعية إلى الله ، فالإيمان إذن حركى فاعل ، بل جاذب إلى التمسك بالحق ، والعمل من أجله .

إن هؤلاء الدعاة إلى الله ، عليهم أن يعوا جيداً ، أن العالم الإسلامى المعاصر ، إسلامى فى شكله ومظهره ، وكثيراً ما يكون غريبا فى موضوعه وجوهره ، وأنه يعلن إسلامه فى الأوراق والوثائق ، وربما تنكر لهذا فى العمل والسلوك .

إن هذا العالم الإسلامى المترامى الأبعاد والأطراف ، الذى يضم أكثر من أربعين دولة ، وأكثر من ألف مليون نفس ، يعتبر ــ بحكم أنه فى الغالب لا يطبق شريعة الله تطبيقاً كاملاً ــ غثاءً كغثاء السيل ، وزبداً يذهب جفاء .

وإن على الدعاة إلى الله ، أن يُبَصِّروا هؤلاء العلماء الأفاضل بكثير من الظواهر الهامة ، التى يشتمل عليها العالم الإسلامى مثل :

أ ــ ظاهرة الدول الإسلامية التى تقف مع أعداء الإسلام فى طلق واحد ، مقهورة كانت أو مخدوعة ، أو واهمة تتصور الباطل حقاً ، والزيف حقيقة .

ب ــ وظاهرة الدول الإسلامية التى تخلط بين منهج الإسلام فى الحياة ، وبعض المناهج الوضعية ، مبهورة بما حققه الأخذ بتلك المناهج الوضعية ، من بهارج وزخارف ، هى فى حقيقتها زهرة الحياة الدنيا فحسب ، فى حين أن الأخذ بمنهج الإسلام فى

الحياة ، يحقق سعادة الدنيا والآخرة .

جـ ـ وظاهرة الدول الإسلامية التى تدعى تطبيق الشريعة الإسلامية فى حياتها ، وهى من هذه الدعوى فى تناقض وافتيات على الحق ، أو أنها تطبق جزءا من الشريعة وتلغى أجزاء ، أو تطبق ما يتماشى مع شعاراتها ، وتلغى ما ترى فيه خطراً على هذه الشعارات ، أو خطرا على مصالحها الذاتية ، أو مصالح حكامها أصحاب السلطة والنفوذ .

د ـ وظاهرة قليل من الدول الإسلامية التى تطبق شريعة الله ، وتتمسك بها فى معظم ما تمارسه فى حياتها من أعمال ، ولا يبقى عليها إلا القليل النادر ، مما لم تستطع أن تلتزم فيه بشريعة الله ومنهجه ونظامه .

هـ ـ وظاهرة عدد من الدول الإسلامية ، أو فلنقل الأقاليم الإسلامية الواقعة فى فلك نظام ملحد ، لا يعترف بالأديان كلها ، ومنها بل فى مقدمتها الإسلام ، كالأقاليم الواقعة فى نفوذ الاتحاد السوفيتى ، أو الدول المتفقة معه فى الإلحاد والتنكر للأديان .

و ـ وظاهرة كثير من الأقليات الإسلامية ، المتناثرة على رقعة فسيحة فى العالم ، هنا وهناك ، تعانى من الظلم والقهر ما تعانى ، ولا تملك لنفسها من الأمر ما يمكنها من ممارسة شعائر دينها ، فتخفى إيمانها فى عصر يتبجح بأنه عصر حرية الأديان .

هذه الظواهر لابد أن يعيها هؤلاء العلماء ، وأن يعطوها من اهتمامهم ، ومن التعريف بها لكل من يتحدثون إليهم من المسلمين .

إن على الدعاة إلى الله أن يبصروا هؤلاء العلماء بتلك القضايا والمشكلات ، فهى لب العمل والحركة للدعوة فى صورتها المتكاملة .

نعم إن الدعوة إلى الله حركة وجهاد واستمرارية ، حتى يكون الدين كله لله .

وهذا ما ينبغى أن يعيه كل عامل فى حقل الدعوة إلى الله .

١٢ ـ النقابات المهنية :

وهذه النقابات مراكز قوة وتأثير فى الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية فى أى بلد ، وهى فى الوقت نفسه أماكن تجمع لأعداد كبيرة من الناس ، ولها من القدرة على

العمل والحركة قدر كبير ، وهى تشكيلات تعنى بمصالح فئات بعينها فى حاضرها ومستقبلها .

والأصل فيها أن تعمل ماوسعها الجهد على تطوير وتنمية أعضائها فى مجالات تخصصهم ، وإن كان كثير منها جاهلاً عن هذا العمل أو غافلاً أو متغافلاً عنه .

وفى كثير من بلدان العالم الإسلامى ، تحاول الحكومات أن تسيطر على النقابات ، لتكون من بين مؤسساتها التى تدين لها ، وتعمل وفق ما تريده هذه الحكومات ، والحق أن ذلك غير كائن إلا فى البلاد التى تعيش نظام حكم شمولى ، تسيطر فيه الحكومة على كل شىء .

وإن سيطرة بعض الحكومات على النقابات ، لتناقض أبسط الحقائق فى تكوين النقابات ، وتحديد أهدافها ، إذ الأصل فى النقابة أن تتبنى مشكلات أعضائها ، وتدافع عنها فى الغالب أمام الحكومات التى تهضم حقوقاً لهؤلاء الأعضاء ، أو تسكت عن هضم أصحاب العمل لحقوق أعضاء النقابة ، فالنقابة خصم للحكومة فى كل قضية تطالب فيها بحقوق للعمال ، كتخفيض ساعات العمل ، أو رفع الأجور .

وما أغرب ما كان فى بعض بلدان العالم الإسلامى ، من تعيين الوزير نقيباً للمهنيين الذين يعملون فى وزارته ، كما كان نقيب المعلمين فى بعض البلدان ، هو وزير التعليم أو المعلمين ، وهو الذى يعينهم وينقلهم ويرقيهم ، ويحسب عليهم خطواتهم بل أنفاسهم ، لصالح الحكومة التى عينته وزيراً ، وكما كان الشأن فى نقابات عديدة فى بلدان إسلامية لا تعرف من العدالة إلا اسمها وشكلها .

وكل بلاد العالم الإسلامى ، التى تحكم حكماً شمولياً ، تسيطر فيها مؤسسة عسكرية على البلاد ، تقبض بيد من حديد على هذه النقابات وتسخرها لمصالحها ، ومن عجب أن ينتخب الرئيس الذى تختاره الحكومة ، فينجح هذا المرشح مكتسحاً كل مرشح سواه ، دون خجل أو حياء من هذه الألاعيب .

وسواء أكانت هذه النقابات خاضعة لسيطرة الحكومة فى بلدها ، أم كانت متحررة نسبياً أو كلياً من هذه السيطرة ، فإنها مجال خصيب كذلك ، لما يجب أن يقوم به الدعاة إلى الله من جهد وعمل واهتمام بهذه النقابات :

إن على الدعاة إلى الله أن يكونوا على صلة وثيقة بهذه النقابات ، صلة عضوية إن كانوا من أهل تلك المهن ، وصلة مودة ، إن لم يكونوا من أهل تلك المهن ، وصلة رجال دعوة بجماعات من المدعوين .

ولن يعدم الدعاة وسيلة فى عقد هذه الصلات التى هى من صميم عملهم .

فماذا يفعل الدعاة فى هذه النقابات وأعضائها ؟

إنهم يستطيعون أن يقوموا بالأعمال الجليلة التالية :

أ ــ المشاركة فى عدد من المحاضرات والندوات ، التى تعقدها النقابات ، أو تشجيع هذه النقابات على عقد هذه المحاضرات والندوات ، إن لم تكن فى برامج عملها .

ب ــ والإسهام بجهد علمى جيد فى تطوير عمل النقابات ، وذلك بالنسبة للدعاة الذين ينتمون إلى هذه النقابات بتخصص أو مهنة .

جـ ــ والمشاركة فى الأنشطة الاجتماعية التى تقوم بها النقابة ، مشاركة فاعلة وبناءة ، وموجهة لهذه الأنشطة توجيهاً إسلامياً .

د ــ الإسهام بمقترحات وتصورات للعمل النقابى ، وللعمل الذى يجب أن تقوم به النقابة سياسياً واجتماعياً واقتصادياً ، بالإضافة إلى أعمالها التى تخدم أفرادها .

هـ ــ بذل مجهودات طيبة موجهة فى سبيل توعية أفراد النقابة بدينهم وخلقياته وسلوكه وآدابه .

هذا ما أتصوره ، ولن يعدم الدعاة أن يفكروا فى ذلك فيضيفوا إليه الكثير مما يفيد ، ويثرى النقابات والعمل الإسلامى على السواء .

٢ ــ اختيار أنسب الأساليب والوسائل للمدعوين

وهو الواجب الثانى على الدعاة نحو المدعوين ، والحديث عن هذا الموضوع من صميم عمل الدعاة ، الذى أجادوه بحكم استعدادهم وإعدادهم .

وربما كان حديثنا فيه الآن تكراراً لما سبق أن تحدثنا عنه بالتفصيل فى أساليب الدعوة ووسائلها فى الفصل السادس من الباب الأول من هذا الكتاب .

ولانعيد ما سبق أن قلناه هناك ، ولكننا نذكر ونشير فقط وباختصار شديد إلى ما بسطنا القول فيه هناك ، والذكرى تنفع المؤمنين ، فنقول :

إن على الدعاة إلى الله أن يتذكروا دائماً أساليب الدعوة ، التى حصرناها حسبما تراءى لنا ، فى سبعة أساليب هى :

أسلوب الشرح والتفسير لأصول الدين والدعوة وفروعهما ،

وأسلوب المقارنة بين الدعوات الأخرى والدعوة الإسلامية ،

وأسلوب الرد على الشبهات والمفتريات ،

وأسلوب التعهد والتربية والإعداد ،

وأسلوب التجميع والتصنيف والتوظيف ،

وأسلوب الترغيب والتبشير ،

وأسلوب الترهيب والتهديد .

إن على الدعاة أن يختاروا لكل مدعو ما يناسبه من هذه الأساليب لكى يصل بالدعوة إلى الله إلى أهدافها ، بالحكمة والموعظة الحسنة ، والجدال بالتى هى أحسن .

كما يجب أن نذكر ونشير فقط إلى ما سبق أن بسطنا فيه القول فى وسائل الدعوة هناك .

فنذكر بأن الوسائل ثلاثة :

وسيلة الدعوة إلى الله بالقول ،

ووسيلة الدعوة إلى الله بالعمل ،

ووسيلة الدعوة إلى الله بالقدوة .

والدعاة إلى الله بحكم إعدادهم واستعدادهم قادرون على اختيار أنسب الوسائل مع كل مدعو ، وهذا هو ما أوجبه الله تعالى على الدعاة فى قوله تعالى : ﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين** ﴾[1] .

---

(١) سورة النحل : ١٢٥ .

٣ ـ الشفقة بالمدعوين والحرص عليهم

إن الدعوة إلى الله ـ كما أوضحنا غير مرة ـ دعوة إلى الحق الذى لا حق سواه ،

وإن الدعاة إلى الله ـ كما أوضحنا كذلك أكثر من مرة ـ يقومون بأعمال الرسل عليهم الصلاة والسلام .

وإن الدعاة المسلمين بالتحديد يقومون بعمل محمد ﷺ ، وقد كان محمد ﷺ أكثر الأنبياء والمرسلين شفقة بمن يدعوهم إلى الله ، وسيرته العطرة مليئة بالمواقف والأحداث الدالة على ذلك ، وقد ذكرنا من ذلك أطرافا كثيرة فى ثنايا هذا الكتاب .

وإن على الدعاة إلى الله أن يتذكروا هذا جيداً ، ولقد كان وسيظل للمسلمين جميعاً ، لا الدعاة وحدهم ، فى رسول الله ﷺ أسوة حسنة ، ماداموا يرجون الله واليوم الآخر .

ولقد سقنا فى ذلك من الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية فى تضاعيف هذا الكتاب ما لا داعى إلى إعادته هنا[١] .

كما أن على الدعاة إلى الله أن يكونوا شديدى الحرص على هداية المدعوين ، مهما بدر منهم من تحد للدعوة ، ومناصبة لها ، لأن تلك هى أخلاق المعصوم ﷺ ، ولنا فيه أسوة حسنة ، لقد وردت فى حرصه عليه الصلاة والسلام ، على هداية الناس آيات عديدة نذكر منها :

قوله تعالى : ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم** ﴾[٢] .

وقوله سبحانه : ﴿ **إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدى من يضل وما لهم من ناصرين** ﴾[٣] .

وقوله جل شأنه : ﴿ **وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين** ﴾[٤] .

---

(١) انظر فى ذلك مايلى :
الفصل الثانى من « مرحلة التكوين » من الباب الثانى .
الفصل الثانى من « مرحلة التنفيذ » من الباب الثانى .
الفصلان الثانى والثالث من الباب الثالث وغيرها .

(٢) سورة التوبة : ١٢٨ . (٣) سورة النحل : ٣٧ . (٤) سورة يوسف : ١٠٣ .

وقوله سبحانه : ﴿ **إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين** ﴾[1] .

وقوله سبحانه : ﴿ **فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا** ﴾[2] .

وقوله جل شأنه : ﴿ **لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين** ﴾[3] .

إن هذه الآيات الكريمة لتدل على مدى حرص الرسول ﷺ على المدعوين ، ورغبته القوية فى أن يدخلوا فى الإيمان ، على الرغم مما واجهوه به من تحد وتعنت ، وحرب سافرة ومستترة ، وسجن وطرد من أحب بلاد الله إليه .

إن للدعاة إلى الله فى الرسول ﷺ الأسوة الحسنة فى الصبر على المدعوين ، والحرص على هدايتهم .

وإذا كان هذا هو واجب الدعاة ، فما واجب المدعوين ؟ ذلك مانتحدث عنه بإذن الله فى الفصل التالى آخر فصول هذا الكتاب .

والله ولى التوفيق والسداد .

---

(١) سورة القصص : ٥٦ .

(٢) سورة الكهف : ٦ .

(٣) سورة الشعراء : ٣ .

الفصل الرابع

واجبات المدعوين

ويشتمل على تمهيد وعدد من النقاط :

١ ـ الانصياع إلى الحق والخير .

٢ ـ السؤال والاستيضاح .

٣ ـ الانخراط فى العمل بالخضوع لمنهج الله .

٤ ـ التحول الإيجابى بممارسة الدعوة إلى الله فى الناس .

واجبات المدعوين

التمهيد :

أخشى أن يتوهم أحد ــ من خلال ما تحدثت به عن واجب الدعاة إلى الله نحو المدعوين ــ أن هؤلاء المدعوين مُدَلّلون ، حيث أوجبنا على الداعية أن يذهب إليهم بالدعوة حيث يكونون ، وأنه مطالب باختيار أنسب الأساليب والوسائل الملائمة لهم ، وأنه مكلف بأن يكون شفوقاً عليهم حريصاً على هدايتهم إلى الله وإلى الحق .

أخشى أن يتوهم أحد أن المدعوين مدللون ، لا مسئولية عليهم نحو ما يسمعون من كلمة الحق ، ومنهج الحق ، أوْ لا مسئولية عليهم نحو أى شبهة تقوم فى أذهانهم حول شيء مما يسمعون عن هذا الدين ، ثم لا يسألون عنها ويستوضحون ، أو لا مسئولية عليهم إذا هم عرفوا الإسلام منهجه ونظامه ، ثم لم يلتزموا به .

كما أخشى أن يتوهم أحد أن هؤلاء المدعوين ، وقد عرفوا الحق ، وعملوا بمنهج الإسلام فى حياتهم يكتفى منهم بذلك وحده ، وإنما هم مطالبون بأن يمارسوا الدعوة إلى الله دعاةً بعد أن كانوا مدعوين .

أخشى أن يتوهم أحد شيئاً من ذلك ، بكثرة إلحاحنا على واجبات الدعاة نحو المدعوين ، فإن هذا التوهم لو كان فهو غير صحيح .

إن المدعوين ــ وهم كل الناس كما أوضحنا آنفاً ــ إذا استجابوا لله وللرسول ولما يحييهم حياة طيبة فى الدنيا والآخرة ، فإنهم بذلك ينتقلون من أمة الدعوة ، إلى أمة الإجابة وحسبك بهذا الانتقال من عمل جليل يترك أبلغ الآثار فى هؤلاء المستجيبين ، وإن هذه الآثار لمتعددة الجوانب :

منها ما يزرع فى نفس المستجيب للحق طمأنينة ورضا وسعادة ، كتلك التى يشعر بها حائر ضل منه طريقه ، ثم وجده واهتدى بمعالمه إلى غايته ، أو كتلك التى يشعر بها من كان يتخبط فى متاهة أشفى فيها على الهلاك جوعاً وعطشاً وضحوا ، ثم عثر فى وسط هذا

التيه على بستان فيه الفاكهة والماء والظل الظليل .

ومنها ما يغرس الأمن والأنس فى نفس المستجيب للحق ، لأنه بهذه الاستجابة قد انتقل من الخوف الذى تجلبه المعصية ، إلى الأمن الذى تأتى به الطاعة ، ومن الوحشة بالوحدة ، إلى الأنس بالمشاركة فى ركب المؤمنين فى رحلة الحياة .

ومنها ما يحدد للإنسان مكانه ومكانته فى هذه الحياة ، بعد أن كان يعيش من غير مكان ومكانة حيث الضياع ، فيعرف بهذه الاستجابة أن مكانه فى صفوف المؤمنين العاملين فى سبيل الله ، ومكانته الكرامة والتكريم والشرف ، الذى ناله بأن أصبح من جند الله أنصار الحق والهدى .

إن الانتقال إلى إجابة داعى الله ، تحول عظيم ، يجعل من المدعو عنصراً هاماً ، من عناصر العمل ، من أجل هذا الدين .

وإن لهذا الانتقال لتبعات ، هى التى من أجلها عقدنا هذا الفصل الأخير من فصول الكتاب .

إن المدعو على وجه الإجمال ، مطالب بالانصياع إلى الحق والخير ، وبأن يسأل ويستوضح من الدعاة ، عن كل ما لا يعرف من أمر دينه ودنياه وبأن يلتزم بمنهج الإسلام فى نفسه وذويه ، وفى كل مجال من مجالات حياته ، لا يرضى به بديلا ، وبأن يتحول نتيجة لذلك إلى داعية إلى الله يدعو غيره من الناس .

أعتقد أن المدعو وقد وجبت عليه هذه الأعمال ليس مدللاً ولا متروكاً لنفسه وهواه ، وإنما هو على طريق الحق يقطعه خطوة خطوة ، ثم يمد الطريق إلى سواه من الناس ، ويمهده كما مُهّد له ، ويعين الناس على المضى فيه ، كما أُعين هو على ذلك ، وتلك عظمة منهج الإسلام وفاعليته وقدرته ، على تحويل الأفراد إلى طاقات بناءة منتجة ، فى مجال الدعوة إلى الإسلام .

أما تفصيل هذه الواجبات بالنسبة للمدعو ، فذلك ما سوف نتحدث عنه فى النقاط التالية :

١ ــ الانصياع إلى الحق والخير

إن أول واجبات المدعو إلى الله ، أن ينصاع إلى الحق ، إذا تبين له ، وأن يهرع إلى الخير ، إذ دعى إليه ، وذلك أن الله سبحانه وتعالى قد أعطى الإنسان عقلاً يميز به بين ما ينفعه وما يضره ، وما هو خير وما هو شر ، ثم لما كان هذا العقل بحكم خلق الله له ، عاجزاً فى أحيان كثيرة عن التمييز بين الخير والشر والهدى والضلال ، أرسل الله رسله وأنبياءه ، وأنزل معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ، قال سبحانه : ﴿ **لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوى عزيز** ﴾[١] .

وإنما كان ذلك رحمة من الله بالإنسان ، وإلزاما له بالحجة ، وليجازى المستجيب على اتباعه الرسل ، ويعاقب المعاندين على مخالفة الرسل ، وقد أتوا بالكتاب والميزان .

ثم كان خاتم الأنبياء محمد ﷺ ، فجعله الله على شريعة من الأمر ، وطالبه وطالب المستجيبين له باتباع هذه الشريعة ، وأنزل عليه القرآن الكريم مصدقاً لما بين يديه من الكتب ، ومفصلاً كل شيء وهدى ورحمة ، فقال سبحانه عن القرآن الكريم : ﴿ **ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون** ﴾[٢] .

وطالب الله سبحانه أمة الدعوة جميعاً ، بأن يستجيبوا لمحمد ﷺ ، لأنه يدعوهم لما يحييهم فى الدنيا حياة طيبة ويعطيهم فى الآخرة رضا الله ، فقال لهم : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون** ﴾[٣] .

إن دعوة الإسلام دعوة إلى الحياة ، فى أكمل صورها ، وأجمل معانيها ، إنها عقيدة تحيى القلوب والعقول ، وشريعة تكرم الإنسان ، وتحول بين أى معتسف ، وبين أن ينتقص شيئاً من كرامة الإنسان ، إنها شريعة تحرر الإنسان من الظلم ، ومن الخوف ، ومن الحيرة ، ومن الضياع ، وتلك هى الحياة ، إنها شريعة جاءت بمنهج للإيمان ومنهج للعمل ، ومنهج للعلاقات الإنسانية الراشدة النبيلة ، ومنهج متكامل لممارسة الحياة فى كل صورة من صورها .

---

(١) سورة الحديد : ٢٥ . (٢) سورة يوسف : ١١١ . (٣) سورة الأنفال : ٢٤

إن الدعوة الإسلامية ، دعوة إلى مايحيى الإنسان بعد موات ، و إلى ما يرتفع بمكانته إلى الدرجة التى كرمه الله بها أفضل تكريم .

إن المدعو مطالب ، بأن يدخل فى دين الإسلام ، إن كان من غير المسلمين ، بمجرد أن يستبين له الحق ، وهذا هو معنى الانصياع .

ومطالب بأن يكف عن المعصية ، ويخرج من ذلها وإثمها ، إن كان من المسلمين العصاة ، ليستمتع بعز الطاعة ، وعظيم أجرها عند الله .

ومطالب بأن يستمر على طاعته ، وأن يستزيد منها ، ومن فعل الخير ، إن كان من المسلمين الطائعين .

إن المدعو إلى الله مطالب بذلك كله ، وهذا هو الانصياع إلى الحق ، وهذا هو واجبه الذى لا محيد عنه ، إلا بهمزات الشياطين من الإنس أو الجن ، أو بإغلاق القلب والعقل عن تقبل الحق عنَاداً أو كبرياء ... ومن يفعل ذلك بعد أن تبين له الحق ، فإنه يسيء إلى نفسه ، وإلى مجتمعه الذى يعيش فيه ، ويسيء إلى مستقبله مع الله ، لأنه لن يفلت من عقاب مخالفة الرسول ﷺ ، سواء أكانت مخالفة ببقائه على الكفر ، أم مخالفة ببقائه على المعصية .

هذا واجب المدعو يؤديه أو يعاقب على تركه ، وهذا موقفه من الانصياع إلى الحق .

وأما انصياعه لفعل الخير ، فواجب كذلك ، لا ينقص عن هذا الواجب شيئاً ، لا فى ضرورته ، ولافى العقاب على تركه .

فإذا آمن الإنسان بالحق ، وانصاع له ، واتبع منهج الله ، فإن هذا المنهج يأمره أمراً بفعل الخير ، ويوضح له طرقه ، ويبين له ثواب فعله ، وجزاء تركه .

وليس المدعو مخيراً — إذا أراد ما ينفعُه وما ينفع الناس — فى أن يفعل الخير أو لا يفعله ، وإنما يجد نفسه لا يستطيع إلا أن يفعل الخير .

إن الله تبارك وتعالى يأمر بفعل الخير ويشجع عليه ويثيب عليه أجزل الثواب فى عديد من آيات القرآن الكريم قال الله تعالى : ﴿ **ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات** ﴾(١) .

---

(١) سورة فاطر : ٣٢ .

وقال جل شأنه : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون** ﴾[1] .

وقال سبحانه : ﴿ **ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً إن الله على كل شيء قدير** ﴾[2] .

وقال عز من قائل : ﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر** ﴾[3] .

وإن النظر فى هذه الآيات الكريمة ، يوضح لنا كيف وجه الناس إلى فعل الخير ، بل كيف أمروا به على النحو التالى :

فى الآية الأولى : ﴿ **ثم أورثنا الكتاب ...** ﴾ . تأكيد على أن أمة محمد ﷺ ، هى التى اختارها ، لترث الكتاب ، تشريفاً لها وتكريماً ، بدليل أنه سبحانه اصطفاها لذلك من بين الأمم ، ولهذا قال رسول الله ﷺ عند نزول هذه الآية : « هى أمتى ورب الكعبة » قالها ثلاث مرات ، وذلك يؤكد تكريم الله سبحانه لأمته ، ويؤكد ضخامة ما ألقى عليها من تبعة .

ومن الواضح فى هذه الآية الكريمة ، أن أفضل درجات هؤلاء الذين اصطفاهم الله لميراث الكتاب ، هم السابقون فى الخيرات .

فالأمة الإسلامية فى هذه الآية أصناف ثلاثة :

ظالمون لأنفسهم ، وهم الذين غلبت سيئاتهم حسناتهم .

ومقتصدون ، وهم الذين تتعادل حسناتهم مع سيئاتهم .

وسابقون فى الخيرات بإذن الله ، وهم الذين تزيد حسناتهم على سيئاتهم ، وهؤلاء بأحسن المنازل لما استبقوا إليه من الخيرات .

والمطلوب من كل مسلم أن يكون من المستبقين إلى الخيرات ، حتى يكون بهذه المنزلة الكريمة عند الله ، وحتى يكون قد أدى حق اصطفاء الله له وتشريفه ، إياه بتو...

---

(١) سورة الحج : ٧٧ .

(٢) سورة البقرة : ١٤٨ .

(٣) سورة آل عمران : ١٠٤ .

الكتاب .

وفى الآية الثانية : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا ...** ﴾ يطالب الله الأمة الإسلامية بأن تأخذ فى طريق الحق والفلاح ، ويحدد لها أسباب هذا الفلاح وهى :

عبادة الله وما تؤدى إليه ، من حسن الصلة به سبحانه ، الصلة التى تمكنهم من أن تستقيم حياتهم ، على قاعدة ثابتة ، وطريق لاحبة .

وفعل الخير ، وما يؤدى إليه ، من استقامة الحياة الاجتماعية ، والعلاقات بين الناس على أحسن ما تكون عليه العلاقة ، حيث يمارسون جميعاً فعل الخير ، فيتخلصون بذلك من السلبيات والتكاسل ولا يوجد فى هذا المجتمع من لا يصل إليه ذلك الخير .

وفى هذه الآية أمر من الله لعباده أن يفعلوا الخير ، أمر لا فكاك منه ، وهذا واجب كل مدعو إلى الله .

وفى الآية الثالثة : ﴿ **ولكل وجهة هو موليها .....** ﴾ يأمرهم الله سبحانه أمراً ، بالاستباق إلى الخير ، أمراً واضحاً صريحاً عَقَّبَ عليه سبحانه بقوله : ﴿ **إلى الله مرجعكم جميعاً** ﴾ مما يدل على حملهم على الاستباق إلى الخيرات حملاً لما يوحى به هذا التعقيب ، من تهديد من لم يستبق إلى الخيرات ، بأن مرجعه إلى الله سبحانه ، والله على كل شيء قدير .

فكل مسلم يجب أن يستبق إلى الخيرات ، لا مجرد أن يفعلها فحسب ، وما لم يستبق إليها ، فقد أخل بشرف الاصطفاء وتنكب طريق موجبات التوريث للكتاب ، وضيع نفسه وضيع غيره والعياذ بالله .

وفى الآيةالرابعة : ﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ...** ﴾ أمر صريح واضح للوجوب كذلك ، فلابد أن يكون فى المسلمين على الدوام جماعة تدعو إلى الخير ، وتأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ، كما لابد من سلطة وقوة ، لأن ذلك لا يؤدى إلا بها .

فكل مسلم مطالب فرداً بأن يكون من بين هذه الجماعة التى تدعو إلى الخير ، لأنه إذا لم يكن من هذه الجماعة ، أو لم يوجب على نفسه ذاك ؛ فمن أين تتكون هذه الجماعة ؟

إن المدعوين إلى الله مطالبون على سبيل الوجوب أن يفعلوا الخير ، ماداموا قد دعوا

إليه ، وإن دعوتهم إلى الخير تسقط كل حجة لأى مقصر أو متكاسل أو متعلل بالجهل عموماً ، أو بالجهل بطرق الخير وأوجهه .

وهكذا نؤكد بمقتضى ما قدمنا ، أن المدعوين إلى الله غير مدلّلين ، بل مطالبون ، بل ملزمون بالانصياع إلى الحق إذا دعوا إليه ، وبالانصياع إلى الخير والاستباق إليه ، لا يعفيهم من ذلك عذر ماداموا قد دخلوا فى الإسلام بعد كفر ، أو دخلوا فى الطاعة بعد معصية ، فهم بذلك أصبحوا من رجال الإسلام ، الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه .

وكيف يكون مسلماً من تخلى عن الحق — والحق هو الله — ؟

وكيف يكون مسلماً من لم يفعل الخير والله أمر به ؟

بل كيف يكون مسلماً من لم يعش بالحق والخير حياة دنيوية كريمة ، مكرمة بخضوعها لمنهج الله ، تفضى إلى حياة أخروية سعيدة بثواب الله ورضاه ؟

إن أحداً من المدعوين لا يستطيع أن يتخلى عن الحق والخير ، بحجة أنه لا يعلم ، لأن واجبه الثانى كمدعو أن يسأل ويستوضح . وهذا ما سوف نوضحه بإذن الله فى النقطة الثانية من هذا الفصل .

٢ ـــ السؤال والاستيضاح

وهذا هو ثانى واجبات المدعوين ، فبعد أن انصاع المدعو إلى الحق والخير ، فإن عليه أن يسأل ويستوضح عن الحق والخير وعن الطريق إليهما ، ومعالم هذا الطريق مما لا يكون واضحاً أمامه .

فالمدعو عليه أن يسأل عن عبادة الله سبحانه ، كيف تكون ، وما هى طرقها ومسالكها ، ويسأل عن كل ما خفى عليه من شئون الدين صغيرها وكبيرها ، على حد سواء ، حتى يكون على علم بذلك ، فيعبد الله عبادة سليمة ، ويعرف رأى الدين وموقفه من كل أمر له علاقة بحياته .

والسؤال والاستيضاح قد أوجبه الله على كل الناس حتى على أنبيائه ورسله عليهم السلام وبخاصة إذا كان عن شىء يتصل بأمر الدين والعبادة ، فقد طالب الله سبحانه رسوله محمداً ﷺ ، وطالب المسلمين معه بأن يسألوا ، وأن تكون أسئلتهم موجهة إلى أهل الذكر ـــ أى المعرفة والعلم ـــ وجعل ذلك أدباً عاماً للمسلمين ، يتجهون بأسئلتهم واستيضاحاتهم إلى أهل الذكر ، فقال سبحانه : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون . بالبينات والزبر وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون** ﴾[1] .

وقال جل شأنه : ﴿ **وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون** ﴾[2] .

وقال لنبيه محمد ، ﷺ : ﴿ **فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين** ﴾[3] .

وكما أوجب الله على طلاب المعرفة أن يسألوا ويستوضحوا ، حتى يكونوا على بينة من أمر دينهم ، فقد أوجب على العلماء والدعاة أن يجيبوهم على ما سألوا ، وأن يبادروا بالتوضيح والتبيين لهم إذا لم يسألوا ، فقال سبحانه : ﴿ **وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ....** ﴾[4] .

---

(١) سورة النحل : ٤٣ ، ٤٤ .

(٢) سورة الأنبياء : ٧ .

(٣) سورة يونس : ٩٤ .

(٤) سورة آل عمران : ١٨٧ .

وهذه الآية الكريمة تدل على أن هؤلاء العلماء أو الدعاة مطالبون بعملين جليلين هما :

تبيين الحق للناس ﴿ **لتبيننه ...** ﴾ .

وعدم كتمانه أو كتمان شيء منه ، وبخاصة إذا سئلوا .. .

والأصل فى المسلم أن يسأل عما لا يعلم ، وكان الصحابة رضى الله عنهم يسألون رسول الله ﷺ عن كل ما يعن لهم فى شئون الدين ، بل كثير من شئون الدنيا ، حتى إن بعضهم كان يسأل عن الشر ، مخافة أن يقع فيه .

فعن أى شيء يسأل المدعوون ويستوضحون ؟

أولا : يسألون عن كل ما لا يعرفون ، من أمور العقيدة والتوحيد ، حتى تصح لهم عقيدتهم ، ويسلم لهم توحيدهم من كل الشوائب .

ثانياً : عن كل ما لا يعرفون من أمور العبادات والمعاملات ، حتى تسلم عبادتهم من أى خلل أو زيغ أو انحراف عما شرع الله وأوجب ، أو ما ندب إليه وحبب فيه .

ثالثاً : عن كل ما لا يعرفون من طرق الخير ، وأبواب البر ، حتى يقبلوا على فعل الخير ، وممارسة البر عن معرفة وعلم .

رابعاً : عن كل شبهة ترد عليهم فى الدين فى أصوله ، وقواعده ، أو فروعه وآدابه وفضائله ، حتى يعبدوا الله وقد خلصت قلوبهم ، وعقولهم من كل الشبهات .

خامساً : عن كل ما يشكل عليهم من أمور دنياهم ، لأن الدعاة إلى الله الذين يتوجه إليهم المدعوون بالسؤال والاستيضاح يعرفون ـــ بحكم سعة ثقافتهم ، وعمق معارفهم ، وغزير علمهم ـــ من أمور الدنيا ما فيه إجابة على كل سؤال ، من منطلق أنهم دعاة إسلاميون ، والإسلام نظام شامل للدنيا والآخرة ودعاته على هذا المستوى من الإحاطة والشمولية ـــ كما أوضحنا فى ثقافة الدعاة .

إن المدعوين إلى الله عليهم أن يسألوا عن كل ما لايعرفون ، وإذا سكتوا عن السؤال ، وهم لا يعرفون ، فقد أثموا إن كان ذلك فى شأن من شئون الدين ، وقد قصروا إن كان ذلك فى شأن من شئون الدنيا .

وإنما يأثمون إذا تركوا السؤال عن شأن من شئون الدين ، لما يترتب على ذلك من عمل ، قد لا يكون صحيحاً ، وفى نفس الوقت لا يستطيعون الاعتذار بالجهل ، لأنه من

المقرر لدى أسلافنا من العلماء « أنه لا جهل بدار الإسلام » .

وقد يتبادر إلى أذهان بعض الناس أن كثرة الأسئلة غير مرغوب فيها ، وأن الصحابة رضوان الله عليهم ما سألوا الرسول ﷺ إلا فى ثلاث عشرة مسألة ، هى المُصَدَّرة فيها بعض آيات القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿ **يسألونك** ﴾ أو يسوق بعضهم الحديث النبوى الذى رواه الإمام الشافعى بسنده ، عن أبى هريرة ، رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « ذرونى ما تركتكم ، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم ، واختلافهم على أنبيائهم ، فما أمرتكم به من أمر فأتوا منه ما استطعتم ، وما نهيتكم عنه فانتهوا »[1] .

أو يسوق الحديث النبوى الشريف الذى رواه الإمام الشافعى بسنده ، عن عامر بن سعد ، عن أبيه أن النبى ﷺ قال : « أعظم المسلمين فى المسلمين جرماً ، من سأل عن شيء لم يكن محرما ، فحرم من أجل مسألته »[2] .

يسوق بعض الناس هذه الأحاديث ، ويخلصون منها بأن السؤال منهى عنه ، أو غير مرغوب فيه .

ولذلك فلابد لنا هنا من وقفة نوضح فيها ما فى هذين الحديثين من دلالة فيما نحن بصدده فنقول وبالله التوفيق :

إن هذين الحديثين لا يدلان على النهى عن السؤال والاستيضاح والاستفسار ، وإنما يدلان على النهى عن التكلف فى السؤال ، عن شيء لا يعنى السائل ، أو عن شيء لم يقع بعد ، مادام الرسول ﷺ لم يأمر فى ذلك بشيء ، وإنما عليهم أن يدعوا ذلك لما فيه من حرج ، قد يقعون فيه ، أو يوقعون فيه سواهم ، ويحذرهم النبى ﷺ عن الوقوع فيما وقع فيه بنو إسرائيل من كثرة تكلفهم ، وتعنتهم فى أسئلتهم مع أنبيائهم .

ويختص حديث : « أعظم المسلمين في المسلمين جرماً ... » بأنه يحذر من أن يترتب على بعض الأسئلة ، التى يتكلف فيها من يسأل ، أن يترتب عليها تحريم شيء ، لم يكن محرماً ، فيضيق السائل بسؤاله المتكلّف ، على ما كان لدى المسلمين من سعة ، قال الخطابي فى التعليق على هذا الحديث : « هذا الحديث فيمن سأل تكلفاً وتعنتاً ، فيما لا

---

(١) الإمام الشافعى : مسنده : ١٦ / ١ الرحمانية تحقيق المرحوم الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا والد الإمام البنا عليهما رحمة الله .

(٢) السابق : ١٧ / ١ .

حاجة به إليه ، فأمّا من سأل لضرورة ، بأن وقعت له مسألة ، فسأل عنها ، فلا إثم عليه ، ولا عتب لقوله تعالى : ﴿ **فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون** ﴾ »[1] .

وكيف يفهم بعض الناس أن هذين الحديثين ، ينهيان عن السؤال مع أن الصحابة رضوان الله عليهم ، قد سألوا رسول الله ، ﷺ فيما جاء فى السنة مئات الأسئلة ؟

وإن أكثر من ثمانين سؤالاً جاءت فى كتاب من كتب السنة[2] صدرت كلها بعبارة : « سئل » رسول الله ﷺ أو بعبارة : « سألته » أو بعبارة : « سألوه » .

هكذا ينبغى أن نفهم الحديثين الشريفين .

وهكذا ينبغى أن نؤكد ، أن على المدعو إلى الله أن يسأل ويستوضح ، فى كل ما له علاقة بأمور الدين ، أو أمور الدنيا ، ليعرف رأى الإسلام فيه ، فلا يكون منه تصرف ، إلا وقد أخذ الشرعية ، واصطبغ بصبغة الإسلام ، وبدت عليه آدابه وأخلاقه .

وليس للمدعو أن يترك مجالاً يقول فيه : لا أعلم رأى الإسلام فى ذلك .

والأصل فى المسلم — كما سبق أن ذكرنا غير مرة — أن يعلم ، ثم يتبع العلم بالعمل ، وقد سقنا فى ذلك عدداً من الأحاديث النبوية الشريفة ، فيما سلف من البحث .

ولأن المسلم يجب أن يُتبع العلم بالعمل ، جاء حديثنا عن النقطة التالية فى هذا الفصل « **الانخراط في تطبيق منهج الله في حياته كلها** » . هكذا يجب أن يكون المدعو إلى الله .

---

(١) السابق : ١ / ١٧ .

(٢) هو كتاب جامع الأصول لابن الأثير .

٣ ــ الانخراط فى تطبيق منهج الله

ونعنى بذلك أن المدعو لكى تتكامل فيه صفات المسلم المستنير ، ولكى يؤدى الواجبات الملقاة على كاهله ، بالصورة التى تعفيه من المسئولية أمام الله يوم القيامة ، وأمام نفسه وقد انصاع إلى الحق والخير ، وأمام المجتمع المسلم الذى هو جزء منه ، وبخاصة أنه استوضح واستفسر ، عن كل ما لا يعرف من أمر دينه ، بل من أمر دنياه ، إنه لكى يعفى نفسه من هذه المسئولية ، فإن لزاماً عليه أن ينخرط فى سلك العاملين بهذا الدين ، المطبقين لمنهجه ، ونظامه ، فى كل مرافق الحياة .

بل إن عليه أن يُقبل على هذا التطبيق برغبة وحماس وفرح ، لأنه بهذا التطبيق ، قد استجاب لما يحييه فى الدنيا حياة طيبة ، ولما ينجيه فى الآخرة من عذاب النار .

إن الإسلام قد تميز ــ كما أوضحنا ذلك فى الباب الأول من هذا الكتاب ــ بأنه الدين الوحيد من بين الأديان الذى اشتمل على منهج متفرد من بين المناهج ، بأنه يحتوى فى داخله وفى مفرداته على سائر التفاصيل ، التى تضمن لمن يطبقها بإخلاص سعادة الدنيا والآخرة .

وليست العبرة فى أن المسلم مطالب بأن يستوعب الإسلام نظرياً ، ويستظهر مبادئه وقيمه وآدابه ، وإنما العبرة بأن يكون هناك تطبيق وتنفيذ لهذه المبادئ والقيم والآداب فى حياة الإنسان ، وكل ما يتصل بها ، لما ذكرنا غير مرة فى ثنايا هذا الكتاب ، من أن الإيمان لا يكون إيماناً ، إلا إذا صدقه العمل وإلا كان تمنياً يطوف بالخواطر ، ويحلق فى أجواء الخيال ، ولا يستطيع أن يصبح عملاً على أرض الواقع الإنسانى ، وهذا ما حذر منه النبى ﷺ فى قوله : « ليس الإيمان بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل » .

فما المقصود بالانخراط فى تطبيق منهج الله ؟

إن المقصود بذلك أن يلتزم المدعو فى اعتقاده وعمله خطين رئيسين هما :

الخط الأول : أن يمارس الإسلام ممارسة عملية فى المجالات التالية :

١ ــ فى نفسه ، سلوكه وأخلاقه وقوله وعمله وكل ما يصدر عنه من فعل ، بل كل ما يصدر عنه من ترك ، وذلك يشمل كل حياته .

٢ ــ فى مجال بيته ، « فإذا صلح الرجل وصلحت المرأة ــ وهما عماد الأسرة ــ

استطاعا أن يكونا بيتاً نموذجياً ، وفق القواعد التى وضعها الإسلام ، وقد وضع الإسلام قواعد البيت ، فأحكم وضعها ، فأرشد إلى حسن الاختيار ، وبين أفضل الطرق للارتباط ، وحدد الحقوق والواجبات ، وأوجب على الطرفين رعاية ثمرات هذا الزواج حتى تَينع ، وتنضج فى غير عبث ، ولا إهمال ، وعالج ما يعترض هذه الحياة الزوجية من المشكلات أدق علاج ، واختط فى كل نظراته طريقاً وسطا ، لاتفريط فيه ولا إفراط »[1] .

٣ ــ فى المجتمع ، وذلك إنما يكون « بإرشاد المجتمع ، بنشر دعوة الخير فيه ، ومحاربة الرذائل والمنكرات ، وتشجيع الفضائل ، والأمر بالمعروف ، والمبادرة إلى فعل الخير ، وكسب الرأى العام إلى جانب الفكرة الإسلامية ، وصبغ مظاهر الحياة العامة بها دائماً »[2] .

٤ ــ فى مجال عمله على قيام الدولة الإسلامية وإحياء الخلافة « فالخلافة رمز الوحدة الإسلامية ، ومظهر الارتباط بين الأمم الإسلامية ، وأنها شعيرة إسلامية ، يجب على المسلمين التفكير فى أمرها والاهتمام بشأنها ، والخليفة مناط كثير من الأحكام فى دين الله ، ولهذا قدم الصحابة رضى الله عنهم النظر فى شأنها ، على النظر فى تجهيز النبى ﷺ ودفنه ، حتى فرغوا من تلك المهمة ، واطمأنوا إلى إنجازها ...

والإخوان المسلمون يجعلون فكرة الخلافة والعمل لإعادتها فى رأس مناهجهم ، وهم يعتقدون أن ذلك يحتاج إلى كثير من التمهيدات التى لابد منها ، وأن الخطوة المباشرة لإعادة الخلافة ، لابد أن تسبقها خطوات :

- فلابد من تعاونٍ تام ثقافى واجتماعى واقتصادى بين الشعوب الإسلامية كلها .
- يلى ذلك تكوين الأحلاف والمعاهدات وعقد المجامع والمؤتمرات بين هذه البلاد .
- يلى ذلك تكوين عصبة أمم إسلامية ...
- حتى إذا تم ذلك للمسلمين نتج عنه الاجتماع على **الإمام** الذى هو واسطة

---

(١) الإمام البنا : دعوتنا .

(٢) الإمام البنا : رسالة التعاليم .

العقد ، ومجتمع الشمل ، ومهوى الأفئدة ، وظل الله فى الأرض »[1] .

والخط الثانى : أن يعتقد هذا المدعو إلى الله اعتقاداً جازماً ، بأن العمل الجماعى من أجل الإسلام ، هو العمل الأصلى المطلوب ، وأن الأعمال الفردية غير مجدية ، وغير قادرة على بلوغ الهدف الكبير ، وهو ألا يعبد إلا الله فى الأرض فى ظل خلافة إسلامية ، تجمع كلمة المسلمين ، وتحق بهم الحق ، وتبطل الباطل ، وإنما يتم إحقاق الحق ، وإبطال الباطل بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والعدل والإحسان ، والجهاد فى سبيل الله سبحانه ، وكل تلك أمور طالب الله بها المسلمين جماعة لا أفراداً ....

ففى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وردت آيات عديدة سبق لنا سردها ، فى الفصل الرابع ، من الباب الأول ، نذكّر منها هنا بقول الله تعالى : ﴿ **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم** ﴾[2] . والكلام عن الجماعة لا الفرد .

وفى العدل والإحسان ـــ وقد تحدثنا عنه هناك أيضاً ـــ نذكر بقول الله تعالى : ﴿ **وأحسنوا إن الله يحب المحسنين** ﴾[3] وقوله سبحانه : ﴿ **وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا** ﴾[4] . والخطاب للجماعة لا للفرد وحده .

وفى الجهاد فى سبيل الله ـــ وقد تحدثنا عنه هناك أيضاً ـــ نذكر بقول الله تعالى : ﴿ **وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج** ﴾[5] . والخطاب للجماعة .

وقوله سبحانه : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا فى سبيله لعلكم تفلحون** ﴾[6] . والخطاب كذلك للجماعة .

بل إن المحرمات العامة التى حرمها الله على عباده والتى حصرتها آيات سورة الأنعام فى عشرة ، وجه فيها الخطاب القرآنى إلى الجماعة لا الفرد ، فقال تعالى :

---

(١) الإمام البنا : رسالة المؤتمر الخامس ١٣٥٧ هـ .
(٢) سورة التوبة : ٧١ .
(٣) سورة البقرة : ١٩٥ .
(٤) سورة الأنعام : ١٥٢ .
(٥) سورة الحج : ٧٨ .
(٦) سورة المائدة : ٣٥ .

﴿ قل تعالو أتل ما حرم ربكم عليكم

ـ ألا تشركوا به شيئا

ـ وبالوالدين إحسانا

ـ ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم

ـ ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن

ـ ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون .

ـ ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده

ـ وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا إلا وسعها

ـ وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى

ـ وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون .

ـ وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾ (١) .

إنها كبريات المسائل ، أو الأمور ، وكلها موجهة للجماعة ، والفرد فيها جزء من الجماعة وداخل فيها .

إن المدعو إلى الله إذا سعى فى هذين الخطين ممارسة الإسلام ممارسة عملية فى كل شعب حياته ، وآمن بالعمل الجماعى فى تطبيق منهج الله ، فقد أدى واجبه الثالث من بين هذه الواجبات التى أحصيناها عليه فى أربعة .

ويبقى عليه بعد ذلك الواجب الرابع والأخير ، وهو أن يتحول من مكان المدعو إلى مكان الداعى .

وهذا ما سوف نوضحه فى النقطة التالية ، والله المستعان .

---

(١) سورة الأنعام : ١٥١ ـ ١٥٣ .

٤ ـــ التحول الإيجابي بممارسة الدعوة إلى الله فى الناس

وذاك هو التحول الإيجابى ، الذى لا محيد عنه ، بل إن ذلك من أهم إيجابيات الدين الإسلامى ومنهجه ونظامه ، فإن الفرد فيه ينتقل من مكان المدعو ، إلى مكان الداعى ، انتقال وجوب لا خيار له فيه ، وليس عليه فى ذلك من حرج ، ولا مشقة ، وإنما سيقبل هو على ذلك فرحاً مسروراً .

إن المدعو إلى الله وقد انصاع إلى الحق والخير ، وعلم من أمور الدين والدنيا ما ينبغى أن يعلم ، وانخرط فى سلك المطبقين لمنهج الله فى شعب الحياة كلها مؤمناً بضرورة العمل للإسلام فى جماعة ، إن هذا المدعو لا يتم إيمانه ، ولا يكمل إلا بأن يتحول إلى داعية إلى الله ، يدعو غيره من الناس ، فقد استكمل عُدة الداعية ، وهى الإيمان باتباع محمد ﷺ ، والبصيرة بهذا الدين الذى يدعو إليه ، التى أفادها من توجيه الدعوة إليه وانصياعه إلى الحق وتطبيقه المنهج .

وقد قلنا فى مستهل هذا الكتاب : إن الدعوة إلى الله واجبة على كل مسلم ، بمقتضى قول الله تبارك وتعالى :

﴿ قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾[١] .

وقد أوسعنا هذا الموضوع بحثاً ، فى مستهل الكتاب .

فكيف يمارس الدعوة إلى الله ؟

إن ما سبق أن تحدثنا عنه ، فى الباب الثانى من هذا الكتاب ، باب مراحل الدعوة إلى الله ، هو دليل العمل بالنسبة له ، ولكل من يتصدى للدعوة إلى الله .

وهكذا يكون العمل للإسلام ، والدعوة إليه حلقة محكمة البناء ، يتحول المسلم فيها من مدعوّ إلى داع لغيره من الناس ، ثم يتحول هذا المدعوّ إلى داع وهكذا ...

إنها روعة المنهج ، وعظمة النظام ، وإحكامه ، وقدرته الفائقة على الاستمرارية ، وبلوغ أقصى المدى فى مجال الحركة الإسلامية الفاعلة .

---

(١) سورة يوسف : ١٠٨ .

الحركة الإسلامية التى تستهدف جهاد النفس ، وجهاد الشيطان ، وجهاد الطاغوت ، وجهاد كل عدو لله ، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ، ويقوم الناس بالقسط ﴿ **ويومئذٍ يفرح المؤمنون . بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم** ﴾ .

الخاتمــــة

فى الختام لهذا العمل نحمد الله سبحانه ، ونصلى ونسلم على محمد ، رسـول الله ﷺ وعلى آله وصحبه ، وورثته من العلماء الدعاة ، حمداً وصلاة دائمين ، إلى أن يقوم الناس لرب العالمين .

ونرجو الله سبحانه أن يَتَقَبَّلَ هذا العمل خالصاً لوجهه ، وأن يجزينى ، ويجزى كل قارئ له ، عامل بما فيه خير الجزاء .

وسبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إلـٰه إلا أنت ، أستغفرك ، وأتوب إليك .



فهارس الجزء الثانى

الموضوع رقم الصفحة

الجزء الثانى

المرحلة الثالثة : مرحلة التنفيذ

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع رقم الصفحة

المرحلة الرابعة : مرحلة التمكين

وتتناول :

الموضوع رقم الصفحة

الموضوع رقم الصفحة

الموضوع | رقم الصفحة

الموضوع رقم الصفحة

الموضوع رقم الصفحة

الموضوع | رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع | رقم الصفحة

رقم الإيداع بدار الكتب ٧٨٧٠ / ٨٩

الترقيم الدولى ٠ ـ ٥١ ـ ١٤٢٢ ـ ٩٧٧

مطابع الوفاء ـ المنصورة
شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب
ت : ٣٤٢٧٧٢١ ـ ص.ب : ٢٣٠
تلكس : ٢٤٠٠٤ DWFA UN